الكافي

الاصول والروضة

ثقة الاسلام ابي جعفر محمد بن يعقوب الكليني

وشرح جامع

للمولى محمد صالح المازندراني

المتوفى ١٠٨١ هـ او ١٠٨٦ هـ

مع تعاليق علمية للعالم المتبحر

الحاج الميرزا ابو الحسن الشعراني دام ظله

من منشورات

المكتبة الاسلامية

طهران شارع البوذرجمهري

2271
.518
.351
.1963

V.8

2271.518.351.1963 V.8
al-Kūlinī
Muhammad

DATE	ISSUED TO

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

al-Kulini, Muhammad

الكافى

الاصول والروضة

لثقة الاسلام ابيجعفر محمد بن يعقوب الكلينى

وشرح جامع

للمولى محمد صالح المازندرانى

المتوفى ١٠٨١ هـ او ١٠٨٦ هـ

مع تعاليق علمية ، للعالم المتبحّر

الحاج الميرزا ابوالحسن الشعرانى دام ظله

عُني بتصحيحه و تخريجه علي أكبر الغفّاري

المجلد الثامن

مِن منشورات

المكتبة الاسلاميّة

طهران - شارع البوذرجمهري (تلفن ٢١٩٦٦)

١٣٨٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

2271
.518
.351
.1963

(كتاب الايمان والكفر من كتاب الكافى)

((باب))

(طينة المؤمن والكافر)

[اخبرنا محمدبن يعقوب قال : حدثنى]

v.8

١ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حمّادبن عيسى، عن ربعيٍّ بن عبدالله ، عن رجل، عن عليٍّ بن الحسين عليهما السلام قال : إنَّ اللهعزَّوجلَّ خلق النبيّين من طينة

قوله (كتاب الايمان والكفر) قدم الايمان لانه الاصل والاهم والمقصود ولانه وجودى والكفر عدمى كماقيل، ولم يذكر واسطة ذكرها فيما بعد اما لانه لايقول بثبوتها لما مر من الوجه الاخير أولانه أراد بهما أصل الاقرار والانكار، ولاواسطة بينهما، وانما الواسطة باعتبار أمر آخر وهو أن يراد بالايمان الايمان الكامل المقارن بالاعمال كماهو الشايع عند أهل البيت عليهم السلام أو لانه أراد بهما المطلق والواسطة لاتخلو من أحدهما ، و الغرض من هذا الكتاب بيان أصل الانسان و كيفية خلقه والغرض منه وما يوجب كفره وايمانه و بيان مهلكاته و منجياته ، والترهيب من الاولى، والترغيب فى الثانية ليعرف كيفية السلوك و طريق الوصول الى سعادته التىهى قرب الحق والوصول اليه والتخلص من أهواء النفس واغواء الشيطان ولايمكن ذلك الابمجاهدات نفسانية و رياضات بدنية و روحانية و نيات صادقة قلبية، وهمم رفيعة عالية والله ولى التوفيق واليه سداد الطريق.

قوله (باب طينة المؤمن والكافر) فى النهاية طينة الرجل خلقه واصله طانه الله على طينته أى خلقه على جبلته. وفى المصباح الطين معروف والطينة أخص منه والطينة الخلقة يقال طانه الله على الخير جبله عليه، و انما قدم باب الطينة لانه يذكر فيه أحوالا مشتركة مع أن الطينة و أحوالها بمنزلة المادة و سائر الاحوال بمنزلة الصورة .

قوله (أخبرنا محمدبن يعقوب قال حدثنى) لم يوجد فى أكثر النسخ والوجه على، تقدير وجوده ما ذكرناه فى اول الكتاب.

قوله (ان الله عزوجل خلق النبيين) أى أوجدهم أو قدر وجودهم من طينة الجنة على تفاوت درجاتها، و نبينا «ص» وأوصياؤه عليهم السلام خلقوا من طينة أعلاها كما سيجىء و اضافة الطينة امابتقدير اللام أو فى أو من .

علّيّين قلوبهم و أبدانهم و خلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة و [جعل] خلق أبدان المؤمنين من دون ذلك، و خلق الكفّار من طينة سجّين، قلوبهم و أبدانهم فخلط بين الطينتين، فمن هذا يلد المؤمن الكافر و يلد الكافر المؤمن ومن ههنا يصيب المؤمن

قوله (قلوبهم و أبدانهم) بيان أو بدل للنبيين و لعل المراد بالقلب هنا الجسم المعروف (١) الذى يتعلق به الروح أولا فلاينافى ما مر فى باب خلق أبدان الائمة من أن أجسادهم مخلوقة من طينة عليين و أرواحهم مخلوقة من فوق ذلك وهو نور العظمة كما فى حديث آخر على أنه لواريد به الروح لامكن الجمع بجعل الطينة مبدءا لها مجازاً باعتبار القرب و التعلق أو بتخصيص النبيين بغيره «ص» ،ويؤيده خبر محمد بن مروان المذكور فى ذلك الباب.

قوله (و خلق قلوب المؤمنين) أى خلق قلوب المؤمنين من طينة عليين وهى جنة عدن و خلق أبدانهم من دون ذلك بدرجة ولذلك صارت قلوبهم ألطف وألين من أبدانهم ، ووقع الاقتراب بالاقتفاء والافتراق فى النبوة بينهم وبين النبيين.

قوله (وخلق الكفار)أى خلق الكفار قلوبهم وأبدانهم من طينة جهنم على تفاوت دركاتها باعتبار تفاوت حالاتهم فى العتو والطغيان ، و لذلك صارت قلوبهم و قواهم فى الغلظة والكثافة مثل أبدانهم و لم يذكر هنا اتباعهم لان نوع الكفر يشملهم بخلاف النبوة فانها لاتشمل جميع المؤمنين.

قوله (فخلط بين الطينتين) الظاهر أنه خلق منها آدم «ع» فمن هذا يلد المؤمن الكافر و يلد الكافر المؤمن فيخرج من المؤمن ماكان فيه من طينة سجين و يظهر منه ويخرج من الكافر ماكان فيه من طينة عليين، وهذا معنى قول أبى عبدالله «ع»: ثم نزع هذه من هذه و هذه من هذه ولو لم يلد المؤمن الذى فيه شىء من طينة سجين كافراً ولا الكافر الذى فيه شىء من طينة عليين مؤمناً وقع النزاع يوم القيامة لان طينة النار لاتدخل الجنة و

(١) قوله «و لعل المراد بالقلب هنا الجسم المعروف» أقول وهو بعيد لانه جعل مقابلا للابدان، فالمراد منه الارواح ويدفع المنافاة بين الخبرين بتعميم العليين فى الخبر الثانى بان يكون المراد من العليين أعنى ما خلق منه أرواح الائمة فى هذا الخبر أعم من العليين الذى ذكر فى الخبر السابق لان عالم العليين عالم طاهر مقدس من أدناس المادة مع أنه ذو مراتب فجسمهم و روحهم كلاهما من عليين الا ان أرواحهم من مرتبة أعلى منه فتارة اطلق عليون على المرتبة الدنيا خاصة وقيل أرواحهم من فوق ذلك و تارة أطلق على جميع المراتب فقيل أرواحهم و أبدانهم من عليين والله العالم.(ش)

8-11-67 1763

السيّئة و من ههنايصيب الكافر الحسنة، فقلوب المؤمنين تحنّ إلى ما خلقوا منه و قلوب الكافرين تحنّ إلى ما خلقوا منه.

طينة الجنة لاتدخل النار. يدل على هذاما ذكره الصدوق فى آخر العلل فى حديث طويل ، و لولا التخليط لما صدر من المؤمن ذنب قطعاً ولا من الكافر حسنة اصلا و فيه مصالح جمة منها اظهار قدرته باخراج الكافر من المؤمن و بالعكس دفعاً لتوهم استنادهم الى الطبايع كما قال جل شأنه « يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى» و منها ظهوررحمته فى فسقة المؤمنين بغفر ذنوبهم و منها تعيش المؤمنين فى دولة الكافرين اذلو لم يكن رابطة الاختلاط ولم يكن لهم رأفة و أخلاق حسنة كانوا كلهم بمنزلة الشياطين فلم يتخلص مؤمن من بطشهم. و منها وقوع المؤمن بين الخوف والرجاء حيث لايعلم أن الغالب فيه الخير أو الشر و منها رفع العجب عنه بفعل المعصية و منها الرجوع اليه عزوجل فى حفظ نفسه عنها. **قوله** (فقلوب المؤمنين تحن) أى تميل قلوب المؤمنين الى عليين و قلوب الكافرين الى سجين لميل كل الى أصله، لايقال هذا الحديث و مثله يرفع الاختيار ويوجب الجبر (١)

---

(١) قوله «و مثله يرفع الاختيار و يوجب الجبر» ليس فى الباب الاول من هذه الكتاب حديث يعتمد على اسناده بل جميع أخباره ضعيفة بوجه ولكن فى بابين بعده أخباراً توصف بالحسن أوالتوثيق ولكن مضامينها مخالفة لاصول المذهب وللروايات الاتية فى الباب الرابع أعنى باب فطرة الخلق على التوحيد و ذلك لان من أصول مذهبنا العدل واللطف و ان لم يخلق بعض الناس أقرب الى قبول الطاعة و بعضهم أبعد والتبعيض فى خلق المكلفين مخالف لمقتضى العدل لانه تعالى سوى التوفيق بين الوضيع والشريف مكن اداء المأمور وسهل سبيل اجتناب المحظور، وخلق بعض الناس من طينة خبيثة اما ان يكون ملزماً باختيار المعصية جبراً وهو باطل واما ان يكون أقرب الى قبول المعصية ممن خلق من طينة طيبة وهو تبعيض وظلم وقلنا انه مخالف للروايات الاتية فى الباب الرابع لانها صريحة فى أن الله تعالى خلق جميع الناس على فطرة التوحيد وليس فى أصل خلقهم تشويه وعيب وانما العيب عارض وهكذا ما نرى من خلق الله تعالى فانه خلق الماء صافياً وانما يكدره الارض التربة و كذلك الانسان خلق سالماً من الخبائث وأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وايضاً القرآن يدل على ان جميع الناس قالوا بلى فى جواب ألست بربكم فالاصل الذى عليه اعتقادنا أن جميع أفراد الناس متساوية فى الخلقه بالنسبة الى قبول الخير والشر وانما اختلافهم فى غير ذلك فان دلت رواية على غير هذا الاصل فهو مطروح أو مأول بوجه سواء علمنا وجهه أولم نعلم و من التأويلات التى هى فى معنى طرح الروايات تأويل الشارح فان الروايات صريحة فى أن الطينة مؤثرة فى صيرورة العبد سعيداً أوشقياً و أولها الشارح بأنها غير مؤثرة. (ش)

٢ ـ محمّد بن يحيى ، عن محمّد بن الحسن ، عن النضر بن شعيب ، عن عبدالغفّار الجازي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الله جلّ و عزّ خلق المؤمن من طينة الجنّة و خلق الكافر من طينة النّار ؛ و قال : إذا أراد الله عزّ وجلّ بعبد خيراً طيّب روحه

والاضطرار لانا نقول: ـ والله أعلم ـ ان الله جل شأنه لما خلق الارواح كلها قابلة للخير والشر و علم أن بعضها يعود الى الخير المحض و هو الايمان، و بعضها يعود الى الشر المحض وهو الكفر باختيارهما و أمرها حين كونها مجردات صرفة بأمر كما سيجيء و وقع معلومه مطابقا لعلمه خلق للاول مسكنا و هو البدن من طينة عليين و خلق للاخر مسكناً من طينة سجين كما خلق للمؤمن جنة و للكافر ناراً و ذلك ليستقر كل واحد فيما يناسبه ويعود كل جزء الى كله وكل فرع الى أصله، و من ههنا ظهر أن الخلق من الطينتين تابع للايمان والكفر ومسبب عن العمل دون العكس فلا يستلزم الجبر ولا ينافى الاختيار الا ترى أنه تعالى لما علم أن بين النبيين والمؤمنين اتصالا من وجه و انفصالا من وجه آخر لان المؤمنين يوافقونهم فى العقائد و يخالفونهم أحياناً فى الاعمال لعدم العصمة خلق قلوب المؤمنين من طينة النبيين وخلق أبدانهم من دون ذلك لانحطاط درجتهم و شرفهم، فوضع كلا فى درجته و انك اذا قررت لعبدك المطيع بيتاً شريفاً و لعبدك العاصى بيتاً وضيعاً صح ذلك عقلا و شرعاً ولا يصفك عاقل بالظلم والجور اذ الظلم وضع الشيء فى غير موضعه، فهو انما يلزم لو انعكس الامر أو وقع التساوى، و بما قررنا تبين فساد توهم أن الايمان والفضل و الكمال و أضدادها تابعة لطهارة الطينة و صفاتها ، و خباثة الطينة و ظلمتها ، و هذا التوهم يوجب الجبر وبطلان الشرائع والتأديب والسياسة والوعد والوعيد نعوذ بالله منه.

قوله (خلق المؤمن من طينة الجنة) قد أشرنا الى أن المراد بالطينة ظاهرها و أن الله تعالى لما علم فى الازل من روح المؤمن طاعته و من روح الكافر عصيانه خلق بدن كل واحد فى هذه النشأة مما يعود اليه فى النشأة الاخرة، و قال بعض شراح نهج البلاغة: الطينة اشارة الى أصولهم وهى الممتزجات المنتقلة فى أطوار الخلقة كالنطفة وما قبلها من موادها مثل النبات والغذاء و ما بعدها من العلقة والمضغة والعظم والمزاج القابل للنفس المدبرة، و سيجيء توضيح ذلك فى حديث المزن.

قوله (و قال اذا أراد الله عزوجل بعبد خيراً) ان اريد بالخير توفيقه تعالى وهداياته الخاصة لحسن استعداد العبد فالارادة على حقيقتها وان اريد به الايمان و توابعه من الاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة يرد أنه تعالى أراد خير جميع العباد بهذا المعنى و يمكن دفعه بأن الارادة حينئذ تعود الي اعتبار كونه عالما بما فى العبد من الميل الى الخيرات والعزم على امتثال

و جسده فلايسمع شيئاً من الخير إلاّ عرفه ولايسمع شيئاً من المنكر إلاّ أنكره قال : و سمعته يقول : الطينات ثلاث: طينة الأنبياء والمؤمن من تلك الطينة إلاّ أنّ الأنبياءهم من صفوتها، هم الأصل ولهم فضلهم والمؤمنون الفرع من طين لازب ، كذلك لايفرّق الله عزّ وجلّ بينهم و بين شيعتهم، و قال : طينة النّاصب من حماءمسنون؛ و أمّا المستضعفون فمن تُراب ، لايتحوّل مؤمن عن إيمانه ولا ناصب عن نصبه و

أو امره والاجتناب عن نواهيه، فاذا علم منه ذلك توجه اليه لطفه فيطيب روحه و نفسه عن الفضايح و يطهر جسده و قواه عن القبائح فلايسمع شيئاً من الخير الاعرفه وصدق به وعمل به وان كان من العمليات ولايسمع شيئاً من المنكر الا أنكره و عرف قبحه وتركه، وهكذا يفعل الله بعباده اذاعلم صدق نياتهم و حسن استعدادهم.

قوله (الطينات ثلاث) الاولى طينة الانبياء والمؤمنين المقرين بهم، والثانية طينة الكفرة والنواصب المنكرين المعاندين لهم، والثالثة طينة المستضعفين الذين لايقرون بهم ولايعاندونهم، و هذاالتقسيم باعتبار المخلوق منها، فلاينافى مامر فى باب خلق أبدان الائمة من أن الطينات عشرة لان ذلك باعتبار مبدء الخلق، تأمل تعرف.

قوله (والمؤمن من تلك الطينة) أى قلبه أو الاعم منه و من البدن لان المراد بتلك الطينة طينة الجنة وهى تشملهما الا أن الانبياء خلقت قلوبهم و أبدانهم من صفوتها، او خالصها، و أما أرواحهم فمن فوق ذلك كمامر، وهم الاصل فى الايجاد والمقصودون أصالة فى خلق هذاالنوع ولهم فضلهم فى العلم والعمل والتقدم والتقرب التام بالحق والارشاد ، والمؤمنون فرع الانبياء وتلوهم فى القصد والايجاد وأبدانهم خلقت من طين لازب و هو ثفل طين الانبياء سمى به لانه الزق و أصلب من الصفو المذكور، و أما قلوبهم فخلقت مما خلق منه الانبياء كمامر وكما لم يفرق الله تعالى بين الانبياء و شيعتهم فى الخلقة و الطينة كذلك لايفرق بينهما فى الدنيا والاخرة لان الفرع مع الاصل والتابع مع المتبوع.

قوله (و قال طينة الناصب من حماء مسنون) الحماء الطين الاسود والمسنون المتغير المنتن و هو طين سجين، وقد روى أن الله عزوجل خلق أرضاً خبيثة سبخة منتنة، ثم فجر منها ماء اجاجاً مالحاً فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام حتى طبقها و عمها، ثم نضب ذلك الماء عنها ثم أخذ من ذلك الطين فخلق منه الطغاة الكفرة وأئمتهم .

قوله (و أما المستضعفون فمن تراب) أى خلقوا من تراب غير ممزوج بماء عذب زلال كما مزجت به طينة الانبياء والمؤمنين ، ولا بماء آسن اجاج كما مزجت به طينة الكافرين ، فلايكونون من هؤلاء ولا من هؤلاء و لله المشية فيهم ان شاء الله أدخلهم فى

الله المشيئة فيهم.

٣ـ عليٌّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن صالح بن سهل قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك من أيِّ شيء خلق الله عزَّ وجلَّ طينة المؤمن؟ فقال: من طينة الأنبياء، فلم تنجس أبداً.

٤ـ محمّد بن يحيى وغيره، عن أحمد بن محمّد و غيره، عن محمّد بن خلف، عن أبي ـ نهشل قال: حدَّثني محمّد بن إسماعيل، عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن الله جلَّ وعزَّ خلقنا من أعلى علّيّين وخلق قلوب شيعتنا ممّا خلقنا منه و

رحمته و ان شاء أخرجهم منها.

قوله (لايتحول مؤمن عن ايمانه) بيان لحال كل واحد من الاقسام الثلاثة، ولا ينافيه ماقد يقع من التحول لان المتحول من الايمان لم يكن مؤمنا فى الحقيقة، و انما اكتسب الايمان بمافيه من رائحة طينة الجنة المكتسبة بالمخالطة، فلما زالت عادالى ما كان عليه من الكفر فى العهد القديم والمتحول من الكفر لم يكن كافراً فى الحقيقة ، و انما اكتسب الكفر بما فيه من رائحة النار، فلما زالت عاد الى ما كان عليه من الايمان و بالجملة الايمان فى الاول حسنة نشأت من التخليط المذكور، والكفر فى الثانى سيئة نشأت منه و التخليط قد يفضى الى اتصاف كل واحد من الفريقين بصفات الاخر لكنه غير مستقر غالباً .

قوله (من أى شيء خلق الله عزوجل طينة المؤمن) اريد بالمؤمن من علم الله تعالى أزلا ايمانه فى عالم الارواح و من كان كذلك فهو مؤمن فى عالم الاشباح أيضاً و لذلك خلق الله قلبه و بدنه من طينة طيبة طاهرة هى طينة الانبياء، أما قلبه فمن صفوها ، و أما مثال بدنه فمن ثفلها فلاجل ذلك لم ينجس المؤمن بالكفر و قد عرفت أن خلقه من تلك الطينة تابع لايمانه و سبب لكماله و هو لطف من الله تعالى مبسوط على من من يشاء من عباده.

قوله (خلقنا من أعلى عليين) أى خلق قلوبنا و أبداننا من أعلى أمكنة الجنة و أرفع درجاتها أو من أعلى المراتب و أشرفها و أقربها من الله عزوجل على احتمال ، وخلق قلوب شيعتنا و تابعينا فى العلم والعمل مما خلقنا منه فلذلك يقبل الحق ويستقر فيه، وخلق أبدانهم من دون ذلك لقصور ما فى قوتهم العملية و قواهم الجسمانية بالنسبة الى قوتنا و قوانا فوضع كلا فى المقام اللائق به ، لايقال خلق قلوب شيعتهم مما خلق قلوبهم منه يقتضـى

خلق أبدانهم من دون ذلك و قلوبهم تهوي إلينا، لأنّها خلقت ممّا خلقنا منه، ثمّ تلاهذه الآية «كلاّ إنّ كتاب الأبرار لفي علّيّين ۞ و ماأدراك ما علّيّون ۞ كتابٌ مرقومٌ يشهده المقرّبون» وخلق عدوّنا من سجّين و خلق قلوب شيعتهم ممّاخلقهم منه و أبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوي إليهم، لأنّها خلقت ممّا خلقوا منه، ثمّ تلاهذه الآية: «كلاّ إنّ كتاب الفجّار لفي سجّين۞وماأدراكما سجّين۞ كتابٌ

المماثلة فى القوة النظرية وليس كذلك لانا نقول استكمال القوة النظرية كمايكون من جهة التأثر من المفيض كذلك يكون من جهة التأثير فى القوى الجسمانية والادراكات والصفات الحاصلة للنفس المدبرة من هذه الجهة، وفى نفس الشيعة وان استكملت نقصما فى التأثير بالنسبة الى نفوسهم القدسية الكاملة من كل وجه والنقص فيه يوجب النقص فى التأثر ايضاًو ذلك يوجب عدم المساواة بينهما فى القوة المذكورة.

قوله (لانها خلقت مما خلقنا) ضرورة ان تولدها منه و فرعيتها له و ربطها به مقتضية لميلها اليهم وحبهالهم كما يحب الولد والده و يميل اليه.

قوله (ثم تلاهذه الاية «كلاان كتاب الابرار لفى عليين») لعل المراد ان المكتوب للابرار وهم المؤمنون مطلقاً من الافعال الخيرية والاعمال الصالحة لفى عليين و هو ديوان اعمال الصالحين و صحائف أفعال المتقين، ثم قال تفخيماً لشأنه « و ما أدريك ما عليون كتاب مرقوم » أى مكتوب أو معلم بعلامة يعلم من رآه أن فيه خيراً يشهده المقربون من الملائكة أى يحضرونه و يحفظونه أو يشهدون لهم على ما فيه يوم القيامة، والغرض من تلاوة الاية هو الاشارة بتعظيم كتابهم الى تعظيم شأنهم ، و يحتمل أن يراد بعليين الجنة أو أشرف المراتب و أقربها من الله تعالى أو السماء السابعة و حينئذ لابد من اعتبار الحذف فى قولهم له « و ما أدريك ما عليون » أى ما كتاب عليين. كما يحتمل أن يراد بكتاب الابرار ما كتب و فرض لهم من الطينة و بعليين الجنة مع رعاية الحذف لكن كلا الاحتمالين بعيد والثانى أبعد.

قوله (و خلق عدونا من سجين) عدوهم من أنكر ولايتهم أو ولاية أحدهم أو دفعهم عن مرتبتهم : والمراد بالسجين هنا جهنم أو واد فيها أو حجر فى الارض السابعة أو أبعد المراتب من الله تعالى، و لما كان عدوهم على صنفين صنف هم المتقدمون فى العداوة والشرور و صنف هم التابعون لهم فيها و كانت أوزار الاولين أكثر و أفخم ، وعقوبتهم أشد و أعظم خلق أبدانهم و قلوبهم من أقبح الدركات ، و خلق قلوب تابعيهم مما خلقوا منه و أبدانهم دون ذلك لوضع كل واحد فى مرتبته.

قوله (كلا ان كتاب الفجار لفى سجين) يظهر معناه بالنظر الى ماسبق لانه يخالفه

مرقوم ۞ ويل يومئذ للمكذّبين».

٥ـ عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد وغير واحد، عن الحسين بن الحسن جميعاً، عن محمّد بن اُورمة، عن محمّد بن علي، عن إسماعيل بن يسار، عن عثمان بن يوسف قال: أخبرني عبدالله بن كيسان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: جُعلت فداك أنا مولاك عبدالله بن كيسان، قال: أمّا النّسب فأعرفه و أمّا أنت، فلست أعرفك قال: قلت له: إنّي ولدت بالجبل ونشأت في أرض فارس وإنّني اُخالط النّاس في التّجارات و غير ذلك، فاُخالط الرّجل فأرى له حسن السمت و حسن الخلق و[كثرة] أمانة ثمّ اُفتّشه فأتبينه عن عداوتكم واخالط الرجل فأرى منه سوء الخلق وقلّة أمانة وزعارة ثمّ اُفتّشه فأتبينه عن ولايتكم، فكيف يكون ذلك؟ فقال لي: أما علمت يا ابن كيسان

فيجرى فيه خلاف ماذكر.

قوله (اما النسب فأعرفه) كان المراد بالنسب كيسان ، و لعله كيسان بن كليب من أصحاب على والحسن والحسين و على بن الحسين و محمد بن على عليهم السلام وهو أيضاً لقب مختار بن أبى عبيد المنسوب اليه الكيسانية . والمراد بمعرفته معرفته بالرؤية و بعدم معرفة ابنه عبدالله عدم معرفته بها ، و يؤيده قوله «انى ولدت ـ الخ » على الظاهر، ويمكن أن يكون كناية عن عدم ايمانه اذ لو كان مؤمناً لعرفه لانهم عليهم السلام كانوا يعرفون شيعتهم و أسماءهم و أسماء آبائهم كما دلت عليه الراويات المعتبرة .

قوله (انى ولدت بالجبل) قيل المراد بالجبل كردستان بين تبريز و بغداد و همدان و غير ذلك .

قوله (فارى له حسن السمت) هو السكينة والوقار و هيئة أهل الخير والصلاح يقال: سمت الرجل سمتاً من باب قتل اذا كان ذا سكينة و وقار و هيئة حسنة .

قوله (و كثرة أمانة) فى أموال الناس و عهودهم و أسرارهم.

قوله (ثم افتشه فاتبينه عن عداوتكم) أى متجاوزاً عن بدايتها الى نهايتها أو على عداوتكم أو من عداوتكم لان حرف الجر يجىء بعضها بمعنى آخر كما صرح به أئمة اللغة و على التقادير فيه مبالغة فى عداوته أما الاول فظاهر و كذا الثانى لان على للاستعلاء ، و أما الثالث فلانه يفيد ان التفتيش مقارن لوجدان عداوته، و انما يكون ذلك لكمالها فيه.

قوله (و زعارة) عطف على قلة أو سوء الخلق، وهى الفساد والفسق وسوء الخلق و الخبث والفزع من كل كريهة والاضطراب منها.

قوله (فكيف يكون ذلك) ظن أن وليه طيب وعدوه خبيث، فينبغي أن يكون الامر

أنّ الله عزّ وجلّ أخذ طينة من الجنّة و طينة من النّار، فخلطهما جميعاً ، ثمّ نزع هذه من هذه و هذه من هذه فمارأيت من اُولئك من الأمانة و حسن الخلق وحسن السّمت فممّا مسّتهم من طينة الجنّة وهم يعودون إلى ما خلقوا منه ، وما رأيت من هؤلاء من قلّة الأمانة و سوء الخلق والز عارة فممّا مسّتهم من طينة النّار، و هُم يعودون إلى ما خلقوا منه.

٦- محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن خالد ، عن صالح بن سهل قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام : المؤمنون من طينة الأنبياء ؟ قال: نعم.

٧- عليّ بن محمّد، عن صالح بن أبي حمّاد ، عن الحسين بن يزيد، عن الحسن بن عليّ بن أبي حمزة ، عن إبراهيم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن الله عزّ وجلّ لمّا أراد أن يخلق آدم عليه السلام بعث جبرئيل عليه السلام في أوّل ساعة من يوم الجمعة ، فقبض بيمينه قبضة، بلغت قبضته من السّماء السّابعة إلى السّماء الدّنيا و أخذ من كلّ سماء

على عكس ماوجدناه فلما وجدخلافه سأل عن سببه.

قوله (فخلطهما جميعاً) و بذلك يختلف أحوالهم و صفاتهم فى الدنيا كماأشار اليه بقوله «فمارأيت فى أولئك» و حاصله أن ما فى كل واحد من المؤمن والكافر من صفات الاخر أمر عرضى حصل له باعتبار مماسة الطينتين و مجاورتهما و رائحتهما لاكتساب طينة الجنة رائحة من طينة النار و بالعكس، وان الاخلاق الذميمة لاتنافى الايمان ولاتدفعه، والاخلاق الحسنة لاتنفع مع الكفر وان كان ذلك موجباً لنقصهما فكل يعود الى ماخلق منه.

قوله (المؤمنون من طينة الانبياء) قدعرفت أن طينة الانبياء من الجنة و أنهم مخلوقون من صفوها و خالصها، و أن قلوب المؤمنين مخلوقة منه وأبدانهم من ثفلها و هو دون ذلك ولايلزم منه الجبر والاضطرار لما مر .

قوله (فى أول ساعة من يوم الجمعة) يدل على شرافتها ورحجان الشروع فى الامر العظيم فيه، و على حدوث آدم بارادته تعالى والايات المتكاثرة والروايات المتواترة من طرق العامة والخاصة صريحة فيه ، و هو مذهب أصحاب الشرايع كلهم و مذهب جم غفير من منكريها ، خلافا للدهرية القائلين بقدم نوع الانسان و أنه ليس ثم انسان أول و انما هو انسان من نطفة ونطفة من انسان لاالى أول ولاصحاب الطبيعة القائلين بأن آدم حدث من تأثير النجوم أو العناصر أو غيرذلك من المزخرفات.

قوله (و أخذ من كل سماء تربة) يمكن أن يراد بالسماء الجنة مجازاً لكونها من

تُربة و قبض قبضة أُخرى من الأرض السّابعة العليا إلى الارض السّابعة القصوى، فأمر الله عزّوجلّ كلمته فأمسك القبضة الأُولى بيمينه والقبضة الأُخرى بشماله ، ففلق الطين فلقتين فذرا من الأرض ذرواً و من السّماوات ذرواً فقال للّذي بيمينه : منك الرّسل والأنبياء والأوصياء والصّدّيقون والمؤمنون والسُّعداء و من أُريد كرامته، فوجب لهم ماقال كما قال، وقال للّذي بشماله: منك الجبّارون و المشركون و الكافرون والطواغيت و من أُريد هوانه و شقوته، فوجب لهم ماقال كماقال. ثمّ إنّ الطينتين خلطتا جميعاً، وذلك قول الله عزّوجلّ: « إنّ الله فالق الحبّ والنوى»

جهة السماء أو حقيقة لان السماء كل عال مظل، و لذلك يقال للسقف والسحاب سماء ، و كل درجة من درجات الجنة سماء لعلوها و ارتفاعها بالنسبة الى ما تحتها و حينئذ يراد بالارض السجين و دركاتها فيوافق سائر الروايات و أن يراد بها هذا المحسوس لتبادره ولا يبعد أن يكون فيها تراب من جنس تراب الارض أو غيره أو لنقله اليها للتشريف والتكريم.

قوله (فامسك القبضة الاولى) بيمينه هى طينة المؤمن و امساكها بيمينه للتشريف لان اليمين أشرف و للاشعار بكمال القوة الروحانية للمخلوق منها.

قوله (ففلق الطين) فلقته فلقاً من باب ضرب شققته فانفلق، و فلقته بالتشديد مبالغة. و ذرأ الشيء تحرك و تفرق سريعاً. والمراد بالطين الجنس الشامل للقبضتين، و لما فلقه بفتح القبضة تحرك ما فى شماله فى الارض و مافى يمينه فى السموات فقال الله تعالى أوجبرئيل «ع» للذى بيمينه منك الرسل الذى يأتون بالدين او الكتاب ويشاهدون جبرئيل عليه السلام و يسمعون منه والانبياء المخبرين عن الله تعالى وان لم يكونوا رسلا والاوصياء لهم والصديقون المعصومون أو المصدقون للانبياء والرسل كثيراً أو المطابق أعمالهم لاقوالهم و المؤمنون المتصفون بالايمان الكامل والمقرون بالله واليوم الاخر والسعداء الواصلون الى الله بمجاهدات نفسانية و قوة روحانية. و من اريد كرامته فى الدنيا بالهدايات وفى الاخرة برفع الدرجات فوجب لهم ماقال كماقال من الوعد المذكور أو من قوله عز شأنه، «وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها» و قال للذى بشماله منك الجبارون الذين يكسرون قلوب الخلايق وظهورهم واعناقهم بالجور والغلبة ، والمشركون بالله والكافرون الجاحدون له أو لشيء من أحكامه و اموره الضرورية والطواغيت المجاوزون عن الحد والمقدار فى العصيان، السابقون فى طرق الشيطنة والضلالة والطغيان و من اريد هوانه و شقوته فى الدنيا بسلب التوفيق والاذلال، و فى الاخرة بالاخذ والنكال فوجب لهم ماقال كما قال من الامر المذكور أو من قوله عزشأنه «فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق».

قوله (ثم ان الطينتين خلطتا جميعاً و ذلك) دل على أن الفلق والذر وقعا

فالحبّ طينة المؤمنين الّتي ألقى الله عليها محبّته والنّوى طينة الكافرين الّذين نأوا عن كلّ خير وإنّما سمّي النّوى من أجل أنّه نأى عن كلّ خير وتباعد عنه وقال الله عزّ وجلّ «يخرج الحيّ من الميّت ومخرج الميّت من الحيّ» فالحيّ، المؤمن الّذي تخرج طينته من طينة الكافر والميّت الّذي يخرج من الحيّ هو الكافر الّذي يخرج من طينة المؤمن فالحيّ المؤمن، والميّت الكافر وذلك قوله عزّ وجلّ: «أو من كان ميتاً فأحييناه» فكان موته اختلاط طينته مع طينة الكافر، وكان حياته حين فرّق الله عزّ وجلّ بينهما بكلمته كذلك يخرج الله عزّ وجلّ المؤمن في الميلاد من الظلمة بعد دخوله فيها

أولا والتخليط وقع بعدهما و ذلك اشارة اليهما بالاعتبار المذكور: و الاية الاولى استشهاد للاول. والثانية للثانى.

قوله (فالحب طينة المؤمنين) كأنه بطن الاية فظهرها حب الزرع و نواة التمر و كلاهما على كمال قدرة الصانع.

قوله (من أجل أنه نأى عن كل خير و تباعد عنه) العطف للتفسير وكان عين نأى كانت واواً و يؤيده أن صاحب مصباح اللغة ذكره فى باب النون والواو.

قوله (فالحى المؤمن) كما أن الحى والميت يطلقان على من اتصف بالروح الحيوانى، و على من زالت عنه، كذلك يطلقان على من اتصف نفسه الناطقة بكمالاتها من الايمان والاخلاق و غيرها، و على من لم يتصف نفسه بها بل هذا الاطلاق أولى عند أرباب العرفان و أصحاب الايقان لان هذه حياة باقية و تلك حياة فانية.

قوله (بكلمته) و هى أمره أو جبرئيل «ع» سمى بها لانه يكلم الناس عن الله عزوجل و يبلغ أمره اليهم.

قوله (كذلك يخرج الله عزوجل المؤمن فى الميلاد) أى كما أخرج الله المؤمن و الكافر و ميز بينهما حين كونهما طينا ، كذلك يخرج المؤمن فى الميلاد من الظلمة بعد دخوله الى النور. و يخرج الكافر من النور الى الظلمة بعد دخوله فى النور، والميلاد أخص من المولد لان المولد الموضع للولادة والوقت ، والميلاد الوقت لاغير، والمراد بالظلمة ظلمة الكفر أو ظلمة طينة سجين، و بالنور الايمان او نور طينة الجنة، و بدخول المؤمن فى ظلمة الكفر كونه فى أصلاب الاباء الكفرة وأرحام الامهات الكافرات الى أن أخرج الله تعالى عنها فى وقت ولادته فتخلص من ظلمة الكفر و دخل فى نور الايمان، وقس عليه دخول الكافر فى نور الايمان و اخراجه منه و يظهر من هذا الحديث ان اخراج المؤمن من الكافر و بالعكس فى وقتين و قت تفريق الطين و وقت الولادة لما فى طينة أحدهما من

إلى النّور، ويخرج الكافر من النّور إلى الظلمة بعد دخوله إليا لنّور و ذلك قوله عزّوجلّ : « لينذر من كان حيّاً و يحقّ القول على الكافرين».

(باب آخر منه)

و فيه زيادة وقوع التكليف الاول

١ـ أبوعليّ الأشعري و محمّد بن يحيى ، عن محمّد بن إسماعيل ، عن عليّ بن الحكم عن أبان بن عثمان ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : لو علم الناس كيف ابتداء الخلق ما اختلف اثنان ، إنّ الله عزّوجلّ قبل أن يخلق الخلق قال: كن

شايبة طينة الاخر.

قوله (وذلك قوله عزوجل) اشارة الى كون المؤمن مؤمناً وكون الكافر كافراً قبل اخراجهما واستشهاد له أى يدل على ذلك قوله تعالى «لينذر» أى القرآن أو الرسول «من كان حيا» بروح الايمان «و يحق القول» أى كلمة العذاب «على الكافرين» فان فى لفظ كان دلالة على ثبوت الحياة بالايمان واستمرارها فى جانب الماضى قبل الانذار، و فى لفظ الكافرين اشعار بثبوت الكفر واستمراره كذلك قبله.

قوله (باب آخر وفيه زيادة وقوع التكليف الاول) يفهم من الروايات أن التكليف الاول وهو ماوقع قبل التكليف فى دار الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب متعدد الاول كان فى عالم الارواح الصرفة، الثانى كان وقت تخمير الطينة قبل خلق آدم منها، الثالث كان بعد خلق آدم منها حين اخرجهم من صلبه وهم ذر يدبون يميناً وشمالا وكل من أطاع فى هذه التكاليف الثلاثة فهو يطيع فى تكليف الدنيا وكل من عصى فيها فهو يعصى فيه وهنا تكليف خامس يقع فى القيامة وهو مختص بالاطفال والمجانين والشيوخ الذين أدركوا النبى وهم لا يعقلون و غيرهم ممن ذكر فى محله.

قوله (لو علم الناس كيف ابتداء الخلق) خلق الله تعالى الارواح بعد توافقها فى فطرة الايمان على مراتب متفاوتة فى الايمان والكمال والادراك، و خلق الاجساد من مواد مختلفة بحسب اختلاف الارواح فيما ذكر، ووضع كل واحد منها فيما يليق به، ولو علم الناس كيفية تلك المراتب و كميتها و تفاوتها فى قبول الكمال ما اختلف اثنان ولا يعير صاحب الكمال صاحب النقص (١) وهذا لا ينافى تعيير من بدل فطرته الاصلية و غير استعداده الذاتية بقبح أعماله و سوء أفعاله و ترك السعى فيما خلق له و طلب منه و يليق به ، و مذام الشرع كلها من هذا القبيل.

---

(١) قوله «ولا يعير صاحب الكمال صاحب النقص» ان كان المراد بصاحب النقص أهل*

ماء عذباً أخلق منك جنّتي و أهل طاعتي، و كن ملحاً أُجاجاً أخلق منك ناري و أهل معصيتي ثمّ أمرهما فامتزجا ، فمن ذلك صار يلد المؤمن الكافر و الكافر المؤمن، ثمّ أخذ طيناً من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً فإذا هم كالذرّ يدبّون، فقال لأصحاب اليمين : إلى الجنّة بسلام ،و قال لأصحاب الشمال : إلى النار ولا أُبالي ، ثمّ أمرناراً فأسعرت ، فقال لأصحاب الشمال: اُدخلوها، فهابوها،فقال لأصحاب اليمين : ادخلوها فدخلوها ، فقال : كوني برداً و سلاماً فكانت برداً و سلاماً، فقال أصحاب الشمال: يا ربّ أقلنا، فقال : قد أقلتكم فادخلوها،فذهبوا

قوله (قال كن ماء عذبا) كلمة كن اشارةالى ارادته وجود ما فيه حكمةومصلحة و قدرته عليه من غير لفظ ولاصوت ولانداء و يفهم منه ان الماء العذب أصل المؤمن و منه شرافته و لينته و أن الماء الاجاج و هو بالضم الماء الملح الشديد الملوحة أصل الكافر و منه خساسته و غلظته و امتزاج المائين سبب لتحقق القدرة على الخير والشر والقوى القابلة للضدين، و تولد المؤمن من الكافر وبالعكس لما فى أحدهما من أجزاء الاخر و صفاته و رايحته ، وقد مر شيء من سر الامتزاج آنفاً ولعل خلق الجنة والنار من المائين اشارةالى أنهار الجنة و طراوة أشجارها من الماء الاول و مياه النار ونمو أشجارها كالزقوم من الماء الثانى قال الله تعالى أنها شجرة تخرج فى اصل الجحيم طلعها كانه رؤس الشياطين».

قوله(ثم أخذطيناً من أديم الارض)المراد بالطين ماامتزج بالمائين وخمر بهما كماسيجيء،

* المعاصى فأول من عيرهم الله تعالى نفسه ولعنهم وبعده الملائكة والانبياء والاولياء فى آيات كثيرة وأحاديث متواترة، ولوكان مضمون هذه الرواية حقاً لبطل كتاب الله تعالى والاحاديث النبوية واجماع أهل الحق، وان كان مخالفة فرعون لموسى «ع» لعيب فى طينته ولم يجز تعييره كيف يذمه ويلعنه الله والملائكة ويتبرء منه أتباع الانبياء واليهود والنصارى والمسلمون، قال العلامة المجلسى - رحمه الله- انها من متشابهات الاخبار ومعضلات الاثار و مما يوهم الجبر ونفى الاختيار، و لاصحابنا رضى الله عنهم فيها مسالك **الاول** ماذهب اليه الاخباريون وهو أنا نؤمن بها مجملا ونعترف بالجهل عن حقيقة معناها، الثانى أنها محمولة على التقية، **الثالث** أنها كناية عن علمه تعالى بماهم اليه صائرون، **الرابع** أنها كناية عن اختلاف استعداداتهم وقابلياتهم وهذا أمر بين لايمكن انكاره و هذا لايستلزم سقوط التكليف فان الله تعالى كلف النبى «ص» بقدر ماأعطاه من الاستعداد وكلف أباجهل مافى وسعه وطاقته، **الخامس** أنه لما كلف الله تعالى الارواح أولا فى الذر واخذ ميثاقهم فاختاروا الخير و الشر باختيارهم تفرع اختلاف الطينة على مااختاروه. انتهى ملخصاً وهو حسن جداً. (ش)

فهابوها ، فثمّ ثبتت الطاعة والمعصية فلايستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء ولا هؤلاء من هؤلاء .

٢ـ عليٌّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير ، عن ابن اُذينة ، عن زرارة أنّ رجلاً سأل أباجعفر عليه السلام عن قول الله جلّ و عزّ « و إذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذريّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى ـ إلى آخر الاية»

و باديم الارض ما ظهر منها ، وبالارض مايشمل أرض النار وارض الجنة و الغرض من عركه ودلكه اخراج مادة كل من المؤمن والكافر عن الاخرى و تميزها عنها واخراج كل واحد منهما من مادته كما أشار اليه بقوله «فاذاهم كالذر يدبون » وجه التشبيه الصغر و الحركة فقال لاصحاب اليمين الى الجنة أى سيروا الى الجنة متلبسين بسلام منى و بركات أو سالمين من الموت والافات و قال لاصحاب الشمال الى النار ولاابالى لعدم الاعتناء بهم، ثم أمر ناراً فاسعرت أى أتقدت و اشتعلت فقال لاصحاب الشمال ادخلوها الى آخره.

والغرض من هذا التكليف ابراز المعلوم واظهار انطباق علمه به والممتثل بالتكليف فى هذه الدار هو الممتثل بهذا التكليف، والرادهوالراد. والتطابق بين الامتثالين وعدمها لازم كما أشار اليه بقوله «فثم ثبتت الطاعة والمعصية فلايستطع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء ، ولا هؤلاء من هؤلاء، و ليس عدم استطاعتهم نظراً الى ذواتهم بل بالغير فلاينافى تكليفهم فى العالم الشهودى لتكميل الحجة عليهم.

قوله (و اذاخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم) من ظهورهم بدل من « بنى آدم» بدل البعض من الكل، والمراد بأخذ الذرية من ظهورهم اخراجهم من أصلابهم نسلا بعد نسل و اشهادهم على أنفسهم فان مواد الكل كانت موجودة فى صلب آدم على ترتيب وجودهم فى هذه النشأة فاخراجهم من ظهور بنى آدم اخراج من ظهر آدم و صلبه فلا ينافى مادل على أن الاخراج من ظهر آدم و صلبه، و يؤيده ما نقل عن ابن عباس من « أنه تعالى لما خلق آدم مسح ظهره فأخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فقال: ألست بربكم قالوا بلى فنودى يومئذ جف القلم بماهو كائن الى يوم القيامه» و روى أن الذرية كانت فى صورة انسان على مقدار الذر. و قال محمد بن جرير الطبرى: ان آدم لما فرغ من حجه ونام فى وادى النعمان وهو واد خلف جبل عرفات أخرج الله تعالى ماكان فى صلبه من ذريته الى يوم القيامة فرآهم آدم «ع» فمن كان فى يمينه كان من أهل الجنة و من كان فى يساره كان من أهل النار، وقال جماعة منهم صاحب الكشاف أن قوله ألست بربكم و

فقال و أبوه يسمع عليه السلام: حدّثني أبي أنّ الله عزّوجلّ قبض قبضة من تراب التربة التي خلق منها آدم عليه السلام فصب عليها الماء العذب الفرات ثمّ تركها أربعين صباحاً

قالوا بلى شهدنا من باب التمثيل والتخييل و معنى ذلك أنه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم و بصايرهم التى ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة و الهدى فكانه أشهدهم على أنفسهم و قررهم، و قال لهم ألست بربكم و كانهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا و أقررنا بوحدانيتك، و باب التمثيل واسع فى كلام الله ورسوله و فى كلام العرب، و قال بعضهم: ان أخذ الذرية يعود الى احاطة اللوح المحفوظ بما يكون من وجود هذا النوع بأشخاصه و انتقاشه بذلك عن قلم القضاء الالهى و نزل تمكين بنى آدم من العلم بربوبيته بنصب الدلائل والاستعداد فيهم و تمكنهم من معرفتها والاقرار بها منزلة الاشهاد والاعتراف تمثيلا و تخييلا لااخراج ولاشهادة ولاقول ولااقرار ثمة حقيقة والفرق بين هذين القولين أن الاخراج على سبيل الحقيقة والاشهاد والجواب من باب التمثيل فى الاول وكليهما من باب التمثيل فى الثانى، والحق أن الاخراج والاشهاد والاقرار و اخذ الميثاق بالمعانى المذكورة كلها واقعة لانه تعالى أخرجهم وخاطبهم بقوله «ألست بربكم» و أجابوا ببلى حقيقة ولابعد فيه نظراً الى قدرته القاهرة وأنه تعالى جعل فيهم قوة يقدرون بها على معرفته و توحيده نظراً فى آياته و على الخروج مما فيهم من قوة الكمال والتكميل الى الفعل فكان خلقهم على هذا الوجه مشابهاً بالاخراج والعهد والميثاق فحسن اطلاق الاخراج والميثاق على هذا الوجه على سبيل التمثيل. و هذا هو العهد القديم والعهد الاول بل لايبعد اطلاق العهد القديم على علمه تعالى بما فيهم من تلك القوة، ثم ان بعضهم بعد الوجود العينى نقضوا الميثاق و أبطلوا تلك القوة والفطرة، و أنكروا ما أقروا به بلسان تلك القوة بحاضر لذاتهم النفسانية والوساوس الشيطانية هذا، و تفسيره «ع» يدل ظاهراً على أن اخراج الذرية من الطينة التى هى مبدأ خلق آدم «ع» و فى انطباقه على ظاهر الاية خفاء، ويمكن أن يقال: ان بنى آدم كانوا كامنين فى طينة آدم فكان أخراجهم منها أخراجاً من ظهور بنى آدم و اخراجاً من ظهر آدم أيضاً، أويقال للاية ظهر و بطن و ما ذكره «ع» تفسير لبطنها والله يعلم.

قوله (ان الله عزوجل قبض قبضة من تراب التربة) القابض جبرئيل «ع»، ونسبته الى الله تعالى مجاز باعتبار أنه الآمر والتراب مضاف الى التربة أو التربة بدل من قبضه، و لعل المراد بها التربة السماوية والارضية بدليل ماسبق.

ثمّ صبّ عليها الماء المالح الأُجاج فتركها أربعين صباحاً ، فلمّا اختمرت الطينة أخذها فعركها عركاً شديداً فخرجوا كالذّرّ من يمينه و شماله ، و أمرهم جميعاً أن يقعوا في النار ، فدخل أصحاب اليمين ، فصارت عليهم برداً و سلاماً و أبى أصحاب الشمال أن يدخلوها.

٣- عليٌّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر ، عن أبان بن عثمان عن محمّد بن عليّ الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الله عزّ وجلّ لمّا أراد أن يخلق آدم عليه السلام أرسل الماء على الطين، ثمّ قبض قبضة فعركها ثمّ فرّقها فرقتين بيده ثمّ ذرأهم فاذاهم يدبّون ، ثمّ رفع لهم ناراً فامر أهل الشمال أن يدخلوها

قوله (فعركها عركا شديداً) عرك ماليدن.

قوله (فخرجوا كالذر من يمينه وشماله) تعلقت بأصحاب اليمين الارواح المطيعة على تفاوت درجاتهم فى العزم والطاعة والانقياد و بأصحاب الشمال الارواح العاصية كذلك فوضع كل روح فى موضع يناسبه ولولم يضع كذلك لوقع الجور وهو منزه عنه.

قوله (و أمرهم جميعاً ان يقعوا فى النار) من امتثل بأمره فى ذلك الوقت فهو مؤمن حين كونه فى أصلاب الاباء و أرحام الامهات و حين تولده و حين كونه فى هذه النشأه و حين موته و بعده أبداً .

بجز راه وفا و عشق نسپرد برآن زاد و برآن بود و برآن مرد

قوله (أرسل الماء على الطين) لعل المراد بالماء الماء العذب والماء الاجاج ، و بالطين طين عليين و طين سجين كمامر . قيل تخصيص هذين العنصرين دون ذكر الباقين لانهما الاصل فى تكون الاعضاء المشاهدة التى تدور عليها صورة الانسان المحسوسة .

قوله (ثم فرقها فرقتين بيده) ذهب أهل الحق الى أنه تعالى ليس بجسم وأنه ليست له يد بمعناها الحقيقى وانه يجب صرف اليد عن ظاهرها المحال عليه، ثم اختلفوا بعد ذلك فمنهم من حمل اليد على صفة لانعلمها وقالوا يجب الايمان بها و صرف علم حقيقها الى الله تعالى و منهم من أولها بالقدرة فالمعنى أنه تعالى فرقها فرقتين بقدرته وكنى عن ذلك باليد لان بها نحن نفعل فخوطب الخلق بمايفهمونه، و اخرج المعقول الى المحسوس ليتمكن المعنى فى النفس و هذا الاختلاف يجرى بينهم فى كل ما نسب اليه سبحانه مع استحالة ارادة الظاهر منه .

قوله (فامر أهل الشمال أن يدخلوها) يحتمل أن يراد بالشمال و اليمين شمال

فذهبو إليها فهابوها فلميدخلوها. ثمّ أمر أهل اليمين أن يدخلوها فذهبوافدخلوها فأمرالله جلّ و عزّ النار فكانت عليهم برداً و سلاماً، فلمّا رأى ذلك أهل الشمال قالوا : ربّنا أقلنا، فأقالهم، ثمّ قال لهم : ادخلوها فذهبوا فقاموا عليها ولميدخلوها فأعادهم طيناً و خلق منها آدم عليه السلام . وقال أبوعبدالله عليه السلام : فلن يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء ولاهؤلاء أن يكونوا من هؤلاء . قال: فيرون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أوّل من دخل تلك النار فلذلك قوله جلّ و عزّ : « قل إن كان للرّحمن ولدٌ فأنا أوّل العابدين» .

جبرئيل «ع» و يمينه، والمراد بأهلهما من خلق من الطينة التى كانت فى شماله و يمينه يعنى طينة النار و طينة الجنة و أن يراد بهما جهة العلو والسفل على سبيل التمثيل لان العلو أشرف من السفل، كما أن اليمين أشرف من الشمال، فأهل الشمال من دب الى جهة السفل وأهل اليمين من دب الى جهة العلو وأن يراد بهما أهل الاهانة و أهل الكرامة على سبيل التشبيه فان من كان فى شمال الملك كان من أهل الاهانة و من كان فى يمينه كان من أهل الكرامة والمآل واحد ، فان من كان فى شمال جبرئيل كانت حركته الى جهة السفل و كان من أهل الاهانة ومن كان فى يمينه كان بالعكس.

قوله (فهابوها و لم يدخلوها) فعاصوا بعد التعلق بالابدان الصغيرة ، أو المثالية كما عاصوا قبله فى عالم الارواح الصرفة و كما يعصون بعد التعلق بهذه الابدان الكثيفة الجسمية.

قوله (و خلق منها آدم «ع») فاسكن الفريقين فى صلبة فلذا يخرج منه المؤمن و الكافر وقد يكون للمؤمن الاخلاق الذميمة والاعمال الباطلة وللكافر الاخلاق الحسنة والاعمال الصالحة لملابسة طينة كل منهما بالاخرى واكتساب رائحتها.

قوله (فلن يستطيع هولاء ـ الخ) لانه وجب فى علم الله تعالى انطباق حالهم فى هذه العالم على حالهم فى ذلك الوقت و العلم تابع للمعلوم بمعنى أنه لما كان هذا كان ذاك دون العكس وهذا معنى استطاعتهم على التبدل والتغيرولايلزم منه الجبر.

قوله (ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) لكونه أول من امتثل بأمره بالدخول فى النار و بالاقرار بالربوبية و بكل حق و صدق فوجب أن يكون أول من يعتقد له ولداً لوكان له ولد فلمالم يعتقده بل نفاه علم أنه ليس ولد، و يفهم منه أن جزاء الشرط محذوف و أن المذكور تعليل له قائم مقامه، أى لو كان للرحمن و لد فأنا أول من يقربه

(باب آخر منه)

١ ـ محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن داود العجلي، عن زرارة، عن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله تبارك و تعالى حيث خلق الخلق خلق ماءً عذباً وماءً مالحاً اُجاجاً، فامتزج الماءان، فأخذ طيناً من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً، فقال لأصحاب اليمين وهم كالذرّ يدبّون: إلى الجنّة بسلام و قال لأصحاب الشمال: إلى النار ولا اُبالي، ثمّ قال: ألست بربّكم؟ قالوا: بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة: إنّا كنّا عن هذا غافلين، ثمّ أخذ الميثاق على النبيّين، فقال: ألست بربّكم و أنّ هذا محمّد رسولي، و أنّ هذا عليّ أمير ـ المؤمنين؟ قالوا: بلى، فثبتت لهم النبوّة و أخذ الميثاق على اُولى العزم أنّني

لانى أول العابدين.

قوله (باب آخر منه) هذا الباب مثل السابق الا أنه يذكر فيه شيئاً من تفاصيل التكليف الاول و اختلاف الخلق و حكمة ذلك الاختلاف وغير ذلك مما يظهر بالتأمل.

قوله (فاخذ طينا من أديم الارض) أى طيناً مخمراً بالمائين وبذلك التخمير يتحقق القدرة على الخير والشر فى الكل كماأشرنا اليه اذ لووقع التخمير من العذب فقط لم تكن قدرة على الشر ولووقع من الاجاج فقط لم تكن قدرة على الخير بالجملة فى ايجاد هذا النوع وامتحانهم بالتكالف يقتضى التخمير بالمائين.

قوله (فعركه عركا شديداً) فخرجوا كالذر يدبون يميناً و شمالا، و حذف لدلالة سوق الكلام عليه.

قوله (الى الجنة بسلام) متعلق بقال لا بيدبون وقدمر تفسيره.

قوله (قالوا بلى شهدنا ان تقولوا) يلى تصديق بالربوبية و شهادة بالوحدانية وان تقولوا مفعول له أى فعلنا ذلك من اخراجكم و اشهادكم على أنفسكم و أخذ الميثاق عليكم بالربوبية كراهة أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين. ولم ينبهنا عليه أحد أو تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم و تبعنا آثارهم، اذ لا عذر لهم فى الاعراض عن التوحيد والتمسك بالتعليل والاقتداء بالاباء بعد تبيينهم عليه كما لاعذر لابائهم فى الشرك.

قوله (قالوا بلى) أى قال النبيون كلهم بلى و أما غيرهم فقال بعضهم بلى فى الرسالة و الولاية دون بعض كما دلت عليه الروايات فى هذا الكتاب و غيره.

ربكم ومحمد رسولي و علي أمير المؤمنين و أوصياؤه من بعده ولاة أمري و خزّان علمي عليهم السلام وأن المهدي أنتصر به لديني وأُظهر به دولتي وأنتقم به من أعدائي و أُعبد به طوعاً و كرهاً ، قالوا : أقررنا يا رب و شهدنا ولم يجحد آدم و لم يقر فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهدي ولم يكن لادم عزم على الاقرار به وهو قوله عزّ وجلّ : « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً » قال: إنّما هو فترك ثمّ أمر ناراً فأُجّجت فقال لأصحاب الشمال: اُدخلوها ،فهابوها، وقال لأصحاب اليمين ادخلوها فدخلوها فكانت عليهم برداً و سلاماً فقال أصحاب الشمال : يا ربّ أقلنا ، فقال : قد أقلتكم اذهبوا فادخلوها ، فهابوها ، فثمّ ثبتت الطاعة والولاية والمعصية .

قوله (فثبتت لهم النبوة) دل على أن نبوتهم قبل أخذ الميثاق عليهم برسالة محمد «ص» و ولاية أميرالمؤمنين «ع» كانت فى حيز البداء و صارت حتماً بعده بالاقرار .

قوله (و أخذ الميثاق على اولى العزم) هم خمسة نوح وابراهيم و موسى و عيسى و محمد صلى الله عليه وعليهم لتأكدعزمهم فى أمر الدين و لمجيء كل لاحق بعزيمة نسخ كتاب سابقه و شريعته ، و لعل المراد بهم هنا الاربعة الاول بقرينة أخذ الميثاق عليهم لرسالة خاتم الانبياء« ص».

قوله (و اعبد به طوعاًوكرهاً) كماقال جل شأنه«ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون» و قال محى الدين فى الفتوحات:«اذا ظهر المهدى «ع» يرفع بالمذاهب عن الارض فلايبقى الاالدين الخالص ، و أعداؤه يدخلون فى دينه و تحت حكمه كرهاً خوفاً من سيفه ولولا أن السيف بيده لافتى الفقهاء بقتله ولكن الله يظهره بالسيف والكرم فيطيعون و يخافون و يقبلون حكمه من غير ايمان و يضمرون خلافه و يعتقدون فيه اذا حكم فيهم بغير مذهب أئمتهم أنه على ضلال .فى ذلك كلامه طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

قوله (ولم يجحد آدم ولم يقر) أى لم يجحد آدم عهد المهدى عليهم السلام قلباً ولم يقربه لساناً بل أقربه قلباً ولم يقربه لسانا لتولهه و تأسفه بضلالة أكثر أولاده. وبما يرد عليهم من القتل والقهر لما بين الاب وأولاد من الروابط العظيمة المقتضية لتأسفه بما يرد عليهم و ان كان راضياً بقضاءالله و حكمه، و على هذا كانه لم يكن له عزم تام على الاقرار به اذ لو كان له ذلك العزم كماكان لاولى العزم من الرسل لاقربه كما أقروا ، و أما قوله « فنسى » معناه فترك الاقرار به لساناً أو فترك العزم على الاقرار به و ليس المرادبه معناه الحقيقى فليتأمل .

٢ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد و عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه عن الحسن ابن محبوب، عن هشام بن سالم ، عن حبيب السجستاني قال : سمعت أباجعفر عليه السلام يقول : إنّ الله عزّ وجلّ لمّا أخرج ذرّيّة آدم عليه السلام من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق بالربوبيّة له و بالنبوّة لكلّ نبيّ فكان أوّل من أخذ له عليهم الميثاق بنبوّته محمّد ابن عبدالله صلّى الله عليه وآله ثمّ قال الله عزّ وجلّ لآدم : اُنظر ماذا ترى، قال : فنظر آدم إلى ذرّيّته وهم ذرّ قد ملؤوا السماء ، قال آدم عليه السلام: يا ربّ ما أكثر ذرّيّتي ! و لأمر مّا خلقتهم ؟ فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم؟قال الله عزّ وجلّ: يعبدونني لايشركون بي شيئاً و يؤمنون برسلي ويتّبعونهم ، قال آدم عليه السلام : يا ربّ فمالي أرى بعض الذّرّ أعظم من بعض و بعضهم له نور كثير و بعضهم له نور قليل أو

قوله (يارب ما أكثر ذريتى و لامرما) تعجب فى كثرتهم مع خفاء سببهاو«ما»فى «أمرما»صفة أى لامر أى أمر خلقتهم.

قوله (قال آدم يارب فمالى أرى بعض الذرأعظم من بعض) أى أعظم مقدارأوأعظم قدراً و رتبة فقوله «وبعضهم له نور الى آخره»على الاول كالتأسيس و على الثانى كالتأكيد ومجملمافى هذا الخبر أن آدم «ع» لما رأى اختلاف ذريته فى غاية الكمال بحيث لايكاد يشترك اثنان منهم فى حال من الاحوال ولم يعلم سبب ذلك الاختلاف سأل عن سببه فأجابه عز شأنه بأنه خلقهم كذلك لاجل الابتلاء ، ثم عاد «ع» بأن خلقهم كذلك يوجب بينهم التنافر والتباعد والتباغض والتحاسد، و أن اتحادهم فى جميع الاحوال يوجب رفع هذه المفاسد و تحقق نظامهم، والسؤال الاول نشأ من روحه القدسية الالهية الناظرة فى حقائق الاشياء و صفاتها و منافعها ومضارها ، والسؤال الثانى تكلف نشأمن قواه الجسمانية ومواده الطبيعية بتوهمات داثرة و خيالات باطلة، اذالتساوى فى الغنى والفقر أواللون أوالمقدار أو الشكل أوالعمر مثلا لايوجب رفعالمفاسد المذكورة بل يوجب رفع الحكمة والتكليف والابتلاء و ذلك نقص فى العلم والتقدير والتدبير فى ايجاد هذاالنوع وابتلائهم اذ الابتلاء فى صورة الاختلاف أشد و أعظم والامتثال بالتكليف حينئذ أرفع و أفخم والثواب المترتب عليهما أجل وأتم ألايرى أن صبر الفقير على الفقر مع مشاهدة الغنى فى غيره أعظم من صبره مع مشاهدة الفقر فى جميع بنىنوعه و لذلك قيل«اذاعمتالبلية طابت» و ان ابتلاء الغنى بالشكر مع تحقق الفقر فى غيرهأعظم من ابتلائه مع تحقق الغنى فى جميع بنىنوعه أذله على الشكر فى الصورة الاولى بواعث شتى و قس عليه جميع الاحوال المتقابلة.

بعضهم ليس له نور ؟ فقال الله عزّ وجلّ : كذلك خلقتهم لأبلوهم في كلّ حالاتهم قال آدم عليه السلام : يا ربّ فتأذن لي في الكلام فأتكلّم ؟ قال الله عزّ وجلّ : تكلّم فإنّ روحك من روحي وطبيعتك [من] خلاف كينونتي، قال آدم : يا ربّ فلو كنت خلقتهم على مثال واحد وقدر واحد وطبيعة واحدة وجبلّة واحدة وألوان واحدة وأعمار واحدة و أرزاق سواء لم يبغ بعضهم على بعض ولم يكن بينهم تحاسد ولاتباغض ولا اختلاف في شيء من الأشياء ، قال الله عزّ وجلّ : يا آدم بروحي نطقت و بضعف

قوله (كذلك خلقتهم) أى كون بعض الذر أعظم من بعض الى آخره خلقتهم لابلوهم وفى بعض النسخ «لذلك» أى لان يعبدونى ولايشركوا بى شيئاً أو لاجل الاختلاف خلقتهم كما قال جل شأنه «لايزالون مختلفين ولذلك خلقهم» .

قوله (تكلم فان روحك من روحى) لعل المراد بالروح الاولى النفس الناطقة الناظرة الى عالم الملك والملكوت، و بالروح الثانية جبرئيل «ع» لانه روح الله الامين ونسبته اليه تعالى ظاهرة و «من» حينئذ ابتدائية أو جود الله تعالى وفيضه على آدم وانما كان ذلك روحاً لانه مبدء كل حياة فهو الروح الكلية التى بها قوام كل حياة ، و حياة كل موجود و نسبته اليه أيضاً ظاهرة و «من» حينئذ للابتداء أو للتبعيض أو ذاته المقدسه والمقصود أنه تعالى خلق روحه من عند ذاته المجردة بمجرد المشية بلاتوسط مادة كالتراب و نحوه من المواد الجسمانيه، والمراد بالكينونة الوجود و بالطبية المواد الجسمانية مثل الحواس الظاهرة والباطنة التى جعلت فى الانسان ليستعملها على القوانين العدلية و يستعين بها فى السير الى حضرة القدس و كونها على خلاف وجوده تعالى ظاهر لتنزهه عن العالم الجسمانى، و فيه تنبيه على أن التكلم قديكون صواباً اذا كان المقتضى له هو الروح المجردة وقدلاتكون اذا كان المقتضى هو الطبايع الجسمانية فانه قد تقع فى الغلط والتوهم الفاسد وقدوقع فى السؤال المذكور كلا الامرين .

قوله (فلو كنت خلقتهم على مثال واحد و قدر واحد) لعله « ع » علم تفاوت الاعمال والارزاق بالالهام ، وأما ماسواهما من الامور المذكورة علمه بالمشاهدة»

قوله (وجبلة واحدة) الجبلة بكسر الجيم وسكون الباء و كسرها و شداللام الخلقة و منه قوله تعالى « والجبلة الاولين».

قوله (قال الله عزوجل ياآدم بروحى نطقت) اضافة الروح اليه سبحانه للاختصاص باعتبار أنه من عالم الامر و عالم المجردات الصرفة، ومن شأنها التحرك الى طلب المجهولات فلذلك نطقت فى هذا المقام عند رؤية الاختلاف العظيم فى الذرية مع عدم العلم

طبيعتك تكلّفت مالا علم لك به و أنا الخالق العالم ، بعلمي خالفت بين خلقهم و بمشيئتي يمضي فيهم أمري. وإلى تدبيري وتقديري صائرون، لاتبديل لخلقي، إنّما خلقت

بسببه، و أما التكلف فى السؤال بأن خلقهم على مثال واحد الى آخر ما ذكره ـ أنسب بنظامهم و أقرب فى رفع الفساد بينهم فمستند الى ضعف طبيعته و معارضة قواه الجسمانية للقوة الروحانية و غلبتها عليها بتوهم أن الاتحاد فى الامور المذكورة موجب للاتحاد و الالفة بينهم و هذا أمر مطلوب والحكمة تقتضى رعايته، و هذا التوهم فاسد لان التماثل فى الطبيعة يوجب زوال نظامهم و انقطاع نسلهم لان التماثل يوجب اشتغالهم بصنعة واحدة من الصنايع الجزئية التى لها مدخل فى تحقق النظام و بقاء النوع بخلاف الاختلاف فانه يوجب اشتغال كل واحد بمايناسبه؛ و يستعد له من الصناعات فيتحقق النظام المشاهد و بقاء النوع والتماثل فى الفقر والغنى و غيرهما لايوجب عدم البغى والتحاسد والتباغض و غيرها من المفاسد، و على تقدير ايجابه فهى حكمة لاقدر لها فى جنب حكمة الاختلاف و هى ابتلاؤهم فى مقام التكليف الموجب لرفعة مقاماتهم فى الدار الاخرة.

قوله (و أنا الخالق العليم) [كذا] تعريف الخبر باللام يفيد الحصر وفيه تنبيه على أنه لاينبغى السؤال عنه فى خلقه وايجاده للاشياء على ماهى عليه عند خفاء الحكمة بل يجب الاذعان بأن كل ما خلقه على أى وجه خلقه فهو أحكم و أتقن و أفضل و أحسن من غير ذلك الوجه لكونه خالقاً عليماً و صانعاً حكيماً لايفعل الاما يقتضيه الحكمة البالغة فالقول بأن فى خلافه حكمة فاسد اما باعتبار أن هذه الحكمة حكمة وهمية لاتحقق لها فى نفس الامر أو باعتبار أنها حكمة ضعيفة لاقدر لها عند تلك الحكمة البالغة.

قوله (بعلمى خالفت بين خلقهم) أى خالفت بين خلق أبدانهم و قلوبهم وطبايعهم و غيرها بسبب علمى بحالهم و بمصالح الاختلاف قبل خلقهم و بعده، والحاصل أنه سبحانه لما علم أزلا تفاوتهم فى الطاعة والعصيان والكمال والنقصان خلق أبدانهم و صورهم وأشكالهم وقت الميثاق على قدر تفاوتهم و تفاوت مراتبهم فوضع كلا فى موضعه وهو العدل الحكيم و يمضى فيهم فى هذا العالم وهو عالم الظهور أمره الذى هو الاختلاف المقدر فى ذلك الوقت أو أمره التكوينى على النحو المشاهد بمجرد مشيته و ارادته وهم صايرون الى مادبر من عاقبة امورهم و الى ماقدر لهم من الجنة والنار لاتبديل لخلق الله ، فمن حسنت أحواله فى ذلك الوقت حسنت أحواله فى الدنيا ، و من حسنت أحواله فى الدنيا حسنت أحواله فى الاخرة، و من قبحت أحواله فى ذلك الوقت ، قبحت أحواله فى الموطنين الاخرين لايتبدل هؤلاء الى هؤلاء ولاهؤلاء الى هؤلاء .

قوله (و بمشيتى يمضى فيهم أمرى) أى أمر الاختلاف أو أمر التكوين يمضى فيهم بمجرد المشية

الجنّ والإنس ليعبدون و خلقت الجنّة لمن أطاعني و عبدني منهم و اتّبع رسلي - ولاأُبالي خلقت النار لمن كفر بي وعصاني ولم يتّبع رسلي ولاأُبالي ، وخلقتك وخلقت ذريّتك من غير فاقة بي إليك و إليهم و إنّما خلقتك و خلقتهم لأبلوك و أبلوهم أيّكم أحسن عملاً في الدار الدنيا في حياتكم و قبل مماتكم فلذلك خلقت الدّنيا والاخرة والحياة والموت والطاعة والمعصية والجنّة والنار، و كذلك أردت في تقديرى و تدبيري، و بعلمي النافذ فيهم خالفت بين صورهم و أجسامهم و ألوانهم و

التابعة للحكم والمصالح كماأشرنااليه.

قوله (و الى تدبيرى و تقديرى صائرون) التدبير فى الامر أن تنظر الى ما يؤول اليه عاقبته وبالفارسية صلاح أنديشيدن در كار. والتقدير اندازه كردن و اندازهٔچيزى نگاه داشتن و آفريدن وواجب كردن .

قوله (انما خلقت الجن والانس الاليعبدون) اشارة الى غاية خلق السماوات والارض والدنيا والاخرة والجنة والنار وهى خلق الثقلين فان غاية خلقهما هى الثواب والعقاب و الاكرام و الاهانة و أن ذلك يتوقف على الطاعة والمعصية و هما يتوقفان على التكليف و الابتلاء.و بين أن التكليف والابتلاء وكمالهما يتوقفان على الاختلاف المذكور فقد ثبت أن الحكمة تقتضى الاختلاف فليتأمل.

قوله (من غير فاقة بى اليك واليهم) لان الفاقة تابعة للعجز و النقص أو مقتضية لهما، وقدس الحق منزه عنهما.

قوله (لابلوك و ابلوهم) أى لاعاملك و اياهم معاملة المختبر فهو من باب التمثيل لقصد الايضاح والتنوير. و قوله (أيكم أحسن عملا) مفعول ثان للبلوى باعتبار تضمينه معنى العلم ،والنفع والضر فى الاختبار يعودان الى الغير لااليه سبحانه.

قوله (والطاعة والمعصية) اسناد خلقهم اليه جل شأنه اسناد الى العلة البعيدة أو المراد به جعل المعصية معصية والطاعة طاعة، أو المراد بالخلق التقدير.

قوله (والجنة والنار) دل على أنهما مخلوقتان الان، ذهب اليه المحقق فى التجريد وهو مذهب الاكثر والايات والروايات شواهد صدق عليه، وذهب كثير من المعتزلة أنهما غير مخلوقين وانما تخلقان يوم القيامة.

قوله (وكذلك أردت) أى كون الغرض من خلقهم هو الابلاء والاختبار أردت فى تقديرى وتدبيرى لهم على النحو المختلف أو للممكنات و حقائقها و صفاتها يعنى أن الغرض

أعمارهم و أرزاقهم و طاعتهم و معصيتهم ، فجعلت منهم الشقي والسعيد و البصير و الأعمى والقصير والطويل والجميل والدميم والعالم والجاهل والغني و الفقير و والمطيع والعاصي و الصحيح و السقيم و مَن به الزّمانة و من لاعاهة به ، فينظر الصحيح إلى الذي به العاهة فيحمدني على عافيته، وينظر الذي به العاهة إلى الصحيح

فى تقديرى الممكنات و تدبيرى فيها هواختبار الثقلين.

قوله (فجعلت منهم الشقى والسعيد والبصير والاعمى) السعيد من عرف ربه و سلك سبيله حتى وصل اليه، والوصول هو الغاية العظمى للسعادة بل هو عينها ولايحصل له ذلك الا بمجاهدته على القوة الشهوية والغضبية و غلبته على لوازمها من الاخلاق الرذيلة، والشقى من لم يعرفه ولم ينكره أو أنكره أو عرفه ولم يسلك سبيله سواء وقف فيه أو رجع عنه و جعلها وراء ظهره أو مال عنه يمنة ويسرة فالسعيد صقف واحد والشقى أصناف لاتحاد طريق الحق و كثرة طرق الباطل والظاهر أن المراد بالبصير والاعمى واجد نور الباصرة ، و فاقده و يمكن أن يراد بهما واجد نور البصيرة و فاقده.

قوله (والجميل والدهم) الجميل الحسن الوجه،والهيئة ،و جمل الرجل ـ بالضم و الكسر ـ فهو جميل، وامرأة جميلة . والدهم الاسود القبيح المنظر والهيئة من الدهمة، وهى السواد ومنه الفرس الادهم اذا اشتد سواده حتى ذهب بياضه.[وفى بعض النسخ « والجميل والدميم»].

قوله (و من به الزمانة و من لاعاهة به) الزمانة الافة والعاهة فعله بفتح العين و عينها ياء. و فى المصباح زمن الشخص زمناً و زمانة فهو زمن من باب تعب و هو مرض يدوم زماناً طويلا .

قوله (فينظر الصحيح الى الذى به العاهة) اختبر الصحيح بذى العاهة و بالعكس ولو كانوا كلهم أهل الصحة فاتت الحكمة الاولى وهى الحمد والحث عليه ولو كانوا كلهم أهل العاهة فاتت الحكمة الثانية وهى الدعاء والصبر على البلية والترغيب فيهما بل فاتت الحكمتان فى كلتا الصورتين، وليس المراد بالحمد الحمد القولى فقط بل المراد الحمد مطلقاً قولا كان أو فعلا بأن يصرف لسانه فى أنواع الثناء و قوته فى أنحاء الطاعات و جوارحه فى أقسام العبادات، و قلبه فى التفكر فى الله وفى مظاهره و آثاره، و كذلك اختبر الغنى بالفقير و بالعكس لينظر الغنى الى الفقير فيحمد الله تعالى على ما أعطاه وأنعمه مما منع عنه الفقير و يشكره بالظاهر والباطن و بأداء الحقوق المالية و ينظر الفقير الى الغنى فيدعو ربه و يسأله أن يعطيه، والاختلاف فى الغنى والفقير فائدة اخرى هى انتظام امورهم فى التمدن والاجتماع، اذ لوكان كلهم غنياً لما خدم بعضهم بعضاً، ولو كان كلهم فقيراً لما حصل

فيدعوني ويسألني أن اُعافيه و يصبر على بلائي فاُثيبه جزيل عطائي ، وينظر الغنيّ إلى الفقير فيحمدني ويشكرني، و ينظر الفقير إلى الغني فيدعوني و يسألني وينظر المؤمن إلى الكافر فيحمدني على ما هديته فلذلك خلقتهم لأبلوهم في السرّاء و الضرّاء وفيما اُعافيهم وفيما ابتليهم وفيما اعطيهم وفيما أمنعهم وأنا الله الملك القادر ولي أن أمضي جميع ما قدّرت على ما دبّرت ولي أن اُغيّر من ذلك ما شئت إلى ما شئت و اُقدّم من ذلك ما أخرت و اُؤخّر من ذلك ما قدّمت وأنا الله الفعّال لما اُريد لا

نفع فى مقابل الخدمة فيفضى ذلك الى تركها و على التقديرين يلزم بطلان النظام وانقطاع النوع و فساد أسباب الحياة من الزراعة والخياطة والحياكة و غيرها من الصناعات الجزئية و كذلك اختبر المؤمن بالكافر و بالعكس لينظر المؤمن الى الكافر فيحمده على ما هداه اليه و وفقه له، وينظر الكافر الى المؤمن و حسن ظاهره و باطنه فيرجع عن الكفر ويتوب ولم يذكره لعدم الاعتناء بشأنه و لما ذكر جملة من حكمة الابتلاء والاختبار على سبيل التفصيل أشار الى البواقى على سبيل الاجمال بقوله «فلذلك خلقتهم لابلوهم فى السراء و الضراء - الى آخره» لان جلها بل كلها مندرج فيه كما يظهر بالتأمل.

قوله (و أنا الله الملك القادر) أشار بلفظ الله الى أنه كامل من جهة الذات و الصفات الذاتية والفعلية لدلالته على أن كل ماله من الصفات على وجه الكمال فلا يكون خلقه على وجه الاختلاف عبثاً لان العبث نقص والنقص على الكامل من جميع الجهات محال و بلفظ ملك على أنه مسلط على جميع الممكنات فلايعتريه العجز عن ايجاد ماأراد ، فلو كانت الحكمة فى غير الاختلاف لاراده بلامانع ولما لم يرد علم أنها فى الاختلاف، وبلفظ القادر الى أنه ليس بموجب لايقدر على ايجاد الضدين كالفقر والغنى والصحة والسقم و غير ذلك، و هذه حكمة اخرى لاختيار الاختلاف و الى أن فعله مسبوق بالارادة، والفعل الا رادى لايكون الالحكمة ومصلحة وهذا القدر كاف فى الادغان بان الاختلاف فى خلقه لايخلو عن حكمة و ان لم يعلم تفاصيلها.

قوله (ولى أن أمضى) اشارة الى أنه يجوز البداء فى بعض المقدرات والمدبرات وقد مر فى آخر كتاب التوحيد تفسير البداء و مواقع جوازه وهى مالم يبلغ الامضاء والحتم مثلا اذا قدر صحة زيد أوسقمه أو غناه أو فقره أوطول عمره أو قصره تقديراً غير حتمى مشروطاً بالتصدق أو صلة الرحم أو الدعاء أو بعدمها جاز البداء والتغيير.

قوله (و انا الله الفعال لما اريد) هو فعال لانه يفعل كل ما يريده على وجه يريد

اُسأل عمّا أفعل وأنا أسأل خلقي عمّاهم فاعلون .

٣-محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين ، عن محمّد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن عبدالله بن محمّد الجعفي وعقبة جميعاً، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ الله عزّ وجلّ خلق الخلق فخلق من أحبّ ممّا أحبّ وكان ما أحبّ أن خلقه من طينة الجنّة وخلق من أبغض ممّا أبغض وكان ما أبغض أن خلقه من طينة النار ، ثم بعثهم في الظلال ، فقلت : وأيّ شيء الظلال ؟ فقال : ألم تر إلى ظلّك في الشمس شيئاً وليس بشيء ، ثمّ بعث منهم

بلامنازع ولامدافع على وجه أحسن بحيث لواجتمع العقلاء على أن يزيدوا أو ينقصوا طلباً لزيادة الحسن لما قدروا. ومن توهم امكان الا حسن فى بعض أجزاء العالم فهو غافل عن المصالح الكلية والجزئية، و فيه تنبيه على أن له الامضاء والتغيير والتقديم والتأخير تحقيقاً لمعنى المبالغة فى الفعل.

قوله (لا أسأل عما أفعل) لانه لايفعل الا ما تقتضيه الحكمة ، و الحكيم على الاطلاق لا يسئل عما يفعل بخلاف غيره فانه يسئل عما يفعل هل هو موافق للحكمة أم لا.

قوله (ان الله عزوجل خلق الخلق فخلق من أحب مما أحب) لعل المراد بالخلق الخلق الجسمانى بقرينة السياق و محبته تعالى للعبد عبارة عن احسانه و اكرامه وافضاله ولطفه وهى تابعة لطاعة العبد اياه، ثم المحبة سبب لزيادة القرب حتى يصير العبد بحيث لاينظر الا اليه ولايتكل الا عليه فيصير فعله كفعله كمايدل عليه حديث التقرب بالنوافل، و سيجىء مشروحاً انشاءالله تعالى. و من محبته أنه اذا علم طاعة الارواح الانسانية خلق لها ابداناً من طينة الجنة ليكون ذلك معيناً لها فى الخيرات وهذا بداية التوفيق والاحسان و من بغضه أنه اذاعلم عصيانها خلق لها أبداناً من طينة النار وسلب عنها توفيقه فيبعثها ذلك الى المبالغة فى الشرور، و هذا بداية الاضلال والخذلان.

قوله (ألم تر الى ظلك فى الشمس شيئاً وليس بشىء) شبه الظلال بظلك فى الشمس وأشار الى وجه التشبيه بانه شىء باعتبار وليس بشىء باعتبار آخر، وقد ذكر ناسابقاً أن التكليف الاول وقع مرتين: مرة فى عالم المجردات(١) الصرفة وهو عالم الارواح ، ومرة فى عالم المثال و هو

(١) قوله «فى عالم المجردات الصرفة» ذكر العلامة المجلسى (ره) فى مرآة العقول نحوا من عبارة الشارح و كانه مقتبس منها وهو مبنى على مذهب صدرالمتألهين فى تقسيم العوالم بثلاثة أقسام: الاول عالم المجردات الصرفة و هو عالم العقول والنفوس الناطقة و موجودات ذلك العالم عارية عن المواد و عن المقادير أيضاً، والثانى عالم المثال وهو*

النبيّين فدعوهم إلى الاقرار بالله عزّوجلّ و هو قوله عزّوجلّ : «و لئن سألتهم

عالم الذر المخرج من الطينة، ويمكن أن يكون المراد بالظل هنا هوالاول ولكن لما كان تصور عالم المجرد الصرف صعباً فى أكثر الاذهان(١) عبر عنه بالظل لقصد التفهيم و التسهيل مع المشاركة فى عدم الكثافة اذلا كثافة فى المجرد الصرف كما لا كثافة فى الظل، ويمكن ان يراد به عالم الذر المبائن لعالم الاجسام الكثيفة، وهو يحكى عن هذا العالم و يشبهه وليس منه فهو ظل بالنسبة اليه وهذا أنسب بقوله «ع «ثم بعثهم فى الظلال» فانه يفيد ظاهراً أن بعثهم فيه بعد خلقهم من طينة الجنة و طينة النار، وحمله على الاول يحتاج الى تكلف بعيد فليتأمل.

واعلم أن الارواح المحبوبة الكاملة الهادية أعنى أرواح خاتم الانبياء والاوصياء عليهم السلام خلقت قبل أرواح سائر البشر وطينتهم كما أشار اليه أمير المؤمنين «ع» فى بعض خطبة «ألا أن الذرية أفنان أنا شجرتها، ودوحة أنا ساقتها، وانى من أحمد بمنزلة الضوء من الضوء، كنا أظلالا تحت العرش قبل البشر وقبل خلق الطينة التى كان منها البشر أشباحاً عالية، لا أجساما نامية» وفيه اشارة الى أن الكمالات التى حصلت لنفسه القدسية بواسطة كمالات نفس النبى «ص» فشبه ذلك بصدور الضوء من الضوء كشعلة مصباح اقتبست من مصباح آخر ومن العادة فى عرف المجردين تمثيل النفوس الشريفة بالانوار والاضواء لمكان المشابهة بينهما فى حصول الهداية عنها مع لطفها و صفائها و الى كونهم أرواحاً قدسية موجودة تحت رحمة الحق أو علمه قبل جميع الخلائق و عبر عن نفوسهم الطاهرة بالاظلال على سبيل الاستعارة للتنبيه على أنهم

---

*مشتمل على موجودات مجردة عن المادة دون المقدار، والثالث عالم الماديات وهو ظاهر. وأما غير صدر المتألهين فأكثرهم على نفى العالم الاوسط. قال الصدر- قدس سره- اعلم أن كثيراً من أهل العلوم والمنتسبين الى الحكمة زعموا أن هذه الصور المرئية والمثل المسموعة امور مرتسمة فى الحس المشترك الذى هو قائم فى الجزء المقدم من الدماغ كارتسام الاعراض فى موضوعاتها و هذا كله لقصور المعرفة بعالم الملكوت و ضعف الايمان بالملائكة فان هذه الامور موجودات عينية قائمة بذواتها لافى محل وهى أقوى فى الموجودية من هذه الاكوان الخارجية الأن نشأة وجودها نشأة اخرى انتهى ملخصا . والعلامة المجلسى على أن الروح جسم لطيف والشارح على أنه موجود مجرد صرف و ان أمكن ظهوره فى عالم المثال بوجه فيصح توجه التكليف اليه وهو مجرد فى الظلال و فى عالم المثال أيضاً و هو مجرد عن المادة لاعن المقدار و هو عالم الذر. (ش)

(١) قوله «صعبا فى أكثر الاذهان» اعتراف من الشارح بان الحجج عليهم السلام كانوا يعبرون عن معنى لايفهمه العامة بلفظ قريب يفهمونه. (ش)

من خلقهم ليقولنّ الله » ثمّ دعوهم إلى الإقرار بالنبيّين فأقرّ بعضهم و أنكر بعض ثمّ دعوهم إلى ولايتنا فاقرّ بها والله من أحبّ وأنكرها من أبغض، وهو قوله : « مـا كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل » ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام : كـان التكذيب ثمّ.

(باب)

ان رسول الله (ص) أول من أجاب و أقر لله عزوجل بالربوبية

١ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن الحسن بن محبوب ، عن صالح بن سهل ، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّ بعض قريش قال لرسول الله صلى الله عليه وآله : بأيّ شيء سبقت الأنبياء و أنت بعثت آخرهم و خاتمهم ؟ فقال : إنّي كنت أوّل من آمن

مرجعاً لجميع الخلق بعد وجودهم كالاظلال.

قوله (و لئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) أى ليقولن خلقنا الله أو الله خلقنا على اختلاف فى تقديم المحذوف و تأخيره، و المشهور الاول يعنى لوسألتهم عن ذلك لاضطروا الى الجواب المذكور بمقتضى العهدوالميثاق.

قوله (ما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به) أى ما كانوا ليؤمنوا فى هذه النشأة بعد بعث الرسول اليهم بما كذبوا به من قبل هذه النشأة عند أخذ الميثاق اذ التصديق والتكذيب فيها تابعان للتصديق والتكذيب ثم (١) فمن صدق يصدق و من كذب يكذب لا تبديل لخلق الله .

---

(١) قوله «تابعان للتصديق والتكذيب ثم» ظاهر كلام الشارح يوهم الجبر و أنه لم يكن فائدة فى بعث الانبياء و دعوتهم فى قبول الناس لكن الشارح برىء من هذه النسبة و قال صدر المتألهين ـ قدس سره ـ عند ذكر الشيخ الذى لقى أمير المؤمنين «ع» عند رجوعه من صفين أوائل المجلد الخامس: تزعم انه كانت أفعالنا بقضاءالله و قدره يلزم سلب الاختيار عنا فى فعلنا فيكون المقضى حتما علينا والمقدر لازماً لذاتنا، ولم يبق فرق بين المختار والمضطر ثم بين مفاسد هذا الظن: الاول أنه لوكان كذلك لبطل الثواب والعقاب اذ لاأجر ولا عقوبة على الفعل المجبور، الثانى أنه بطل الامر والنهى والزجر من الله تعالى لمن لااختيار له، الثالث أنه حينئذ سقط معنى الوعد والوعيد اذ لا فائدة فيهما، الرابع أنه لو كان كذلك لم يكن لائمة للمذنب على ذنبه ولا محمدة لمحسن على احسانه، الخامس أنه على ذلك التقدير كان المذنب أولى بالاحسان من المحسن و لكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب الى *

بربّي و أوّل من أجـاب حيث أخذ الله ميثاق النبيّين وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم ، فكنت أنا أوّل نبيّ قال : بلى ، فسبقتهم بالإقرار بالله عزّوجلّ .

٢ـ أحمدُ بن محمّد ، عن محمّد بن خالد ، عن بعض أصحابنا ، عن عبدالله بن سنان قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك إنّي لأرى بعض أصحابنا يعتريه النزق والحدّة والطيش فأغتمّ لذلك غمّاً شديداً وأرى من خالفنا فأراه حسن السمت ، قال: لاتقل حسن السمت فإنّ السمت سمت الطريق ولكن قل حسن السيماء ، فإنّ الله عزّوجلّ يقول : « سيماهم في وجوهم من أثر السجود » قال : قلت : فأراه حسن السيما و له وقار فأغتمّ لذلك ، قال : لاتغتمّ لمارأيت من نزق أصحابك ولمارأيت

قوله (انى كنت أول من آمن بربى و أول من أجاب) له سبق من حيث الوجود لان روحه خلقت قبل الارواح كلها ، و له سبق من جهة الاقرار بالربوبية لانه أقربها حين وجوده منفرداً و أقربها قبل الجميع عند أخذ الميثاق، و يظهر مما ذكرنا أن العطف فى قوله و أول من أجاب للتأسيس دون التفسير والتأكيد و أما تأخيره فى هذه النشأة فلفوائد يعلمها الله تعالى و كان منها تعظيمه لان سائر الانبياء مقدمة له مخبرة لوجوده كالمقدمة للسلطان و منها تكميله للاديان السابقة كما قال « بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » و منها تعظيم دينه من جهة نسخه للشرائع السابقة ، و منها تعظيم كتابه لذلك و منها أن يكون شاهداً لتبليغ جميع الانبياء.(ع) .

قوله (يعتريه النزق والحدة والطيش) الاعتراء رسيدن و فرا گرفتن، و النزق والنزوق بر جهيدن و چستى نمودن و شتاب كردن و پيشى گرفتن. والحدة بتشديد الدال تيز شدن و تندى نمودن والطيش تيز شدن و تندى نمودن و منحرف شدن تيراز نشانه. و هذه المعانى متقاربة كلها من جهة الفساد فى القوة الشهوية والغضبية.

قوله (قال لاتقل حسن السمت فان حسن السمت سمت الطريق) فى الفائق: السمت أخذ النهج و لزوم المحجة، و سمت فلان الطريق يسمت و يسمت يعنى من باب نصر و ضرب ثم قالوا ما أحسن سمته أى طريقة التى ينتهجها فى تحرى الحير والتزيى بزى الصالحين،

*آخر ماذكره و بينه اتم بيان، وقال فيما افاد ان قلت ان الله عالم قبل افعال العباد بها فلايمكن أن يصدر عنهم خلافها ، وذلك يستلزم الجبر؟ قلنا هذا منقوض بافعال الله الحادثة فانه كان عالما بها الاول قبل فعلها فلا يمكن عنه صدور خلافها فيكون سبحانه مجبوراً فكل ما كان جوابكم فهو جوابنا.(ش)

من حسن سيماء من خالفك، إن الله تبارك و تعالى لما أراد أن يخلق آدم خلق تلك الطينتين ، ثم فرقهما فرقتين ، فقال لأصحاب اليمين: كونوا خلقاً باذني ، فكانوا

و فى المصباح السمت الطريق والقصد والسكينة والوقار والهيئة ، ولما جاء السمت بمعنى الطريق (۱) كان كلام السائل يوهم أن من خالفنا حسن مستقيم و ذلك خطأ فلذلك نهاه عن ذلك القول و أمره بما هو أحسن منه لان السيماء صفة لرجل يفرح بها من ينظر اليه سواء كان من أهل الحق أو الباطل. **قوله** (له وقار) أى سكينة نفسانية و طمانية جسمانية. **قوله** (خلق تلك الطينتين) اشارة الى الطينة المعلومة للمخاطب من سياق الكلام أو

---

(۱) قوله «و لما جاء السمت بمعنى الطريق» الحديث مرسل و توجيه الشارح تكلف ويشبه أن يكون المراد ببعض أصحابنا السيارى أوأحد الاعاجم مثله قليل المعرفة بلسان العرب أو قليل الاهتمام به فزعم أن السمت منحصر فى سمت الطريق وهو المعنى المشهور وكان المعنى الاخر غريبا لديه. واما ما تضمن معناه من اختلاط الطينتين فالكلام فيه مافى أمثاله. و اعلم أن اختلاف النفوس فى استعداداتها وصفاتها ممالاينبغى أن ينكر بل هو محسوس و مروى قال رسول الله «ص»: « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة» قال صدر ـ المتألهين قدس سره يتفاوت العقول والادراكات والاشواق والارادات بحسب اختلاف الطبايع والقوى والغرائز والجبلات فينزع بعضهم بطبعه الى ماينفر عنه الاخر و يستحسن بعضهم بهواه مايستقبحه الثانى والعناية الالهية اقتضت نظام الوجود على أحسن ما يتصور و أجود ما يمكن من التمام ولوتساوت الاستعدادات لفات الحسن والفضل فى ترتيب النظام الى آخرماقال. ولايخفى أن اختلافهم فى ذلك لاينافى اتفاقهم فى قدرة فهم التكاليف واختيارهم فى فعل الخير فهم متفقون فيما هومناط التكلف ومختلفون فى استعداد العلوم والصنايع ولايلزم الاختلاف فى الاستعداد ظلماً و انما يلزم الظلم أن يكونوا متفقين فى التكليف مع الاختلاف فى الاستعداد ولوفرض أن أحداً بلغ فى البلادة الى حد لايعقل التكليف أصلا التزمنا برفع التكليف عنه كالمجانين. وقال صدر المتألهين فى بعض كلامه فمن أساء عمله و أخطأ فى اعتقاده فانما ظلم نفسه بظلمة جوهره و سوء استعداده وكان أهلا للشقاوة فى معاده، و انما قصر استعداده و أظلم جوهره لعدم كونه أحسن مماوجد كما لايمكن أن يلد القرد انساناً مثلا فى أحسن صورة و أكمل سيرة، أقول بعد ماسبق منه ـ قده ـ فى الحاشية السابقة وغيرها من نفى الجبر و اثبات الاختيار و ان علم الواجب بماسيقع لايوجب الجبر فى فعل الانسان كمالا يوجبه فى فعل نفسه تعالى وجب حمل ما ذكره أخيراً من شقاوة قاصرى الاستعداد على النقص اللازم لكل ممكن عن مافوقه من المراتب كنقص الدواب عن كمال الانسان فانها لاتتالم بهذا النقص اذ لاتدركه والتألم*

خلقاً بمنزلة الذرّ يسعى ، و قال لأهل الشمال : كونوا خلقاً باإذني ، فكانوا خلقاً بمنزلة الذرّ . يدرج ، ثمّ رفع لهم ناراً : فقال : اُدخلوها باإذني ، فكان أوّل من دخلها محمّد صلّى الله عليه وآله ثمّ أتبعه اُولوالعزم من الرّسل و أوصياؤهم و أتباعهم ؟ ثمّ قال لأصحاب الشمال : ادخلوها باإذني ، فقالوا : ربّنا خلقتنا لتحرقنا ؟ فعصوا ، فقال لأصحاب اليمين: اخرجوا باإذني من النار ، لم تكلم النار منهم كلماً ، و لم تؤثّر فيهم أثراً ؟ فلمّا رآهم أصحاب الشمال، قالوا : ربّنا نرى أصحابنا قد سلموا فأقلنا و مرنا بالدّخول، قال : قد أقلتكم فادخلوها ، فلمّا دنوا و أصابهم الوهج،

من قرينة المقام و اريد بتفريقهما بيمينه و شماله على سبيل التمثيل والتخييل أو تفريقهما بيمين جبرئيل وشماله كما فى بعض الروايات.

قوله (فكان اول من دخلها محمد «ص») كما أنه أول من خلقت روحه و أول من خرج من طينة اليمنى و سعى الى الجنة و بالجملة هو كان أول فى المواطن كلها و فيض الحق الى الجميع.

قوله (لم تكلم النار منهم كلما) الكلم الجرح و فعله من باب ضرب.

---

*فرع الادراك وليس عذاباً لها جزاء على تقصيرها فى امتثال تكاليفها وقد صرح هو بذلك فى مواضع من كتبه. و قال أيضاً : و كما لاتعترض على اقبح الناس أنه لم لايكون مثل يوسف فى الحسن كابى جهل فكذلك لاتعترض على شر الناس كأبى جهل مثلا لم لايكون مثل خير الناس كمحمد «ص» فان اختلاف الغرائز والشمائل كاختلاف الاشكال والطبايع الى آخر ما قال، والتمثيل بأبى جهل الحاق فى الموضعين والحق أنه لايعترض على أبى جهل و أمثاله فى نقصه العقلى وعدم وصوله فى الكمال الذاتى الى كمال الرسول «ص» وانما يعترض عليه وعلى أمثاله بانهم تنزلوا عما اعطوه من الفهم والعقل فصاروا كالانعام بل هم أضل بعد أن كان فيهم ما به تفوقوا عليها.

واعلم أن الاعتقاد بالقدر وأن كل شىء فى هذا العالم مطابق لماثبت فى عالم آخر قبله من لوازم الايمان بعالم الغيب ولذلك ترى الماديين والمائلين اليهم ينفونه و قال بعض الملاحدة : القدر للانسان هو الطريقة التى يختارها وكتابه هو الذى يحويه وجوده ويتتبع بيده اوراقه، و الحق ان لايتفحص عن سابقة له فى عالم غير مرئى بل ليس هناك الاسيره فى هذا العالم المحسوس وهذا الذى ذكره اشنع من اعتقاد أبى جهل. (ش)

رجعوا فقالوا : يا ربّنا لاصبر لنا على الاحتراق فعصوا ، فأمرهم بالدّخول ثلاثاً، كلّ ذلك يعصون و يرجعون و أمر اُولئك ثلاثاً، كلّ ذلك يطيعون ويخرجون ، فقال لهم: كونوا طيناً باذني فخلق منه آدم، قال: فمن كان من هؤلاء لايكون من هؤلاء و من كان من هؤلاء لايكون من هؤلاء، وما رأيت من نزق أصحابك وخلقهم فممّا أصابهم من لطخ أصحاب الشّمال و مارأيت من حسن سيماء من خالفكم ووقارهم فممّا أصابهم من لطخ أصحاب اليمين.

٣- محمّد بن يحيى ، عن محمّد بن الحسين ، عن عليّ بن إسماعيل ، عن محمّد بن إسماعيل ، عن سعدان بن مسلم ، عن صالح بن سهل ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله بأيّ شيء سبقت ولد آدم ، قال : إنّي أوّل من أقرّ بربّي، إنّ الله أخذ ميثاق النبيّين و أشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا : بلي،فكنتُ أوّل مَن أجاب.

(باب)

كيف أجابوا وهم ذر

١- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام: كيف أجابوا وهم ذرّ ؟ قال: جعل فيهم ما إذا

قوله (و أصابهم الوهج) الوهج بالتحريك حر النار.

قوله (جعل فيهم ما اذاسألهم أجابوه) «ما» موصولة والعائد محذوف أى أجابوه به والمراد به القوة الاستعدادية للنفس الناطقة القابلة (١) للكمالات والاعمال الخيرية ، و

---

(١) قوله «والمراد به القوة الاستعدادية للنفس الناطقة» قال العلامة المجلسى - ره- اعلم أن ايات الميثاق والاخبار الواردة فى ذلك يقصر عنه عقول أكثر الخلق و للناس فيهامسالك: الاول طريقة المحدثين والمتورعين، فانهم يقولون نؤمن بظاهرها ولانخوض فيها ولانطرق فيها التوجيه والتأويل، والثانى حملها على الاستعارة والمجاز والتمثيل ، و الثالث حملها على أخذ الميثاق فى عالم التكليف بعد اكمال العقل بالبرهان والدليل انتهى. وهومشتبه المراد لاأدرى مقصوده -قدس سره- الأن المسلك الثالث يشير الى ما اختاره المفيد والسيد المرتضى والطبرسى وجماعة من أعاظم الطائفة فى تفسير آية « واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم*

سألهم أجابوه، يعني في الميثاق.

النطق بحيث اذاوقع السؤال أجابوا بلسان المقال، و هذا تفسير آخر غير ما ذكرناه سابقاً من المعانى الثلاثة ان أريد به وقوع السؤال والجواب تقديراً وأما ان اريد به وقوعهما تحقيقاً كما يشعر به لفظة اذا فهوعين ماذكرناه أولا فليتأمل.

«آه» و أما كلام الشارح فمعناه معلوم لنا ونشير اليه ان شاءالله ببيان أوضح. ثم ان الاستعجاب و الاشكال فى هذه الاخبار على ما أتعقله أنها تستلزم الجبر وليس غيرها من الشبه مما يعتدبه و طريقة المحدثين والمتورعين على ماذكره المجلسى -ره- ان كان بعد القطع ببطلان الجبر كما هومذهب أهل البيت عليهم السلام لزم عدم ايمانهم بظاهر هذه الاخبار، فان ظاهرها الجبر والظلم فلامعنى لقوله -رحمه الله- نؤمن بظاهرها فلامحيص عن تأويلها وان أرادوا الايمان بظاهرها و ان لزم الجبر فهوانكار لسائر الاحاديث والاخبار، و أما الحمل على الاستعارة والمجاز فلم يبين -رحمه الله- أن أى لفظ استعارة عن أى معنى، يحتمل أن يراد به ما ذكره الشارح أو ماذكره المفيد عليه الرحمة، وبالجملة مايدل من الروايات على الجبر فالوجه طرحه أو تأويله ولكن ليس جميعها كذلك فمنها مالايستفاد منه الاعلمه تعالى بحال عباده ومع قطع النظر عن شبهة الجبر فلاأرى فى المعنى المتفق عليه بين أخبار الميثاق و الذر شبهة يصعب حلها مثل مارووا عن رسول الله «ص» «لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة من ذريته الى يوم القيامة» و ماروى فيها معنى معقول لااستحالة له أصلا بل ليس من الغرائب أيضاً فان رؤية الانبياء بعض ماسيأتى بعدهم فى مايرون من الغيوب أمر معتاد. وقد رأى رسول الله «ص» بنى امية فى صورة القردة ينزون على منبره يرجعون بالناس القهقرى، فان قيل هذا كان نوماً قلنا يتفق للانبياء أن يروا يقظة من الغيوب مثل مايرى فى المنام، قال المفيد رحمه الله فى بعض كلامه فانبأه الله يعنى أنبأ الله آدم بمايكون من ولده و شبههم بالذر الذى أخرجهم من ظهره و جعله علامة على كثرة ولده انتهى. وكذلك لايبعد تمثيلهم بغير صورتهم فى الرؤيا و كون بعضهم نورانياً وبعضهم ظلمانياً لان الرواية دلت على أن آدم رأى على بعضهم نوراً لاظلمة فيه و على بعضهم ظلمة لانور فيه ولايوجب هذا جبراً كما لايوجب رؤية نبينا «ص» بنى امية يرجعون بالناس القهقرى جبراً، وأما آية «واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى» فحمله على مفاد أحاديث الذر خلاف ظاهر الاية بل صريحها وان كان حديث الذر معقولا صحيحاً فانه تعالى قال «من بنى آدم من ظهورهم» ولم يقل من آدم من ظهره، و معنى الاية أن الله تعالى يخلق تدريجاً فى كل زمان من ظهور الاباء أبناءهم ويعطيهم من العقل والادراك

(باب)

فطرة الخلق على التوحيد

١ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ،عن هشام بن سالم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت : فطرة الله التي فطر النّاس عليها ؟ قال: التوحيد.

٢ـ عليٌّ بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى ،عن يونس ، عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن قول الله عزّوجلّ: « فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها»

قوله (باب فطرة الخلق على التوحيد) فطرة آفريدن و آفرينش و دين والمراد هنا المعنى الاول و فى الاخبار المذكورة المعنى الاخير ، وعبر عنه فى بعضها بالتوحيد،وفى بعضها بالاسلام، و فى بعضها بالحنفاء وفى بعضها بمعرفة الرب والخالق والمآل واحد.

قوله (قلت فطرة الله التى فطر الناس عليها) قال التوحيد، الفطرة بالكسر مصدر للنوع من الايجاد وهو ايجاد الانسان على نوع مخصوص من الكمال و هو التوحيد و معرفة الربوبية مأخوذاً عليهم ميثاق العبودية والاستقامة على سنن العدل وذهب اليه أيضاً كثير من العامة، و قال بعضهم: الفطرة ما سبق من سعادة أو شقاوة، فمن علم الله تعالى سعادته ولد على فطرة الاسلام، و من علم شقاوته ولد على فطرة الكفر تعلق بقوله تعالى «لاتبديل لخلق الله» و بحديث الغلام الذى قتله الخضر«ع»«طبع يوم طبع كافراً» (١) فانه يمنع من كون تولده

---

*ما يلتفت به الى وجوده، فان الجنين اذا بلغ مبلغا يدرك نفسه وخرج عن رتبة النباتية الى الحيوانية وله عقل هيولانى فى اصطلاح الحكماء جعله الله مستعداً لان ينظر فى آثار صنعه و يعرف الصانع صدق عليه قوله تعالى«أشهدهم على أنفسهم» فالحق مع المفيد والسيد المرتضى و من تبعهما فى تفسير الاية .وههنا اشكالات اخرى ذكرها الفخر الرازى فى تفسيره وهى تشبه أحاديث المجانين يتعجب من صدورها من مثله لانطيل الكلام بنقلها ولعلنا نشير اليه فى موضع آخر اليق ان شاء الله تعالى.(ش)

(١) قوله «طبع يوم طبع كافرا» أقول مفاد أخبار هذا الباب هو الاصل فى الاعتقاد الذى يجب أن يعتمد عليه و يرجع ساير ما ينافيه اليه بالتأويل فانه موافق للعقل والقرآن و مذهب أهل البيت عليهم السلام و ان خالف أكثر ما ورد فى الاخبار السابقة و قلنا أنه موافق للعقل فانه يدل على تساوى الناس جميعاً بالنسبة الى قبول التوحيد والاستعداد للمعرفة والتكليف و هو مقتضى العدل واللطف بخلاف مامضى مما دل على أن بعض الناس فطروا على الجهل والعناد من طينة خبيثة لن يؤمنوا أبداً ،و معذلك يعذبون، وقلنا موافق للقرآن*

ما تلك الفطرة ؟ قال : هي الإسلام، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد، قال:

على فطرة الاسلام و اجيب عن الاول بأن معنى لاتبديل لاتغيير يعنى لايكون بعضهم على فطره الكفر و بعضهم على فطرة الاسلام بل كلهم على فطرة الاسلام. و يؤيده ما فى رواياتهم عنه «ص» «ما من مولود الا يولد على هذه الفطرة فأبواه يهودانه و ينصرانه» فان المراد بهذه الفطرة فطرة الاسلام، و عن الثانى بأن المراد بالطبع حالة ثانية طرأت و هى التهيؤ للكفر غير الفطرة التى ولد عليها. وقال بعضهم: المراد بالفطرة كونه خلقاً قابلا للهداية ومتهيئاً لها لما أوجد فيه من القوة القابلة لها لافطرة الاسلام وصوابها(١) موضوع فى العقول، وانما يدفع العقول عن ادراكها تغيير الابوين أوغيرهما. و أجيب عنه بان حمل الفطرة على الاسلام لايأباه العقل، و ظاهر الروايات من طرق الامة يدل عليه، وحملها على خلاف الظاهر لا وجه له من غير مستند قوى والله أعلم.

قوله (فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد) «على» متعلق بفطر كما يشعر به

* لان مضمون الاية أن جميع أولاد آدم قالوا بلى، ومفاد ماسبق من الاخبار أن بعضهم أقر و بعضهم أنكر، والقرآن أولى بالقبول ويرجع مايخالفه ظاهراً اليه، و قلنا انه موافق لمذهب أهل البيت عليهم السلام لان المتواتر الضرورى المعلوم من مذهبهم القول بالعدل و نفى الجبر .وقد ذكر الشارح قريباً أن جميع ذرية آدم أعطوا قوة استعدادية للنفس الناطقة القابلة للكمالات والاعمال الخيرية، و عليهذا فلافرق بين بنى آدم من هذه الجهة و كلهم مستعدون بفطرتهم لفهم التوحيد و معرفة التكاليف و انما يختلفون فيما سوى ذلك ألاترى أن كل من يتكلم يستعمل فى كلامه ألفاظاً تدل على معانى كلية غير مدركة بالحواس بحيث اذا عد كلماته كانت الاسماء الجزئية المحسوسة فيها نادرة و هذا علامة ان المتكلم أدرك الكليات اذ عبر عنها وبذلك الاعتبار سمى النفس المدركة للكليات ناطقة واذا كان جميع أفراد الانسان مدركين للكليات كانوا عقلاء. و اذا كانوا عقلاء استعدوا لدرك أوائل المعقولات و واضحاتها لامحالة و نحن نعلم أن ادراك الواجب تعالى و معرفة وجوده لابكنهه من أوائل المعقولات وان ناقش أحد فى كونه من الاوليات فلامحيص عن الاعتراف بكونها بديهية أو قريبة منها بحيث يمكن أن يفهمه الصبى ابن خمس عشرة سنة، والصبية بنت تسع سنين و من غفل أو أنكر فسببه عدم التوجه والالتفات، و بينه الغزالى بوجه أبسط نقله عنه الوافى وعن الوافى المجلسى بعنوان بعض المنسوبين الى العلم. (ش)

(١) قوله «لافطرة الاسلام و صوابها» وقد نقل العلامة المجلسى عبارة الشارح هنا من قوله الفطرة بالكسر مصدر للنوع الى آخر الشرح و أورد الجملة هكذا لان فطرة*

«ألستُ بربّكم» و فيه المؤمن والكافر.

٣ـ محمّدُ بن يحيى، عن أحمدبن محمّد، عن ابن محبوب، عن عليِّ بن رئاب، عن زرارة قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها» قال: فطرهم جميعاً علي التوحيد.

عنوان الباب و آخره فيدل على أن الفطرة ماأخذ عليهم من العهد بالربوبية والاقرار بها وهم ذر، ثم الولادة يقع على ذلك حتى يقع التغيير من الابوين أو من طغيان النفس الامارة و مزاولة الشهوات و متابعة من الشيطان.

قوله (وفيه المؤمن والكافر) كلام آخر لبيان ماوقع فى الميثاق من ايمان بعض و كفر آخرين لان الميثاق كماوقع بالربوبية و أقروا بها كذلك وقع بالنبوة والولاية فمنهم من آمن بهما ومنهم من كفر، ثم الكفر بهما يستلزم الكفر بالربوبية أيضاً (١) يدل على جميع ذلك ظاهر كثير من الروايات.

قوله (فطرهم جميعاً على التوحيد) أى على معرفة الرب والاقرار بالربوبية والواحدانية والكفر به وقع بعد ذلك باحتيال النفس واغتيال الشيطان.

---

*الاسلام و صوابها موضوع فى العقول. فبدل لاء النافية بقوله لان وكلتا العبارتين لاتخلوان عن سماجة، وغرض القائل أن الفطرة ليست فطرة الاسلام لان الاسلام أيضاً كدين اليهود والنصارى انما يرسخ فى قلوب الاطفال بتعليم الاباء ولو فرض أن أحداً نشأ فى جزيرة منفردة لايرى فيها من يعلمه الشهادتين فلن يهتدى لان يقول لااله الاالله محمد رسول الله «ص» فليس فطرة الناس على الاسلام بل فطرتهم على قابلية الهداية ان اقيم لهم أدلة رسالة محمد «ص»، والجواب أن المراد بالاسلام هنا الاسلام الاعم الذى كان يدعوا اليه ابراهيم واسحاق و يعقوب وسائر الانبياء عليهم السلام و هو التسليم لامر الله والاعتراف بالهيته وأن السعادة فى امتثال أوامره ونحن ندعى أن المنفرد فى جزيرة اذا ترك وعقله هداه عقله الى التوحيد والمعرفة كما فى رسالة حى بن يقظان. وليس المراد الاسلام الفقهى أعنى اظهار الشهادتين لفظاً. (ش)

(١) قوله «يستلزم الكفر بالربوبية» أقول الاولى حمل قوله «ع» «وفيه المؤمن و الكافر» على أنه تعالى أخذ ميثاقهم على التوحيد و جعل فيهم قوة قبوله واستعداد فهمه على ماسبق من الشارح وكان فيهم من آمن بعد ذلك اذجاء الى الدنيا وفيهم من كفر. ولاينافى أن يكون فطرة الجميع على التوحيد والمعرفة ولكن ظهر لادم «ع» حال ذريته فى الدنيا وان بعضهم سيخالفون الفطرة ويكفرون وبعضهم يوافقونها و ظهور حالهم فيما بعد مختلفا بالايمان و الكفر كما فى كثير من الروايات لايناقض كون فطرتهم على التوحيد. (ش)

٤- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن اُذينة، عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: «حنفاء لله غيرمشركين به»؟ قال: الحنيفيّة من الفطرة الّتي فطر الله النّاس عليها لاتبديل لخلق الله، قال: فطرهم على المعرفة به، قال زرارة: و سألته عن قول الله عزّ وجلّ: «وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذريّتهم و أشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى- الاية»؟ قال: أخرج من ظهر آدم ذريّته إلى يوم القيامة، فخرجوا كالذّر فعرّفهم وأراهم نفسه ولولا ذلك لم يعرف أحدٌ ربّه وقال قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «كلّ مولود يولد على الفطرة» يعني المعرفة بأنّ الله عزّ وجلّ خالقه، كذلك قوله: «و لئن سألتهم من خلق السّموات والأرض ليقولنّ الله».

قوله (قال الحنيفيةمن الفطرة التى فطر الناس عليها)وهى دين الاسلام ومعرفةالرب والاقرار به، ويؤيده قوله تعالى «غيرمشركين به» لوقوع الشرك به بعدالفطرة لامر يعتريهم، روى مسلم عن النبى «ص» قال: قال الله تعالى «انى خلقت عبادى حنفاء كلهم و أنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم و حرمت عليهم ماأحللت لهم و أمرتهم أن يشركوابى مالم أنزل به سلطاناً» اجتالتهم أى ذهبت بهم و ساقتهم الى ماأرادت من اجتال الشىء ذهب به و ساقه، و قوله: «اجتالتهم عن دينهم» صريح فى أن المراد بالحنيفية دين الاسلام والاقرار بالرب. **قوله** (لاتبديل لخلق الله) بأن يكون كلهم أوبعضهم حين الخلق مشركين به بل كلهم مسلمين مقرين به.

قوله (قال أخرج من ظهر آدم) أواخر أولاد آدم مثل أوائلهم و أواسطهم كانوا فى ظهر آدم والله سبحانه أخرجهم على ما يتوالدون قرناً بعد قرن ونسلا بعدنسل فخرجوا كالذر فى الصغر والحجم فعرفهم نفسه و أراهم بالرؤية العقلية الشبيهة بالرؤية العينية فى الظهورليحصل لهم الربط به و يعرفوه فى دار الغربة ولولا تلك المعرفة الميثاقية لم يعرف أحد ربه فى هذه الدار التى هى دار الفراق و لو لم يكن رابطة تلك المعرفة و سابقة تلك الرابطة لحصل الفراق الكامل و مع تحقق تلك الرابطة تحقق الفراق الكلى فى أكثر الناس فكيف مع عدمها.

قوله (قال: قال رسول الله «ص»: «كل مولود يولد على الفطرة» يعنى المعرفة بان الله عزوجل خالقه) الظاهر بالنظر الى سياق الكلام أن التفسير من كلام أبى جعفر «ع» و هذه المعرفة معنى الفطرة فى الاية المذكورة أولا و جوابهم ببلى منوط بهذه الفطرة المجبولة و التغيير انما يعرض من خارج كاضلال الابوين أو غيرهما، و قال بعض العامة وذلك كما

٥ ـ عليٌّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن فضّال، عن ابن أبي جميلة، عن محمّد الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها» قال: فطرهم على التوحيد.

أن البهيمة تلد بهيمة سالمة من النقص والتغيير ولايلحقها قطع الاذن والذنب والكى وغيرها من المقابح الا بعد الولادة. فكذلك الولد يولد على الفطرة سالماً عن الكفر حتى يدخل عليه التغيير من أمر خارج و يحمله على ماسبق عليه فى الكتاب من شقاء، و قال صاحب النهاية: معنى الحديث أن الولد يولد على نوع من الجبلة وهى فطرة الله و كونه متهيئاً لقبول الحق طبعاً وطوعاً لوخلته شياطين الانس والجن ثم ذكر ولدالبهيمة نظيراً له. وقال صاحب المصباح قوله «ع» «كل مولود على الفطرة» قيل: معناه الفطرة الاسلامية (١) والدين الحق وانما أبواه يهودانه و ينصرانه أى ينقلانه الى دينهما وهذا التفسير مشكل أن حمل اللفظ على حقيقته فقط لانه يلزم منه أن لايتوارث المشركون مع أولادهم الصغار قبل أن يهودوهم و ينصروهم، واللازم منتف بل الوجه حمله على حقيقته ومجازه معاً أما حمله على مجازه فعلى

---

(١) قوله «قيل معناه الفطرة الاسلامية» أورد عبارة الشارح بعينها المجلسى رحمه الله فى مرآة العقول الى آخرها الا بعض كلمات سقطت من قلمه أوقلم النساخ. وكان قوله «هذا التفسير مشكل» اعتراض من الشارح على القائل المذكور، والظاهر أن المجلسى ـ رحمه الله أيضاً استحسن الاشكال، ولعله من خلط أحكام الفقه بقواعد العقائد والاصول بالفروع، و الظاهر بالواقع والدنيا بالاخرة لان أولاد المشركين تابعون لابائهم فى الدنيا بالنسبة الى فروع الاحكام الفقهيه، و محكومون بالكفر ظاهراً و ليسوا تابعين فى الاخرة بالنسبة الى العقاب اذ ليسوا كافرين واقعاً، وكلامنا هنا فى الاحكام الواقعية الاخروية لاالظاهرية الدنيوية ولامانع من كون أولاد الكفار على فطرة التوحيد ولايكونوا يهوديين ولامشركين ولا نصرانيين واقعاً بالنسبة الى أحكام الاخرة، ولكن يكونوا بحكم الكفار فى الدنيا، و الاستشكال من الشارح عجيب وليس الثواب والعقاب فى الاخرة مترتبين على أحكام الفقه فى الدنيا، فليس كل من يفتى الفقهاء بايمانهم ظاهراً من أهل النجاة فى الاخرة، ربما كانوا منافقين و يعامل معهم معاملة المسلمين فيزوج فيهم و يتمكنون من المساجد ولايجتنب أسآرهم وهم فى الاخرة فى أسفل درك من النار. و بالعكس وفى الوافى تحقيق فى شرح هذا الباب وأورده المجلسى ـ ره ـ فى شرح الحديث الرابع ناقلا عنه بعنوان بعض المحققين لا نطيل الكلام بذكره فمن أراده راجع الوافى او مرآة العقول. (ش)

(باب)

كون المؤمن فى صلب الكافر

١ - الحسينُ بن محمّد ، عن معلّى بن محمّد ، عن الحسن عليّ الوشّاء ، عن عليّ بن ميسرة قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : إنّ نطفة المؤمن لتكون في صلب المشرك ، فلا يصيبه من الشرّ شيء ، حتّى إذا صار في رحم المشركة لم يصبها من الشرّ شيء ، حتى تضعه فإذا وضعته لم يصبه من الشرّ شيء ، حتّى يجري عليه القلم.

٢ - عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عليّ بن يقطين ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : قلت له : إنّي قد أشفقت من دعوة أبي عبدالله عليه السلام على يقطين و ما ولد ، فقال : يا أبا الحسن ليس حيث تذهب ، إنّما المؤمن

ماقبل البلوغ وذلك أن اقامة الابوين على دينهماسبب يجعل الولدتابعاً لهمافلماكانت الاقامة سبباً جعلت تهويداً و تنصيراً مجازاً، ثم اسندالى الابوين توبيخا لهماوتقبيحاً عليهما، فكانه قال: وانما أبواه باقامتهما على الشرك يجعلانه مشركاً. و يفهم من هذا أنه لوأقام أحدهما على الشرك وأسلم الاخر لايكون مشركاً بل مسلماً، وقد جعل البيهقى هذا معنى الحديث فقال وقد جعل رسول الله «ص» حكم الاولاد قبل أن يفصحوا بالكفر و قبل أن يختاروا لانفسهم حكم الاباء فيمايتعلق بأحكام الدنيا. و أما حمله على الحقيقة فعلى ما بعد البلوغ لوجود الكفر من الاولاد.

قوله (ان نطفة المؤمن لتكون فى صلب المشرك ـ الخ) أى النطفة التى يخلق منها المؤمن لايصيبها شيء من شرالابوين يعنى الكفر وغيره مما ينافى التوحيد. والحكم عليه بالكفر والنجاسة بالتبعية قبل البلوغ نظراً الى الظاهر لاينافى ايمانه.

قوله (قدأشفقت من دعوة أبى عبدالله على يقطين وما ولد) الاشفاق الخوف والواو للعطف على يقطين أو بمعنى مع وخوفه من سراية تلك الدعوة الى نفسه فبشره «ع» بأنه ليس من أهلها لكونه مؤمناً صالحاً غيرراض بفعل أبيه (١) وما ورد من أن ظلم الرجل يجرى على أعقابه مخصوص بما اذا رضى الولد بفعل أبيه فيؤخذ بظلمه وظلم أبيه جميعاً.

---

(١) قوله «غير راض بفعل أبيه» قال الشيخ رحمه الله لم يزل يقطين فى خدمة أبى العباس و أبى جعفر المنصور ومع ذلك كان يتشيع ويقول بالامامة وكذلك ولده و يحمل الاموال الى جعفر بن محمد ونمى خبره الى المنصور والمهدى فصرف الله عنه كيدهما انتهى. و عبارة الشارح تدل على ذم يقطين و كلام الشيخ رحمه الله أولى بالقبول من كلام الشارح لانه*

في صلب الكافر بمنزلة الحصاة في اللّبنة ، يجيء المطر فيغسل اللّبنة ولا يضرّ الحصاة شيئاً .

(باب)

اذا أراد الله عزوجل أن يخلق المؤمن

١– محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن ابن فضّال ، عن إبراهيم بن مسلم الحلواني، عن أبي إسماعيل الصيقل الرّازي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ في الجنّة لشجرة تسمّي المزن فا ذا أراد الله أن يخلق مؤمناً أقطر منها قطرة،فلاتصيب بقلة ولاثمرة أكل منها مؤمن أو كافر إلاّ أخرج الله عزّوجلّ من صلبه مؤمناً.

قوله (بمنزلة الحصاة فى اللبنة) اللبنة مثل كلمة مايبنى به وقوله «يجىءالمطر» اشارة الى وجه التشبيه وهو أن مايضر الكافر لايضر المؤمن الذى فيه.

قوله (الحلوانى) فى المصباح الحلوان بلد مشهور من سواد العراق وهى آخر مدن العراق و بينها و بين بغداد خمس مراحل ، وهى من طرق العراق من شرق و القادسية من طرفه من الغرب ، قيل سميت باسم بانيها و هو حلوان بن عمران بن الحارث بن قضاعة.

قوله (تسمى المزن) مزن ابرهاى سفيد وآن جمع مزنة است، و سميت الشجرة المذكورة بها لحملهاماء كثيراً كالسحاب و هذا الحديث كما يناسب (١) ماقيل من أن المراد

---

*أعرف وأعلم. وأمادلالةهذهالروايةوشهادةعلى بن يقطين على أبيه وتمثيل نفسه وأبيه بالمؤمن فى صلب الكافر فليس فيها حجة ووصفوا ابراهيم بن هاشم بالحسن لابالصحة ولكن المجلسى رحمه الله قال حسن كالصحيح وكان قوله حقاً لوكان ابن أبى عمير راوياً عن ابراهيم بن هاشم و ليس كذلك بل ابراهيم روى عن ابن أبى عمير و من يدعى تصحيح مايصح عن ابن أبى عمير انما يدعيه فيما بعده لا فيمن قبله. (ش)

(١) قوله «و هذاالحديث كمايناسب» نقله المجلسى رحمه الله الى آخرالشرح ثم نقل عبارة الوافى بعنوان بعض المحققين و فيها تحقيقات شريفة يليق بأن يتعمق فيها لانطيل الكلام باعادتها فمن أراد رجع الى الوافى أو مرآة العقول وكلام الشارح لايخرج عنه، و الذى يستفاد من هذاالحديث وأمثاله أن الجنة كماهى معاد و علة غائية لاعمال الصالحين و كذلك لها مبدئية ودخل فى عليتها الفاعلية بنحو من الانحاء اذلماء هذاالمزن تأثير فى تربية الصالحين وهذالايوجب الجبر كمامر و بهذا يعرف معنى وجود الارواح قبل الاجساد لان الروح قديطلق على النفوس المنطبعة الحادثة بعدحصول المزاج الخاص واستعداد البدن بأن*

(باب)

فى أن الصبغة هى الاسلام

١- عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، ومحمّد بن يحيى ، عن أحمدبن محمّد جميعاً ، عن ابن محبوب، عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: « صبغة الله و من أحسن من الله صبغة » قال : الإسلام ، و قال في قوله عزّوجلّ :

بالطينة الاصول الممتزجات المنتقلة فى أطوار الخلقة كالنطفة وما قبلها من موادها مثل النبات والغذاء وما بعدها من العلقة والمضغة والعظم والمزاج الانسانى القابل للنفس الناطقة المدبرة ،كذلك يناسب ماذكر من أن المراد بالطينة طينة الجنة لان طينة الجنة اختمارها و تربيتها بهذه الفطرة كما أنه بماء العذب الفرات المذكور سابقاً. و بالجملة خلقه من طينة الجنة ومزجها بماء الفرات أولا وتربيتها بماء المزن ثانياً لطف منه تعالى بالنسبة الى المؤمن ليحصل له الوصول الى أعلى مراتب القرب.

قوله (صبغة الله) أى صبغنا الله صبغته وهى الاسلام و دينه الحق وانما سمى بها لانه حلية الانسان كما أن الصبغة الحلية المصبوغ أو للمشاكلة لوقوعه فى مقابلة صبغة النصارى

---

*تصير النطفة علقة والعلقة مضغة الى أن تصير قابلة لان ينشأها الله خلقاً آخر فيحدث هذه النفس بعد حصول الاستعداد ولم تكن قبل ذلك ثم تتقلب النفس فى مراتبها حتى اذا تجردت بالفعل وصارت عقلا وهو العقل الحادث بعد النفس وبعد تركيب المزاج وليس هو بقيد الحدوث قبل البدن والموجود قبله هو علته المفيضة، ولما لم تكن العلة شيئاً مبايناً فى عرض المعلول نظير المعدات كالاب بالنسبة الى الابن بل هى أصل المعلول ومقومه والقائم عليه فاذا كانت العلة موجودة كان المعلول موجوداً حقيقة وعرفاً ، ألا ترى أنه يسمى صاحب ملكة العلم القادر على تفصيل المسائل عالما بها لاندراجها فى الملكة و لقدرة العالم على استخراجها كلما أراد كذلك المزن الذى يتقاطر منه الملكات على نفوس الصالحين و تربيها يندرج فيه جميع تلك النفوس بتفاصيلها اندراجا اجمالياً ، و انما تفصل منه بوجودها الدنيوى ليحصل لها بالفعل ماكان كامناً بالقوة ، ولوكانت النفوس على كمالها منفصلة عن علتها موجودة بالفعل لم يكن حاجة الى ارسالها الى الدنيا و انما الدنيا مزرعة الاخرة ، وبالجملة كل مافى هذا العالم عكس من موجود مثالى أوعقلى قبله ينطبع على المواد مطابقاً لمثاله أوظله وشبحه وماشئت فسمه و أحسن التعبيرات عنهما فى القرآن حيث قال« ونفخنا فيه من روحنا» «و أنشأناه خلقاآخر» ولايكون النفخ الامن نفس موجود قبله وان كان حصوله فى الجسم و اتصاف الجسم بالحياة بسببه حادثاً. (ش)

« فقد استمسك بالعروة الوثقى» ؟ قال : هي الايمان بالله وحده لاشريك له.

٢ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن داود بن سرحان ، عن عبدالله بن فرقد، عن حمران، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ : « صبغة الله و من أحسن من الله صبغة» قال: الصبغة هي الاسلام.

٣ـ حميدُ بن زياد ، عن الحسن بن محمّد بن سماعة ، عن غير واحد، عن أبان ، عن محمّد بن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام في قول الله عزّ وجلّ : « صبغة الله و من أحسن من الله صبغة» قال: الصبغة هي الاسلام ،و قال في قوله عزَّ وجلّ : « فمن يكفر بالطّاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروه الوثقى» قال : هي الإيمان.

(باب)

فى أن السكينة هى الايمان

١ـ محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن قول الله عزّ وجلّ : « أنزل السكينة في قلوب المؤمنين» قال: هو الإيمان ، قال: و سألته عن قول الله عزَّ وجلَّ : « وأيّدهم بروح منه» قال: هو الإيمان.

أولادهم فى ماء لهم أصفر، وتفسير الصبغة بما ذكر مذكور فى كلام الاكابر من المفسرين و غيرهم. فالحمل عليه أولى مماقيل من أن المراد بها ابداع الممكنات و اخراجها من العدم الى الوجود واعطاء كل مايليق به من الصفات والغايات و غيرها.

قوله (و من أحسن من الله صبغة) من باب الانكار والمقصود أن صبغته تعالى أحسن من كل صبغة لان أثر الفاعل القوى أكمل و أحسن من أثر غيره و لان كل صبغة غير صبغته تعالى دائرة زائلة بخلاف صبغته تعالى بالايمان فانها باقية أبداً، نافعة دائماً.

قوله (قال هى الايمان بالله) اريد بالكفر بالطاغوت الكفر بفلان و بالايمان بالله الايمان بعلى بن أبى طالب «ع» الأأنه أضيف الى الله مايضاف اليه تعظيماً له ، فلايرد أن تفسير العروة الوثقى بالايمان بالله يوجب التكرار بعد قوله «و يؤمن بالله » .

قوله (سألته عن قول الله عزوجل أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين قال هوالايمان) عبر عن الايمان بالسكينة والروح لان الايمان يوجب سكون القلب ووقاره وحياته وقدروى

٢ ـ عنه ، عن أحمد ، عن صفوان ، عن أبان، عن فضيل قال : قلت لأبي‍ـ

«أن القلب ليرجج (أى يهتز) و يتحرك فيما بين الصدروالحنجرة حتى يعقد على الايمان فاذا عقد على الايمان قر». و فى‌رواية اخرى«اطمأن وقر» ولابد من بيان معنى الايمان‌لان فيه فوائد كثيرة فنقول الايمان فى اللغة التصديق، و فى الشرع قيل هو كلمتا الشهادة ، وقيل الطاعات مطلقاً، و قيل الطاعات المفروضة، و قيل التصديق بالجنان‌والاقرار باللسان‌والعمل بالاركان، و قيل التصديق بالجنان مع الشهادتين، وقيل التصديق بالله‌و برسوله و جميع‌ماجاء به ـ على‌الاجمال ـ والولاية، و هو الحق‌لدلالة الايات والروايات عليه، أما‌الايات فمنها «و قلبه مطمئن بالايمان» و منها « أولئك‌كتب فى قلوبهم الايمان » و منها «و لما يدخل الايمان فى قلوبكم» فان اسناد الايمان الى القلوب فى هذه الايات يدل‌على أنه أمر قلبى ، و منها «وان طائفتان من‌المؤمنين اقتتلوا» ومنها «ياأيها‌الذين آمنوا‌كتب عليكم القصاص‌فى القتلى» و منها«والذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم » فان اقتران الايمان بالمعاصى‌فى هذه الايات يدل على أن العمل غيرمعتبر فى حقيقته، و منها «ياأيها‌الذين‌آمنوا أطيعوا الله» فان الامر بالاطاعة بعدثبوت الايمان يدل على‌ذلك‌أيضاً. وأما الروايات فمنها‌تفسير‌السكينة التى فى قلوب المؤمنين والروح بالايمان، و أما تفسير كلمة التقوى بالايمان فلا يدل على أنه كلمتا الشهادة لان اضافة الكلمة بيانية فيحمل‌التقوى على التصديق القلبى للتوافق بين الاحاديث، و منها قول الصادق «ع»«المؤمن مؤمنان فمؤمن‌صدق بعهدالله وو فى بشرطه ، و مؤمن كخامة الزرع يعوج أحياناً و يقوم أحياناً» ومنها قوله «ع» «يبتلى المؤمن على قدر ايمانه وحسن‌عمله‌ومن‌صح‌ايمانه‌اشتد‌بلاؤه، ومن‌سخف‌ايمانه‌وضعف‌عمله‌قل بلاؤه»ومنها‌قوله «ع» «ان القلب لتكون الساعة من الليل والنهار مافيه كفر ولاايمان» و منها قوله «ع» «لايضر مع الايمان عمل، ولاينفع مع الكفر عمل» ومنها قوله«ع»«الايمان وقر فى القلوب‌والاسلام ماعليه المناكح» ومنها قول‌رسول‌الله «ص» «يا معشر من‌أسلم بلسانه ولم يخلص الايمان‌الى قلبه لاتذموا المسلمين» ومنها قول أمير‌المؤمنين «ع » « أدنى مايكون به‌العبد مؤ مناً أن يعرفه الله نفسه فيقرله بالطاعة، و يعرفه نبيه ويقرله‌بالطاعة ، ويعرفه‌أمامه وحجته فى‌أرضه و شاهده على‌خلقه فيقرله بالطاعة ، قيل يا أمير‌المؤمنين : و ان جهل جميع‌الاشياء الا ما وصفت ؟ قال : نعم‌اذا امر أطاع و اذانهى انتهى».

ولاريب فى أن هذه الاخبار تدل صريحاً على أن‌الايمان هو التصديق وحده من غير دخل لفعل اللسان‌والجوارح‌فيه، على أن‌كون‌الايمان عبارة عن التصديق‌المخصوص‌المذكور لايحتاج الى‌نقله عن معناه اللغوى الذى هو‌التصديق مطلقاً لان التصديق المخصوص فرد منه

عبدالله: عليه السلام «اُولئك كتب في قلوبهم الايمان» هل لهم فيما كتب في قلوبهم صنع؟ قال: لا.

٣ـ عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن ابن محبوب، عن العلاء عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: السكينة الايمان.

٤ـ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختري و هشام بن سالم و غيرهما، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «هو الّذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين» قال: هو الإيمان.

٥ـ عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى بن عبيد، عن يونس، عن جميل قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قوله عزّ وجلّ: «هو الّذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين» قال: هو الإيمان. قال: قلت: «وأيّدهم بروح منه» قال: هو الإيمان. و عن قوله: «و ألزمهم كلمة التقوى» قال: هو الإيمان.

بخلاف ماإذا كان المراد منه غيره من المعانى المذكورة.

اذا عرفت هذا فنقول الاخبار الدالة على أن الايمان هو العمل بالاركان والاقرار باللسان والتصديق بالجنان مثل ماروى عن أبى الحسن الرضا «ع» وغيره محمولة على أن اضافة الفعل الى الايمان لاجل الكمال لالانه جزء منه أوشرط له أولاجل أنه دليل عليه وليس له دليل أعظم منه فكانه صار نفسه على سبيل المبالغة. يدل عليه ماروى عن أبى جعفر «ع» «أن الايمان ما استقر فى القلب و أفضى به الى الله عزوجل، و صدقه العمل بالطاعة لله والتسليم لامر الله». و ماروى عن الصادق «ع» قال: «قال أمير المؤمنين «ع»: ان لاهل الدين علامات يعرفون بها: صدق الحديث و أداء الامانة ووفاء بالعهد ـ الى أن قال ـ و ما يقرب الى الله عزوجل زلفى». وما روى عن أمير المؤمنين عن رسول الله «ص» قال «عشرون خصلة فى المؤمن فان لم تكن فيه لم يكمل ايمانه، ان من أخلاق المؤمن يا على الحاضرون الصلاة، و المسارعون الى الزكاة والمطعمو ن المسكين ـ الحديث». و فى هذه الاخبار مع دلالتها على أن الايمان هو التصديق القلبى دلالة واضحة على أن العمل مصدق و مبين ومظهر له و موجب لكماله.

قوله (هل لهم فيما كتب فى قلوبهم صنع قال لا) لعل المراد بالايمان هنا نكت الحق ومعرفة الرب وليس للعبد صنع فيه. وانما صنعه فى قبوله، والتكليف انما وقع به وقد روى «أن كل قلب ينكت الحق فيه قبل أولم يقبل».

(باب الاخلاص)

١- عليٌّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن عبدالله بن مسكان، عن عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «حنيفاً مسلماً» قال خالصاً مخلصاً ليس فيه شيء من عبادة الأوثان.

٢- عدَّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن أبيه رفعه إلى أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أيّها الناس إنّما هو الله والشيطان و الحقُّ والباطل والهدى والضّلالة والرُّشد والغيُّ والعاجلة والآجلة والعاقبة والحسنات والسيّئات، فما كان من حسنات فلله، وما كان من سيّئات فللشيطان لعنه الله.

قوله (باب الاخلاص) الاخلاص فى العمل تطهيره عن ملاحظة غير وجه الله تعالى و رضاه حتى عن الرجاء بالثواب والخوف من العقاب فضلا عن الرياء والسمعة وحب الجاه و أمثال ذلك فان ذلك شرك خفى قل من نجا منه لخفاء طرقه، ولذلك قال «ص» «دبيب الشرك فى أمتى أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء» وهو أعظم ساد للسالك عن الوصول الى الحق والقرب منه قال الله تعالى «فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً» و اذا ارتفع ذلك سهل للسالك الوصول اليه، كما يرشد اليه ما روى «من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قبله على لسانه».

قوله (حنيفاً مسلماً) الحنيف المسلم المنقاد وهو المايل الى الدين الحق وهو الدين الخالص، ولذلك فسره عليه السلام بقوله «خالصاً لله مخلصاً» عبادته عن ملاحظة غيره مطلقاً، ثم وصفه على سبيل التأكيد بقوله «ليس فيه شيء من عبادة الاوثان» أى الاوثان المعروفة أو الاعم منها فيشمل عبادة الشياطين فى اغوائها و عبادة النفس فى أهوائها، و قد نهى جل شأنه عن عبادتهما فقال «ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لاتعبدوا الشيطان» و قال «أفرأيت من اتخذ الهه هواه».

قوله (يا أيها الناس انما هو الله والشيطان) كان هو راجع الى المقصود بقرينة المقام والهدى الطريقة الالهية و الشريعة النبوية، والحسنات و السيئات شاملتان لجميع ما تقدم ولذلك اقتصر بذكرهما فى قوله «فما كان من حسنات فلله» وهو ما اراده الله تعالى ووقع له «وما كان من سيئات فللشيطان» وهو ما نهى الله عنه و أمر به و لم يقع له. وفيه ترغيب فى مراقبة النفس فى حركاتها وسكناتها ليمنعها عن السيئات و يحملها على الحسنات و يراعى الاخلاص والتقرب فيها بأن يفعلها لوجه الله لالغيره لئلا تصير سيئات.

٣ - عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن عليّ بن أسباط، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام أنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان يقول: طوبى لمن أخلص لله العبادة والدّعاء ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ولم ينس ذكر الله بما تسمع اُذناه و لم يحزن صدره بما اُعطي غيره.

٤ - عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمّد، عن المنقري، عن سفيان بن عيينة، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: « ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً » قال: ليس يعني أكثر عملاً ولكن أصوبكم عملاً و إنّما الإصابة خشية الله والنيّة

قوله (طوبى) أى الجنة أوطيبها أو شجرتها أوالعيش الطيب أو الخير لمن أخلص لله العبادة والدعاء وقصده بهما لاغيره. ولم يشغل قلبه عن الله و طاعته بما ترى عيناه من متاع الدنيا و زخارفها الشهية و صورها البهية ولم ينس ذكر الله بالقلب واللسان بما تسمع أذناه من الاصوات الداعية الى الدنيا والكلمات المحركة عليها و لم يحزن صدره بما اعطى غيره من أسباب العيش و حرم هو، والاتصاف بهذه الصفات العلية انما يتصور لمن قطع عن نفسه العلائق الدنية ، والله هوالموفق.

قوله (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) قال الله تعالى «تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذى خلق الموت والحيوة ليبلوكم أيكم أحسن عملا» وصف نفسه أولا بان التصرف فى الممكنات منوط بيد قدرته الكاملة وليس لاحد أن يمنعه من ذلك، و ثانيا بان قدرته نافذة فى كل واحد منها، وليس لشيء منها اباء عن نفاذها ،و ثالثاً بأنه خلق الموت و الحياة أى قدرهما أو أوجدهما، و فيه دلالة على أن الموت أمر وجودى، والمراد بالموت الموت الطارى على الحياة أو العدم الاصلى فانه قديسمى موتاً أيضاً، و تقديمه على الاول لانه ادعى الى حسن العمل و أقوى فى ترك الدنيا و لذاتها بالاختيار لملاحظة أن الترك لابد منه بالاضطرار، و على الثانى ظاهر لتقدمه بحسب التقدير، ثم علل الوصف الاخير بقوله «ليبلوكم أيكم أحسن عملا» أى ليعاملكم معاملة المختبر مع صاحبه، فهو تمثيل لحاله بحال المشاهد المعلوم منا لزيادة التنوير والايضاح ،و قوله «أيكم» مفعول ثان لفعل البلوى باعتبار تضمينه معنى العلم. و وجه التعليل أن الموت داع الى حسن العمل لكمال الاحتياج اليه بعده والحياة نعمة تقتضيه و توجب الاقتدار به، وان اريد به العدم الاصلى فالمعنى أنه نقلكم منه وألبسكم لباس الحياة لذلك الاختبار، ولما كان اتصافنا بحسن العمل يتحقق بكثرة العمل تارة و باصابته اخرى أشار الى نفى ارادة الاول بقوله :

(وليس يعنى أكثر عملا) يعنى لم يرد جل شأنه بقوله : « أحسن عملا » أكثر عملا

الصادقةوالحسنة ، ثمّ قال: الا بقاء علىالعمل حتى يخلص أشدّ من العمل،والعمل الخالص: الّذي لاتريد أن يحمدك عليه أحدٌ إلاّالله عزّوجلّ والنيّةأفضل من

لان مجرد كثرة العمل من غير خلوصه وجودته ليس أمراً يعتدبه بل هو تضييع للعمرفيما لاينفع. والىارادة الثانى بقوله:

(ولكن أصوبكم عملا) لان صواب العمل وجودته و خلوصه من الشوائب الرذيلة يوجب القرب منه تعالى وله درجات متفاوتة يتفاوت القرب بحسبها كلما كان أصوب كان من الرد أبعد و من القبول أقرب ، ثم بين الاصابة و حصرها فى أمرين بقوله . (انما الاصابة خشية الله والنية الصادقة والحسنة) تنبيهاعلىأنقطع المسافة الى حظائر القدس لايتصور بدونهما ، و ذلك لان قطع المسافة العقلية يحتاج الى آلة و أسباب و دفع موانع كقطع المسافة الحسية فلابد للسائر الى الله تعالى من أمرينأحدهما العمل الصالح و هو بمنزلة المركوب يوصل راكبه الى غاية مناه، والعمل الصالحلايتحصل ولايتقوم بدون نية صادقة حسنة، وهى أن يقصد بالعمل وجهالله تعالى والتقرب اليه لا غيره اذلو قصد غيره قيدمركوبه بقيدوثيق يمنعه من الحركة من موضعه فيبقى متحيراً بلقديرجع قهقرى الى أسفل السافلين باعانة قومآخرين، و ثانيهما حفظ العمل الصالح عن الاحباط بارتكاب المحارم و ذلك انما يحصل بملكةالخشية والخوف من الله سبحانه وهى حالةتحصل بملاحظة عظمة الحق و هيبته و مشاهدة جلال كبريائه و لذة قربه و قبح مخالفته و شناعة معصيته و سوء عاقبتهما و لذلك قال الله تعالى «انما يخشى الله من عباده العلمؤ ». ثم أشار الى أن اصابة العمل و خلوصه ليس بمجرد وقوعه كذلك بل باعتبار بقائه واستمراره مادام العمر كذلك أيضا بقوله:

(الابقاء على العمل حتى يخلص اشد من العمل)روى المنصف(ره) فى باب الرياء باسناده عن علىبن أسباط عن بعض أصحابه عن أبىجعفر «ع»أنه قال: « الابقاء علىالعمل أشد من العمل، قال: و ما الابقاء علىالعمل؟ قال: يصل الرجل بصلة و ينفق نفقةلله وحده لاشريك له فتكتب له سراً، ثم يذكرها فتمحىفتكتب له علانية ثم يذكرها فتمحى وتكتب له رياء» و فى الصحاح يقال: أبقيت على فلان اذا رعيت عليه و رحمته، و يحتمل أن يكون المقصود هنا أن رعاية العمل وحفظه عند الشروع فيه و بعده الىالفراغ منهوبعدالفراغالى الخروج من الدنيا حتى يخلص و يصفو عن الشوائب الموجبة لنقصانه أو فساده أشد من العمل نفسه، و ذلك لان خلوصه و صفاءه لايتحقق بمجرد أن يقول أصوم مثلا قربة الى الله

. . . .

و اخطار معناه بالبال و استعمال الجوارح والا لكان المنافق باظهار كلمة الشهادة و اخطار معناها مؤمناً بل لابد مع ذلك من تأثر القلب عن العمل و انقياده الى الطاعة و اقباله اليه جل شأنه و انصرافه عن الدنيا وما فيها حتى يرى الناس كالاباعر ولايتحصل ذلك الابتحصيل الفضائل النفسانية والملكات الروحانية والاجتناب عن رذائلها، فان النفس مادامت عارية عن تلك الملكات والفضايل ومتصفة بالماكات الخبيثة والرذائل تنبعث الى الفعل وتقصده وتميل اليه وتظهره ولو بعد حين تحصيلا للغرض الملائم لها بحسب مايغلب فيها من تلك الصفات الرذيلة وتحصيل هذه الامور مشكل جداً لايتيسر الوصول اليها الا لذوى الفطرة السليمة والفكرة المستقيمة، فقد ظهر مما قررنا أن حفظ العمل من موجبات النقص والفساد أشد و أصعب من نفس العمل. ومنه يظهر سر مارواه العامة والخاصة عنه «ص» «نية المؤمن خير من عمله»، ثم أشار الى تفسير العمل الخالص وخلاصة القول فيه بقوله:

(والعمل الخالص الذى لاتريد أن يحمدك عليه أحد) حين العمل وبعده (الا الله تعالى) تنبيها على أن الرياء و قصد المدحة والسمعة مناف للخلوص و حقيقة الرياء ارادة مدح الناس على العمل والسرور به والتقرب اليهم باظهار الطاعة و طلب المنزلة فى قلوبهم والميل الى اعظامهم له و توقيرهم اياه و استجلاب تسخيرهم لقضاء حوائجه وقيامهم بمهماته و هو الشرك بالله العظيم، قال رسول الله «ص» : «من صلى صلاة يرائى بها فقد أشرك، ثم قرأ «قل انما أنا بشر مثلكم - الاية» و فى قوله «لاتريد» اشارة الى أنه لو مدحه الناس على عمله من غير ارادته و سروره به لايقدح ذلك فى خلوص عمله بل هو من جميل صنع الله تعالى ولطفه به كما ورد فى بعض وحيه «عملك الصالح عليك ستره و على اظهاره» و أمثال ذلك فى الروايات كثيرة وان دخله سرور باطلاع الناس و مدحهم فان كان سروره باعتبار ان الله تعالى أظهر جميله و شرفه عليهم لابحمدهم و حصول المنزلة فى قلوبهم، أو باعتبار أنه استدل باظهار جميله فى الدنيا على اظهار جميله فى الاخرة على رؤس الاشهاد أو باعتبار أنهم يحبون طاعة الله تعالى و ميل قلوبهم اليها فلايقدح ذلك فى الخلوص وان كان باعتبار رفع منزلته عندهم و تعظيمهم اياه الى غير ذلك من التسويلات النفسانية والتدليسات الشيطانية فهذا رياء وشرك محبط للعمل و ناقل له من كفة الحسنات الى كفة السيئات و من ميزان الرجحان الى ميزان الخسران، و لذلك ورد فى كثير من الروايات الامر باخفاء العمل و استاره حفظاً له عن الرياء المنافى لاخلاصه المفسد له بالكلية، و ظاهر هذا التفسير يدل على أن قصد الثواب أو الخلاص من العقاب لاينافى الخلوص كما يدل عليه كثير من الروايات مثل قوله «ص» : «من

العمل، ألا و إنَّ النيّة هي العمل، ثمّ تلا قوله عزّوجلّ : « قل كلٌّ يعمل على شاكلته» يعني على نيّته .

٥- و بهذا الاسناد قال: سألته عن قول الله عزّوجلّ : « إلاّ من أتى الله بقلب

ترك معصية لله مخافة الله عزوجل أرضاه يوم القيامة» وقوله «قال الله تعالى« لايتكلوا العاملون لى على أعمالهم التى يعملونها لثوابى-الحديث» و ذهب جماعة من العلماء الى أنه ينافى الاخلاص و يفسد العمل ودليلهم ضعيف والاحتياط ظاهر.

قوله (والنية أفضل من العمل) النية فى اللغة عزم القلب على أمر من الامور،وفى العرف ارادة ايجاد الفعل على الوجه المأمور به شرعاً، و تلك الارادة اذا تحققت فيه تسرى الى الاعضاء و تحركها الى افعالها ،وهى أفضل الاعمال، و اذا ضم هذا مع قوله «ع» : «أفضل الاعمال أحمزها» يفيد أن النية أحمزها، و هو كذلك لان النية الخالصة يتوقف على قلع القلب عن حب الدنيا و نزعه عن الميل الى ماسوى الله تعالى، وهذا أشق الاشياء على النفس. و لهذا قال «ص»:«رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر» حيث عد الجهاد الذى هو أشق الاعمال البدنية أصغر من جهاد النفس و صرف وجهها عن غير الله لانه أشق والاشق أفضل لما مر. على أن المراد نية المؤمن وهى أدوم و ثمرتها أعظم من الاعمال لان نيته أن لو بقى أبد الابدين أن يكون مع الايمان بالله والطاعة له وهذه النية من لوازم الايمان و دائمة لاتنقطع بخلاف العمل فانه ينقطع ولو بقى الى مائة سنة أو أزيد و ثمرتها الخلود فى الجنة. والذى يدل عليه ماروى عن أبي عبدالله «ع» «انما خلد أهل النار فى النار لان نياتهم كانت فى الدنيا أن لو بقوا فيها أن يعصوا الله أبداً، و انما خلد أهل الجنة فى الجنة لان نياتهم كانت فى الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيات خلد هؤلاء و هؤلاء، ثم تلا «قل كل يعمل على شاكلته» قال : «على نيته» فالعمل تابع النية فى الرد والقبول والكمال و النقصان، و فرع لها و هذا وجه آخر لكونها أفضل من العمل لان الاصل أفضل من الفرع و من أراد أن يعلم وجوها آخر لافضليتها فليرجع الى ماذكره الشيخ فى الحديث السابع و الثلاثين من الاربعين.

قوله (ألا و ان النية هى العمل) لماكان نظام العمل وكماله و نقصانه وقبوله ورده تابعة للنية و مسببة عنها بالغ فى حمل العمل عليها بحرف التنبيه وحرف التأكيد واسمية الجملة و تعريف الخبر باللام المفيد للحصر، و ضمير الفصل المؤكد له، ويندفع به ماعسى أن يتوهم من أن التفضيل انما يتعارف اذا كان المفضل من جنس المفضل عليه، والنية ليس من جنس العمل. ...

سليم» قال: القلب السليم الّذي يلقى ربّه وليس فيه أحد سواه، قال: و كلّ قلب فيه شرك أوشكٌ فهو ساقط و إنّما أراد بالزهد في الدّنيا لتفرغ قلوبهم للاخرة.

٦- بهذا الإسناد، عن سفيان بن عيينة، عن السّندي، عن أبي جعفر عليه السلام قال ما أخلص العبد الإيمان بالله عزّوجلّ أربعين يوماً - أو قال ما: أجمل عبد ذكر الله عزّوجلّ أربعين يوماً - إلاّ زهّده الله عزّوجلّ في الدّنيا وبصّره داءها و دواءها

قوله (و ليس فيه أحد سواه) أى شغل بربه عن غيره من المال والولد وغيرهما كمال قال الله تعالى «يا ايها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون».

قوله (و كل قلب فيه شرك) لعبادة النفس والشيطان أوشك لميله الى الدنيا وحبه لها وان كان فارغاً عنها فهو ساقط عن الاعتبار أو عن قرب الحق، و انما أرادوا بالزهد فى الدنيا و تركها لتفرغ قلوبهم للاخرة و تتفكر فى أمرها و ما يوجب النجاة والترقى فيها من ذكر الله و طاعته فى الظاهر والباطن فلافائدة فى تركها ظاهراً مع اشتغال القلب بها وحبه لها وميله الى عبادة النفس والشيطان. و قال بعض الحكماء: اثنان فى العذاب سواء غنى حصلت له الدنيا فهو بها مشغول مهموم، و فقير زويت عنها فنفسه تنقطع عليها حسرات فلا تجد اليها سبيلا . و الحاصل أن ترك الدنيا لتطهير القلب عن حبها و عن طاعة النفس و الشيطان و تصفيته عن غيره تعالى لينمو فيه بذر المحبة والذكر و يرتقى الى المقام القرب ولايتحقق ذلك بالقلب الملوث بشهواتها كالبذر فى أرض السبخة.

قوله (ما أخلص العبد الايمان بالله) لعل المراد بالعبد العبد العالم لان الاخلاص مرتبة عالية للعلماء لايمكن حصوله بدون العلم بالمطالب. وبالايمان الايمان الكامل و هو الاعتقاد بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان، و بالاخلاص تجريد جميع ذلك عن غير وجه الله تعالى وتطهير القلب عماسواه وان كان لازماً للفعل فلو أعتق العبد لله مع قصد الفراغ من انفاقه أيضاً، أوصلى فى الليل مع قصد حفظ متاعه ، أوتوضأ لله مع قصد تبرده أو أعطى السائل لله مع قصد تخلصه من ابرامه أو عمل طاعة أوترك معصية لقصد الفوز بالثواب والنجاة من العقاب، فالظاهر أن هذه القصود تنافى الاخلاص كما ذهب اليه جمع كثير من العلماء أو تنافى كماله كما ذهب اليه طائفة . و بالاربعين هذا العدد اذ فيه يبلغ الانسان الى كماله فى القوة العقلية والقوى الادراكية فيستعد استعداداً تاماً لان يزهده الله فى الدنيا و يوفقه لتركها .

قوله (فزهده (١) فيها و صرف قلبه عنها وبصره داءها و دواءها) أى قدر الضرورة

---

(١) كذا .

فأثبت الحكمة في قلبه و أنطق بها لسانه، ثمّ تلا: « إنّ الّذين اتّخذوا العجل سينالهم غضبٌ من ربّهم و ذلّةٌ في الحيوة الدّنيا و كذلك نجزي المفترين » فلاترى صاحب بدعة إلّا ذليلاً و مفترياً على الله عزّ وجلّ و على رسوله صلّى الله عليه وآله و على أهل بيته صلوات الله عليهم إلّا ذليلاً.

منها و الزائد عليه أو ميل القلب اليها و صرفه عنها أو الضار و النافع منها فى الاخرة أعنى المعصية والطاعة.

قوله (فأثبت الحكمة فى قلبه) أى جعلها راسخة فيه بحيث يرى بهاصور الحقائق الملكوتية وجمال الاسرار اللاهوتية، و يجوز أن يقرأ «أنبت» بالنون فيكون تمثيلا لزيادتها و نموها بالاخلاص بانبات الزرع و نموه بالماء لقصد الايضاح.

قوله (و أنطق بها لسانه) فيتكلم ما ينفعه و ينفع غيره فى الدنيا و الاخرة حتى يعد فى الصديقين و هذه الخواص الخمس المرتبة على الاخلاص امهات المنجيات.

قوله (ثم تلا) لعل الغرض من تلاوتها هو التنبيه على أن غير المخلص مندرج فيها والوعيد متوجه اليه أيضاً لانك قدعرفت أن قلبه ساقط لكونه ذاشرك أو شك وهما بدعة و افتراء على الله ورسوله. والاية على تقدير نزولها فى قوم مخصوصين لايقتضى تخصيص الوعيد وهو الغضب والذلة بهم، لان الامر اذا جرى على قوم لصفة وجدت فى غيرهم هى أو نظيرها جرى ذلك الامر فى ذلك الغير أيضاً، و من ثم قيل «خصوص السبب لايوجب تخصيص الحكم» و على هذه فالاية بيان لفحوى الحديث وحجة لمفهومه، فهى و ان نزلت فى أصحاب السامرى لكن جرى حكمها فى أصحاب سامرى هذه الامة و يلحق الغضب والعقوبة والذلة بهم آجلا وعاجلا لقتلهم و أسرهم عند ظهور الدولة القاهرة، و كذا جرى حكمها فى أصحاب الشرك والشك والبدعة والافتراء الى يوم القيامة، والله أعلم.

قوله (و كذلك) أى مثل جزاء من اتخذ العجل من الغضب والذلة.

قوله (نجزى المفترين) لانهم أيضاً اتخذوا العجل اذ العجل ما يعبد من دون الله وهم يعبدون أهواءهم و مفتريات نفوسهم.

قوله (فلاترى صاحب بدعة) أى فلاترى صاحب كل بدعة، الا ذليلا فى الدنيا و الاخرة لان الذلة مترتبة على اتخاذ العجل و اتخاذ العجل اتخاذ بدعة على الاطلاق و قوله «ومفتريا» عطف على صاحب بدعة أى فلاترى مفترياً على الله الى آخره الاذليلا ولله العزة ولرسوله و للمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون.

باب الشرائع

١ـ عليُّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمدبن محمّد بن أبي نصر و عدَّة من أصحابنا، عن أحمدبن محمّدبن خالد، عن إبراهيم بن محمّد الثقفي، عن محمّدبن مروان جميعاً، عن أبان بن عثمان، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنَّ الله تبارك و تعالى أعطى محمّداً صلى الله عليه وآله شرائع نوح و إبراهيم و موسى و عيسى عليهم السلام: التوحيد و الإخلاص و خلع الانداد والفطرة الحنيفيّة السمحة ولارهبانيّة ولاسياحة، أحلَّ فيها الطيّبات و حرَّم فيها الخبائث ووضع عنهم إصرهم والأغلال الّتي كانت عليهم،

قوله (باب الشرايع) تذكر فيه الشرايع المعروفة وأصحابها وهم اولو العزم من الرسل و ما يشترك بينهم من غير تعيين وما لايشترك أصلا او بدونه.

قوله (التوحيد والاخلاص وخلع الانداد) الانداد جمع «ند» بالكسر وهو مثل الشيء يضاده فى اموره و يناده أى يخالفه يريد بها ما كانوا يتخذونه آلهة من دون الله و هذه الثلاثة بدل من الشرايع بدل البعض من الكل ليفيد أن الاشتراك بينهم فى هذه الاصول الثابتة فى جميع الشرايع ولم ينكرها أحد من الانبياء، و يرشد اليه قوله تعالى «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا اليك و ما وصينا به ابراهيم و موسى و عيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه» و انما خصها بالذكر مع تحقق الاشتراك فى غيرها مثل الصوم والصلاة و الوضوء والجهاد للاهتمام بها و لعدم تغيرها و اختلافها بوجه بخلاف غيرها لاختلاف الكيفيات فيه، على أن عدم الحكم بالاشتراك لايدل على الحكم بعدم الاشتراك ولم يتعلق غرض بذكر جميع المشتركات.

قوله (والفطرة الحنيفية السمحة) عطف على شرايع و اشتراك بعض ما يذكر. لا ينافيه لعدم دلالته على الاختصاص على أن كيفيته غير كيفية ما فى الشرايع السابقة فكانه بهذه المغايرة غير مشترك، والمراد بها الملة المايلة من الباطل الى الحق أو من الكفر الى الاسلام التى ليس فيها ضيق ولاحرج.

قوله (لارهبانية ولاسياحة) الرهبانية التزام رياضات شديدة و مشقات عظيمة كالاختصاء و اعتناق السلاسل و لبس المسوح و ترك اللحم ونحوها، و السياحة: مفارقة الاوطان والامصار و الذهاب فى الارض و سكون الجبال و المغارات والبرارى و قدكانتا فى شريعة عيسى «ع» استحساناً.

قوله (أحل فيها الطيبات) أى أحل فى هذه الفطرة الطيبات كالشحوم و غيرها

ثمّ افترض عليه فيها الصّلاة والزكاة والصيام والحجّ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحلال والحرام والمواريث والحدود والفرائض والجهاد في سبيل الله . و زاده الوضوء وفضّله بفاتحة الكتاب و بخواتيم سورة البقرة والمفصّل و أحلّ له

مما حرم عليهم أو الاعم منه و مماطاب فى الحكم مثل « ما ذكر اسم الله عليه» من الذبائح و ماخلا كسبه من السحت وغيرهما ، و حرم فيها الخبائث مثل الخمور والارواث والابوال و الدم والميتة و لحم الخنزير والكلب و غير ذلك ممايتنفر عنه الطبع و تستكرهه النفس و تستخبثه «ووضع عنهم أصرهم والاغلال التى كانت عليهم» الاصر الثقل الذى يأصر حامله أى يحبسه فى مكانه لفرط ثقله ، والمراد الاثم والوزرالعظيم ، و قال صاحب الكشاف هو مثل لثقل تكليفهم و صعوبته نحو اشتراط قتل الانفس فى صحة توبتهم، و كذلك الاغلال مثل لما كان فى شرايعهم من الاشياء الشاقة نحوبت القضاء بالقصاص عمداً كان أو خطاء من غير شرع الدية و قطع الاعضاء الخاطئة و قرض موضع النجاسة من الجلد والثوب و احراق الغنائم و تحريم العروق فى اللحم و تحريم السبت، وعن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلى لبسوا المسوح وغلوا أيديهم الى أعناقهم و ربما ثقب الرجل ترقوته و جعل فيها طرف السلسلة و أوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة انتهى. هذا ان صح و ثبت أنه كان مطلوباً فى شرعهم كان أولى بالارادة لانه أشبه بالاغلال.

قوله (ثم افترض عليه فيها الصلاة) أى افترض على محمد «ع» فى الفطرة التى هى ملته والظاهر أن ثم لمجرد التفاوت فى الرتبة، والمراد بالحلال ماعدا الحرام فيشمل الاحكام الاربعة و بالفرايض ماعدا الفرائض المذكورة أو ماله تقدير شرعى من المواريث و هى أعم منها أو غيرها ممالیس له تقدير وبالوضوء الوضوء على وجه مخصوص وضوء السابقين على تقدير ثبوته كان على وجه آخر كصلاتهم و صيامهم.

قوله (و فضله بفاتحة الكتاب الخ-) لعل المراد بخواتيم سورة البقرة « آمن الرسول الى آخرها » والمفصل سورة محمد الى آخر القرآن و انما خص هذه الثلاثة بالذكر للاهتمام بها و زيادة شرفها بالنسبة الى غيرها و الا فقد فضله بهذا القرآن الذى لم يؤته أحداً من الانبياء .

قوله (و أحل له المغنم والفىء) المغنم الغنيمة وهى ما أخذ من أموال الكفار بحرب و قتال وهى مختصة بالرسول و من يقوم مقامه بل بعضها وهو ماحواه العسكر بعد اخراج الخمس للغانمين و من حضر القتال و ان لم يقاتل و بعضها كالارض المفتوحة عنوة للمسلمين قاطبة و أحكام الكل مذكورة مفصلة فى كتب الاصول والفروع والفىء يطلق تارة على ما أخذ

المغنم والفيء و نصره بالرّعب و جعل له الأرض مسجداً و طهوراً و أرسله كافّةً إلى

بحرب و قتال و هو مرادف للغنيمة فحكمه حكمها و اخرى ما أخذ مطلقاً و هو بهذا المعنى يصدق أيضاً على الانفال المختصة بالرسول و من يقوم مقامه و سر ذلك أن الفيء بمعنى الرجوع فاما ان يراد به الرجوع مطلقاً فهو الثانى أو يراد به الرجوع بغلبة أو قتال فهو الاول ولم يقل أحد بأنه الرجوع بغير قتال و ان أردت زياده توضيح فارجع الى ماذكرنا فى باب الفيء والانفال من هذا الكتاب و فى تقديم له على المفعول و هو المغنم يفيد اختصاصه «ص» باحلالها و هو كذلك لان الغنيمة كانت محرمة على الامم السابقة فكانوا يجمعونها فتنزل النار من السماء فتأكلها و كان ذلك بلية عظيمة عليهم حتى كان قد يقع فيها السرقة فيقع الطاعون بينهم فمن الله تعالى على هذه الامة باحلالها الحمدلله رب العالمين-

قوله (و نصره بالرعب) مع قلة العدة و ضعف العدة و كثرة الاعداء وشدة بأسهم والرعب الفزع والخوف و كان الله تعالى قد اوقع بقدرته القاهرة فى قلوب أعدائه الفزع و الخوف منه حتى اذا كان بينه وبينهم مسيرة شهر هابوه وفزعوا منه قال الله تعالى « لانتم أشد رهبة فى صدورهم - الاية ».

قوله (وجعل الارض له مسجداً وطهوراً) أى جعل له الصلاة فيها كالصلاة فى المسجد الامم السابقة فى الاجر أو جوزله الصلاة فيها دون الامم السابقة لانحصار جواز صلاتهم فى البيع والكنائس، أو جعل له الارض مسجداً للجبهة لزيادة الخضوع والتقرب و كان لهم السجود على غيرها و كذلك جعل له الارض طهوراً تطهر أسفل القدم والنعل ومحل الاستنجاء و تقوم مقام الماء عند تعذره فى التيمم ، و المراد بكونه طهورا أنها بمنزلة الطهور فى استباحة الصلاة بها مثلا كاستباحتها بالماء و لو حمل الطهور على ظاهره لدل على ما ذهب اليه السيد المرتضى - رحمه‌الله - من أن التيمم يرفع الحدث الى وجود الماء كما هو مقتضى ظاهر هذه الصيغة.

قوله (و أرسله كافة) الظاهر أن «كافة» حال عما بعدها و نظيره قوله تعالى « وما أرسلناك الا كافة للناس» أى الا للناس جميعاً و من لم يجوز تقديم الحال على ذى الحال المجرور قالوا هى حال عن ضمير المنصوب فى أرسله والتاء للمبالغة أى مانعاً لهم عما يضرهم أو صفة لمصدر محذوف أى ارسالة كافة أو مصدر كالكاذبة والعافية والكل تعسف ودليلهم على المنع مدخول كما بين فى موضعه، وفيه دلالة أن على أحد من الانبياء غيره لم يرسل الى الجميع و حمله بالاضافة الى البعض غير ثابت.

الأبيض والأسود والجنّ والإنس و أعطاه الجزية و أسر المشركين و فداهم، ثمّ كلّف مالم يكلّف أحدٌ من الأنبياء و اُنزل عليه سيف من السماء، في غير غمد و قيل له: « قاتل في سبيل الله لاتكلّف إلّا نفسك».

٢- عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمدبن محمّدبن خالد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعةبن مهران قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: قول الله عزّوجلّ: « فاصبر كماصبر أولوالعزم من الرّسل» فقال: نوح و إبراهيم و موسى و عيسى و محمّد صلى الله عليه وآله وعليهم، قلت: كيف صاروا اُولي العزم؟ قال: لأنّ نوحاً بعث بكتاب

قوله (و أعطاه الجزية و أسر المشركين و فداهم) الجزية عبارة عن المال الذى يقرره الحاكم على الكتابى اذا أقره على دينه و قدرها منوط بحكمه وهى فعلة من الجزاء كأنها جزت عن قتله وأسره. والفداء بالكسر والمد والفتح وبالقصر فكاك الاسير بالمال الذى قرره الحاكم عليه يقال فداه يفديه فداء.

قوله (ثم كلف مالم يكلف أحد من الانبياء)«ثم» هنا أيضاً مثل مامر لان هذا التكليف أعظم التكليفات و أشقها على النفوس البشرية ولايصبر عليها الا من ايده الله تعالى بالنفس المقدسة وقد نقل أنه «ص» أقدم فى حرب حنين بعد انهزام أصحابه على أعدائهم الذين لم يعلم عددهم الاالله و أظهر اسمه الشريف فقال أنا محمدبن عبدالله. وهذا دل على كمال شجاعته صلى الله عليه وآله.

قوله (و انزل عليه سيف من السماء فى غير غمد) لعل اسمه ذوالفقار و هو عند الصاحب « ع » و كونه فى غير غمد تحريض له على القتال و اشارة الى أن سيفه ينبغى أن لايغمد .

قوله (و قيل له قاتل -الخ)قال القاضى « قاتل فى سبيل الله »ان تثبطوا وتركوك وحدك، لايكلف الافعل نفسك، لايضرك مخالفتهم وتقاعدهم، فتقدم الى الجهاد ان لم يساعدك أحد فان الله ناصرك لاالجنود .

قوله (فاصبر) أمره بالصبر من المصايب و أذى القوم و مشاق التبليغ و التكاليف كما صبر اولوالعزم من الرسل، سموا بذلك لان جدهم و صبرهم كان أعلى و أكمل ولعزيمة كل واحد نسخ شريعة من قبله. و ترك كتابه لاكفراً ولاانكاراً لحقيقته ، بل ايماناً به و بصلاحه فى وقت دون آخر وللنسخ مصالح يعلمها الله تعالى والعبد مأمور بالتسليم وكان من جملتها ابتلاء الخلق و اختبارهم فى ترك ما كانوا متمسكين به فى الدنيا والدنيا دار الابتلاء و كل ما يجرى على الخلق فيها من الصحة و السقم و الغنى و الفقر والتكاليف و غيرها كان الغرض منه هوالابتلاء .

و شريعة و كلّ من جاء بعد نوح أخذ بكتاب نوح و شريعته و منهاجه، حتّى جاء إبراهيم عليه السلام بالصحف وبعزيمة ترك كتاب نوح لا كفراً به فكلّ نبيّ جاء بعد إبراهيم عليه السلام أخذ بشريعة إبراهيم ومنهاجه وبالصّحف حتّى جاء موسى بالتوراة وشريعته، ومنهاجه، وبعزيمة ترك الصحف و كلّ نبيّ جاء بعد موسى عليه السلام أخذ بالتوراة و شريعته ومنهاجه حتّى جاء المسيح عليه السلام بالانجيل؛ و بعزيمة ترك شريعة موسى ومنهاجه فكلّ نبيّ جاء بعد المسيح أخذ بشريعته ومنهاجه، حتى جاء محمّد صلى الله عليه وآله فجاء بالقرآن و بشريعته ومنهاجه فحلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة، فهؤلاء اُولو العزم من الرُّسل عليهم السلام.

(باب دعائم الاسلام)

١- حدّثني الحسين بن محمّد الأشعري، عن معلّى بن محمّد الزيادي، عن الحسن بن عليّ الوشّاء قال: حدّثنا أبان بن عثمان، عن فضيل، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام: قال: بني الإسلام على خمس: على الصّلاة والزكاة والصوم والحجّ والولاية ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية.

٢- عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس بن عبدالرّحمن، عن عجلان أبي صالح قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أوقفني على حدود الإيمان، فقال

قوله (بنى الاسلام على خمس) لعل المراد بالاسلام هنا جميع ماجاء به النبى «ص» من الدين الحق المشار اليه فى قوله تعالى ان الدين عندالله الاسلام و قوله «اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام ديناً» و قوله « و من يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه» والامور الخمسة المذكورة أعظم أركانه و أكمل أجزائه المعتبرة فى قوامه والولاية أعظم الخمسة، ولم يناد بشىء منها مثل مانودى بالولاية لان النداء بها وقع مكرراً غير محصور وفى مجمع عظيم فى غدير خم بخلاف غير الولاية فانه لم يقع التكرار فيه مثل التكرار فيها و لم يقع فى مجمع مثل مجمعها والمؤمن و المسلم بهذا الاسلام مترادفان و ماشتهر من أن بينهما عموماً و خصوصاً مطلقاً فهو باعتبار معنى آخر سيجىء ان شاء الله تعالى .

قوله (أو قفنى على حدود الايمان) يدل مع عنوان الباب على أن الايمان

شهادة أن لا إله إلاّ الله و أنّ محمّداً رسول الله و الاقرار بما جاء به من عندالله و صلوة الخمس وأداء الزكاة وصوم شهر رمضان وحجّ البيت و ولاية وليّنا و عداوة عدوّنا والدخول مع الصادقين .

٣ـ أبوعليّ الأشعريّ ، عن الحسن بن عليّ الكوفي ، عن عبّاس بن عامر ، عن أبان بن عثمان ، عن فضيل بن يسار ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: بني الاسلام على خمس: على الصّلاة والزكاة والصوم والحجّ والولاية ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية ، فأخذ النّاس بأربع و تركوا هذه ـ يعني الولاية ـ .

٤ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن ابن العرزمي ، عن أبيه ، عن الصادق عليه السلام قال: قال: أثافيّ الاسلام ثلاثة: الصلاة والزكاة

و الاسلام فيه متحدان ، و لعل المراد بالايمان الفرد الكامل منه لما ذكرنا سابقاً أن العمل غير داخل فى حقيقته أصلا ، على أن حدود الشيء خارجة عنه فلا دلالة فيه على أن العمل جزء منه .

قوله (فقال شهادة أن لا اله الا الله ـ الخ) أى بالقلب واللسان كما تقتضيه الشهادة وأيضاً الكتمان مع القدرة على الاظهار لايجوز ، والاظهار بدون الاعتقاد نفاق ، وقال بعض العامة خصوص الشهادة غير معتبر فلو قال: الله واحد ومحمد رسول الله كفى. واعلم أن أول الواجبات بعد البلوغ الشهادتان اذ قدلايكون وقته وقتاً لغيرهما ولتقدمهما فى جميع الاخبار الا ما شذ وليس ذلك الالتأكده والاهتمام به.

قوله (والاقرار بماجاء به من عندالله) اجمالا قبل العلم وتفصيلا بعده.

قوله (وولاية ولينا) أى ولاية ولينا أهل البيت. قال فى المصباح الولاية بالفتح والكسر النصرة ، ويحتمل أن يراد بها الحكومة العامة والاضافة على الثانى لامية و على الاول من باب اضافة المصدر الى المفعول و هو أنسب بما بعده ، و لعل المراد بالدخول مع الصادقين الدخول فيما دخلوا من الاحكام وغيرها ومتابعتهم فيها وان لم يعلم وجه الحكمة اذ صدقهم و عصمتهم يقتضى وجود الحكمة فى نفس الامر ووجوب التسليم بها.

قوله (و تركوا هذه يعنى الولاية) لما فيه من دواعى الترك مثل الحسد و البغض و العناد ما ليس فى الاربع ، و الظاهر أن «يعنى» من المصنف أو الفضيل مع احتمال أن يكون منه «ع» .

قوله (أثا فى الاسلام ثلاثة ـ الخ) الاثافى جمع الاثية بالضم والكسر وهي الاحجار

والولاية، لاتصحّ واحدةٌ منهنّ إلاّ بصاحبتيها.

٥ـ عليُّ بن إبراهيم، عن أبيه و عبدالله بن الصلت جميعاً ، عن حمّاد بن عيسى عن حريز بن عبدالله، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: بني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحجّ والصوم والولاية، قال: زرارة: فقلت : و أيُّ شيء من ذلك أفضل؟ فقال : الولاية أفضل، لأنّها مفتاحهنّ والوالي هو الدّليل

التى يوضع عليها القدر و تخصيص الثلاثة بالذكر لزيادة العناية و الاهتمام دون الحصر فلاينافى ما سبق من أنها خمسة تشبيها بالاثافى للتنبيه على أن الاسلام لا يستقيم ولا يثبت بدونها كالقدر بدون الاثافى، ثم ان اريد بالإسلام الدين كما مرو هو الظاهر من أحاديث الباب فالثلاثة أجزاء له أشرف و أفضل من سائر أجزائه و ان اريد به الايمان الكامل فكذلك على احتمال، وان اريد به الايمان بمعنى التصديق فهى خارجة عنه و سبب لثباته و بقائه اذ التصديق أدنى مراتب الايمان والاسلام واذا لم يؤيد بها يفلت بسرعة والتشبيه يؤيد الاخير اذ الاثافى خارجة عن القدر و سبب لبقائه، والله أعلم.

قوله (لاتصح واحدة منهن الابصاحبتيها) يظهر ذلك بالنظر الى الاثافى وهو يدل على «أن واحدة أو اثنتين منها لاتنفع بدون الاخرى و يؤيد ذلك ما روى عن أبى جعفر «ع» قال «ان الله تبارك تعالى قرن الزكاة بالصلاة فقال «أقيموا الصلوة و آتوا الزكوة » فمن أقام الصلوة و لم يؤت الزكاة فكأنه لم يقم الصلاة » و ما روى عن أبى عبدالله «ع» قال : «أولما يحاسب به العبد الصلاة فاذا قبلت قبل سايرعمله و اذا ردت عليه رد عليه سايرعمله» والروايات الدالة على أن شيعة على «ع» من تبعه لامن يقول أنا احبه و يخالفه كثيرة و يفهم من هذه الروايات و أمثالها أن قبول كل واحد من الثلاثة مشروط بالاخرين منها ولئن تنزلنا عن ذلك فلاريب فى أن كمالها مشروط بهما والله المستعان.

قوله (الولاية أفضل) يعنى أن الولاية أفضل من المذكورات لانها مفتاحين بها ينفتح أبواب معرفة تلك المذكورات و حقايقها و شرايطها و آدابها و موانعها و مصلحها و مفسدها، والوالى و هو الحاكم الامين المنصوب من قبل الله تعالى هو الدليل عليهن لا غيره لظهور أنهن امور متلقاة منه تعالى الى صاحب الوحى فلابد أن تسمع منه و يتمسك فى معرفتها بذيله أو بمن يقوم مقامه بأمره لا بالاراء الفاسدة والعقول الناقصة الكاسدة التى من شأنها أن يزيد وينقص و يخترع و يبتدع، وليس لها حينئذ فضل فكيف أن نكون أفضل من الولاية التى بها قوامها و تحققها على الوجه المطلوب لله تعالى، وبالجملة المحتاج اليه من حيث هو أفضل من المحتاج و منه يظهر أن الوالى أفضل من غيره والا لزم

عليهنّ ،قلت: ثمّ الّذي يلي ذلك في الفضل ؟ فقال: الصلاة إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «الصلاة عمود دينكم » قال: قلت : ثمّ الّذي يليها في الفضل؟ قال: الزكاة لأنّه قرنها

أن يكون الامير مأموراً هذا خلف .

قوله (فقال الصلاة) حكم «ع» بأن الصلاة أفضل من الزكاة و الحج و الصوم وقوله حجة الا أنه تمسك بقول رسول الله (ص) «الصلاة عمود دينكم » استظهاراً و تقوية و تقويماً لقلب السايل و اشعاراً بأن قوله «ص» «عمود دينكم» حيث شبه الدين بالفسطاط و أثبت العمود له على سبيل المكنية والتخييلة و حمل العمود على الصلاة من باب التشبيه البليغ دليل واضح على أن الصلاة أفضل ماسواها لان بفسادها يفسد الدين بالكلية ولاينتفع به كما أن الفسطاط لاينتفع به مع وجود الطنب والاوتاد بانتفاء العمود، و قول الصادق «ع» «ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة» و قوله «ع» «أحب الاعمال الى الله عزوجل الصلاة أيضاً دليل واضح على ذلك، و لعل المراد بالصلاة هنا الصلاة المفروضة بدليل أن الصلاة أفضل من الزكاة التى هى أفضل من الحج والحج أفضل من عشرين صلاة نافلة ولما روى عن الصادق «ع» قال: «صلاة فريضة خير من عشرين حجة ـ الحديث» لايقال هذا ينافى ما روى أن الحج أفضل من الصلاة والصيام لان المصلى يشتغل عن أهله ساعة و أن الصايم يشتغل عن أهله بياض يوم و أن الحاج يشخص بدنه و يضحى نفسه و ينفق ماله و يطلب الغيبة عن أهله لافى مال يرجوه ولا الى تجارة، و ما روى عن النبى «ص» قال: «أفضل الاعمال أحمزها» أى اشقها اذ المشقة فى الحج أكثر، لانا نقول يمكن الجواب عن الاول بأن المراد بالصلاة فيما نحن فيه الفريضة و فيما ذكر النافلة و تحقق العلة المذكورة فى الفريضة أيضاً غير مسلم لان فعلها متوقف على معرفتها أربعة آلاف باب من المقدمات والمقارنات و الواجبات و المندوبات والكيفيات والمحرمات والمكروهات والتروك القلبية واللسانية والاركانية وتحصيلها لايمكن بدون صرف العمر والمشقة الشديدة والاشتغال عن الاهل فى أزمنة طويلة بخلاف الحج فان مسايله وان كانت كثيرة لكن لايبلغ كثرة مسايل الصلاة المفروضة، ومن هذا تبين أن الفريضة أشق من الحج و بهذا يندفع الثانى أيضاً وقد يجاب عنه بان ذلك فيما اذا كان المفضل والمفضل عليه من نوع واحد كالوضوء فى الصيف والشتاء و نحوه و بتخصيصه بالصلاة وعن الاول بأن الحج المشتمل على الصلاة أفضل من الصلاة والصلاة أفضل من الحج متجرداً عن الصلاة و مع قطع النظر عن ثوابها.

قوله (قال الزكاة لانه قرنها بها) حكم بأن الزكاة أفضل من الحج والصوم ونبه عليه بأن الصلاة أفضل منهما و ذكر الصلاة بعد الصلاة فهذا يدل على أن الزكاة أيضاً

بها و بدأ بالصلاة قبلها و قال رسول الله صلى الله عليه وآله :الزكاة تذهب الذنوب. قلت:والّذي يليها في الفضل؟ قال : الحجّ قال الله عزّ وجلّ : « و لله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإنّ الله غنيّ عن العالمين» وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «لحجّة مقبولة خيرٌ من عشرين صلاة نافلة و من طاف بهذا البيت طوافاً أحصى فيه أُسبوعه و أحسن ركعتيه غفر الله له» و قال في يوم عرفة و يوم المزدلفة ما قال: قلت: فماذا

أفضل منهما لان مقارنتهما دالة على اشتراكهما فى الافضلية و تقاربهما فى الرتبة الا انه لما بدأ بالصلاة قبل الزكاة علم أن الصلاة أفضل من الزكاة لان الاهم أولى بالتقديم لا لان العطف تقتضيه.

قوله (و قال رسول الله «ص» الزكاة تذهب الذنوب)هذا دليل آخر على أن الزكاة فضل من الحج فان قلت: الحج أيضاً يذهب بالذنوب فلادلالة فيه على ما ذكر فالاولى أن يجعل هذا مع السابق دليلا واحداً لان هذا المجموع لم يوجد فى الحج. قلت : يمكن أن يكون المقصود أن الزكاة علة لمحو الذنوب و ذهابها و لم يثبت أن الحج علة مستقلة لمحوها لجواز أن يكون محوها بعد الحج على سبيل التفضل دون الوجوب و هذا القدر كاف فى التفضيل.

قوله (ولله على الناس حج البيت) دليل على أن الحج أفضل من الصوم و الدلالة فى قوله« ومن كفر» حيث عد ترك الحج كفراً دون الصوم و ترك ذكر العقاب المترتب عليه تعظيماً وتفخيماً و ذكر فى موضعه مايدل على كمال غنائه عن غيره عموماً و هو يشعر بأن جزاء اعمالهم عايده اليهم ان خيراً فخيراً و ان شراً فشراً ففيه أيضاً تذكر للعقاب على تركه و فى قوله« غفر له» حيث لم يقل الحج يذهب الذنوب كما قال فى الزكاة نوع اشعار بماذكرناه سابقاً وكان «قوله وقال فى يوم عرفة ويوم المزدلفة ماقال» اشارة الى الاحاديث الواردة فى محو الذنوب بعد الحج.

قوله (و قال رسول الله «ص»: لحجة) هذا انما يدل على أن الحج أفضل من الصوم لو كان عشرون نافلة أفضل من الصوم أو مساوية له و لا يبعد أن يجعل هذا دليلا على أفضليتها بالنسبة اليه .

قوله (أحصى فيه اسبوعه) لعل المراد باحصاء الاسبوع ضبطها و حفظها مجردة عن الزيادة و النقصان وباحسان ركعتيه فعلهما في وقتها ومكانهما مع الشرائط والكيفيات والترتيل .

يتبعه ؟ قال: الصوم ، قلت : و مابال الصوم صار آخر ذلك أجمع ؟ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «الصوم جُنّة من النّار» قال : ثمّ قال : إنّ أفضل الأشياء ماإذا أنت فاتك لم تكن منه توبةٌ دون أن ترجع إليه فتؤدّيه بعينه، إنّ الصلاة والزكاة و الحجّ والولاية ليس يقع شيءٌ مكانها دون أدائها و إنّ الصوم إذا فاتك أو قصرت أو سافرت فيه أدّيت مكانه أيّاماً غيرها و جزيت ذلك الذّنب بصدقة ولاقضاء عليك و ليس من تلك الأربعة شيء يجزيك مكانه غيره، قال: ثمّ قال : ذروة الأمر و

قوله (قلت فما ذا يتبعه قال الصوم) لايقال هذا السؤال ليس على ماينبغي لانه اذا علم أن جميع الاعمال المذكورة فى الحديث أفضل من الصوم فقد علم أن الصوم فى الفضيلة بعدها لانا نقول المقصود من السؤال استعلام وجه تأخير الصوم فى الفضيلة عن الاعمال المذكورة كما أشار اليه بقوله «قلت وما بال الصوم الى آخره» ثم قوله «ع» «الصوم جنة من النار» اشارة الى فضيلة الصوم وسر ذلك ان أعظم أسباب النار هو الشهوات والصوم يكسرها و قوله «ثم ان أفضل الاشياء الى آخره» اشارة الى أن الصوم دون الاعمال المذكورة فى الفضيلة وذلك لانه لما لم يكن لتلك الاعمال بدل كما كان للصوم علم أن الاهتمام بها أعظم و أكمل والثواب المترتب عليها أفخم وأجزل فلذلك اريد وقوعها بعينها.

قوله (ما اذا أنت فاتك) الظاهر أن لفظ أنت زايد و المراد بالتوبة هنا ما يقوم مقامه أو الاعم منه ومن سقوطه رأساً.

قوله (وان الصوم اذا فاتك) أشار الى أقسام الفوت وأحكامه اجمالا لان الفوت اما للعذر مثل المريض و غيره أو للتقصير والتعمد فى تركه أو للسفر واللازم اما القضاء فى مكانه فقط، أو الكفارة فقط أو هما جميعاً. أولا هذا ولا ذاك. و تفصيله فى كتب الفروع،فالصوم قد يكفى الصدقة مكانه ولايجب قضاؤه بخلاف تلك الاربعة فانها لايجرى مكانها الا قضاؤها بعينها.

قوله (ذروة الامر) المراد بالامر الدين و بطاعة الامام انقياده فى كل ماأمر و نهى وهى من حيث أنها أرفع الطاعات مرتبة و اسناها منزلة «كالذروة ، ومن حيث أنها توصل الى المطلوب وهو قرب الحق كالسنام ، ومن حيث أنها سبب للوصول الى جميع الخيرات الدنيوية والاخروية كالمفتاح و من حيث أن بها يتحقق الدخول فى الدين ومعرفة قوانينه كالباب ومن حيث أنها توجب المغفرة والرحمة والدرجات العالية رضاء الرحمن. والضمير في قوله «بعد معرفته» راجع الى الامام أو الي الله تعالي.

سنامه و مفتاحه و باب الأشياء و رضا الرّحمن الطاعة للامام بعد معرفته، إنّ الله عزّوجلّ يقول: « من يطع الرّسول فقد أطاع الله و من تولّى فما أرسلناك عليهم حفيظاً» أما لو أنّ رجلاً قام ليله و صار نهاره و تصدّق بجميع ماله و حجّ جميع دهره ولم يعرف ولاية وليّ الله فيواليه و يكون جميع أعماله بدلالته إليه ماكان له على الله جلّ و عزّ حقٌّ في ثوابه ولاكان من أهل الايمان، ثمّ قال : أُولئك المحسن منهم يدخله الله الجنّة بفضل رحمته.

٦ - محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن صفوان بن يحيى، عن عيسى بن السريّ أبي اليسع قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أخبرني بدعائم الاسلام الّتي لا يسع أحداً التقصير عن معرفة شيء منها، الّذي من قصّر عن معرفة شيء منها فسد عليه دينه ولم

قوله (ان الله عزوجل يقول) كأنه استشهاد لماذكر حيث أن طاعة الرسول و هو الامام المقتدى به عين طاعة الله تعالى و اتصاف طاعة الله تعالى بما ذكر بالامور المذكورة أظهر من أن يخفى **قوله** (اولئك المحسن منهم الخ) كأنه اشارة الى من يطيع الرسول و هو المؤمن العارف بحق الامام والمقصود أن المحسن و هو من أطاعه بعد معرفته فى أقواله و أعماله و أمره و نهيه يدخله الله الجنة قبل الحساب بفضل رحمته ، و أما المسيء فمنهم فقد يناقشه فى الحساب وقد يدخله الجنة بالرحمة أو الشفاعة وقد يجرى عليه الوعيد ، و يحتمل أن يكون اشارة الى من لم يعرف الولاية والمحسن منه وهو الذى لم ينكر الولاية كما لم يعرفها و عمل بالخيرات أعنى المستضعف يدخله الله الجنة بفضل رحمته و سيجيء أن المستضعف فى المشية، والله أعلم.

قوله (أخبرنى بدعائم الاسلام -الخ)أن اريد به الدين كانت دعائمه داخلة فيه جزءاً منه و ان اريد به الايمان الكامل فذلك على احتمال أقوى من احتمال خروجها و شرطيها لقبوله أو لكماله، ولما كان السائل عالماً بأن للاسلام دعائم لا يجوز لاحد التقصير فى معرفتها و فى العمل بها حتى من قصر لم يكن له دين ولم يقبل منه عمل و من عرفها و عمل بها صح دينه و قبل منه عمله ولم يعلمها بخصوصها، سأل عن تعيينها و تفصيلها فأجاب « ع » بأنها أربعة : الشهادتان والاقرار بماجاء به الرسول(ص) اجمالا أو تفصيلا، والزكاة فى الاموال ، و الولاية لال محمد « ص » و الاخبار فى ذكر الدعائم عدداً و كما مختلفة كما يظهر للناظر فيها و لكن هذا الاختلال لا يضر اذ ليس فيما اشتمل على

يقبل [الله] منه عمله، و من عرفها و عمل بها صلح له دينه و قبل منه و عمله و لم يضق به ممّا هو فيه لجهل شيء من الأُمور جهله ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلاّ الله والايمان بأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله والاقرار بما جاء من به عند الله وحقٌّ في الأموال الزكاة ، والولاية الّتي أمر الله عزّ وجلّ بها : ولاية آل محمد صلى الله عليه وآله ، قال : فقلت له : هل في الولاية شيء دون شيء فضل يعرف لمن أخذ به ؟ قال: نعم قال الله عزّ وجلّ : «يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرّسول وأُولي الأمر منكم» و قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهليّة وكان رسول الله صلى الله عليه وآله و كان عليّاً عليه السلام و قال الاخرون : كان معاوية ، ثمّ كان الحسن عليه السلام ثمّ كان الحسين

الاقل تصريح فى نفى ماعداه.

قوله (ولم يضق به) و فى بعض النسخ لم يضربه يعنى لم يضق أولم يضر به من أجل ما هو فيه من معرفة دعائم الاسلام والعمل بها جهل شيء جهله من الامور التى هى ليست من الدعائم فقوله «مماهو فيه» تعليل لعدم الضيق أو الضرر و قوله « لجهل شيء » تعليل للضيق أوالضرر. و قوله « جهله » صفة لشيء. و قوله « من الامور » عبارة عن غير الدعائم من شعائر الاسلام فليتأمل.

قوله (و حق فى الاموال الزكاة) « حق » مرفوع عطف على الشهادة ، أو مجرور عطفاً على ما جاء به ، والزكاة على التقديرين بدل عنه ، و يحتمل أن يكون الزكاة مبتدأ و « حق » خبره . أو خبر مبتدأ محذوف، والجملة عطف على الشهادة أى والزكاة حق فى الاموال أوهى حق فيها.

قوله (والولاية التى أمر الله عزوجل بها) فى قوله «و انما وليكم الله-الاية» و فى قوله «و أولى الامر منكم».

قوله (هل فى الولاية شيء دون شيء فضل يعرف لمن آخذ به) لعل المراد هل فى الولاية شيء يدل عليها من الكتاب أو السنة وهل فيها دون ذلك الشيء و غيره فضل ظاهر وكمال مخصوص تعرف الولاية لمن أخذ بذلك الفضل واتصف به؟ فأجاب «ع» بنعم وأشار أولا الى مايدل عليها من الكتاب والسنة ، وأو مأ أخيراً الى ذلك الفضل الدال عليها البيان الشافى والعلم الوافى فى بيان الشرائع والاحكام من مأخذها ، و هذا من أعظم فضائل الولاية وصفاتها، والله أعلم.

قوله (مات ميتة جاهلية) أى الميتة على صفة الكفر والبعد عن الحق و رحمته و قد مر توضيحه سابقاً.

عليه السلام و قال الاخرون : يزيدبن معاوية و حسين بن علي ولا سواء ولا سواء قال: ثمّ سكت ثمّ قال: أزيدك؟ فقال له حكم الأعور: نعم جعلت فداك قال : ثمّ كان علي بن الحسين ثمّ كان محمّد بن علي أباجعفر و كانت الشيعة قبل أن يكون أبوجعفر وهم لايعرفون مناسك حجّهم و حلالهم و حرامهم حتّى كان أبوجعفر ففتح لهم وبيّن لهم مناسك حجّهم و حلالهم و حرامهم حتّى صار الناس يحتاجون إليهم من بعده ماكانوا يحتاجون إلي الناس و هكذا يكون الأمر والأرض لاتكون إلاّ بامام ومن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهليّة و أحوج ما تكون إلى ما أنت عليه إذ بلغت

قوله (وكان رسول الله «ص») ضمير كان فى المواضع الخمسة راجع الى الامام و لما كان الحديث والاية يد لان على أنه لابدفى كل عصر من امام مفترض الطاعة وكان هذامتفقاً عليه بين الشيعة ومخالفيهم ذهبت الشيعة الى أن الامام فى عصر النبى هوالنبى وبعده على «ع» ، ثم الحسن ثم الحسين ثم على بن الحسين و هكذا واحد بعدواحد الى المهدى الموجود الى قيام الساعة و ذهبت الفرقة المخالفة الى أن الامام معاوية عليه اللعنة ثم يزيدبن معاوية، ثم سلاطين الجور الى قيام الساعة فأشار «ع» الى الفريقين و الى عدم المساواة بينهما و بين اماميهما بقوله ولاسواء ولاسواء أى لامساواة بين الفريقين ولامساواة بين الامامين لان الفرقة الاولى هم الفرقة الناجية وامامهم معصوم مفترض الطاعة من قبله تعالى والفرقة الثانية هم الهالكة و امامهم غاصب ضال مضل، ويحتمل أن يكون المراد بالاول أنه لامساواة بين من قال بامامة على «ع» وبين من قال بامامة معاوية اولامساواة بين على «ع» وبين معاوية عليه اللعنة وبالثانى أنه لامساواة بين من قال بامامة الحسن والحسين عليهما السلام و بين من قال بامامة يزيدبن معاوية أولامساواة بين الحسن والحسين عليهما السلام و بين يزيدبن معاوية.

قوله (و كانت الشيعة قبل ان يكون أبوجعفر «ع» وهم لايعرفون) الظاهر أن الواو للحال والظرف خبر كانت و جعلها زائدة لزيادة الربط و ما بعدها خبراً ، أو جعل كانت تامه بعيد. و«كان» فى قوله «حتى كان أبوجعفر» تامة.

قوله (و هكذا يكون الامر) أى مثل ماذكر من كون واحد بعد واحد اماماً يكون أمر الامامة والخلافة، والارض لاتكون موجودة الا بامام مفترض الطاعة بأمره تعالى يعرف الحلال والحرام ويدعوالناس الى سبيل الله ولو بقيت بغير امام لساخت باهلها.

قوله (و أحوج ماتكون الى ماأنت عليه) ما مصدرية أو عبارة عن الزمان يعنى أشد احتياجك الى وصف كنت عليه وهو القول بولاية ولى الله حين بلوغ روحك الى حلقومك

نفسك هذه ـ و أهوى بيده إلى حلقه ـ و انقطعت عنك الدُّنيا تقول : لقد كنتُ على أمر حسن.

أبوعليّ الأشعري، عن محمّدبن عبدالجبّار ، عن صفوان ، عن عيسى بن السريّ أبي اليسع، عن أبي عبدالله عليه السلام مثله.

٧ ـ عدَّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ،عن أحمدبن محمّدبن أبي نصر، عن مثنّى الحنّاط،عن عبدالله بن عجلان، عن أبي جعفر عليه السلام قال: بني الإسلام على خمس: الولاية والصّلاة والزكاة وصوم شهر رمضان والحجّ.

٨- عليُّ بن إبراهيم، عن صالح بن السندي، عن جعفر بن بشير، عن أبان،عن فضيل ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: بني الاسلام على خمس :الصّلاة والزكاة والصّوم والحجّ والولاية ولم يناد بشيء ما نودي بالولاية يوم الغدير.

٩- عليُّ بن إبراهيم، عن محمّدبن عيسى، عن يونس، عن حمّادبن عثمان ، عن عيسى بن السريّ قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام: حدّثني عمّا بنيت عليه دعائم الاسلام إذا أنا أخذت بها زكى عملي ولم يضرّني جهل ما جهلت بعده، فقال : شهادة أن لا إله إلاّ الله و أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله و الاقرار بماجاء به من عندالله و حقّ في الأموال من الزكاة، والولاية الّتي أمرالله عزّوجلّ بها ولاية آل محمّد صلى الله عليه وآله ، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهليّة، قال الله عزَّوجلّ : «أطيعوا الله و أطيعوا الرَّسول و اُولي الأمر منكم» فكان عليٌّ عليه السلام، ثمَّ صار من بعده حسن ثمَّ من بعده حسين ثمّ من بعده عليُّ بن الحسين، ثمّ من بعده محمّد بن عليّ، ثمّ هكذا يكون الأمر. إنّ الأرض لاتصلح إلاّ بإمام و مَن مات لايعرف

فان هذاالوصف ينفعك فى هذه الساعة نفعاً بيناً لحضوره لديك حتى تعرفه و عنايته بشأنك و استنقاذه لك من ابليس و جنوده و بشارته اياك بالدرجات العالية والمقامات الرفيعة فستبشر وتقول حينئذ اظهارا للفرح والسرور لقد كنت على أمر حسن، و هو الاقرار بالولاية و متابعة ولى الامر. و فيه بشارة عظيمة ودلالة واضحة على أن المؤمن فى جميع أزمنة عمره محتاج الى الامام لانه نور قلبه و سبب هدايته سيما وقت الاحتضار فان احتياجه اليه حينئذ أشد و أقوى .

إمامه مات ميتة جاهليّةو أحوج ما يكون أحد كم إلى معرفته إذا بلغت نفسه ههنا - قال : و أهوى بيده إلى صدره- يقول حينئذ : لقد كنتُ على أمر حسن.

١٠- عنه، عن أبي الجارود قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ياابن رسول الله هل تعرف مودّتي لكم و انقطاعي إليكم و موالاتي إيّاكم؟ قال: فقال: نعم، قال: فقلت: فانّي أسألك مسألة تجيبني فيها فانّي مكفوف البصر قليل المشي ولاأستطيع زيارتكم كلّ حين قال: هات حاجتك، قلت: أخبرني بدينك الّذي تدين الله عزّوجلّ به أنت وأهل بيتك لأدين الله عزّوجلّ به قال: إن كنت أقصرت الخطبة فقد أعظمت المسألة والله لأُعطينّك ديني ودين آبائي الّذي ندين الله عزّوجلّ به ، شهادة أن لا إله إلاّ الله و أنّ محمّداً رسول الله صلّى الله عليه وآله والاقرار بما جاء به من عندالله والولاية لوليّنا والبراءة من عدوّنا والتسليم لأمرنا و انتظار قائمنا والاجتهاد والورع.

١١- عليّ بن إبراهيم، عن صالح بن السندي، عن جعفر بن بشير، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير قال: سمعته يسأل أباعبدالله عليه السلام فقال له: جُعلت فداك أخبرني عن الدّين الّذي افترض الله عزّوجلّ على العباد، ما لايسعهم جهله ولايقبل منهم غيره، ما هو؟ فقال: أعد عليّ فأعاد عليه، فقال: شهادة أن لاإله إلاّالله وأنّ محمّداً رسول الله صلّى الله عليه وآله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة و حجّ البيتَ مَن استَطاع إليه سبيلا وصَوم شهر رمضان، ثمّ سكت قليلاً، ثمّ قال: والولاية- مرّتين - ثمّ قال: هذا الّذي

قوله (ان كنت أقصرت الخطبة فقدأعظمت المسألة) فى المغرب «أقصرت الخطبة و أعرضت المسألة » أى جئت بهذه قصيرة موجزة و بهذه عريضة واسعة.

قوله (فقال أعد على) لعل أمره بالاعادة للاستلذاذ بذكره أو ليسمع الجاضرون و يتوجهون الى استماع جوابه.

قوله (و اقام الصلاة) حذفت التاء للاختصار ، و قيل المراد باقامتها ادامتهاوقيل فعلها على ما ينبغى و قيل فعلها فى أفضل أوقاتها ، و قيل جاء على عرف القرآن فى التعبير عن فعل الصلاة بلفظ الاقامة دون أخواتها و ذلك لما اختصت به من كثرة ما يتوقف عليه من الشرائط، والفرائض والسنن، و الفضائل و اقامتها ادامة فعلها مستوفاة جميع ذلك و انما لم يذكر الجهاد لانه لايجب الا مع الامام فهو تابع للولاية مندرج فيها .

قوله (هذا الذى فرض الله عزوجل على العباد لايسأل) لعل المراد أن هذه فروض

فرض الله على العباد ولا يسأل الربّ العباد يوم القيامة فيقول: ألاّ زدتني على ما افترضت عليك؟ ولكن من زاد زاده الله، إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله سنّ سنناً حسنة جميلة ينبغي للنّاس الأخذ بها.

١٢- الحسينُ بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن محمّد بن جمهور، عن فضالة بن- أيّوب عن أبي زيد الحلاّل، عن عبد الحميد بن أبي العلاء الأزدي قال: سمعت أبا- عبدالله عليه السلام يقول: إنّ الله عزّ وجلّ فرض على خلقه خمساً فرخّص في أربع ولم يرخّص في واحدة.

١٣- عنه، عن معلّى بن محمّد، عن الوشّاء، عن أبان، عن إسماعيل الجعفي قال: دخل رجلٌ على أبي جعفر عليه السلام ومعه صحيفةٌ فقال له أبو جعفر عليه السلام: هذه صحيفة مخاصم يسأل عن الدّين الّذي يقبل فيه العمل فقال: رحمك الله هذا الّذي اُريد، فقال أبو جعفر عليه السلام: شهادة أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً صلّى الله عليه وآله عبده ورسوله وتقرّ بما جاء من عند الله والولاية لنا أهل البيت والبراءة من عدوّنا والتسليم لأمرنا والورع والتّواضع وانتظار قائمنا، فانّ لنا دولة، إذا شاء الله جاء بها.

١٤- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، وأبو عليّ الأشعري، عن محمّد بن عبد الجبّار جميعاً عن صفوان، عن عمرو بن حريث قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام وهو في منزل أخيه عبدالله بن محمّد فقلت له: جعلت فداك ما حوّلك إلى هذا المنزل؟ قال: طلب النزهة فقلت: جعلت فداك ألا أقصّ عليك ديني؟ فقال: بلى، قلت: أدين الله

مؤكدة عينية و ما عداها اما مندوب أو واجب كفائى والله يسأل عباده يوم القيامة عن تلك الفروض لا عن هذا لكن من زاد زاده الله تعالى فى الاجر، ان رسول الله «ص» سن سنناً حسنة جميلة من الاداب والاخلاق والاعمال والعقودات والايقاعات والمواعظ والنصايح و غيرها ينبغى للناس الاخذ بها بعد تلك الفرائض ليزداد بذلك أجرهم و منزلتهم و لو لم يأخذوا بها وقع النقص فى مرتبتهم ولم يقع الفساد فى دينهم.

قوله (والورع والتواضع) للورع عن محارم الله والتواضع لاولياء الله مدخل عظيم فى قبول العمل و بلوغه الى غاية الكمال ولذلك قال الله تعالى «انما يتقبل الله من المتقين» للتنبيه على أن العمل بدون التقوى كأنه ساقط عن درجة الاعتبار والقبول.

بشهادة أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له و أنّ محمّداً عبده و رسوله و أنّ السّاعة آتية لا ريب فيها و أنّ الله يبعث من في القبور و إقام الصّلاة و إيتاء الزكاة و صوم شهر رمضان و حجّ البيت والولاية لعليّ أمير المؤمنين بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله والولاية للحسن والحسين والولاية لعليّ بن الحسين والولاية لمحمّد بن عليّ و لك من بعده صلوات الله عليهم أجمعين وأنّكم أئمّتي عليه أحيا و عليه أموت و أدين الله به، فقال: يا عمرو! هذا والله دين الله و دين آبائي الذي أدين الله به في السرّ والعلانية، فاتّق الله و كفّ لسانك إلاّ من خير ولا تقل إنّي هديت نفسي بل الله هداك، فأدّ شكر ما أنعم الله عزّ وجلّ به عليك ولا تكن ممّن إذا أقبل طُعن في عينه، و إذا أدبر طعن في قفاه ولا تحمل الناس علي كاهلك فإنّك أوشك إن حملت النّاس على كاهلك أن

قوله (طلب النزهة) أى البعد عن الخلق و اصل النزهة البعد و منه تنزيه الله تعالى أى تبعيده عن النقائص، أو المراد بها بعد الخاطر عن الهم والحزن لكون مكانه نزهاً فيه سعة و ماء و كلاء و خضر.

قوله (وأدين الله به) فى المصباح دان بالاسلام دينا بالكسر تعبد به وتدين به كذلك فهو دين مثل ساد و سيد.

قوله (فى السر والعلانية) السر القلب، والعلانية اللسان والجوارح أو الاعم.

قوله (فاتق الله) أمره بالتقوى وهى التجنب عن المعاصى أو التنزه عما يشغل القلب عن الحق أو بالتقية عمن ليس من أهل هذا الدين.

قوله (و كف لسانك الامن خير) أمره بكف اللسان الا من خير ورغبه فى حفظه عن كل ما يضره أو لا ينفعه من الاقوال وفى تعويده بالخير من القرآن والحديث وغيرهما من الامور النافعة و خص اللسان من بين الاعضاء الظاهرة لانه أشرفها وأعمها تناولا و مفاسده أكثر فيجب حفظه عما لا ينفع خصوصاً عما يضر، ثم أشار الى أن الهداية نعمة من الله تعالى فيجب معرفة قدرها و أداء شكرها بصرف كل عضو فيما خلق لاجله.

قوله (ولا تكن ممن اذا اقبل) هذا فى الحقيقة أمر بحسن المعاشرة مع الخلق و بالتقية فى موضعها أى كن بحسن صفاتك ممن يمدحه الناس فى حضوره و غيبته ولا تكن بشرارة ذاتك و قبح صفاتك ممن يذمونه فيهما و فيه دلالة على وجوب التجنب عن المطاعن بقدر الامكان .

يصدعوا شعب كاهلك.

١٥- محمّد بن يحيى، عن أحمدبن محمّد، عن عليّ بن النعمان، عن ابن مسكان، عن سليمان بن خالد، عن أبي جعفر عليه السلام : قال: ألا أُخبرك بالاسلام أصله وفرعه و ذروة سنامه؟ قلت: بلى جعلت فداك قال: أمّا أصله فالصلاة و فرعه الزكاة وذروة سنامه الجهاد ، ثمّ قال: إن شئت أخبرتك بأبواب الخير ؟ قلت: نعم جعلت فداك قال: الصوم جُنّة من النار، والصدقة تذهب بالخطيئة، وقيام الرّجل في جوف اللّيل بذكر الله، ثمّ قرأ عليه السلام: « تتجافى جنوبهم عن المضاجع».

قوله (ولاتحمل الناس على كاهلك) الكاهل مقدم أعلى الظهر ممايلى العنق و هو الثلث الاعلى و فيه ست فقر أو ما بين الكتفين أو موصل العنق فى الصلب والشعب هنا محل الصدع والشق والتفريق و هو المنسج و منه الشعبة وهى الطايفة من كل شىء والقطعة منه، وقد نهاه «ع» عن فعل مايوجب حمل الناس على كاهله وقصدهم اضراره و اهلاكه من تعرض أعراضهم وقصد اضرارهم و ايذائهم وعدم المجاملة معهم، فان الناس يعاملونه بمثله أوأشد، بل ربما يحصل من تعاونهم مايوجب هلاكه ولذلك عبر عنه «ع» بالعبارة المذكورة المشعرة بالاهلاك أو الضرر العظيم.

قوله (اما أصله فالصلاة) الامور الثلاثة من فروع الاسلام حقيقة لكن عد الصلاة أصله لان قيامه يتحقق بها و لذلك شبهت بالعمود فى الخبر السابق وعد الجهاد مع الاعداء الظاهرة أو الاعم منهم ومن النفس والشيطان، ذروة سنامه لان به غاية ارتفاعه كما أن ذروة الشىء غاية ارتفاع ذلك الشىء، و خص الزكاة بالذكر من بين فروعه المتكثرة لانها العمدة كالصلاة ثم ذكر من جملة أبواب الخير ثلاثة لكثرة منافعها أولها الصوم الواجب أوالاعم وهو جنة يقى صاحبه عما يؤذيه أو يهلكه من الشهوات ومن الشروط لكماله حفظ جميع الجوارح عما يليق به، و ثانيها الصدقة الواجبة أو الاعم وهى تذهب بالخطيئة تكفر عنها بل تحفظ عنها أيضاً، و ثالثها قيام الرجل جوف الليل بذكر الله ولم يذكر فائدته كماذكر قبله للدلالة على الكثرة والتعميم مع احتمال أن يكون فائدته اذهاب الخطيئة أيضا بقرينة العطف.

قوله (وذروة سنامه) الاضافة بيانية أولامية اذ للسنام الذى هو ذروه البعير ذروة أيضاً هى أرفع أجزائه.

قوله (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) كناية عن القيام الى صلاة الليل والذكر.

باب

أن الاسلام يحقن به الدم (و تؤدى به الامانة) وأن الثواب على الايمان

١ـ عليٌّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن الحكم بن أيمن ، عن القاسم الصيرفي شريك المفضّل قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : الإسلام يُحقَن به الدّم و تودّى به الأمانة و تُستحَلّ به الفروج والثواب على الايمان

٢ـ عليٌّ ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن العلاء ، عن محمّد بن مسلم ، عن أحدهما عليهما السلام قال: الايمان إقرارٌ و عمل والاسلام إقرارٌ بلاعمل.

قوله (الاسلام يحقن به الدم) ظاهر أخبار هذا الباب و تواليه ان الاسلام يصدق على مجرد الاقرار باللسان من غير تصديق مطلقاً سواء كان معه الاقرار بالولاية أولم يكن وعلى التصديق المجرد عن الولاية وان لم يكن معه الاقرار باللسان و على كليهما مجرداً عن الولاية أو معها وان الايمان يصدق على التصديق بجميع ماجاء به النبى «ص» الداخل فيه الولاية سواء كان معه عمل بمايقتضيه ذلك التصديق أولم يكن وان كان المقرون بالعمل هو الفرد الكامل من الايمان بل هو عند أهل العصمة عليهم السلام كمايشعر به كثير من أخبارهم و يظهر مماذكرنا ان الايمان أخص من الاسلام وأن ما هو أثر الاسلام و لوازمه فهو أثر الايمان و لوازمه دون العكس وذكر من أثر الاسلام ثلاثة امور الاول أنه يحقن به الدم و يحفظ به عن القتل والثانى أنه تؤدى به الامانة وكان المراد أن اداؤها الى أهل الاسلام أوكد أو أنه ممايحكم به أهل الاسلام، والا فظاهر الاية والروايات الكثيرة أن أداء أمانة الكافر وان كان حربياً واجب أيضاً واحتمال ارادة أنه يحفظ به ماله كمايحقن به دمه أو يحفظ به أمانه للحربى أظهر، والله أعلم، والثالث أنه تستحل به الفروج والتناكح، و هذا يدل على جواز التناكح بين أهل الاسلام مطلقا الاأن فى جواز تزويج المؤمنة بالمخالف قولين للاصحاب ، ذهب المفيد والمحقق الى جوازه والمشهور المنع لدلالة الاخبار عليه ، و فى بعضها تعليل بأن المرأة تأخذ من أدب زوجها و يقهرها على دينه لكن فى بعضها ارسال و فى بعضها ضعف وفى بعضها جهالة، والاحتياط تركه تفصياً من الخلاف وحذراً من التهجم على استباحة الفروج وتطهيراً للتناسل وذكر من أثر الايمان المختص به الثواب عليه و هذا يدل على أن غير المؤمن لايثاب فى الاخرة ولايدخل الجنة كمايدل عليه الايات و الروايات المعتبرة و اتفاق الفرقة الناجية.

قوله (الايمان اقرار و عمل والاسلام اقرار بلاعمل) لعل المراد بالاقرار الاقرار

٣- عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن جميل بن درّاج قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا و لمّا يدخل الإيمان في قلوبكم» فقال لي: ألاترى أنّ الإيمان غير الاسلام.

بالشهادتين و بالعمل عمل القلب وهو التصديق بجميع ماجاء به النبى و يطلق العمل عليه أيضاً كماسيجيىء فى الباب الثالث بعد هذاالباب فيدل على أن الايمان مركب من الاقرار والتصديق كما ذهب اليه المحقق الطوسى و استدل على أن الاول وحده و هو الاقرار باللسان ليس بايمان بقوله تعالى « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » فقد أثبت الاقرار اللسانى و نفى الايمان فعلم أن الايمان ليس هو الاقرار اللسانى ، و على أن الثانى وحده وهوالتصديق ليس بايمان بقوله تعالى «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم» أثبت للكفار الاستيقان النفسى و هو التصديق فلوكان الايمان نفس التصديق لزم اجتماع الكفر والايمان فى شخص واحد فى آن واحد ولاشك أنهما متقابلان لا يمكن اجتماعهما كذلك و فيه نظر أما أولا فلان التصديق لماكان مقروناً بالانكار كان غير معتبرلان التصريح بالنقيض ربما كان مانعاً من القبول والاعتبار، و أما ثانياً فلان هذه الاية انما تدل على أن التصديق وحده ليس بايمان ولاتدل على أن الاقرار باللسان جزء من الايمان، لجواز أن يكون شرطاً له و ينتفى المشروط بانتفاء الشرط كما أن الكل ينتفى بانتفاء الجزء، ومن ثم حمل المتكلمون القائلون بأن الايمان نفس التصديق الاخبار الدالة على جزئية أعمال الجوارح للايمان على أنها للكمال بمعنى أن العمل ليس جزءاً للايمان بحيث يعدم الايمان بعدم العمل بل اضافة العمل اليه اضافة كمال وكذا حملوا الاخبار الدالة على جزئية الاقرار باللسان على أنه شرط فى الايمان لاجزء منه وعلى هذا حملوا الاخبار المختلفة الدال بعضها على أن الايمان نفس التصديق و بعضها على أنه التصديق والعمل مثل الصلاة والزكاة وغيرهما و بعضها على أنه التصديق والاقرار و معنى قوله «ع» «والاسلام اقرار بالشهادتين و غيرهما» بلااعتبار عمل قلبى و هوالتصديق معه بناء على ما ذكرنا من أن المراد بالعمل العمل القلبى فحينئذ يناسب هذا الخبرالخبرين بعده مناسبة ظاهرة امامناسبته للاول منهما فظاهرة و أما للثانى فلان ضم أفعال الجوارح الى الاقرار من غير أن يكون معه تصديق قلبى يصدق عليه أنه اقرار بلاعمل أى بلاتصديق ولايصدق عليه أنه اقرار و عمل فليتأمل.

قوله (قالت الاعراب آمنا) لما أقرت الاعراب بالشهادتين قالوا آمنا بهذا الاقرار

٤ـ محمّدُ بن يحيى، عن أحمدبن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن سفيان بن السمط قال: سأل رجلٌ أباعبدالله عليه السلام عن الاسلام والايمان، ما الفرق بينهما فلم يجبه، ثمَّ سأله فلم يجبه، ثمّ التقينا في الطريق وقد أزف من الرجل الرحيل، فقال له أبو - عبدالله عليه السلام: كأنّه قد أزف منك رحيل؟ فقال: نعم فقال: فالقني في البيت، فلقيه فسأله عن الاسلام والايمان ما الفرق بينهما؟ فقال: الإسلام هو الظاهر الّذي عليه النّاس شهادة أن لاإله إلاّ الله وحده لاشريك له و أنّ محمّداً عبده و رسوله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة و حجّ البيت و صيام شهر رمضان، فهذا الاسلام، و قال: الايمان معرفة هذا الأمر مع هذا فإن أقرَّ بها و لم يعرف هذا الأمر كان مسلماً و كان ضالاًّ.

٥ـ الحسينُ بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، و عدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد جميعاً، عن الوشّاء، عن أبان، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «قالت الأعراب آمنّا قل تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا» فمن زعم أنّهم آمنوا فقد كذب

فقال الله تعالى لنبيه «قل لم تؤمنوا» بعد لان هذا الاقرار ليس بايمان «ولكن قولوا أسلمنا» به اذ لستم بمؤمنين «ولما يدخل الايمان» أى التصديق الخاص «فى قلوبكم» ففيه دلالة على أن الاسلام نفس الاقرار اللسانى والايمان نفس التصديق و قال بعض العامة الاسلام الشهادتان والايمان العمل ثم قرأ هذه الاية وفيه دلالة واضحة على أن المراد بالعمل العمل القلبى وهو التصديق كما ذكرناه. **قوله** (فلم يجبه) كانه ترك الجواب للتقية ولئلا يذكره السائل لاهل المدينة و لذلك أجابه عند خروجه منها.

قوله (الاسلام هو الظاهر الذى عليه الناس) اريد بالظاهر الاعمال الظاهرة و قوله شهادة أن لااله الاالله وما بعده بدل له للايضاح، واريد بالشهادة الاقرار باللسان بالتوحيد والرسالة سواء كان معه تصديق أولا وقد عرفت سابقاً أن الاسلام يصدق على كل واحدة منهما. **قوله** (الايمان معرفة هذا الامر مع هذا) أى الايمان معرفة الولاية والتصديق بها مع هذا الظاهر المذكور، وقد يحتج به من يجعل الايمان مركباً من التصديق و الاعمال الظاهرة وفيه أن المعية لاتدل على الجزئية لانها أعم منها وعلى تقدير التسليم فلعله تفسير للايمان الكامل والمناقشة فى كون الاعمال جزءاً له أوشرطاً سهل، والفرق بين الضال والكافر مع أن الضال كافر فى الحقيقة أن الكافر لم يدخل فى الدين والضال دخل فيه وترك أعظم أركانه وهو الولاية فضل عنه.

و من زعم أنهم لم يسلموا فقد كذب.

٦ـ أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن حكم بن أيمن، عن قاسم شريك المفضّل قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: الاسلام يُحقن به الدّم و تؤدّى به الأمانة و تُستحلّ به الفروج والثواب على الايمان.

باب

ان الايمان يشرك الاسلام(١) والاسلام لايشرك الايمان

١ـ محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحسن بن محبوب، عن جميل بن ـ صالح، عن سماعة قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أخبرني عن الاسلام والايمان أهما

قوله (فمن زعم أنهم آمنوا فقد كذب) أى فمن زعم أنهم آمنوا بجعل الايمان عبارة عن مجرد الاقرار بالشهادتين والاعمال الظاهرة فقد كذب، و من زعم أنهم لم يسلموا تمسكاً بقوله تعالى «الاعراب أشد كفراً ونفاقاً» فقد كذب لان كل واحد منهما زعم خلاف ما أخبر به الكتاب وكل من كان كذلك فهو كاذب.

(١) قوله «ان الايمان يشرك الاسلام» حاصل مفاد الباب أن بين الايمان والاسلام عموماً وخصوصاً مطلقاً ومرجعه الى موجبة كلية «كل مؤمن مسلم» وسالبة جزئية «ليس كل مسلم مؤمناً» و مثله بالكعبة والمسجد الحرام فكل موضع من الكعبة مسجد وليس كل موضع من المسجد كعبة. وهو تمثيل المعقول بالمحسوس على ماهو شأن الانبياء والاوصياء، و مرجع ذلك الى زيادة قيد فى الايمان و اختلف الروايات فى ذلك القيد فبعضها على أنه ولاية أهل البيت عليهم السلام و بعضها على أنه العمل وبعضها على أنه تصديق القلب لشهادة اللسان ولا يبعد اطلاقه فى الاخبار على معان متعددة بحسب الموارد ويتعين بالقرينة، وقد ذكرنا شيئاً فى ذلك فى مقدمة الكتاب، والاهم فى ذلك أمران الاول اعتبار الاعمال فى صدق الايمان وقد اختلف فيه المسلمون من صدر الاسلام فالخوارج على أن كل عمل معتبر فيه فيكون مرتكب الكبيرة كافراً و قالت المرجئة لايضر مع التصديق شيء من المنكرات والفاسق كالصالح والحق أن العمل لايعتبر فى الايمان و مرتكب الكبيرة ليس كافراً و ان وصف بالفسق و عذب فى الاخرة خلافاً للمرجئة، و هذا هو مذهب الشيعة و أكثر أهل السنة وما روى فى الاخبار موافقاً للخوارج او للمرجئة يجب تأويله.

الثانى من التزم بشيء يستلزم الكفر استزاماً غير بين كالمجسمة ليس بكافر و بيان الاستلزام أن الجسم مركب و كل مركب ممكن وكل ممكن معلول لغيره و لو كان الواجب*

مختلفان؟ فقال: إنّ الايمان يشارك الإسلام والاسلام لايشارك الايمان، فقلت، فصفهما لي، فقال: الاسلام شهادة لاإله إلاّ الله والتّصديق برسول الله صلّى الله عليه وآله، به حقنت الدّماء و

قوله (ان الايمان يشارك الاسلام والاسلام لايشارك الايمان) المشاركة و عدمها اما باعتبار المفهوم فان مفهوم الاسلام داخل فى مفهوم الايمان دون العكس، أو باعتبار الصدق فان كل مؤمن مسلم دون العكس، أو باعتبار الدخول فان الداخل فى مفهوم الايمان داخل فى الاسلام دون العكس أو باعتبار الاحكام فان أحكام الاسلام مثل حقن الدماء وأداء الامانة و استحلال الفروج ثابتة للايمان دون العكس فان الجكم المترتب على الايمان مثل الثواب والنذر للمؤمن و اعتاقه لاتكون للاسلام .

قوله (فقلت فصفهما لى) أى فسرهما لى و بين لى حقيقتهما حتى يظهر لى حقيقة المشاركة و عدمها.

قوله (الاسلام شهادة ان لااله الاالله والتصديق برسول الله «ص») اكتفى بذكر الشهادة على التوحيد عن التصديق به و بذكر التصديق بالرسالة عن الشهادة عليها للقرينة والتعارف لان التوحيد والرسالة أمران مقرونان فما يعتبر فى أحدهما يعتبر فى الاخر وأيضاً الشهادة قلما تنفك عن التصديق والتصديق قلما ينفك عن الشهادة. وعلى هذا فمحصل الكلام أن الاسلام التصديق بالله و رسوله والشهادتان و هذا لاينافى ما مر من أن الاسلام الاقرار بلا عمل أى بلاتصديق لانا قدذكرنا أن الاسلام يطلق على مجرد الاقرار أيضاً.

---

*جسماً كان معلولا لغيره وهو كفر وعلى ذلك بعض فقهائنا والحق أنه لايكفر أحد الابالاستلزام البين و لذلك قالوا لوادعى مدعى الباطل شبهة ممكنة فى حقه قبلت منه و درء عنه الحد و كذلك اذا اعتقد أحد أن الروح قوة حالة حاصلة من تركيب مزاج البدن وليس مجرداً عن البدن وهذا رأى الملاحدة الماديين الذين لايعتقدون وجود غير القوى الجسمانية وينكرون تأثير شىء فى شىء الا أن يكون جسمانياً «يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون» و يترتب على اعتقادهم هذا انكار المعاد و نفى الثواب و العقاب و استحالة الحشر والنشر لكن رأينا جماعة من عوام المتزهدين لايتنبهون لهذا الاستلزام، يشاركون الماديين فى أصلهم ولايلتزمون بلوازمه يعترضون على القائلين بتجرد النفس و ينقضون أدلتهم على بقائنا بعد الموت وربما يصرحون بان النفس كنور السراج يطفى بفناء الدهن و معذلك يزورون الاموات و يستغفرون لهم و يهدون اليهم ثواب العبادات ولايعلمون أن لازم أصلهم اليأس من أصحاب القبور و خرافية هذه الاعمال كما قال الله تعالى « كما يئس الكفار من أصحاب القبور» ولكن لما لم يكن الاستلزام بيناً لايحكم بكفر هؤلاء.(ش)

عليه جرت المناكح والمواريث و على ظاهره جماعة النّاس؛ والايمان الهدى وما يثبت في القلوب من صفة الاسلام و ما ظهر من العمل به والايمان أرفع من الاسلام بدرجة، إنّ الايمان يشارك الاسلام في الظاهر والاسلام لايشارك الايمان في الباطن و إن اجتمعا في القول والصفة.

٢- عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس بن عبدالرّحمن، عن موسى ابن بكر، عن فضيل بن يسار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الإيمان يشارك الإسلام والإسلام لايشارك الإيمان.

٣- عليٌّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن درّاج، عن فضيل بن- يسار قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: إنّ الإيمان يشارك الاسلام ولا يشاركه الإسلام، إنّ الايمان ما وقر في القلوب والاسلام ما عليه المناكح والمواريث و حقن الدّماء، والايمان يشرك الاسلام والاسلام لايشرك الايمان.

٤- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن الحسن بن محبوب، عن أبي الصباح الكناني قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أيّهما أفضل الايمان أو الاسلام؟

قوله (والايمان الهدى) الهدى راه يافتن وراه نمودن ورسيدن بمقصودوراه راست والمراد به هنا الولاية وهى الصراط المستقيم وبما يثبت فى القلوب من صفة الاسلام التصديق بالله و برسوله وبما ظهر من العمل الشهادتان أو الاعم منهما ومن اقام الصلاة وايتاء الزكاة والصوم والحج واعتبار هذه الاعمال فى الايمان وقد مر وجهه مراراً.

قوله (والايمان ارفع من الاسلام بدرجة) لاعتبار التصديق بالولاية فى حقيقة الايمان دون الاسلام وبه يستحق العبد الثواب والكرامة فى دار المقامة.

قوله (ان الايمان يشارك الاسلام فى الظاهر) لعل المراد أن الايمان يشارك الاسلام فى جميع الاعمال الظاهرة المعتبرة فى الاسلام مثل الصلاة و الزكاة و غيرهما والاسلام لا يشارك الايمان فى جميع الامور الباطنة المعتبرة فى الايمان لانه لايشاركه فى التصديق بالولاية و ان اجتمعا فى الشهادتين والتصديق بالتوحيد والرسالة و منه يتبين أن الايمان كالنوع والاسلام كالجنس وقد يطلق الاسلام و يراد به هذا النوع مجازاً من باب اطلاق العام على الخاص و لعل قوله تعالى «و أخرجنا من كان فيها- الاية» من هذا الباب فقول من زعم انهما مترادفان وتمسك بهذه الاية مدفوع.

قوله (أيهما أفضل) مبتدأ و خبر، و الايمان و الاسلام تفسير لمرجع الضمير

فانّ من قبلنا يقولون: إنّ الاسلام أفضل من الايمان، فقال: الايمان أرفع من الاسلام قلت: فأوجدني ذلك، قال: ما تقول فيمن أحدث في المسجد الحرام متعمّداً؟ قال: قلت: يضرب ضرباً شديداً قال: أصبت، قال: فما تقول فيمن أحدث في الكعبة متعمّداً قلت: يقتل، قال: أصبت ألا ترى أنّ الكعبة أفضل من المسجد و أنّ الكعبة تشرك المسجد و المسجد لا يشرك الكعبة، و كذلك الايمان يشرك الاسلام و الاسلام لايشرك الايمان.

٥ـ عدّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، ومحمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد جميعاً، عن ابن محبوب، عن عليّ بن رئاب، عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: الايمان ما استقرّ في القلب و أفضى به إلى الله عزّ وجلّ

أوهما مبتدأ و أيهما أفضل خبر.

قوله (قلت فاوجدنى) من أوجد فلاناً مطلوبه أظفره به أى أظفرنى بالمطلوب و بينه لى بمثال جزئى.

قوله (قلت يقتل قال أصبت) قيل يدل على كفر من استخف بالكعبة فان وجوب تعظيمها من ضروريات الدين.

قوله (ألاترى أن الكعبة أفضل من المسجد) فكما ان الكعبة أفضل من المسجد لخصوصية معتبرة فى الكعبة غير معتبره فى المسجد حتى اختلف بهاحكمهما، كذلك الايمان أفضل من الاسلام لخصوصية معتبرة فى الايمان غير معتبرة فى الاسلام فلذلك اختلف حكمهما.

قوله (و ان الكعبة تشرك المسجد والمسجد لايشرك الكعبة) فان مفهوم المسجد متحقق فى الكعبة ومفهوم الكعبة غير متحقق فى المسجد فالكعبة مسجد والمسجد ليس بداخل فى الكعبة والداخل فى الكعبة داخل فى المسجد والداخل فى المسجد ليس بداخل فى الكعبة و هكذا حال ما نحن فيه أعنى الاسلام والايمان. وبالجملة التناسب بين الممثل و الممثل له ظاهر لاسترة فيه فلذلك جاء «ع» بهذا التمثيل من باب تشبيه المعقول بالمحسوس لقصد الايضاح والتقرير.

قوله (و أفضى به الى الله عزوجل) أشار به الى أن المراد بما استقر فى القلب مجموع التصديق بالتوحيد والرسالة والولاية لان هذا المجموع هو المفضى الى الله عزوجل لاكل واحد ولاكل اثنين منها. وقوله «و صدقه العمل» مشعر بأن العمل خارج عن الايمان

و صدّقه العمل بالطاعة لله والتسليم لأمره. والاسلام ما ظهر من قول أو فعل و هو الّذي عليه جماعة النّاس من الفرق كلّها و به حقنت الدّماء و عليه جرت المواريث و جاز النكاح و اجتمعوا على الصّلاة والزّكاة والصّوم والحجّ، فخرجوا بذلك من الكفر واُضيفوا إلى الايمان، والاسلام لايشرك الايمان والايمان يشرك الاسلام وهما في القول والفعل يجتمعان، كما صارت الكعبة في المسجد والمسجد ليس في الكعبة و كذلك الايمان يشرك الاسلام والاسلام لايشرك الايمان وقد قال الله عزّوجلّ : «قالت الأعراب آمنّاقل تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا و لمّا يدخل الايمان في قلوبكم» فقول الله عزّوجلّ أصدق القول، قلت : فهل للمؤمن فضلٌ على المسلم في شيءمن الفضائل والأحكام والحدود وغير ذلك ؟ فقال :لا،هما يجريان في ذلك مجرى واحد

و دليل عليه لان الايمان وهو التصديق أمر قلبى يعلم بدليل خارجى مع مافيه من الايماء الى أن الايمان بلاعمل ليس بالايمان.

قوله (والاسلام ما ظهرمن قول أوفعل) أى قول بالشهادتين أو فعل بالطاعات مثل الصلاة والصوم والحج و غيرها فيدل على أن الاسلام يطلق على مجرد الطاعات من الاقرار بالشهادتين والتصديق بهما.

قوله (فخرجوا بذلك من الكفر و اضيفوا الى الايمان) و لم يكونوا من أهل الايمان فماهم من هؤلاء ولا من هؤلاء ولايجرى عليهم شيء من أحكامهما وان كان يجرى أحكامهم على أهل الايمان.

قوله (وهما فى القول والفعل يجتمعان) أى الاسلام والايمان يجتمعان فى القول بالشهادتين والفعل بالطاعات الا أنهما داخلان فى حقيقة الاسلام خارجان عن حقيقة الايمان على ماهو الحق عند جماعة من المتكلمين ولعل المقصود التنبيه على تساويهما فى طلب الفضائل والاحكام والحدود كماسيصرح به .

قوله (فقول الله عزوجل أصدق القول)فهويبطل قول كل من قال بان الاسلام يرادف الايمان، و من زعم أن الاعراب لم يسلموا و من زعم أنهم آمنوا.

قوله (قلت فهل للمؤمن فضل على المسلم) كان قصده هل للمؤمن اختصاص بشيء من الفضائل النفسية والاحكام الشرعية و حدودها لايكون المسلم مكلفاً به فأجاب «ع» بأنهما متساويان فى ذلك ولايكون للمؤمن على المسلم فضل فى شيءمنه و انما الفضل للمؤمن فى العمل والثواب و ما يتقرب به الى الله تعالى من الطاعة والانقياد لان الفضل

ولكن للمؤمن فضل على المسلم في أعمالهما و ما يتقرّبان به إلى الله عزّ وجلّ ، قلت : أليس الله عزّ وجلّ يقول : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» وزعمت أنّهم مجتمعون على الصّلاة والزكاو والصوم والحجّ مع المؤمن ؟ قال : أليس قدقال الله عزّ وجلّ : « يضاعفه له أضعافاً كثيرة » فالمؤمنون هم الذين يضاعف الله عزّ وجلّ لهم حسناتهم لكلّ حسنة سبعون ضعفاً ، فهذا فضل المؤمن و يزيده الله في حسناته على قدر صحّة إيمانه أضعافاً كثيرة و يفعل الله بالمؤمنين مايشاء من الخير، قلت:

مشروط بالايمان وهو مفقود فى المسلم.

قوله (قلت أليس الله عزوجل يقول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) لما حكم «ع» بأن للمؤمن فضلا على المسلم فى الاعمال سأله حمران على سبيل التقرير اوالاستفهام بأنك زعمت أن المؤمن والمسلم مجتمعون على الصلاة والزكاة والصوم والحج و غير ذلك من الطاعات و مكلفون جميعا بها و قال الله تعالى «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» والموصول للعموم فهذه الاية مع مازعمت تقتضى أن يكون المؤمن والمسلم متساويين فى الفضل فكيف يكون للمؤمن فضل على المسلم فى الاعمال، فأجاب «ع» بانه أليس قدقال الله تعالى « من ذاالذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة» و هذاالجواب على فهمنا الفاتر يحتمل وجهين الاول أن القرض الحسن هوالعبادة الواقعة على كما لها وشرائطها و شرائط قبولها و من جملة شرائطها هوالايمان فالمؤمنون هم الذين يضاعف الله عزوجل لهم حسناتهم لاغيرهم فيعطيهم لكل حسنة عشرة و ربما يعطيهم لكل حسنة سبعين ضعفاً فهذا فضل المؤمن على المسلم و يزيده الله فى حسناته على قدر صحة ايمانه و حسب كماله أضعافاً كثيرة حتى أنه يعطيهم بواحدة سبعمائة أو أزيد و يفعل الله بالمؤمنين مايشاء من الخير الذى لايعلمه الا هو كماقال : « ولدينا مزيد » والثانى ان تساويهم فى فضل واحدة بعشرة على تقدير عموم الموصول لايقتضى أن لايكون للمؤمنين فضل على المسلم فى الاعمال لانه تعالى يضاعف له أعماله أضعافاً كثيرة فيعطيه لكل حسنة سبعين ضعفاً فهذا فضل المؤمن على المسلم الى آخر ما ذكر و لعل الاول بالمعنى أقرب والثانى بالعبارة أنسب ،لايقال مادل من الايات و الروايات على أن أعمال غير المؤمن يكون هباء منثوراً ينافى الاحتمال الثانى فكيف التوفيق بينهما؟ لانا نقول لعل عمل غير المؤمن ينفعه فى تخفيف العقوبة و رفع شدتها لا فى دخول الجنة اذ دخولها مشروط بالايمان فهو هباء منثور باعتبار أنه لايوجب دخول الجنة ونافع له فى الجملة باعتبار أنه يوجب تخفيف العقوبة والله يعلم حقيقة كلام وليه.

أرأيت من دخل في الاسلام أليس هو داخلاً في الايمان؟ فقال : لا ولكنّه قد اُضيف إلى الايمان و خرج من الكفر وسأضرب لك مثلاً تعقل به فضل الايمان على الاسلام، أرأيت لو بصرت رجلا في المسجد أكنت تشهد أنّك رأيته الكعبة ؟قلت: لا يجوز لي ذلك، قال: فلو بصرت رجلا في الكعبة أكنت شاهداً أنّه قد دخل المسجد الحرام ؟ قلت : نعم، قال :و كيف ذلك ؟ قلت: إنّه لا يصل إلى دخول الكعبة حتّى يدخل المسجد، فقال : قد أصبت و أحسنت، ثمَّ قال: كذلك الايمان والاسلام .

قوله (قلت أرأيت من دخل فى الاسلام أليس هو داخلا فى الايمان) الاسلام عبارة عن التصديق بالتوحيد والرسالة أو عن الاقرار بالشهادتين أو عن الاتيان بالاعمال الظاهرة أو عن المجموع أوعن الاثنين منها، و جوز السائل أن يكون ذلك نفس الايمان أو ظن ذلك و لذلك قال على سبيل الاستفهام أو التقرير أليس هو أى الداخل فى الاسلام داخلا فى الايمان بأن يكون الاسلام عين الايمان؟ فقال «ع»: لا لان الايمان اما التصديق المذكور مع التصديق بالولاية أوهذا مع الاقرار والعمل فالاسلام اما جزء الايمان أو حد من حدوده، ومن البين أن جزء الشيء أو حده غير ذلك الشيء فالداخل فى الاسلام غير داخل فى الايمان و ليس بمؤمن و لكنه اضيف الى الايمان بالدخول فى جزئه أو فى حد من حدوده و خرج بذلك من منزل الكفر، و بالجملة للناس ثلاثة منازل الاول الكفر، والثانى الاسلام، والثالث الايمان و هذا قد خرج من منزل الكفر و دخل فى منزل الاسلام ولم يدخل فى منزل الايمان بعد، وأنت خبير بأن هذا السؤال لا يتوجه بعد العلم بما سبق اللهم الا أن يقال ان السائل لم يعلمه كما هو حقه لكونه أمراً معقولا دقيقاً والمعانى الدقيقة قد لا يعرفها المخاطب حق المعرفة الا بالتكرار والتنبيه بمثال محسوس فلذلك أورد «ع» فى الجواب مثالا محسوساً لقصد التفهيم والايضاح فليتأمل.

قوله (قلت لا يجوز لى ذلك) لان المسجد ليس بكعبة لا يقال هذا لا يماثل ما نحن فيه لان المسجد ليس كعبة ولا جزءاً منها فلا يكون الداخل فيه داخلا فيها بخلاف ما نحن فيه فان الاسلام جزء من الايمان والداخل فى الجزء داخل فى الكل لا أنا نقول قصد السائل ان الداخل فى الاسلام هل هو مؤمن أم لا كما أشرنا اليه فليتأمل.

قوله (فلو بصرت رجلا فى الكعبة أكنت شاهداً أنه قد دخل المسجد الحرام قلت نعم) هذا لا يدل على أن الكعبة جزء المسجد بل يشعر بخلافه حيث قال: أكنت شاهداً أنه قد دخل المسجد ولم يقل أكنت شاهداً أنه فى المسجد.

باب آخر منه

و فيه أن الاسلام قبل الايمان

١- عليّ بن إبراهيم، عن العباس بن معروف، عن عبدالرّحمن بن أبي نجران عن حمّاد بن عثمان، عن عبدالرّحيم القصير قال: كتبت مع عبد الملك بن أعين إلى أبي عبدالله عليه السلام أسأله عن الايمان ما هو، فكتب إليّ مع عبدالملك بن أعين سألت رحمك الله عن الايمان والايمان هو الاقرار باللّسان و عقد في القلب و عمل بالأركان والايمان بعضه من بعض و هو دارٌ و كذلك الاسلام دارٌ والكفر دارٌ فقد

قوله (لايصل الى دخول الكعبة) افحم لفظ الدخول لان الوصول الى الكعبة لا يستلزم الدخول فيها و هو المقصود هنا.

قوله (والايمان هو الاقرار باللسان و عقد فى القلب و عمل بالاركان)هذا تفسير للايمان الكامل الذى يكون للمؤمنين المتقين المتورعين المخلصين و هو مركب من هذه الامور أعنى الاقرار بالشهادتين والتصديق بالتوحيد والرسالة والولاية والامامة، و العمل بالاركان الظاهرة مثل السمع والبصر واللسان واليد والرجل باستعمال كل واحد منها فيما خلق لاجله وقد شاع اطلاق الايمان عليه عند أرباب العصمة عليهم السلام فكان غيره أعنى العقد فى القلب وان كان ايماناً فى نفس الامر لضعفه و قلة أثره ليس بايمان كمايرشد اليه الحصر فى قوله تعالى « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله و جلت قلوبهم و اذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً و على ربهم يتوكلون» و على هذا لا منافاة بينه و بين مادل من الاخبار على أن الايمان عقدالقلب.

قوله (والايمان بعضه من بعض) اذ منازل الكمال متفاوتة والادنى منهامعدلحصول الاعلى و بذلك يبلغ الانسان غاية الكمال ويملك الحقيقة الانسانية، وعلى هذا فالمراد أن بعض أفراد هذا الايمان من بعض فان الادنى منه معد لحصول الاعلى و هكذا الى أن يحصل فرد هو أعلى مراتب الايمان المطلوب من الانسان. أو المراد ان بعض أجزائه من بعض فان أصل التصديق يقتضى العمل والعمل يقتضى حصول تصديق آخر هوأكمل و أفضلو هذا التصديق يقتضى حصول عمل هو أكمل من الاول و هكذا يتبادلان الى أن يبلغ كل من الظاهر والباطن الى غاية كمال الانسان وتحصل نهاية مراتب الايمان.

قوله (وهو دار وكذلك الاسلام دارو الكفر دار) الداخل فى الاولى من اتصف بالايمان و لوازمه، وفى الثانية من اتصف بالاسلام و آثاره ، و فى الثالثة من اتصف بالكفر

يكون العبد مسلماً قبل أن يكون مؤمناً ولايكون مؤمناً حتّى يكون مسلماً، فالاسلام قبل الايمان و هو يشارك الايمان فاذا أتى العبد كبيرة من كبائر المعاصي أوصغيرة من صغائر المعاصي الّتي نهى الله عزّوجلّ عنها كان خارجاً من الايمان ، ساقطاً عنه اسم الايمان و ثابتاً عليه اسم الاسلام، فان تاب و استغفر عاد إلى دار الإيمان ولا يخرجه إلى الكفر إلاّ الجحود والاستحلال أن يقول للحلال : هذا حرام و للحرام : هذا حلال و دان بذلك فعندها يكون خارجاً من الاسلام والايمان، داخلاً في الكفر و كان بمنزلة من دخل الحرم ثمّ دخل الكعبة وأحدث في الكعبة حدثاً فاُخرج عن الكعبة و عن الحرم فضربت عنقه و صار إلى النار.

٢ـ عدَّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة بن مهران قال : سألته عن الايمان والاسلام قلت له : أفرق بين الاسلام والايمان؟ قال فاضرب لك مثله ، قال : قلت : أورد ذلك ، قال : مثل الايمان و الاسلام مثل الكعبة الحرام من الحرم قد يكون في الحرم ولايكون في الكعبة ولايكون في الكعبة

و خواصه ولايكون أحدهم داخلا فى دار الاخرة الا المؤمن فانه داخل فى دار الاسلام أيضاً لان له أيضاً صفة الاسلام و آثاره كما أشار اليه بقوله ولايكون مؤمناً حتى يكون مسلماً، و أما المسلم فقد لايكون مؤمناً و سر ذلك أن الاقرار بالتوحيد والرسالة مقدم على الاقرار بالولاية والعمل والمؤمن والمسلم بسبب الاول يخرجان من دار الكفر و يدخلان فى دار الاسلام ثم المسلم بسبب الاكتفاء به يستقر فى هذه الدار، والمؤمن بسبب الثانى يترقى و ينزل فى دار الايمان، و منه لاح أن الاسلام قبل الايمان و أنه يشارك الايمان فيما هو سبب للخروج من دار الكفر لا فيما هو سبب للدخول فى دار الايمان . و بهذا التقرير يندفع المنافاة بين قوله « ع » ههنا « و هو يشارك الايمان » و قوله سابقاً « والاسلام لا يشارك الايمان » فليتأمل.

قوله (فاذا أتى العبد كبيرة من كبائر المعاصى ـ الخ) لما كان العمل معتبراً فى حقيقة الايمان الكامل كان الاتيان بالمعصية مطلقاً موجباً لسقوط اسم هذا الايمان عنه وهبوطه من دار الايمان الى دار الاسلام و ثبوت اسم الاسلام عليه و يستمر هذا الى أن يتوب و يستغفر فان تاب و استغفر عاد الى دار الايمان لزوال المانع و هو المعصية بالتوبة و

حتّى يكون في الحرم ، وقد يكون مسلماً ولايكون مؤمناً ولايكون مؤمناًحتّى يكون مسلماً، قال: قلت : فيخرج من الايمان شيء ؟ قال :نعم : قلتفيصيّره إلى ماذا ؟ قال إلى الاسلام أوالكفر . و قال : لو أنّ رجلاً دخلا لكعبة فأفلت منه بوله اُخرج من الكعبة ولم يخرج من الحرم فغسّل ثوبهوتطهّر ثمّ لم يمنع أن يدخل الكعبة ولو أنّ رجلاً دخل الكعبة فبال فيها معانداًاُخرج من الكعبة و من الحرم و ضربت عنقه.

(باب)

١ـ عليّ بن محمّد، عن بعض أصحابه ، عن آدم بن إسحاق، عن عبدالرزّاق بن مهران ، عن الحسين بن ميمون، عن محمّدبن سالم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن

الاستغفار ولايخرجه من دارالايمان الى دارالكفر الا الجحود للصانع و الرسول و تحليل ما هو حرام و تحريم ماهو حلال من ضروريات الدين أوبعدالعلم بحله وحرمته أو مطلقاً و جعله ديناً ولمن تبعه فعند ذلك يكون خارجاً من دار الايمان والاسلام داخلا فى دار الكفر و كان بمنزلة من دخل الحرم ثم دخل الكعبة و أحدث معانداً فيها حدثاً فاخرج عن الكعبة و عن الحرم فضربت عنقه و صار الى النار، و هذا التمثيل يدل على أن المرتد يقتل و أن القتل لايدفع عنه العقوبة الاخروية واستثنى منه الملى والمرأة لقبول توبتهما فيرجعان بعدها الى الايمان.

قوله (لو أن رجلا دخل الكعبة فافلت منه بوله ـ الخ) يفهم من هذا التمثيل أن المؤمن اذا صدر منهذنب لايوجب كفره خرج من الايمان ودخل فى الاسلام ثم اذاتاب دخل فى الايمان ، و اذا صدر منه ذنب يوجب كفره خرج من الايمان و الاسلام و دخل فى الكفرو استحق القتل الا من استثنى.

قوله (باب ـ على بن محمدعن بعض أصحابه ـ الخ) فى السند مع الارسال جهالة، والغرض من هذا الباب أن الايمان قبل الهجرة لضعف الدين و قلة ناصره كان مجرد التصديق بالتوحيد والرسالة ثم صار بعدها لقوته و كثرة ناصره و شيوع الاحكام فيه وصدور الوعيد عليها هذا مع التصديق بالولاية والعمل و أن الكفر يتحقق بانتفاء واحد منها وأن المؤمن لايعذب أصلا و أن الايمان فى الشرائع السابقة كان أيضاً كذلك و أن كثيراً من هذه الامة لزيغ قلوبهم و عدم رجوعهم الى المرشد بالحق اتبعوا المتشابهات والمنسوخات ، و رفضوا المحكمات والناسخات، و زعموا أن الايمان انما هو بالمعنى الاول وحدهولم يعلموا

ناساً تكلّموا في هذا القرآن بغير علم و ذلك أنّ الله تبارك و تعالى يقول: «هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ اُمّ الكتاب واُخر متشابهات فأمّا الذين في قلوبهم زيغٌ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلاّ الله» -الآية» فالمنسوخات من المتشابهات، والمحكمات من الناسخات، إنّ الله عزّ وجلّ

أنه نسخ وحدة ذلك وضم معه شيء آخر .

قوله (ان ناساً تكلموا -الخ) التنكير للتحقير أو للتكثير أولهما و ذلك اشارة الى تكلمهم و ما بعده بيان لوقوعه لان الله تعالى أخبر به و اعلم أنه لايجوز تأويل متشابهات القرآن والاحاديث عندنا بالرأى بل يجب صرفه الى الراسخين في العلم وهم أهل الذكر عليهم السلام و من يتعرض له من أصحابنا فانما يتعرض لوجوهه على سبيل الاحتمال من غير جزم بأحدها الا أن يدل عليه دليل آخر.

قوله (هن أم الكتاب-الخ) قيل أم الكتاب أصله الذى يرجع اليه عند الاشكال أى هن اصول ما أشكل من الكتاب فيرد ما أشكل منه الى ما اتضح منه، وقيل غير ذلك، والزيغ الميل عن الحق الى غيره والفتنة الضلال أو الشك والتأويل صرف الكلام عن ظاهره الى خلافه والمتبعون للمتشابه لابتغاء الفتنة منهم من يتبعه للقدح فى القرآن والتشكيك فيه واضلال العوام كالزنادقة والقرامطة و غيرهم و منهم من يتبعه و يعتقد بظاهره كالمجسمة والمصورة و منهم من يتبعه و يحمله على خلاف ظاهره برأيه كأهل السنة ، و أما الفرقة الناجية فيرجعون فى تأويله الى الله والى الراسخين فى العلم، وقد جرت الحكمة البالغة على أن يمتحن الله عزوجل عباده فى هذه النشأة بأنحاء شتى و مما امتحنهم به انزال المتشابهات والله ولى التوفيق .

قوله (فالمنسوخات من المتشابهات والمحكمات من الناسخات) النسخ فى اللغة الازالة والابطال و فى العرف ازالة حكم شرعى بدليل شرعى متأخر، والمتقدم منسوخ و المتأخر ناسخ، والمحكم فى اللغة المتقن و فى العرف يطلق على ماله معنى لايحتمل غيره و على ما اتضحت دلالته، وعلى ماكان محفوظا من النسخ أو التخصيص أو منهما جميعاً ، و على مالايحتمل من التأويل الا وجهاً واحداً والمتشابه يقابله بكل واحد من هذه المعانى. اذا عرفت هذا فنقول الظاهر أن الفاء للتفسير لزيادة تفظيع حالهم بأنهم يتبعون المنسوخات و المتشابهات دون المحكمات والناسخات لان المنسوخات من باب المتشابهات فى التشابه اذ يشتبه عليهم ثباتها و بقاؤها ، والمحكمات من قبيل الناسخات فى الثبات والبقاء فاذا اتبعوا المتشابهات اتبعوا المنسوخات لانهما من باب واحد و اذا اتبعوا المنسوجات لم يتبعوا

بعث نوحاً إلى قومه « أن اعبدوا الله و اتقوه و أطيعون » ثمّ دعاهم إلى الله وحده وأن يعبدوه ولايشركوا به شيئاً، ثمّ بعث الأنبياء عليهم السلام على ذلك إلى أن بلغوا محمّداً صلى الله عليه وآله فدعاهم إلى أن يعبدوا الله ولايشركوا به شيئاً و قال: « شرع لكم من الدّين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك و ما وصّينا به إبراهيم و موسى و عيسى أن أقيموا الدّين ولاتتفرّقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه. الله يجتبي إليه من يشاء و يهدي إليه من ينيب» فبعث الأنبياء إلى قومهم بشهادة أن لا إله إلاّ الله و الاقرار بما جاء [به] من عندالله فمن آمن مخلصاً و مات علي ذلك أدخله الجنّة بذلك و ذلك أنّ الله ليس بظلاّمٍ للعبيد و ذلك أنّ الله لم يكن يعذّب عبداً حتّى

الناسخات واذا لم يتبعوا الناسخات لم يتبعوا المحكمات لانهما أيضاً من باب واحد و لذلك قالوا الايمان هو مجرد التصديق بالله ورسوله ولم يعلموا أنه كان كذلك قبل الهجرة ثم نسخ بعدها واضيف اليه الولاية والعمل، ويحتمل أن يكون للتفريع لانه يفهم من الاية اتباعهم المنسوخات لكونها من باب المتشابهات وعدم اتباعهم المحكمات لكونها من باب الناسخات التى يتبعوها وعلى هذا لاقلب فى قوله «ع» والمحكمات من الناسخات كما زعمه بعض نظراً اليه، و قال كون المنسوخات من أفراد المتشابهات و أخص منها له وجه ، و أما كون المحكمات من أفراد الناسخات و أخص منها فلاوجه له بل الامر بالعكس ففيه قلب فليتأمل.

قوله (ان الله عزوجل بعث نوحاً) كان المراد هنا أمران الاول يعلم ضمناً وهو أن الله عزوجل بعث الانبياء و قرر الايمان والشرائع وأوجب على عباده الرجوع اليهم وعدم التقول فى الدين بآرائهم، والثانى أن الايمان فى بداية بعثة كل رسول كان مجرد التصديق بالتوحيد والرسالة ومن مات عليه كان مؤمناً وجبت له الجنة ثم صار بعد وضع الاحكام و الوعيد على مخالفتها و تكثر الامم واستجابتهم هذا مع العمل حتى من ترك تلك الاحكام خرج من الايمان و استحق الدخول فى النار. و فيه رد على من زعم أن الايمان انما هو التصديق المذكور والله أعلم .

قوله (فمن آمن مخلصاً) أى من آمن بالله ونفى الشريك عنه وآمن برسوله وبما جاء به الرسول مخلصاً معتقداً غيرمشوب بالشك ومات عليه أدخله الله الجنة بذلك ولايعاقبه بترك الاعمال ولاينافى ذلك وجوبها لان الواجب ممايستحق تاركه ذماً لامايعاقب تاركه و استحقاق الذم لايوجب العقوبة بل لايوجب الذم أيضاً.

يغلّظ عليه في القتل والمعاصي الّتي أوجب الله عليه بها النار لمن عمل بها ، فلمّا استجاب لكلّ نبيّ من استجاب له من قومه من المؤمنين، جعل لكلّ نبيّ منهم شرعة و منهاجاً والشرعة والمنهاج سبيل و سنّة وقال الله لمحمّد ﷺ: « إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيّين من بعده ».

و أمر كلّ نبيّ بالأخذ بالسبيل والسنّة والسبيل الّتي أمر الله عزّ وجلّ بها موسى عليه السلام أن جعل الله عليهم السبت و كان من أعظم السبت ولم يستحلّ أن يفعل ذلك من خشية الله، أدخله الله الجنّة ، و من استخفّ بحقّه و استحلّ ما حرّم الله عليه من عمل الذي نهاه الله عنه فيه، أدخله الله عزّ وجلّ النار، و

قوله (و ذلك أن الله ليس بظلام للعبيد) الظاهر أن ذلك اشارة الى ادخاله فى الجنة بمجرد تلك الشهادة والاقرار و ان لم يعمل، بيان ذلك أنه مؤمن وعدم ادخال المؤمن فيها ظلم لاستحقاقه اياها والله ليس بظلام للعبيد بمنعهم عن حقوقهم، و فيه مبالغة فى نفى الظلم لا نفى مبالغة فى الظلم على أنه لو اريد هذا لامكن أن يقال فيه نفى للظلم بالكلية لان كل صفة له تعالى على وجه الكمال فلو كان له ظلم كان ظلمه على وجه الكمال فاذا نفى عنه الظلم على هذا الوجه فقد نفى عنه ظلم رأساً.

قوله (و ذلك أن الله لم يكن يعذب) لعله اشارة الى عدم تعذيبه بترك العمل حينئذ لكونه مذكوراً التزاماً لان ادخاله الجنة بمجرد ذلك التصديق يستلزم عدم التعذيب بترك العمل. بيان ذلك أن الله تعالى لم يكن يعذب العبد بالمعاصى حتى يغلظ عليه فيها و يوجب لمن عمل بها النار و لما لم يغلظ عليه فيها و لم يوعده بالنار بها فى ذلك الزمان لا يعذبه بها .

قوله (فلما استجاب لكل نبى من استجاب) لعل المراد أن الايمان بعد استجابة الامة و كثرتهم ووضع الشرائع من الاوامر والنواهى والحدود والتغليظ عليهم بالمعاصى و وعيدهم بالنار بفعلها صار عبارة عن ذلك التصديق والعمل حتى من ترك واحداً منهما كان كافراً يعذب بالنار. و الشرعة و المنهاج متقاربان لان الشرعة طريق الدين و المنهاج الطريق المستقيم والمراد بهما الاحكام والفرائض والحدود و غيرها من التكاليف التى وقع التغليظ بها والوعيد فيها.

قوله (و من استخف بحقه واستحل ما حرم الله عليه) دل على أن مخالفة الاحكام كفر يوجب الدخول فى النار مع الاستحلال والظاهر أنه لاخلاف فيه بين الامة وما ذلك الا لان

ذلك حيث استحلّوا الحيتان و احتبسوها و أكلوها يوم السبت، غضب الله عليهم من غير أن يكونوا أشركوا بالرّحمن ولاشكّوا في شيء ممّا جاء به موسى عليه السلام ، قال الله عزّوجلّ : « و لقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردةً خاسئين» ثمّ بعث الله عيسى عليه السلام بشهادة أن لاإله إلاّ الله والاقرار بما جاء به من عندالله و جعل لهم شرعة و منهاجاً فهدمت السبت الّذي اُمروا به أن يعظّموه قبل ذلك وعامّة ما كانوا عليه من السبيل والسنّة الّتي جاء بها موسى فمن لم يتّبع سبيل عيسى أدخله الله النّار و إن كان الذي جاء به النبيّون جميعاً أن لايشركوا بالله شيئاً ، ثمّ بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله و هو بمكّة عشر سنين فلم يمت بمكّة في تلك العشر سنين أحدٌ يشهد أن لاإله إلاّ الله و أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله رسول الله إلاّ أدخله الله الجنّة باقراره وهو إيمان

الاقرار بها والعمل بهاداخلان فى الايمان، واذا كان كذلك كان تاركهاو ان لم يستحل كافراً يعذب بالنار أيضاً كمايدل عليه سياق العبارات الاتية.

قوله (حيث استحلوا الحيتان) أى استحلوا صيدها أو أكلها ويوم السبت ظرف لاحتبسوهالالاكلوها، أى احتبسوها يوم السبت فى مضيق بسدالطريق عليها ثم اصطادوهـا يوم الاحد وأكلوها، فعلوا ذلك حيلة وتحرزاً من اصطيادها فى يوم السبت ولم تنفعهم تلك الحيلة لان احتباسها فيه هتك لحرمته فخرجوا بذلك من الايمان الى الكفر ولذلك غضب الله عليهم من غير أن يشركوا بالرحمن و أن يشكوا فى رسالة موسى وماجاء به، و لذلك يصطادوا يوم السبت فسبب الغضب عليهم ودخولهم فى النار ليس الاتركهم حرمة السبت واحتباس الحيتان فيه فعلم ان الايمان ليس مجردالتصديق بل هومع العمل لان المؤمن لايغضب ولايدخل النار و فيه شىء لان استحلالهم الحيتان ينافى ظاهراً عدم شكهم بماجاء به موسى، ويمكن دفعه بأن ماجاء به موسى تحريم الحيتان يوم السبت وهم استحلوها يوم الاحد و لحق بهم مالحق بسبب احتباسهم يوم السبت والله أعلم .

قوله (قال الله تعالى ولقد علمتم) استشهاد لقوله غضب الله عليهم أوله ولما قبله.

قوله (وان كان الذى جاء به النبيون) جميعاً أن لايشرك بالله شيئاً الموصول اسم كان وأن لايشرك خبره أوالمجموع اسمه وخبره محذوف أى وان كان معه ماجاء به النبيون وهو عدم الشرك فعلى الاول يفيدعدم ورودالنسخ عليه و على الثانى يفيد ان من لم يتبع يدخل النار وان كان معه عدم الشرك بالله.

قوله (يشهد أن لااله الاالله)لعل المراد به التصديق بالتوحيد والرسالة أو مع الاقرار

التصديق ولم يعذّب الله أحداً ممّن مات و هومتّبع لمحمّد صلى الله عليه وآله على ذلك إلاّ من أشرك بالرّحمن.

وتصديق ذلك أنّ الله عزّوجلّ أنزل عليه في سورة بني إسرائيل بمكّة « و قضى ربّك أن لاتعبدوا إلاّ إيّاه و بالوالدين إحساناً ـ إلى قوله تعالى ـ إنّه كان بعباده خبيراً بصيراً » أدبٌ وعظةٌ و تعليمٌ و نهيٌ خفيف ولم يعد عليه و لم يتواعد على اجتراح شيء ممّا نهى عنه ،وأنزل نهياً عن أشياء حذّر عليها و لم يغلظ فيها ولم يتواعد عليها و قال : « ولاتقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم و إيّاكم إنّ قتلهم كان خطأً كبيراً . ولاتقربوا الزنى إنّه كان فاحشة و ساءسبيلاً . ولاتقتلوا النفس التي حرّم الله إلاّ بالحقّ ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً فلايسرف في القتل إنّه كان منصوراً . ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالّتي هي أحسن حتّى يبلغ أشدّه و أوفوا بالعهد إنّ العهد كان مسؤولاً . و أوفوا الكيل إذا كلتم و زنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خيرٌ و أحسن تأويلاً . ولا تقف ماليس لك به علمٌ إنّ

باللسان لامجرد الاقرار به بقرينة قوله « وهو ايمان التصديق » والمراد بالا سلام حينئذ هو الاقرار و يؤيده ما مر من أن الايمان اقرار و عمل ، والاسلام اقرار بلا عمل لما ذكرنا أن العمل عبارة عن التصديق.

قوله (وهو ايمان التصديق) الايمان على نوعين أحدهما هذا والاخر ايمان التصديق و العمل ، و الثانى درجاته متفاوتة جداً و كذا الاول لان له تفاوتاً معنوياً بالقوة و الضعف اما بالذات أو باعتبار الاعمال الخارجة عنه ثم التعذيب قبل الهجرة بترك الاول فقط و بعدها بترك الاول والثانى.

قوله (الا من أشرك بالرحمن) أى من نفى التوحيد أو الرسالة بقرينة السياق.

قوله (ذلك أن الله عزوجل أنزل عليه فى سورة بنى اسرائيل) ذلك اشارة الى مفهوم الحصر و منطوقه أعنى عدم التعذيب بغير الشرك والتعذيب به فى مكة قبل الهجرة، وقوله «و قضى ربك ـ الى قوله ـ ولا تجعل مع الله الهاً آخر» بيان للاول و تصديق له حيث أنه عزوجل أنزل آيات فيها و ذكر أحكاماً ولم يغلظ فيها ولم يوعد عليها فلايعاقب بها لانه لا يعاقب قبل التغليظ والتشديد والوعيد، و قوله «ولاتجعل ـ الى قوله ـ حتى اذا اداركوا فيها جميعاً» بيان للثانى وتصديق له لانه صريح فى أنه يعذب بالشرك وأوعد عليه.

السّمع والبصر والفؤاد كلّ أُولئك كان عنه مسؤولاً . ولاتمش في الأرض مرحاً إنّك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولاً . كلّ ذلك كان سيّئه عند ربّك مكروهاً . ذلك ممّا أوحى إليك ربّك من الحكمة ولاتجعل مع الله إلهاً آخرفتلقى في جهنّم ملوماً مدحوراً » و أنزل في«واللّيل إذا يغشى» : « فأنذرتكم ناراً تلظّي. لايصليها إلاّ الأشقى الّذي كذّب و تولّى » فهذا مشركٌ و أنزل في «إذا السّماء انشقّت » :«وأمّا من اوتى كتابه وراء ظهره ، فسوف يدعو ثبوراً ، و يصلى سعيراً . إنّه كان في أهله مسروراً . إنّه ظنّ أن لن يحور بلى » فهذا مشرك . و أنزل في [سورة] تبارك :« كلّما اُلقي فيها فوجٌ سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير . قالوا بلى قدجاءنا نذيرٌ فكذّبنا و قلنا ما نزّل الله من شيء » فهؤلاء مشركون .وأنزلفي الواقعة: « و أمّا إن كان من المكذّبين الضالّين . فنزلٌ من حميم . و تصلية جحيم » فهؤلاء مشركون. وأنزل في الحاقّة. «وأمّا مَن أوتي كتابه بشمالهفيقول

قوله (ولاتقف ـالخ) دل على تحريم القول والعمل والافتاءونحوها بمالم يعلم، قالابن عباس لاتقل سمعت ولم تسمع ولارأيت ولم تروﻻعلمت ولم تعلم، وقال بعض العلماء المراد بسؤال الجوارح ا.ا سؤال نفسها أو سؤال أصحابها كمايظهر من أولئك أو جعلت بمنزلةذوىالعقول أوهم ذو واالعقول مع الله تعالى وهو أظهر كما فى كثير من الايات والروايات.

قوله (ولاتمش فى الارض مرحاً) أى لاتمش فى الارض أشراً و بطراً و اختيالا انك لالن تخرق الارض بتثاقلك و كبرك فى المشى أو بضرب قدميك عليها لتعرف قدرتك و قوتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك و مد عنقك فماوجه تفاخرك و عدم تواضعك كل ذلك المذكور من النواهى كان سيئهومعصيته عند ربك مكروهاً يريدتركه ولايرضاه، و بين سبحانه أن العبد ضعيف وعلمه التواضع والتودد والوقار.

قوله (ولا تجعل معالله الهاً آخر فتلقى فى جهنم ملوماً مدحوراً) أى مطروداً عن طريق جنتهمبعداً عن نيل رحمته مدفوعاً عن احسانه ورأفته وهذا شروع فىذكر آيات نزلت فى مكة دالة علىالوعيد بالشرك والتعذيب به.

قوله (فهذا مشرك) أى هذاالمذكور و هو الاشقى والملقى فى جهنم مشرك لاغيره ممن صدق بالتوحيد والرسالة و تركالعمل فى مكة لانه مؤمن بايمان التصديق الذىكانهو الايمان فى مكة، والمؤمن لايلقى فى جهنمولايصلى ناراً.

يا ليتني لم اُوت كتابيه. ولم أدر ما حسابيه . يا ليتها كانت القاضية. ما أغنى عنّي ماليه - إلى قوله - إنّه كان لايؤمن بالله العظيم » فهذا مشرك ، و أنزل في طسم: «و برّزت الجحيم للغاوين . وقيل لهم : أينما كنتم تعبدون . من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون. فكبكبوا فيها هم والغاوُن . و جنود إبليس أجمعون » جنود إبليس ذرّيّته من الشياطين. و قوله : « و ما أضلّنا إلاّ المجرمون » يعني المشركين الذين اقتدوا بهم هؤلاء فاتّبعوهم على شركهم وهم قوم محمّد صلّى الله عليه وآله ليس فيهم اليهود و النّصارى أحد و تصديق ذلك قول الله عزّ وجلّ : « كذّبت قبلهم قوم نوح» «كذّب أصحاب الأيكه» « كذبت قوم لوط » ليس فيهم اليهود الذين قالوا : عزيز ابن الله ولا النصارى الّذين قالوا : المسيح ابن الله ، سيدخل الله اليهود والنصارى النّار

قوله (جنود ابليس ذريته من الشياطين) دون من اتبعه من الغاوين لان التأسيس خير من التأكيد.

قوله (و قوله وما أضلنا الا المجرمون يعنى المشركين) حكاية عن أهل جهنم قالوا وهم فيها يختصمون «تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا الا المجرمون» وقوله مبتدء و يعنى خبره والجملة عطف على جملة جنود ابليس وذريته واريد بالمجرمين المشركون الذين اقتدى بهم هؤلاء القائلون ،و قوله «وهم امة محمد «ص» »اشارة الى أن التابع* والمتبوع كليهما من امته لدفع ما عسى أن يقال من أن الاية فى بيان اليهود والنصارى ووصف مشركيهم القائلين بأن عزير ابن الله والمسيح ابن الله و وصف تابعيهم لافى بيان حال المشركين من قوم محمد «ص» فى مكة.

قوله (و تصديق ذلك قول الله عزوجل «كذبت قبلهم قوم نوح » «كذب أصحاب الايكة» «كذبت قوم لوط») ذلك اشارة الى« قوله هم امة محمد «ص» والايكة غيضة بقرب مدين سكنتها طائفة فبعث الله اليهم شعيباً كما بعثه الى مدين، و وجه التصديق أن الاية تسلية له « ص » بأن قومه ان كذبوه فهو غير منفرد فى التكذيب، فان هؤلاء الرسل قد كذبهم قومهم قبل قومه. و فيه دلالة واضحة على أن المجرمين هم المشركون المكذبون من قومه دون اليهود والنصارى.

قوله (ليس فيهم اليهود) تأكيد لقوله ليس فيهم من اليهود والنصارى أحد أو الاول نفى للتشريك وهذا نفى للاختصاص ،

قوله (سيدخل الله اليهود) أشار به الى أنه لايلزم من اختصاص الاية المذكورة

و يدخل كلّ قوم بأعمالهم ، و قولهم : « و ما أضلّنا إلاّ المجرمون » إذ دعونا إلى سبيلهم ذلك قول الله عزّ وجلّ فيهم حين جمعهم إلى النّار « قالت اُوليهم لاُخريهم ربّنا هؤلاء أضلّونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النّار » و قوله : « كلّما دخلت اُمّة لعنت اُختها حتّى إذا ادّاركوا فيها جميعاً » برىء بعضهم من بعض و لعن بعضهم بعضاً ، يريد بعضهم أن يحجّ بعضاً رجاء الفلج فيفلتوا من عظيم ما نزل بهم و ليس بأوان بلوى ولا اختبار ولا قبول معذرة ولا حين نجاة والآيات و أشباههنّ ممّا نزل به بمكّة ولايدخل النار إلاّ مشركاً ، فلمّا أذن الله لمحمّد صلّى الله عليه وآله في الخروج من مكّة إلى المدينة بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلاّ الله و أنّ محمّداً صلّى الله عليه وآله عبده و رسوله و إقام الصّلاة و إيتاء الزّكاة و حجّ البيت و صيام شهر رمضان وأنزل عليه الحدود و قسمة الفرائض و أخبره بالمعاصي الّتي أوجب الله عليها و بها النّار لمن

بمشركي قومه « ص » أن لا يدخل اليهود و النصارى النار اذ عدم فهم دخولهم فيها من هذه الاية لا يوجب عدم دخولهم فيها لانهم أيضاً يدخلون فيها بأدلة اخرى كمايدخل فيها كل قوم بأعمالهم.

قوله (و قولهم «وماأضلنا الا المجرمون»اذدعونا الى سبيلهم) أشاروا بذلك الى سبب الاضلال و هو أن المجرمين دعونا ألى سبيلهم وهو الشرك فاستجبنا لهم واتبعناهم و لما كان قولهم هذا يدل صريحا و ضمنا على نسبة الاضلال اليهم والمخاصمة بينهم و براءة بعضهم من بعض والاعتذار من ضلالتهم أشار الى أنه أخبر بجميع ذلك قول الله عزوجل فيهم الى آخرما ذكر. وادار كوا أصله تداركوا فادغم، ومعناه تلاحقوا أى لحق آخرهم أولهم. **قوله**(فلما أذن الله لمحمد «ص» فى الخروج) لما فرغ ممادل على أن الله تعالى لايعذب قبل الهجرة الا بالشرك وهو انكار التوحيد والرسالة شرع فيما دل على أنه يعذب بعدها بالشرك وبترك الطاعات وفعل المنهيات وهو مع انضمام أن المؤمن لايعذب دل على أن العمل معتبر فى تحقق الايمان بعدها ، وبالجملة المفهوم من احاديث هذا الباب أن المؤمن لايعذب وأن الايمان قبل الهجرة مجرد التصديق و بعدها التصديق مع العمل و بناء الاسلام بعدها على خمس دل على أن من ترك منها شيئاً خرج من الاسلام ودخل فى الكفر و انما قال بنى الاسلام ولم يقل بنى الايمان لئلايتوهم أن التارك داخل فى الاسلام ثم ان سمى كل واحد من هذه الخمسة ايماناأيضاً كماسمى المجموع على مايظهر من الباب الاتى كان مصداق الايمان قبل الهجرة أقل من مصداقه بعدها والا فهو أكثر.

عمل بها و أنزل في بيان القاتل « و من يقتل مؤمناً متعمّداً فجزاؤه جهنّم خالداً فيها و غضب الله عليه و لعنه و أعدّ له عذاباً عظيماً » ولا يلعن الله مؤمناً قال الله عزّ وجلّ : « إنّ الله لعن الكافرين و أعدّ لهم سعيراً. خالدين فيها أبداً لا يجدون وليتاًول نصيراً » و كيف يكون في المشيئة وقد ألحق به ـ حين جزاه جهنّم ـ الغضب واللّعنة وقد بيّن ذلك مَن الملعونون في كتابه و أنزل في مال اليتيم من أكله ظلماً « إنّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنّما يأكلون في بطونهم ناراً و سيصلون سعيراً » و ذلك أنّ آكل مال اليتيم يجيء يوم القيامة والنّار تلتهب في بطنه حتّى يخرج لهب النّار من فيه حتّى يعرفه كلّ أهل الجمع أنّه آكل مال اليتيم ، و أنزل في الكيل: « ويلٌ للمطفّفين » ولم يجعل الويل لأحد حتى يسمّيه كافراً ، قال الله عزّوجلّ : « فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم » و أنزل في العهد « إنّ الذين يشترون بعهد الله و أيمانهم ثمناً قليلاً أُولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلّمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم و لهم عذابٌ أليم » والخلاق :

قوله (ولا يلعن الله مؤمناً)وكذا لايغضب عليه ولعل المراد أن قاتل المؤمن معتمداً كافر خارج من الايمان والظاهر أن قوله «قال الله عزوجل» استشهاد لعدم لعن المؤمن، وفى دلالته عليه خفاء لان تعلق اللعن بالكافرين لايدل على عدم تعلقه بغيرهم الا أن يقال تخصيصهم بالذكر يدل على ذلك أو يقال المقصود من الاية بيان الملعونين و تعيينهم وتمييزهم عن غيرهم و يرشد اليه قوله «ع» قد بين ذلك من الملعونين فى كتابه فاذا لم يذكر غير الكافرين علم أن اللعن لايتعلق بالمؤمنين.

قوله (وكيف يكون فى المشيئة) كيف للانكار رداً على من زعم أن القاتل فى مشية الله تعالى ان شاء عذبه وأخزاه، و ان شاء رحمه ونجاه أى كيف يكون هو فى المشيئة و قد ألحقه بالكافر فى دخوله فى النار أبداً وصرح بالغضب واللعن عليه.

قوله (قد بين ذلك من الملعونون فى كتابه) ذلك اشارة الى قوله تعالى و فاعل لبين و«من» مفعوله واذا كان ذلك بياناً للملعونين علم أنهم هم الكافرون فلا يكون المؤمن ملعوناً .

قوله (وذلك أن آكل مال اليتيم) اليتيم معروف و قد يطلق على آل محمد صلى الله عليه و آله بل على شيعتهم أيضاً كما دل عليه بعض الروايات ولايبعد التعميم هنا.

النصيب ، فمن لم يكن له نصيبٌ في الاخرة فبأيّ شيء يدخل الجنّة ، و أنـزل بالمدينة « الزّاني لاينكح إلاّ زانية أو مشركة والزانية لاينكحها إلاّ زان أو مشرك و حرّم ذلك على المؤمنين » فلم يسمّ الله الزّاني مؤمناً ولا الزّانـية مؤمنة. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ليس يمتري فيه أهل العلم أنّه قال : لايزني الزّاني حين يزني و هو مؤمن ولايسرق السارق حين يسرق و هو مؤمنٌ فانّه إذافعل ذلك

قوله (الزانى لاينكح الازاينة أومشركة) نهى الزانى عن نكاح المؤمنة نهى تحريم أو تنزيه لعدم التناسب بينهما فى الايمان و رخص له نكاح الزانية والمشركة لتحقق التناسب بينهما فى الكفر، و لعل الغرض من النهى والترخيص هو الاشعار بخسة الزناء ،واهانة أهله و الزجر عنه لانه الذى بعده عن الايمان وقربه الى الكفر ولاستنكاف طبع المسلم أن تكـون زوجته زانية أومشركة ويحثه ذلك على ترك الزناء وقس على هذا نظيره.

قوله (فلم يسم الله الزانى مؤمناً ولاالزانية مؤمنة) وجه التفريع انه قارن الزانـى بالمشرك وأخرجه عن حكم المؤمن وقارن الزانية بالمشركة وأخرجها عن حكم المؤمنة أو أنه لما منع بمفهوم الحصر الاول أن ينكح الزانى مؤمنة لانتفاء الكفؤ وهو الايمان و جـوز بمنطوق الثانى أن ينكح الزانى والمشرك زانية لتحقق الكفو و هو الكفر علم أن الزانى و الزانية ليسا بمؤمنين أو أنـه فهم ذلك من قوله تعالى «و حرم ذلك» أى النكاح المذكور على المؤمنين والتحريم يحتمل الوجهين.

قوله (وقال رسول الله «ص» ليس يمترى) أى قال رسول الله «ص» لايزنى الزانـى حين يزنى وهو مؤمن لايشك أهل العلم من هذه الامة أن هذا قوله وفى هذا الحديث وأمثاله دلالة على أن الزانى حين الزناء والسارق حين السرقة ليسا مؤمنين قطعاً حتى لوماتا فى تلك الحـالة كانا مخلدين فى النار كسائر الكفار وهو يشكل بظاهره لما فى الروايات الكثيرة من ان تارك العمل وفاعل المعصية فاسق تلحقه الشفاعة فلابد من تأويله وأقرب التأويلات أنه ليس بكامل الايمان وأنه يخلع عنه الايمان الكامل كخلع القميص فيكون من باب نفى الشىء بنفى صفته نحو لاعلم الا ما نفع، وقيل انه ليس بمؤمن اذا كان مستحلا وهذا ليس مختصاً بما ذكر وكأنه للتمثيل، و قيل ليس بمؤمن من العقاب وهذا أيضاً ليس بمختص، و قيل المقصود نفى المدح أى لايقال له مؤمن بل يقال: زان اوسارق، وقيل أنه لنفى البصيرة أى ليس ذا بصيرة و نقل عن ابن عباس انه لنفى النور أى ليس ذا نور، وقيل انه نهى لاخبر وهو بعيد لانه لايساعده اللفظ ولا الرواية وقيل المقصود نفي الاستحضار أى ليس بمستحضر الايمان، وقيل المقصود نفى العقل أى ليس

خلع عنه الإيمان كخلع القميص، و نزل بالمدينة «الّذين يرمون المحصنات ثمّ لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولاتقبلوا لهم شهادة أبداً و اُولئك هم الفاسقون۞إلاّ الّذين تابوا من بعد ذلك و أصلحوا فإنّ الله غفور رحيم» فبرأه الله ما كان مقيماً على الفرية من أن يسمّى بالايمان، قال الله عزّوجلّ: «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لايستوون» و جعله الله منافقاً، قال الله عزّوجلّ: «إنّ المنافقين هم الفاسقون» و جعله عزّوجلّ من أولياء إبليس، قال: «إلاّ إبليس

بعاقل لان المعصية مع استحضار العقوبة مرجوحة والحكم بالمرجوح بخلاف المعقول، وقيل المقصود نفي الحياء والحياء شعبة من الايمان أي ليس بمستحي من الله سبحانه، وقيل محمول على التشديد كقوله تعالى «و من كفر فان الله غني عن العالمين» وقيل انه من المتشابهات هذا جملة القول من العامة والخاصة فليتأمل.

قوله (الذين يرمون المحصنات ـ الخ) رتب على قذف المحصنات ثلاثة امور الاول ثمانون جلدة. الثاني عدم قبول الشهادة مطلقاً كما يقتضيه وقوع النكرة في سياق النفي، قال القاضي وقيل في القذف ولايتوقف على استيفاء الجلد خلافاً لابي حنيفه لان الواو لايدل على الترتيب ولان حال القاذف قبل الجلد أسوء مما بعده الثالث أنه فاسق خارج عن طاعة الله تعالى ثم الظاهر أن الاستثناء متعلق بالاخيرين، و أما الجلد فهو حق الناس لايسقط الا بالاستحلال عن المقذوف والاصلاح المذكور بعد التوبة. قيل هو تأكيد وتقرير لها، وقيل هو البقاء عليها، و قيل هو تسليم النفس للحد أو طلب العفو عن المقذوف.

قوله (فبرأه الله ماكان مقيما على الفرية من أن يسمى بالايمان) أي فبرأ الله تصديقه بأن يكون الضمير راجعاً اليه بقرينة المقام أو اريد بالايمان المؤمن مجازاً أو أهل الايمان بحذف المضاف و فيه دلالة على أنه اذا تاب عن الفرية و أكذب نفسه عنها عاد الى الايمان و يسمى مؤمناً.

قوله (قال الله عزوجل) بيان لعدم تسمية الرامي مؤمناً وحاصله ان الله تعالى سماه في الاية المذكورة فاسقاً و جعل الفاسق في قوله «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً» مقابلا للمؤمن فهو غير مؤمن و له وجه آخر و هو أنه تعالى سماه فاسقاً وسمى الفاسق كافراً فهو كافر والكافر ليس مؤمناً أما الاول فلما مر، و أما الثاني فلقوله تعالى «و من لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون» «و من لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون».

قوله (قال الله عزوجل ان المنافقين هم الفاسقون) دليل على جعله منافقاً اذ حصر

كان من الجنّ ففسق عن أمر ربّه » وجعله ملعوناً فقال : « إنّ الّذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدّنيا والاخرة و لهم عذاب عظيم. يوم تشهد عليهم ألسنتهم و أيديهم و أرجلهم بما كانوا يعملون » و ليست تشهد الجوارح على مؤمن إنّما تشهد على من حقّت عليه كلمة العذاب ، فأمّا المؤمن فيعطى كتابه بيمينه قال الله عزّ وجلّ :« فأمّا من اوتي كتابه بيمينه . فاُولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلاً » و سورة النور اُنزلت بعد سورة النساء وتصديق ذلك أنّ الله عزّ وجلّ أنزل عليه في سورة النّساء « و اللاّتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهنّ أربعة منكم فإن شهدوا فامسكوهنّ في البيوت حتّى يتوفّاهنّ الموت أو يجعل الله لهنّ سبيلاً » والسبيل الّذي قال الله عزّ وجلّ « سورة أنزلناها و فرضناها و أنزلنا فيها آيات بيّنات لعلّكم تذكّرون . الزّانية والزاني فاجلدوا كلّ واحد منهما

الفاسق فى المنافق يدل على أن كل فاسق منافق .

قوله (وليست تشهد الجوارح على مؤمن- الخ) هذا صريح فى أن شهادة الجوارح مختصة بالكافرين كما ذهب اليه بعض المفسرين و مال اليه الشيخ بهاء الملة والدين فى الحديث الخامس من الاربعين والظاهر أن شهادتها بطريق النطق والقادر الذى أقدر اللسان على النطق قادر على انطاقها و اقدارها عليه و يحتمل أن يكون بلسان الحال فان كل عضو لما كان مباشراً لفعل من الافعال كان حضور ذلك العضو و ماصدر عنه فى علم الله بمنزلة الشهادة القولية بين يديه و هذا الاحتمال بعيد جداً بل يأباه ظاهر الاية.

قوله (ولا يظلمون فتيلا) الفتيل مايكون فى شق النواة من الخيط وقيل مايفتل بين الاصبعين من الوسخ وهو كناية عن نفى الظلم مطلقاً.

قوله (و سورة النور انزلت بعد سورة النساء) الظاهر أنه لم يذكره لبيان السابق اذ لا تعلق له به بل ذكره لبيان الواقع والاشعار بأن سبيلا فى آية النساء هو الجلد الذى فى آية النور لان القرآن بعضه يفسر بعضاً و الراسخون فى العلم يعرفونه بالهام الهى و تعريف نبوى .

قوله (واللاتى يأتين الفاحشة -الخ) قيل المراد بالفاحشة الزناء و قيل المساحقة و بالامساك منعهن عنها أو حبسهن فى البيوت فجعلها سجنا عليهن و لعل المضاف الى الموت محذوف أي ملك الموت والسبيل هو الجلد ولم يذكره استغناء بقوله « الزانية

مائة جلدة ولاتأخذكم بهما رأفة في دين‌الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر و ليشهد عذابهماطائفة من‌المؤمنين» .

٢ـ محمّد بن يحيى، عن أحمدبن محمّد، عن محمّدبن إسماعيل، عن محمّدبن‌الفضيل،عن أبي الصبّاح الكناني، عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: قيل لأميرالمؤمنين عليه‌السلام : من

و الزاني فاجلدوا».

قوله (ولا تأخذكم بهما رأفة) قال الفاضل الاردبيلى هى تدل على تحريم ترك الحد أو البعض منه كماً أوكيفاً رحمة لهما بل مطلق الرحمة بأن يقال مسكين عذبوه ، أو حصل له عذاب كثيرونحو ذلك بالجملة الرحمة فى دين‌الله أى طاعته و حكمه بخلاف‌مقتضاه حرام بل يفهم أنها تسلب الايمان بالله واليوم الاخر يعنى أن المؤمن بهما لايفعل ذلك، و فى حضور طائفة عند اقامة الحد زيادة فى التنكيل فان التفضيح ينكل أكثر ما ينكل التعذيب، والطائفةقيل: أقلها ثلاثة وقيل : اثنان و قيل أربعة و قيل واحد و قيل جمع يحصل به التشهير. (١)

(١) قوله «يحصل به التشهير» هذاالحديث بطوله رد على‌المرجئة وهم‌كانواجماعة فى‌صدر الاسلام يرون أنه لايضر مع الايمان شىء من‌عمل الجوارح كمامر مراراً فهم نظير جماعة من‌عوام الشيعة يزعمون السعادة الاخروية تنحصر فى ولاية أهل‌البيت عليهم‌السلام‌ولا يضر مع‌ولايتهم ترك‌العبادات وارتكاب‌المناهى‌والقبائح‌ومثلهم جماعة من‌الزنادقة‌المتظاهرين بالاسلام يطمعون أن يعدهم المسلمون من جماعتهم ويصافوهم المودة ويعاونوهم فى‌مقاصدهم يقولون بأفواههم نحن مسلمون وان تركوا‌الصلاة والصوم و سائر ماجاء به النبى «ص» و يستهزؤون باكثرأحكامه ويجدون‌فى نقضها و نسخهاوبيان الحجة التى اقامها الامام «ع» أنه‌لو كان الايمان بلاعمل سبباً للنجاة فى‌الاخرة لم‌يكن فائدة فى‌تتابع الانبياء واحداً بعدواحدو نسخ شريعة باخرى وتعذيب من يبقى على‌الدين المنسوخ ولايؤمن بالدين الناسخ فقدنسخ المسيح «ع» سبت اليهود وبعض أحكامهم وعذب اليهود لعدم‌ايمانهم به‌مع‌أن جميعهم كانواعلى نفى الشرك ولم يكن الايمان بالنبى الامقدمة للعمل بشريعته، و أيضاً ورد فى‌آيات كثيرة فى السور المكية الاكتفاء بالايمان ونفى الشرك فى النجاة ولكن فى السورالمدنية آيات فى مؤاخذة الناس فى الاخرة بعمل الجوارح و ان لم يكونوا مشركين و هى ناسخة للايات المكية و صارت المنسوخة لاصحاب الارجاء من المتشابهات التى يتمسك بها الذين فى قلوبهم زيغ. (ش)

شهد أن لاإله إلاّ الله و أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله كان مؤمناً ؟ قال : فأين فرائض الله ؟ . قال : و سمعته يقول : كان عليّ عليه السلام يقول : لو كان الايمان كلاماً لم ينزل فيه صوم ولاصلاة ولا حلال ولا حرام . قال : و قلت لأبي جعفر عليه السلام: إنّ عندنا قوماً يقولون : إذا شهد أن لاإله إلاّ الله و أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله فهومؤمن قال : فلم يُضربون الحدود و لم تقطّع أيديهم ؟! و ما خلق الله عزّ و جلّ خلقاً أكرم على الله عزّ وجلّ من المؤمن ، لأنّ الملائكة خدّام المؤمنين و أنّ جوار الله للمؤمنين و أنّ الجنّة للمؤمنين وأنّ الحور العين للمؤمنين ، ثمّ قال : فما بال من جحد الفرائض كان كافراً ؟ .

قوله (قيل لامير المؤمنين «ع» من شهد أن لا اله الا الله ـ الخ) هذا القول يحتمل أن يكون استفهاماً و اخباراً . وقوله «ع» فأين فرائض الله يدل على أنها معتبرة فى الايمان و لكن بعد الهجرة و أما قبلها فلا، كمامر.

قوله (لوكان الايمان كلاماً لم ينزل) أى لوكان الايمان كلاماً لسانياً و هو الاقرار بالشهادتين أو قلبيا أيضاً وهو التصديق فان الكلام يطلق على المعقول أيضاً لم ينزل هذه الاحكام التى وقع الوعيد والتغليظ فيها و توجيه الشرطية ظاهر فان مناط الكرامة والثواب والملامة والعقاب هو الايمان وعدمه هو فلو كان الايمان مجرد كلام لم ينزل هذه الاحكام فان قلت لعل الايمان وعدمه مناط لاصل الثواب والعقاب و تفاوت الدرجات والدركات لاجل تلك الاحكام فيتوجه المنع الى الشرطية قلنا المقصود أن الدرجات أيضاً للايمان فيتم الشرطية اذ محصلها أن الايمان موجب لاستحقاق الثواب والدرجات العالية فلو كان كلاماً فقط لم ينزل احكام والحاصل أن كلامنا فى الايمان الكامل ، وظاهر أنه ليس مجرد كلام بل الاعمال والاحكام معتبرة فيها.

قوله (فلم يضربون الحدود و لم تقطع أيديهم) التعذيب بالضرب والقطع و الاهانة بهما يدل على أن الزانى و السارق مثلا ليسا بمؤمنين لان المؤمن عزيز لايعذب ولايهان. **قوله** (ثم قال فما بال من جحد الفرايض كان كافراً) لعل المراد أن جاحد الفرائض مثل الصلاة والزكاة والصوم وغيرها كافر عندهم أيضاً وما ذلك الا لانها معتبرة فى الايمان واذا كان كذلك كان تاركها أيضاً كافراً كما يدل عليه ما روى عن أبى عبدالله «ع» «أن الكفر كما يطلق على كفر الجحود كذلك يطلق على ترك ما أمر الله عزوجل به» و ماروى عنه «ع» فى تفسير قوله تعالى «انا هديناه السبيل اما شاكراً و اما كفوراً» قال اما «آخذ فهو شاكر واما تارك فهو كافر» والكفر بهذا المعنى ينافى الايمان الكامل دون ايمان التصديق وماروى من أن المؤمن لا

٣- عليٌّ بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس، عن سلام الجعفي قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن الإيمان، فقال : الايمان أن يطاع الله فلا يعصى.

(باب)

فى أن الايمان مبثوث لجوارح البدن كلها

١- عليٌّ بن إبراهيم ، عن أبيه، عن بكر بن صالح ، عن القاسم بن بريد قال: حدَّثنا أبو عمرو الزُّبيري، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له : أيُّها العالم أخبرني أيُّ الأعمال أفضل عندالله؟ قال : ما لايقبل الله شيئاً إلاّ به ، قلت : وماهو ؟ قال : الايمان بالله الّذي لا إله إلاّ هو، أعلى الأعمال درجة أشرفها منزلة وأسناها

يدخل النار يراد به المؤمن الكامل ثم المفهوم من هذا القول أن الفرائض معتبرة فى الايمان الكامل، وأما أنها من اجزائه أو شرايطه أوهى أيضاً ايمان فلادلالة فيه على شيء من ذلك ولكن المشهور الاول وعليه روايات منهـا الروايات الاولى من هذا الباب والثانى محتمل و الثالث مدلول بعض الاخبار كماسيجيء فى الباب الاتى من تسمية الصلاة ايماناً.

قوله (فقال الايمان أن يطاع الله فلايعصى) قدذكرنا أن الايمان فى عرف الائمة عليهم السلام هو الايمان الكامل الذى لايستحق صاحبه الخزى والخذلان وليس ذلك الا التصديق والطاعة لله تعالى فى أوامره و نواهيه فكان ما عداه ليس بايمان حقيقـة، وليس المقصـود نفى الايمان عن غيره (١) لان كثيراً من الايات والروايات دالة على أن التصديق ايمان.

قوله (باب فى أن الايمان مبثوث لجوارح البدن) كلها اللام صلة لمبثوث أو بمعنى فى ظرف له ويؤيده وجود فى بدلا لها فى بعض النسخ وهو الاظهر.

---

(١) «ليس المقصود نفى الايمان عن غيره» أحاديث هذا الباب أيضاً رد على المرجئة يرون الفساق والمؤمن من الصالح سواء فى الفضل عندالله ليصير موجباً لعدم تنفر الناس عن بنى امية والاجتناب عن لعنهم والتبرى منهم ولكن الايمان الظاهر من الفساق فى مذهبنا لايؤثر الا فى بعض أحكام الدنيا و أما الفضل عندالله و مصافاة المودة معهم و أعانتهم كسائر الصلحاء فلا ولما كان هذا المذهب من الاراء غير المحمودة التى تتفرع عليها مفاسد كثيرة فى الامـة بالغ الائمة عليهم السلام فى نقضه ورده فانه يوجب جرأة الولاة على الشر والظلم واطمينانهم من مخالفة العامة و ثورتهم و يوهن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وعدم حرمة للصلحاء فى الجامعة الانسانية و عدم رغبة الناس فى التشبه بهم وأيضاً ان كان الصالح و الطالح سواء فى الحرمة والفضل بطل مكارم الاخلاق وراجت الهمجية. (ش)

حظّاً . قال: قلت: ألا تخبرني عن الايمان أقول هو وعمل؟ أم قول بلاعمل؟فقال: الايمان عملٌ كلّه والقول بعض ذلك العمل ، بفرض من الله بيـّن في كتابه، واضح

قوله (الايمان بالله) أراد به الايمان بالله وبالرسالة والولاية لان كل واحد منها بدون الاخر ليس بايمان ولافضل له فضلاعن أن يكون أفضل وأشار بقوله الذى لااله الاهوالى أن الايمان به مع الشرك ليس بايمان و بقوله أعلى الاعمال درجة الى أنه عمل وسيصرح به و كون درجته أعلى باعتبار أنه أعظم الاعمال و علو درجة كل بقدر عظمته لكون منزلته أشرف لتوقف قبول سائر الاعمال و صحتها عليه وكون حظه ونصيبه أسنى و أرفع باعتبار أن ثوابه و جزاءه أكمل وأجزل.

قوله (قلت ألا تخبرنى عن الايمان) لماكان الجواب المذكورمجملا لم يعرف منه حقيقة الايمان سأل السائل عنها وكأنه أراد بالقول المركب المعقول والملفوظ أعنى الاقرار باطناً بالتصديق و ظاهراً باللسان وبالعمل عمل سائر الجوارح اذالقول بأن الايمان محض الاقرار باللسان بعيد لايحمل كلام السائل عليه فأجاب«ع» بأن الايمان عمل كله أى كل أفراده على ماهوظاهر من التفصيل الاتى مثل قوله تعالى «و قال الذين آمنوا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم» أوكل أجزائه على أن يكون الايمان مركباً من الجميع والحق أن الايمان الكامل مركب من الجميع وأن كل واحد أيضاً يسمى ايماناً لان انقياد كل عضو و اطاعته فيما أمر به ايمان كماسيجيء فعلى كل عضوايمان، ومجموع الاعمال المختلفة من حيث المجموع أيضاً ايمان ويعبر عنه بالايمان الكامل وهوالذى ينجى صاحبه عن الخزى والعقاب فقوله «ع» «والقول بعض ذلك العمل» معناه على الاول أنه بعض أفراد ذلك العمل الذى هو الايمان وعلى الاخير أنه بعض أجزائه فليتأمل.

قوله (بفرض من الله) الظرف متعلق بقوله«الايمان عمل كله» أوبقوله«والقول بعض ذلك العمل»أو بهماو«بين» بالتنوين و«واضح»وصفان لغرض والضمير فى نوره و حجته راجع اليه، والمراد بالنور العلم، واضافته باعتبار تعلقه به أوالمراد به الدليل سمى به لانه يوصل الى المطلوب كالنور والاول أولى لان هذا المعنى يفهم من قوله ثابتة حجته والتأسيس خير من التأكيد والظاهر أن يشهد و يدعوه حال عن فرض وأن ضمير له واليه راجع الى الله تعالى وضمير به والبارز فى يدعوه للفرض [ودعوة الفرض] اليه سبحانه نسبته اليه وبيانه أنه منه، ويحتمل أن يكون حالا عن الايمان وأن يكون ضمير له و يدعوه راجعاً اليه وضمير به واليه للعمل أى يشهد الكتاب للايمان بانه عمل، هذا الذى ذكرناه من باب الاحتمال و الله أعلم بحقيقة كلام وليه .

نوره ، ثابتة حجّته ، يشهد له به الكتاب و يدعوه إليه ، قال : قلت : صفه لي جعلت فداك حتّى أفهمه ، قال : الا يمان حالات و درجات و طبقات و منازل ، فمنه التام المنتهى تمامه و منه الناقص البيّن نقصانه و منه الرّاجح الزّائد رجحانه ، قلت : إنّ الايمان ليتمّ و ينقص و يزيد ؟ قال: نعم ، قلت : كيف ذلك ؟ قال : لأنّ الله تبارك و تعالى فرض الايمان على جوارح ابن آدم و قسّمه عليها و فرّقه فيها ،

قوله (الايمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل) اشارة الى أن للايمان مراتب متكثرة وهى حالات للانسان باعتبار قيامها به ودرجات باعتبار ترقيه من بعضها الى بعض ومنه يظهر سر ماروى من «أن الايمان بعضه من بعض» وطبقات باعتبار تفاوت مراتبها فى نفسها وكون بعضها فوق بعض ومنازل باعتبار أن الانسان ينزل فيها ويأوى اليها فمنه التام المنتهى تمامه كايمان الانبياء والاوصياء و منه الناقص البين نقصانه وهو أدنى المراتب الذى دونه الكفر ومنه الراجح الزائد رجحانه و هو على مراتب غير محصورة باعتبار التفاوت فى الكمية والكيفية والى هذه الاقسام أشار أمير المؤمنين «ع» بقوله «فمن الايمان ما يكون ثابتاً مستقراً فى القلوب ومنه مايكون عوارى بين القلوب والصدور الى أجل معلوم» قسم الايمان الى قسمين لان الايمان ان بلغ حد الكمال فهو القسم الاول والا فهو القسم الثانى، واستعار له لفظ العوارى باعتبار كونه فى معرض الزوال كالعوارى وكنى بكونه بين القلوب والصدور عن كونه متردداً غير مستقر ولامتمكن فى جوهر النفس . والقسمان الاخيران هنا أعنى الناقص والراجح داخلان فى العوارى . والله هو الموفق للهداية ومنه البداية والنهاية.

قوله (قلت ان الايمان ليتم وينقص ويزيد) لاوجه لسؤاله بعد ماعرف أن للايمان درجات و أنه عمل اذ لاريب فى أن العمل يقبل الزيادة والنقصان و كأنه طلب زيادة التقرير والتوضيح ليعرف حقيقة الحال أو ظن أن المراد بالعمل عمل مخصوص ان نقص انتفى الايمان وان زاد لم يكن للزيادة مدخل فيه، فأجاب «ع» بقوله نعم تصديقاً لذلك و تصريحاً بأن جنس الاعمال أنواعه متكثرة يزداد الايمان باعتبارها و ينقص، قال المحقق الطوسى: الايمان فى اللغة التصديق وفى العرف التصديق المخصوص وهو التصديق بالله و برسوله وبما ثبت أنه جاء به الرسول وهذا القدر من الايمان لايقبل الزيادة والنقصان اذ الانقص منه ليس بايمان والزائد لامدخل له فيه بل فى كماله، ومن علاماته الاتيان بالصالحات وترك المنهيات و بهذا الاعتبار يتحقق فيه الزيادة والنقصان.

قوله (وقسمه عليها وفرقه فيها) هذه القسمة اما قسمة الكلى على جزئياته أو قسمة الكل على

فليس من جوارحه جارحة إلّا وقدو كّلت من الإيمان بغير ما و كّلت به اُختها فمنها قلبه الّذي به يعقل ويفقه ويفهم وهو أمير بدنه الّذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلّا عن رأيه و أمره و منها عيناه اللّتان يبصر بهما و اُذناه اللّتان يسمع بهما و يداه اللّتان يبطش بهما و رجلاه اللّتان يمشي بهما و فرجه الّذي الباه من قبله ، و لسانه الّذي ينطق به و رأسه الّذي فيه وجهه . فليس من هذه جارحة إلّا وقد و كّلت من الإيمان بغير ما و كّلت به اُختها ، بفرض من الله تبارك اسمه ، ينطق به الكتاب لها و يشهد به عليها ففرض على القلب غير ما فرض على السمع و فرض على السمع غير ما فرض على العينين و فرض على العينين غير ما فرض على اللّسان و فرض على اللّسان غير ما فرض على اليدين و فرض على اليدين غير ما فرض على الرّجلين و فرض على

أجزائه والاول قريب من الشكر بالمعنى اللغوى، الثانى من الشكر بالمعنى العرفى.

قوله (فمنها قلبه الذى به يعقل الخ) المراد بالقلب الروح والعقل والنفس الناطقة بالاعتبارات وقد يطلق على القوة المميزة (١) بين الحق والباطل وهو أمير البدن و حاكم على جوارحه وحواسه فاذا رجعت الجوارح الى أمره و رأيه وتدبيره فى أفعالها حصلت السياسة البدنية و تحققت ملكة العدالة وانتظمت الامور وان خالفته فسد النظام وذاع الشرور واستولى المرض عليها حتى يزول عنها استعداد الخير بالمرة.

قوله (و فرجه الذى الباه من قبله) بكسر القاف أى من عنده . و الباه: جماع كردن .

قوله (ينطق به الكتاب لها و يشهد به عليها) الضمير فى به فى الموضعين للايمان أو للفرض وفى لها وعليها للجارحة .

---

(١) «على القوة المميزة» و يقال لها فى اصطلاح الحكماء العقل العملى و ليس الا خاصة من خواص النفس الناطقة كالعقل النظرى و بالجملة للنفس قوتان نظرية بها يدرك حقائق الكليات على ماهى عليه بغير آلة والجزئيات بتوسط الالة و قوة عملية يدرك بها حسن بعض الافعال وقبح بعضها و قالوا تسرع الصبى الى ادراك قباحة بعض الامور ككشف العورة دليل على قوة النفس النطقية بخلاف الذى لايدرك الا متأخراً والحيوان غير الناطق لايدرك قبح شىء او حسنه، والدليل على أن العقل النظرى غير العملى عدم اختلاف الامم فى الاوليات النظرية كالكل أعظم من الجزء والاثنان نصف الاربعة و اختلافهم فى أوليات القوة العملية كقبح ذبح الحيوانات عند أهل الهند وحسن شرب الخمر عند النصارى. (ش)

الرّجلين غيرما فرض على الفرج و فرض على الفرج غير ما فرض على الوجه ، فأمّا ما فرض على القلب من الإيمان فالإقرار والمعرفة والعقد والرّضا والتسليم بأن لاإله إلاّ الله وحده لاشريك له ، إلهاً واحداً ، لم يتّخذ صاحبة ولا ولداً وأنّ محمّداً

قوله (فأمامافرض على القلب من الايمان فالاقرار والمعرفة والعقد والرضاوالتسليم بأن لااله الاالله) لعل المراد بالاقرار الاقرار بماجاء به الرسول باطناً بالقلب لا ظاهراً باللسان لان المفروض أنه من فعل القلب، و بالمعرفة التصديق بالتوحيد والرسالة،وبالعقد رسوخ ذلك التصديق وثبوته أو العطف للتفسير، و بالرضا الرضا بقضاء الله وهو من ثمرة المحبة فان من أحب الله لاينكر ما صدرمنه ويكون راضياً بهوان كان بشعاً مراً مخالفاً لطبعه، ويكون الموت والحياة والفناء والبقاء والفقر والغنى واقبال الدنيا و ادبارهاعنده سواء لا يرجح أحدهما على الاخر لصدوره من المحبوب وكل ما صدر من المحبوب فهومحبوب، والتسليم فوق الرضا لان العبد فى مقام الرضا يرى نفسه ويعد كل فعله عزشأنه موافقاً لطبعه، فى مرتبة التسليم يسلم نفسه وطبعه وما يوافقه و يخالفه اليه ومن ههنا يظهر أن الايمان القلبى يتفاوت قوة وضعفاً(١) على مراتب متكثرة و ان أدناها أصل المعرفة لان زواله يوجب الدخول فى الكفر بخلاف البواقى فان زوالها يوجب زوال الكمال وربما يشعر به مانقلناه عن المحقق سابقاً و الظاهر أن قوله «بأن لااله الا الله ـ الى آخره» متعلق بالاقرار والمعرفة والعقد وأن قوله «والاقرار بماجاء من عندالله »معطوف على أن لااله الاالله فيكون الاولان بياناً للاخيرين والاخير بياناً للاول.

---

(١) قوله «يتفاوت قوة وضعفاً» يوصف الايمان بالقوة والضعف والقلة والكثرة باعتبار ما يؤمن به لاباعتبار نفس معناه المصدرى كماأن العلم يوصف بالقلة والكثرة باعتبار المعلوم ولكن الظن يوصف بالشدة والضعف باعتبار نفس معناه المصدرى والفرق أن الظن يجتمع مع تجويز النقيض وهوقريب وبعيد بخلاف العلم والايمان فانهما الاعتقاد بالشيء مع عدم تجويز الخلاف أصلا، ولايتصور فيه تفاوت أصلا والغرض من هذه الاحاديث كماقلنا الرد على المرجئة حيث كان مذهبهم التقريب والمصافاة بين فساق بنى امية والمتدينين من رعاياهم عكس مذهب الخوارج حيث كانوا على تشديد العداوة و اثارة البغضاء ليسهل عليهم الخروج على الولاة وتوهين ملك بنى امية بتكفيرهم وكان ضرر المرجئة أشد ولذلك قال أميرالمؤمنين «ع» لاتقاتلوا بعدى الخوارج فانه ليس من طلب الحق فأخطأ (يشير الى الخوارج) كمن طلب الباطل فأصاب (اشارة الى بنى امية). (ش)

عبده و رسوله صلوات الله عليه و آله والاقرار بما جاء من عندالله من نبيّ أو كتاب فذلك ما فرض الله على القلب من الاقرار والمعرفة و هو عمله و هو قول الله عزّ وجلّ « إلاّ من اُكره و قلبه مطمئنٌّ بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدراً » و قال : « ألا بذكر الله تطمئنُّ القلوب» و قال : « الّذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم» و قال : « إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء » فلذلك ما فرض الله عزّ وجلّ على القلب من الاقرار والمعرفة و هو رأس الايمان، و فرض الله على اللّسان القول والتعبير عن القلب بما عقد عليه و أقرّ به، قال الله تبارك و تعالى « و قولوا للنّاس حسناً » و قال : « قولوا آمنّا بالله

قوله (و قلبه مطمئن بالايمان) حال مؤكدة لان الاكراه لاينفك عنه غالباً و دليل على أن الايمان من الفروض القلبية وعلى أن لايزول بالاكراه و اظهار نقيضه باللسان عند التقية وعلى أن الاقرار باللسان وغيره من الاعمال بدونه ليس بايمان.

قوله (وقال ان تبدوا) أى ان تبدوا ما فى أنفسكم من الايمان والكفر والكبر و العجب و غيرها من المعاصى القلبية أو تخفوها يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء بالفضل اذا كان من أهله و يعذب من يشاء بالعدل اذا كان من أهله و هذه الاية دلت بعمومها على المؤاخذة والتعذيب بنية المعاصى والمخاطرات النفسية و يمكن تخصيصها بالعقايد القلبية والخبائث النفسية مثل الايمان والكفر والكبر والعجب و أمثالها لما يظهر من ظاهر استشهاد المعصوم هنا ولدلالة الاخبار الكثيرة الاتية فى أبوابها على عدم المؤاخذة بالنية والمخاطرات و لقوله تعالى «لايكلف الله نفساً الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت» فان ذكر الاكتساب فى طرف المعصية دليل على أنه لايعذب بها الا بعد المبالغة فى الكسب، والمبالغة لا يتحقق الا بعد ايجاد المنوى والاتيان بها بخلاف الطاعة فانه يثاب بها لاصل الكسب و هو يتحقق بالنية فيثاب بها كما يثاب بفعل المنوى، و قيل ان نية المعصية معصية يقتضى العقوبة ولكنه تعالى يعفو عن المؤمنين و يكون المراد بقوله فيغفر لمن يشاء المؤمنون والله أعلم.

قوله (وفرض الله على اللسان القول والتعبير عن القلب) دل على وجوب الاقرار باللسان بالاعتقادات مثل الايمان وغيره، ولايدل على اشتراط قبول الايمان القلبى به كما ظن نعم يشترط عدم الانكار باللسان لقوله تعالى «و جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم» وينبغى أن يراد بالقول القول الواجب مطلقاً مثل أداء الشهادات والاقرار بحقوق الناس و اظهار العقايد القلبية والقول الحسن للناس مثل تعليم العلوم والامر بالمعروف والنهى عن المنكر و أمثال ذلك حينئذ ذكر التعبير بعده من باب ذكر الخاص بعد العام لزيادة الاهتمام، و

و ما أُنزل إلينا و ما أُنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحدٌ و نحن له مسلمون » فهذا ما فرض الله على اللّسان و هوعمله، و فرض على السمع أن يتنزّه عن الاستماع إلى ما حرّم الله و أن يعرض عمّا لايحلّ له ممّا نهى الله عزّوجلّ عنه والاصغاء إلى ما أسخط الله عزّوجلّ فقال في ذلك: «وقد نزّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يُكفر بها و يستهزء بها فلاتقعدوا معهم حتّى يخوضوا في حديث غيره » ثمّ استثنى الله عزّوجلّ موضع النسيان فقال : « و إمّا ينسينّك الشيطان فلاتقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين». فقال : «فبشّر عباد الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه اُولئك الّذين هديهم الله واُولئك هُم اُولوا الألباب» وقال عزّوجلّ:

من ههنا ظهر أن عطف التعبير على القول ليس للتفسير، و حمله على التفسير مع أنه خلاف الظاهر مخل لوجهين: الاول أن الفروض اللسانية غير منحصرة فى التعبير بل هى أكثر من أن تحصى، والثانى لايناسب قوله «ع» استشهاداً له قال الله تبارك اسمه «و قولوا للناس حسناً» اذ لايدخل له فى التعبير عن القلب بخلاف ماقلنا فان هذا شاهد للقول و ما بعده شاهد للتعبير، وينبغى أيضاً أن يراد بالاقرار فى قوله «وأقر به» الاقرار القلبى لا سناده الى القلب و هو ظاهر.

قوله (و فرض على السمع أن يتنزه عن الاستماع الى ما حرم الله) يندرج فيه جميع المحرمات السمعية مثل الغناء والغيبة و صوت الاجنبية والمزامير و نحوها و كلام الكذب وذم الائمة عليهم السلام، و انكار حقوقهم واستهزاء المؤمنين وغيرها.

قوله (فقال فى ذلك وقد نزل عليكم فى الكتاب) ذلك اشارة الى النهى عن استماع ما حرم الله والاصغاء الى ما أسخط الله، والمراد بالايات الائمة عليهم السلام أو الاعم يعنى اذا سمعتم الرجل يجحد الحق و يكذب به و يقع فى الائمة و يستهزىء بهم فقوموا من عنده ولاتقاعدوه ولاتجالسوه حتى يخوض و يشرع فى حديث غيره فحينئذ يجوز مجالسته لارشاده و غيره مما يجوز الجلوس معه ثم استثنى موضع النيسان اذلايكلف معه فقال «اما ينسينك الشيطان» حرمة المجالسة «فلاتقعد بعد الذكرى» للحرمة «مع القوم الظالمين» وهم المذكورون، والاظهار فى مقام الاضمار للتنصيص على ظلمهم و للتصريح بعلة الحرمة.

قوله (فبشر عباد الذين) الاضافة للتشريف والاشعار بأنهم هم المستحقون بأن يسموا عباداً و أحسن القول ما فيه رضاء الله تعالى أو رضاه أكثر، وما هو أشد على النفس وأشق، هذه كلمة جامعة يندرج فيها القول فى اصول الدين و فروعه والاصلاح بين الناس، و روى أن المراد به نقل الحديث باللفظ من غير زيادة و نقصان والتعميم أحسن .

«قد أفلح المؤمنون الّذينهم في صلاتهم خاشعون والّذين هم عن اللّغوا معرضون و الّذين هم للزكوة فاعلون » وقال : « إذا سمعوا اللّغو ، أعرضوا عنه و قالوا لنا أعمالنا و لكم أعمالكم » و قال: «وإذا مرّوا باللّغو مرّوا كراماً» فهذا ما فرض الله على السمع من الإيمان أن لايصغى إلى ما لايحلّ له و هو عمله و هو من الايمان، وفرض على البصر أن لاينظر إلى ما حرّم الله عليه وأن يعرض عمّا نهى الله عنه، ممّا لايحلّ له وهو عمله وهو من الإيمان، فقال تبارك وتعالى: «قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم» فنهاهم أن ينظروا إلى عوراتهم و أن ينظر

قوله (و الذين هم عن اللغو معرضون) اللغو الفحش و ما لاخير فيه من الكلام ويكفى فى الاستشهاد كون بعض أفراده حراماً والاعراض عنه واجب مثل الغناء والدف والصنج و والطبل والطنبور والاكاذيب و غيرها.

قوله (و اذا مروا باللغو مروا كراماً) أى مكرمين أنفسهم عن استماع اللغو والكريم من الناس الشريف الذى يتبرأ من أمثال الامور المذكورة.

قوله (فهذا ما فرض الله على السمع من الايمان أن لايصغى الى ما لا يحل) هذا اشارة الى المذكور من الواجبات و المحرمات ، و الظاهر أن «من الايمان »مبتدأ و «أن لايصغى» خبره ، و اكتفى بذكر عدم الاصغاء الى مالا يحل عن ذكر الاصغاء الى ما يجب ولو جعل «من» بياناً لما بقى أن لايصغى منفصلا ولا محل له من الاعراب الا أن يجعل بدلا لما و هو بعيد.

قوله (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) قال فى مجمع البيان «يغضوا» مجزوم لانه جواب شرط مقدر تقديره قل للمؤمنين غضوا فانك ان تقل لهم يغضوا ثم قال ويجوز أن يكون مجزوماً على تقدير ليغضوا. وقيل خبر بمعنى الامر والاوسط أوسط عند الفاضل الاردبيلى حيث قال ولعل اللام مقدر والتقدير ليغضوا ثم ذكر الاول ورده من غير وجه وجيه ولم يذكر الثالث، وقال صاحب الكشاف «من» للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم. و الاقتصار على مايحل وهو مذهب سيبويه، وجوز الاخفش أن يكون زايدة وبعض أصحابنا رد الاخير لضعف زيادة من فى الاثبات الا شاذاً ورجح الاول لانه لايجب الغض عن جميع المحرمات لجواز النظر الى شعور المحرمات و أبدانها عدا العورة والى وجوه الاجنبيات وكفيها وقدميها فى أحدى الراويتين أوفى حال الضرورة كالنظر للعلاج أوتحمل الشهادة أواقامتها والى المخطوبة مع امكان النكاح وبدونه الى وجوه الاماء المستعرضات للبيع، والفاضل الاردبيلى رجح الثانى

المرء إلى فرج أخيه و يحفظ فرجه أن ينظر إليه و قال: « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهنّ ويحفظن فروجهنّ »من أن تنظر إحديهنّ إلى فرج اُختها و تحفظ فرجها من أن يُنظر إليها. وقال: كلّ شيء في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزّنى إلاّ هذه الاية فإنّها من النظر، ثمّ نظم ما فرض على القلب واللّسان والسمع والبصر

وردالاول بأن التبعيض يفيد غض بعض البصر دون البعض لابعض المبصر وهو المطلوب و المعقول كما يفهم من قوله «والمراد ـ الى آخره» أقول يمكن أن يراد بالتبعيض غض بعض البصر بارخائه فى الجملة بحيث لايرى المحرم لاتطبيقه رأساً و يراد به على أى تقدير ترك النظر الى مالايحل .

قوله (فنهاهم أن ينظروا الى عوراتهم) دل على أن الامر بالشيء نهى عن ضده أى نهاهم أن ينظر كل واحد الى عورة غيره، ذكراً كان أم انثى، قبلاكان أم دبراً، وأن ينظر المرء الى فرج أخيه وكذا فرج اخته والعطف للتفسير ويمكن أن يراد بغض البصر ترك النظر الى كل مالايحل والمذكور أكمل أفراده و هذا ناظر الى قوله «يغضوا من أبصارهم» وتفسير له وقوله «ويحفظ فرجه» ناظر الى قوله تعالى «و يحفظوا فروجهم» وتفسير له والظاهر ان عطف يحفظ على ينظر غير صحيح لعدم اندراجه تحت النهى، و كأنه عطف على نهاهم باضمار فعل أى وأمره أن يحفظ فرجه فليتأمل.

قوله (من أن تنظر احديهن الى فرج اختها وتحفظ فرجها من أن ينظر اليها) «من» متعلق بيغضضن و يحفظن أو بفعل مقدر بقرينة السابق أى نهاهن من أن تنظر وهذا ناظر الى يغضضن و تفسير له، وقوله «وتحفظ فرجها» ناظر الى يحفظن و تفسير له ولا يبعد تعميم الغض ليشمل كل مالايحل لهن النظر اليه والمذكور بعض أفراده و تخصيص الحفظ بما ذكر لأن التوافق بين القرينتين، وهذه الرواية و غيرها يدل على المذكور.

قوله (فانها من النظر) لما كان النظر الى العورة مع قبحه مثيراً للشهوة و السفاد غالباً حرم النظر اليها وأوجب حفظها عنه دفعاً للفساد.

قوله (ثم نظم مافرض على القلب واللسان والسمع والبصر فى آية اخرى) فيه أن الفروض القلبية واللسانية غير مندرجة فى الاية الاولى والفروض اللسانية فى الاية الثانية و و يمكن ان يقال يفهم ذلك من قوله «يستترون أن يشهد عليكم» ومن قوله «ولا تقف ما ليس لك به علم» فان استتار الشيء عبارة عن اضماره فى القلب و عدم اظهاره باللسان و عدم متابعة غير المعلوم عبارة عن عدم التصديق به و عدم اظهار العلم به باللسان والله أعلم .

في آية اُخرى فقال: «وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولاأبصاركم ولا جلودكم» يعني بالجلود: الفروج والأفخاذ. و قال: «ولاتقف ما ليس لك به علم إنّ السمع والبصر والفؤاد كلّ اُولئك كان عنه مسئولاً» فهذا ما فرض الله على العينين من غضّ البصر عمّا حرّم الله عزّوجلّ و هو عملهما و هو من الإيمان. و فرض الله على اليدين أن لايبطش بهما إلى ما حرّم الله و أن يبطش بهما إلى ماأمر الله عزّوجلّ و فرض عليهما من الصدقة وصلة الرّحم والجهاد في سبيل الله والطهور للصّلاة، فقال: « ياأيّها الّذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلوة فاغسلوا وجوهكم و أيديكم إلى المرافق و امسحوا برؤسكم و أرجلكم إلى الكعبين» وقال: « فاذا لقيتم الّذين كفروا فضرب الرّقاب حتّى إذا أثخنتموهم فشدّوا الوثاق فامّا منّاً

قوله (و ما كنتم تستترون) قيل كنتم تستترون القبايح عند فعلكم اياها وماكنتم عالمين ولاظانين بشهادة الجوارح على أنفسها فيدل على أنهم مكلفون بالفروع ولولاه لم يشهد على أنفسها وقيل لعل المراد بها أنكم ما كنتم لتستتروا و تدفعوا شهادتها على أنفسها بعدم فعل القبايح أو فى القيامة بأن لاتشهد على أنفسها.

قوله (يعنى بالجلود الفروج والافخاذ) قيل هذا التفسير يدل على أن الافخاذ عورة يحرم النظر اليها كما هو مذهب بعض و أن الفروج والافخاذ تشهد على فعلها و هو الزناءواللواط واللمس.

قوله (ان السمع والبصر والفؤاد) قد فرض الله تعالى على هذه الاعضاء فرائض يحتج بها عليك و يسألك عن كل واحد يوم القيامة فيما صرفته أصرفته فيما خلق لاجله أو فى غيره، فوجب أن لا تستعمله فى محرم لانه يشهد عليك و على نفسه بما فعل من خير أو شر.

قوله (الى ما حرم الله) مثل القتل والضرب والنهب والسرقة و كتابة الكذب و الظلم و نحوها.

قوله (و فرض عليهما من الصدقة و صلة الرحم) اذ ايصال الصدقة الى الفقراء و ايصال الخير الى الاقرباء والضرب والبطش والشد فى الجهاد و الطهور للصلوة بغسل اليدين و مسح الرأس والرجلين من فروض اليد و استشهد للطهور والجهاد بالايتين ويفهم منه وجوب استعمال اليد فى غسل الوجه و هواما لانه الفرد الغالب أو لان فرد الواجب التخييرى أيضاً واجب وان كان التخصص ببعض الافراد مستحباً.

بعد و إمّا فداءاً حتّى تضع الحرب أوزارها» فهذا ما فرض الله على اليدين لأنّ الضرب من علاجهما. و فرض على الرّجلين أن لايمشي بهما إلى شيء من معاصي الله و فرض عليهما المشي إلى ما يرضى الله عزّوجلّ فقال: «ولاتمش في الأرض مرحاً إنّك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا» و قال: « و اقصد في مشيك و اغضض من صوتك إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير » وقال: فيما شهدت الأيدي والأرجل على أنفسهما و على أربابهما من تضييعهما لما أمر الله عزّوجلّ به و فرضه عليهما: «اليوم نختم على أفواههم و تكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون» فهذا أيضاً ممّا فرض الله على اليدين و على الرّجلين و هو عملهما وهو من الايمان وفرض على الوجه السجود له بالّليل والنّهار في مواقيت الصّلاة فقال: « ياأيّها الّذين آمنوا اركعوا و اسجدوا و اعبدوا ربّكم و افعلوا الخير لعلّكم تفلحون» فهذه

قوله (فضرب الرقاب) ضرب الرقاب عبارة عن القتل بضرب العنق و أصله فاضربوا الرقاب ضرباً حذف الفعل واقيم المصدر مقامه و اضيف الى المفعول ، والاثخان اكثار القتل أو الجراح بحيث لايقدر على النهوض، والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به وشده كناية عن الاسر، ومناً وفداء مفعول مطلق لفعل محذوف أى فاما تمنون مناً و اما تفدون فداء و أوزار الحرب آلاتها مثل السيف والسنان و غيرهما والمروى و مذهب الاصحاب أن الاسير ان أخذ والحرب قائمة تعين قتله اما بضرب عنقه أو بقطع يده ورجله من خلاف، وتركه حتى ينزف و يموت وان أخذ بعد انقضاء الحرب تخير الامام بين المن والفداء والاسترقاق ولايجوز القتل، والاسترقاق علم من السنة.

قوله (و فرض عليهما المشى الى ما يرضى الله عزوجل) مثل الحج والجهاد والزيارات وقضاء حوائج المؤمنين والذهاب الى الصلاة والقيام فيها و نحوها.

قوله (اليوم نختم على أفواههم) قيل هذا ينافى ما روى أن الناس فى ذلك اليوم يحتجون لانفسهم و يسعى كل منهم فى فكاك رقبته كما قال سبحانه « يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها» والله سبحانه يلقن من يشاء حجته و يرشد اليه أيضاً ما روى فى دعاء الوضوء «اللهم لقنى حجتى يوم ألقاك». واجيب بأن الختم مخصوص بالكفار كما قاله بعض المفسرين أو أن الختم يكون بعد الاحتجاج والمجادلة كما فى بعض الروايات ، وبالجملة المعلوم أن الختم يقع فى ذلك اليوم فيجوز أن يقع الختم فى مقام و يقع المجادلة فى مقام آخر .

فريضةٌ جامعةٌ على الوجه واليدين والرّجلين ، و قال : في موضع آخر: «وأنّ المساجد لله فلاتدعوا مع الله أحداً» و قال فيما فرض على الجوارح من الطهور و

قوله (فهذه فريضة جامعة على الوجه واليدين والرجلين) أى الركوع والسجودو العبادة و فعل الخير فريضة على الاعضاء المذكورة غير مختصة بأحدها أما الركوع فلان للوجه فيه نصيباً من الفرض و هوالانحناء و للرجلين كذلك وهوالقيام، ولليدين كذلك وهووصولهماالى الركبتين هذا فى الفرائض، وأما أفعالها المندوبة فكثيرة تعرف بالنظرفى كتب الفروع، و أما السجود ففرض الرجل وضع الركبتين والابهامين على الارض ، و فرض الوجه السجود على التراب ونحوه. و فرض اليدين وضع الكفين على الارض. و أما العبادة و فعل الخير فظاهر اذ لكل عضو من الاعضاء فيهما نصيب من الفرض ولعل الترجى للتحقيق لان حقيقته عليه عزشأنه محال، و انما جيء به لئلا يغتر العابد بفعله.

قوله (و قال فى موضع آخر و أن المساجد لله فلاتدعوا مع الله احداً) أى المساجد السبعة وهى الاعضاء المشهورة أعنى الجبهة والكفين والركبتين والابهامين لله أى خلقت لان يعبد بها الله فلا تشركوا معه غيره فى سجودكم عليها و هذا التفسير هو المشهور بين المفسرين والمذكور فى حديث حماد عن أبى عبدالله «ع» والمروى عن أبى جعفر محمدبن على بن موسى عليهم السلام حين سأله المعتصم عن هذه الاية، و به قال سعيدبن جبير والزجاج والفراء و يؤيده قول النبى «ص» «امرت أن أسجد على سبعة اراب» أى أعضاء و على هذا لاعبرة بقول من قال المراد بها المساجد المعروفة . ولا بقول من قال هى بقاع الارض كلها متمسكاً بقوله «ص» جعلت الارض مسجداً» ولابقول من قال: هى المسجد الحرام، والجمع باعتبار أنه قبلة لجميع المساجد ولابقول من قال هى السجدات جمع مسجد بالفتح مصدراً أى السجودات لله فلايفعل لغيره لان المعصومين أولى بمعرفة منازل القرآن و مراده من غيرهم نعم حمل الاية على الاعم و جعل المذكور هنا أظهر أفراده و أكملها ممكن.

قوله (و قال فيما فرض ــ الخ) كان المراد و قال هذه الاية يعنى أن المساجد لله فيما فرض الله على الجوارح السبعة من الطهور و الصلاة بها فهذه أيضاً فريضة جامعة على الوجه واليدين و الرجلين كالسابقة، ولعل ذلك فى قوله «وذلك أن الله عزوجل الخ » اشارة الى كون القرآن دليلا على بث الايمان على الجوارح، وتفصيل القول فيه أن الايات المذكورة انما دلت على أنه تعالى فرض على كل جارحة شيئاً غير مافرضه على الاخرى، ولم يثبت بهذا القدر من جهة القرآن ماذكره أولا من أنه تعالى فرض الايمان على جوارح ابن آدم وقسمه عليها وفرقه فيها فأشار هنا الى اثبات ذلك بالقرآن وحاصله أن الاية وهى قوله عزوجل «وماكان الله ليضيع

الصّلاة بها و ذلك أنّ الله عزّ وجلّ لمّا صرف نبيّه صلّى الله عليه وآله إلى الكعبة عن البيت المقدس فأنزل الله عزّ وجلّ « و ماكان الله ليضيع إيمانكم إنّ الله بالناس لرؤفٌ رحيم» فسمّي الصّلاة إيماناً فمن لقى الله عزّ وجلّ حافظاً لجوارحه موفياً كلّ جارحة من جوارحه مافرض الله عزّ وجلّ عليها لقى الله عزّ وجلّ مستكملاً لايمانه و هو من أهل الجنّة و من خان في شيء منها أو تعدّى ما أمر الله عزّ وجلّ فيها لقى الله عزّ وجلّ ناقص الايمان، قلت: قد فهمت نقصان الايمان و تمامه، فمن أين جاءت زيادته؟ فقال: قول الله عزّ وجلّ: « وإذا ما اُنزلت سورة فمنهم من يقول أيّكم زادته هذه إيماناً فأمّا الّذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون ✿ وأمّا الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم» و قال: « و نحن نقصّ عليك نبأهم بالحقّ إنّهم فتية

ايمانكم » دلت على أن الصلاة ايمان ولاريب فى أن الصلاة مركبة من أفعال جميع الجوارح فقد ثبت أن الايمان مركب منها هذا ماخطر بالبال على سبيل الاحتمال والله أعلم.

قوله (و هو من أهل الجنة) كامل الايمان من أهل الجنة قطعاً و ناقص الايمان قد يدخل النار و هذا أحد وجوه الجمع بين ما دل على أن المؤمن لايدخل النار و ما دل على أنه يدخلها.

قوله (ومن خان فى شىء منها أوتعدى ماأمر الله) الظاهر أن الخيانة فعل المنهيات، والتعدى ترك المأمورات.

قوله (قلت قد فهمت نقصان الايمان و تمامه فمن أين جاءت زيادته) لماذكر «ع» أولا ان الايمان مفروض على الجوارح وأنه يزيد و ينقص، وعلم السائل الاول صريحاً من الايات المذكورة والثانى ضمناً أوالتزاماً منها للعلم الضرورى بأن العمل يزيد و ينقص سأل عن الايات الدالة على الثانى صريحاً أوقصده من السؤال انى قد فهمت مماذكر نقصان الايمان العملى وتمامه باعتبار أن العمل يزيد وينقص فمن أين جاءت زيادة الايمان التصديقى وأية آية تدل عليها، وفيه حينئذ استخدام اذ أراد بلفظ الايمان الايمان العملى و بضميره الايمان التصديقى والاستخدام شائع عند البلغاء، و على التقديرين لايرد أنه اذا علم نقصان الايمان وتمامه فقد علم زيادته لان فى التام زيادة ليست فى الناقص.

قوله (فأما الذين آمنوا فزادتهم ايماناً) دل على أن الايمان سبب للايمان يعنى أن الدرجة التحتانية منه سبب لحصول الدرجة الفوقانية ، و كذلك الكفر و من ثم قيل الخير والشر يسريان.

آمنوا بربّهم و زدناهم هُدى» ولو كان كلّه واحداً لازيادة فيه ولانقصان لم يكن لأحد منهم فضل على الاخر ولاستوت النعم فيه ولاستوى النّاس وبطل التفضيل و لكن بتمام الايمان دخل المؤمنون الجنّة و بالزّيادة في الايمان تفاضل المؤمنون بالدرّجات عندالله و بالنقصان دخل المفرّطون النّار.

٢- عدّة من أصحابنا، عن أحمدبن محمّدبن خالد، عن أبيه، و محمّد بن يحيى، عن أحمدبن محمّدبن عيسى، جميعاً، عن البرقي، عن النضربن سويد، عن يحيى بن

قوله (وزدناهم هدى) المراد به الهداية الخاصة المختصة بالاولياء وهى بصيرة قلبية زايدة على أصل التصديق (١) بها يتزايد ويرتقى الى مرتبة عين اليقين.

قوله (ولوكان كله واحداً) أى لوكان كل الايمان واحداً لازيادة فيه ولانقصان لم يكن لاحد من المؤمنين فضل على الاخر لان الفضل انما هو بالايمان فلا فضل مع مساواتهم فيه، و لاستوت النعم فى الايمان مثل الهدايات الخاصة والالطاف والتوفيقات و غيرها، ولاستوى الناس فى الدخول فى الجنة لاستوائهم فى الايمان الموجب لدخولها، و بطل تفضيل بعضهم على بعض بالدرجات واللوازم كلها باطلة بالسنة والايات ولكن بتمام الايمان باعتبار أصل التصديق والعمل بالواجبات وترك المنهيات دخل المؤمنون المتصفون به الجنة و بالزيادة فى الايمان لذلك مع العمل بالاعمال المندوبة والاداب المرغوبة و الاخلاق المطلوبة تفاضل المؤمنون المتصفون بها بالدرجات العالية والمقامات الرفيعة عندالله تعالى و بالنقصان فى التصديق لعدم تمكنه واستقراره فى القلب أو فى التقصير فى الاعمال الواجبة بترك الواجبات و فعل المنهيات دخل المفرطون فى النار وقد ظهر من ذلك أن المدعين للايمان ثلاثة أقسام تام و زايد و ناقص وقد علم حكم كل واحد منها والله هو الموفق.

قوله (عدة من أصحابنا عن أحمدبن محمدبن خالد، عن أبيه ومحمدبن يحيى، عن أحمدبن محمدبن عيسى جميعاً، عن البرقى، عن النضربن سويد) الظاهر أن لفظة عن أبيه

---

(١) قوله «زائدة على اصل التصديق» واصل التصديق غير قابل للزيادة والنقصان كما قلنا وانما التشكيك فى اخضاع سائر القوى و ادراك ساير المدارك فان الذى يبصر شيئاً و يسمع صوته ويلمس سطحه ويذوق طعمه غير من يسمع صوته فقط و الذى يعتقد بوجود شئ لرؤية آثاره غير من يراه نفسه والمؤمن بالله متيقن بوجوده قطعاً لاظناً فقد يكون له دليل واحد وقد يكون له أدلة كثيرة بمنزلة من يشاهده و يتأثر بالايمان جميع قواه و بذلك يتفاوت درجاتهم. (ش)

عمران الحلبي، عن عبيدالله بن الحسن بن هارون قال : قال لي أبوعبدالله عليه السلام : « إنّ السّمع والبصر والفؤاد كلّ أُولئك كان عنه مسئولا» قال: يسأل السّمع عمّا سمع والبصر عمّا نظر إليه والفؤاد عمّا عقد عليه.

٣ ـ أبوعليّ الأشعري ، عن محمّد بن عبدالجبّار ، عن صفوان أو غيره ، عن العلاء ، عن محمّد بن مسلم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن الإيمان فقال: شهادة أن لا إله إلاّ الله والإقرار بما جاء من عندالله و ما استقرّ في القلوب من التصديق بذلك ، قال : قلت : الشهادة أليست عملاً ؟ قال : بلى ،قلت : العمل من الإيمان؟ قال: نعم الإيمان لايكون إلاّ بعمل والعمل منه ولا يثبت الايمان إلاّ بعمل.

أو جميعاً زائدة بل لامحصل له لان البرقى ليس الا محمدبن خالد ولامعنى لرواية البرقى عن البرقى وقد يقال المراد بالبرقى خالد لان البرقى لقب لهذه القبيلة أو نسبة الى مسكنهم.

قوله (فقال شهادة أن لااله الاالله) كانها كناية عن الشهادتين والمراد بها الاقرار اللسانى و بما بعدها الاقرار القلبى وفيه دلالة على أن الايمان مركب من الشهادة والتصديق، وهذا نوع من الايمان الكامل و سماه بعض المحققين بايمان الصديقين ان كان مع الشهادة خلو النفس عن غيره تعالى و تنزهها عن هواها فان لااله الا الله دل على التوحيد وهو انما يتحقق فى نفس الامر بالتنزه عن الشرك الجلى والخفى، وانما قلنا هذا نوع من الايمان الكامل لان له أنواعاً اخر منها مركب من التصديق وتخلية النفس عن الرذائل و تحليتها بالفضائل ومنها مركب من التصديق اوأعمال الجوارح، ومنها مركب من الجميع وهذا أفضل الانواع.

قوله (قال نعم الايمان لايكون الا بعمل) لعل المراد أن الايمان لا يوجد أو لا يكن ايماناً الا بعمل، والعمل بعض منه ولايثبت الايمان فى نفس الامر الا بعمل كما أن الكل لايوجد الا بجزء ولا يكون كلا الا بجزء والجزء بعض منه ولا يثبت الكل فى نفس الامر الا بجزء فيفيد أن الايمان مركب والعمل بعض أجزائه وهو الايمان الكامل أو المراد أن الايمان وهو التصديق لايكون الا مقروناً بالعمل والعمل من شيم أهل الايمان ومحاسنه التى تقتضى الايمان الاتيان بها ولا يثبت الايمان عندنا أو لايستقر فى نفس الامر الا بعمل لان التصديق أمر قلبى لا يثبت الا بدليل وهو العمل أو لايستقر الا به، فلايفيد أنه مركب، والاول أنسب بظاهر صدر الحديث وعلى التقديرين لايرد أن أول هذا الكلام يدل على أن العمل جزء من الايمان و ظاهر آخره على أنه خارج منه دليل عليه على أنه لوحمل على هذا امكن أن يقال ان المراد

٤ ـ عدّة من أصحابنا ، عن أحمدبن محمّد بن خالد ، عن عثمان بن عيسى ، عن عبدالله بن مسكان ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : ما الاسلام ؟ فقال : دين الله اسمه الإسلام و هو دين الله قبل أن تكونوا حيث كنتم و بعد أن تكونوا ، فمن أقرّ بدين الله فهو مسلم و من عمل بما أمرالله عزّ وجلّ به فهو مؤمن .

بالايمان الاول الايمان الكامل ، وبالثانى التصديق فيكون المقصود أن الايمان مطلقاً لايتحقق ولايعلم الا بالعمل والله أعلم ،

قوله : (قال قلت لهما الاسلام ؟ قال دين الله اسمه الاسلام» كما قال تعالى «ان الدين عندالله الاسلام » وقال «ومن يبتغ غيرالاسلام ديناً » وهو دين الله قبل أن تكونوا وتوجدوا على هذا المكان المخصوص حيث كنتم فى الاظلة أو فى العلم الازلى و بعد أن تكونوا فمن أقر بدين الله فهو مسلم ومن عمل مع ذلك بما أمرالله عزوجل به فهو مؤمن، لايقال الظاهر ان ماهنا سؤال عن الحقيقة لاعن الحكم . فقوله فمن أقر بدين الله فهو مسلم حيث وقع جواباً عن السؤال المذكور وجب أن يكون حداً لان المقول فى جوابه هو الحد فيلزم أن يكون الاسلام مجرد الاقرار بماجاء به النبى «ص» وان لم يكن معه تصديق وليس الامر كذلك لقوله تعالى « ورضيت لكم الاسلام ديناً » و الله سبحانه لايرضى اقراراً بدون تصديق بقلب و الالكان راضيا عن المنافقين و أنه محال قطعاً، لانانقول لايلزم من كونه تعالى لايرضى الاسلام بدون التصديق أن يكون التصديق جزءاً من الاسلام لاحتمال أن يكون شرطاً فيه و الله تعالى لايرضى عملا بدون شرطه و الشرط خارج عن المهية (١) على أنا لانسلم أن ماهنا مختص بالسؤال عن تمام الحقيقة لجواز أن يكون سؤالا عن الذاتى سواء كان تمام الذاتيات أو بعضها، وقد جوز هذا بعض المحققين الا أن الاول

---

(١) قوله «والشرط خارج عن المهية» وعلى ذلك عمل الفقهاء وهم المهرة فى أمثال هذه الامور مثلا اذاقيل يجب السجدة لتلاوة بعض الايات قالوا يجب فى سجدة التلاوة ماعرف بالشرع دخله فى ماهية السجدة و معناها فى الصلاة لا ماهو شرط فيها فوضع الجبهة على ما يصح السجود عليه و عدم كون محل السجدة مرتفعاً عن مكان الرجلين و وضع المساجد السبعة على الارض واجب ولايجب الاستقبال والطهارة والذكر و غيرها ممايعتبر فى سجدة الصلاة شرطاً فانها داخلة فى المطلوب منها فى الصلاة لافى صحة اطلاق اسم السجدة ولم يعلم مايؤخذ فى ماهية السجدة الامن احكام سجدة الصلاة. (ش)

٥ ـ عنه ، عن أبيه ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى بن عمران الحلبي عن أيّوب بن الحرّ ، عن أبي بصير قال : كنت عند أبي جعفر عليه السلام فقال له سلام : إنّ خيثمة بن أبي خيثمة يحدّثنا عنك أنّه سألك عن الاسلام فقلت له : إنّ الاسلام من استقبل قبلتنا و شهد شهادتنا و نسك نسكنا ووالى وليّنا و عادى عدوّنا فهو مسلم ، فقال : صدق خيثمة ، قلت : وسألك عن الا يمان فقلت : الايمان بالله والتصديق بكتاب الله وأن لايعصى الله ، فقال : صدق خيثمة .

٦ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن ابن أبي عمير ، عن جميل بن درّاج ، قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الا يمان ، فقال : شهادة أن لاإله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله ، قال : قلت : أليس هذا عملاً ؟ قال : بلى ، قلت : فالعمل من الايمان؟ قال : لايثبت له الايمان إلاّ بالعمل والعمل منه .

مشهور بين أرباب المعقول ، و ممايؤيد ذلك ان للفصل والخاصة آلة يسئل بها عنهما فلو اختص مابتمام الحقيقة بقى بعض الذاتيات بلاآلة يسئل بها عنه ، ولوسلم فنقول ما اسقط التصديق فى تفسيرالاسلام لان الاقرار غير مختص باللسان بل يشمل فعل القلب أعنى التصديق لان التصديق نوع من الاقرار ، ولو سلم فنقول المراد بالاقرار هو الفرد الكامل المقارن للتصديق اذ ماليس بمقارن له كانه ليس باقرار ، وأما عدم ذكر الاقرار فى الايمان فلانه يعلم بالمقايسة مع احتمال أن يكون المقصود ذكر مايمتاز به كل واحد عن الاخر .

قوله (فقلت له ان الاسلام من استقبل قبلتنا وشهد شهادتنا ونسك نسكنا) نسك لله ينسك من باب قتل تطوع بقربة والنسك بضمتين اسم منه والناسك الذى يؤدى المناسك و هى الطاعات ، و سميت الذبيحة نسكة لان قربانها طاعة ، و يحتمل أن يراد بالنسك الاتيان بالحج اذاعرفت هذا فنقول ظاهر هذاالكلام أن الاسلام الاقرار بالشهادتين ، وفعل الطاعات ومحبة أولياء الائمة عليهم السلام ، و معاداة أعدائهم سواء كان معه تصديق أم لا ، وأن الناصب ليس بمسلم وأن الايمان التصديق بالتوحيد والرسالة والولاية فان كل ذلك مندرج فى الايمان بالله والتصديق بكتاب الله ، وعدم المعصية بفعل الطاعات و ترك المنهيات فالايمان أخص من الاسلام .

قوله (شهادة أن لااله الاالله و أن محمداً رسول الله) خص الشهادتين بالذكر لانها أعظم أفراد الايمان على تقدير و أعظم أجزائه على تقدير آخر معدلالتهما على التصديق الذى هوالايمان فى الاصل و ليس المقصود حصر الايمان فيهما فلاينافي سائر الاخبار .

٧ ـ بعض أصحابنا ، عن عليّ بن العبّاس ، عن عليّ بن ميسر ، عن حمّاد بن عمرو النصيبي قال: سأل رجل العالم عليه السلام فقال : أيّها العالم أخبرني أيّ الأعمال أفضل عندالله ؟ قال : مالايقبل عمل إلّا به ، فقال : و ما ذلك ؟ قال : الإيمان بالله الّذي هو أعلى الأعمال درجة وأسناها حظّاً و أشرفها منزلة ، قلت : أخبرني عن الايمان أقَول و عمل أم قول بلاعمل ؟ قال : الايمان عمل كلّه و القول بعض ذلك العمل بفرض من الله بيّنه في كتابه ، واضح نوره ، ثابتة حجّته ، يشهد به الكتاب و يدعو إليه ، قلت : صف لي ذلك حتّى أفهمه ، فقال : إنّ الايمان حالات و درجات و طبقات و منازل فمنه التامّ المنتهى تمامه و منه الناقص المنتهى نقصانه و منه الزائد الرّاجح زيادته ، قلت : و إنّ الايمان ليتمّ و يزيد وينقص ؟ قال : نعم، قلت : و كيف ذلك ؟ قال : إنّ الله تبارك و تعالى فرض الايمان على جوارح بني آدم وقسّمه عليها و فرّقه عليها فليس من جوارحهم جارحة إلّا وهي موكّلة من الايمان بغير ما وكّلت به اُختها ، فمنها قلبه الّذي به يعقل ويفقه ويفهم وهو أمير بدنه الّذي لاترد الجوارح ولاتصدر إلّا عن رأيه و أمره ، و منها يداه اللّتان يبطش بهما ورجلاه اللّتان يمشي بهما وفرجه الّذي الباه من قبله ولسانه الّذي ينطق به الكتاب ويشهد به عليها ، وعيناه اللّتان يبصر بهما ، و اُذناه اللّتان يسمع بهما و فرض على

قوله (قال لايثبت له الايمان الا بالعمل والعمل منه) لعل المراد أن الايمان عبارة عن التصديق والعمل، و يطلق على نفس العمل أيضاً كالشهادتين والصلاة و نحوهما، و على هذا لايثبت له الايمان الا بالعمل كما لايثبت الكل الا بالجزء والعمل منه أى بعض أجزائه على تقدير وبعض أفراده على تقدير آخر. وقد مر توجيه اخر قبيل ذلك والله أعلم.

قوله (قال سال رجل العالم «ع» فقال ياايها العالم) هذا الخبر مذكور فى صدر الباب متناً مع اختلاف فى السند وتغيير يسير فى المتن وحذف فى الاخر.

قوله (ولسانه الذى ينطق به الكتاب ويشهد به عليها) الظاهر أن المراد بالكتاب القرآن، والضمير فى يشهد راجع اليه وفى به الى النطق أوالى اللسان بحذف مضاف أى بأقواله و فى عليها الى اللسان واللسان يذكر ويؤنث كما صرح به فى المغرب ونطق القرآن باقوال اللسان خيراً وشراً و شهادته عليها كثير ، ويحتمل أن يراد بالكتاب كتاب الاعمال و صحيفتها

القلب غير ما فرض على اللّسان و فرض على اللّسان غيرما فرض على العينين و فرض على العينين غير ما فرض على السّمع و فرض على السّمع غير ما فرض على اليدين و فرض على اليدين غير ما فرض على الرّجلين و فرض على الرّجلين غير ما فرض على الفرج و فرض على الفرج غير ما فرض على الوجه، فأمّا ما فرض على القلب من الايمان فالاقرار والمعرفة والتصديق والتسليم والعقد والرّضا بأن لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له، أحداً، صمداً، لم يتّخذ صاحبة ولا ولداً و أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله عبده و رسوله.

٨- محمّد بن الحسن، عن بعض أصحابنا، عن الأشعث بن محمّد، عن محمّد بن حفص ابن خارجة قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: -و سأله رجل عن قول المرجئة في الكفر والايمان و قال: إنّهم يحتجّون علينا و يقولون: كما أنّ الكافر عندنا هو

و شهادته عليها يوم القيامة ظاهرة، و قراءة الكتّاب بضم الكاف و شد التاء و ارادة الحفظة بعيدة.

قوله (فاما ما فرض على القلب من الايمان والاقرار والمعرفة) كذا فى النسخ و الظاهر فالاقرار بالفاء ليكون جواباً لاما و موافقاً لمامر فى صدر الباب و لعل الواوسهـو من النساخ أو زائدة.

قوله (أحداً صمداً) هما فى أكثر النسخ منصوبان وفى بعضها مرفوعان.

قوله (وسأله رجل عن قول المرجئة فى الكفر والايمان(١)) اهو صحيح أم فاسد،

---

(١) قوله «عن قول المرجئة فى الكفر والايمان» هم فرقة من فرق الاسلام وهم و الخوارج على طرفى نقيض كان هؤلاء يعتقدون كفر الفساق وهم على غاية البغض والعداوة مع بنى امية الولاة فى عصرهم والمرجئة كانوا يعتقدون تساوى الصالح والطالح والعابد والفاسق فى الفضل عندالله وكانوا متملقين ومائلين الى ولاتهم وكان يؤيدهم سياسة بنى امية اوجدتهم وروجت آرائهم بين المسلمين وذلك لان ظلم بنى امية و تجاهرهم بالفسق والفجور بل كفرهم الباطنى نفرهم لانهم كانوا من بقايا محاربى رسول الله «ص» فى احد و الاحزاب وغيرها ـ لما ينحسم حب الجاهلية ولاحقدهم على رسول الله «ص» بقتل أشياخهم من قلوبهم بعد و قد ظهر منهم الانكار عليه وعلى أهل بيته والعادة بعد ظهور كل دين وملة حقة ان يبقى جماعة ممن لايؤمن بها سنين بل قروناً يثيرون الفتن ولم يكن بنوامية يصرحون بما فى ضمائرهم خوفاً من الناس ولان بناء*

الكافر عندالله فكذلك نجد المؤمن إذا أقرّ بايمانه أنّه عندالله مؤمن، فقال : سبحان الله و كيف يستوي هذان والكفر إقرار من العبد فلا يكلّف بعد إقراره ببيّنة والايمان

وهم فرقة من فرق الاسلام يعتقدون أنه لايضر مع الايمان معصية كما أنه لاينفع مع الكفر طاعة صادقين فى المشبه به كاذبين فى المشبه، و مجمل قولهم فى حقيقتهما أن الايمان محض اقرار اللسان بالشهادتين و ماجاء به الرسول، والكفر مقابل له و هو انكاره شيئاً من ذلك و بذلك بنوا أن الكافر عندنا كافر عندالله تعالى و كذا المؤمن عندنا مؤمن عنده تعالى و هو ظاهر بناء على أصلهم، والسائل سأل عن صحة ذلك و بطلانه فاجاب «ع» بأنه باطل لبطلان أصلهم، وذلك لان الايمان عبارة عن التصديق والاقرار والعمل، والكفر انكار شىء من ذلك و اذا كان كذلك كان الكافر عندنا بترك واحد من الامور المذكورة كافراً عندالله تعالى، و اما المؤمن عندنا و هو المتصف بالامور الثلاثة اما بالاخيرين فقطعاً و اما بالاول فظنا لدلالتهما عليه دلالة غير قطعية لان العقل يجوز عدمه تجويزاً مرجوحاً فلايلزم أن يكون مؤمناً عندالله تعالى لجواز أن يكون مقراً عاملا غير مصدق والله سبحانه عالم بعدم تصديقه فهو مؤمن عندنا تجرى عليه أحكام الايمان وكافر عندالله تعالى.

قوله (والكفر اقرار) أى الكفر اقرار من العبد على نفسه بعدم الايمان، فلايكلف

*دولتهم كان على دين عدوهم فاخفوا فى قلوبهم ما أنبأ عنه أعمالهم فقتلوا الحسين «ع» و أسروا اهل بيت نبيهم و قتلوا أهل المدينة قتلا عاماً لنصرتهم رسول الله «ص» ولم يقبلوا أحداً ممن يتولاهم فى ولايتهم بل قتلوهم و شردوهم و سلطوا على صلحاء الامة فساقهم كزياد بن أبيه و عبيدالله والحجاج بن يوسف وأوجب ذلك تنفر الناس عنهم وثورتهم وقيام الناس من كل ناحية عليهم ولم ينجع فيه التشديد والتشريد والقتل والنفى و تجرأ عليهم الخوارج و رأوا جهادهم أفضل من جهاد الكفار الاصليين و خرج عليهم جماعة من الصلحاء فى كل ناحية واظهروا التبرى منهم واللعن عليهم و اجتهدوا فى ازالة ظلمهم فرأت بنو امية أن التوسل بما توسلوا به أولا أضر بمقصدهم و افنى لدولتهم فاخترعوا لهم مذهب المرجئة وغرضهم ان بنى امية مسلمون مؤمنون وان ظهر منهم الفجور والقتل والمناهى وهم والصلحاء سواء عندالله فى الفضل فيجب مودتهم والمصافاة معهم واعانتهم فى التدبير الملكى و نصرهم فى جهاد عدوهم و بالجملة دفع تنفر الناس وما يلزمه ولما كان هذا من أضر الاراء فى فرق الاسلام بل منافياً لاصل تشريع هذا الدين وكل دين بل لولا احتمال الشبهة الممكنة فى حقهم لحكم بكفرهم لمخالفتهم ضرورى الاسلام بل ضرورى كل دين ولانتفى فائدة ارسال الرسل و انزال الكتب و لم يبق للطاعات واكتساب الفضائل و مكارم الاخلاق موقع، رد الائمة عليهم السلام فى هذه الاحاديث رأيهم ومذهبهم. (ش)

دعوى لايجوز إلاّ ببيّنة وبيّنته عمله ونيّته فإذا اتّفقافالعبد عندالله مؤمن والكفر موجود بكلّ جهة من هذه الجهات الثلاث من نيّة أو قول أو عمل و الأحكام تجري على القول والعمل ، فما أكثر من يشهد له المؤمنون بالايمان و يجري عليه أحكام المؤمنين و هو عندالله كافر وقد أصاب من أجرى عليه أحكام المؤمنين بظاهر قوله وعمله.

(باب السبق الى الايمان)

١ـ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكربن صالح، عن القاسم بن بريد قال :

بعد اقراره بينة على المقربه وهوعدم الايمان كمافى سائر أقارير العقلاء على أنفسهم بل الاقرار بعدم الايمان أولى بعدم التكليف لان كل اقرار غيره يجوز العقل عدم تحقق المقر به فى نفس الامر بخلاف الاقرار بالكفر فانه عبارة عن أنكار شيء من أجزاء الايمان و تركه هو عين الكفر، فلايحتاج الى بينة قطعاً بخلاف الايمان فانه دعوى لثبوته له ، ولا يجوز ذلك ولايثبت الاببينة كمافى سائر الدعاوى و بينته عمله المتعلق باللسان والجوارح، ونيته المتعلقة بالقلب وهى التصديق فاذااتفق العمل والنيةشهدشاهداعدل فالعبدعندالله مؤمن، وان اختلفا بأن يشهد العمل دون النية فهوليس بمؤمن عندالله تعالى و مؤمن عندنا لانا نحكم بظاهره على باطنه فنحكم بأنه مؤمن مصدق حكماً ظنياً غالباً فقولهم بأن كل مؤمن عندنا مؤمن عندالله باطل. و أما قولهم الكافر عندنا كافرعندالله فهو صحيح اذالكفر موجودبانتفاء كل جهة من هذه الجهات الثلاثةالمعتبرة فى الايمان وجوداً من نية و تصديق أو قول باللسان أو عمل بالجوارح يعنى يتحقق الكفر بانتفاء واحد من هذه الثلاثة فمن انتفى منه واحد منها وعلمنا ذلك فهو كافر عندنا كماهو كافر عندالله تعالى وأمااذا لم نعلم كما اذا انتفت منه النية فقط فهومؤمن عندناوكافرعندالله وأحكام الايمان تجرى عليه باعتبار القول و العمل دون النية لان علمنا بالنية متعسر وقد ظهر مماذكر أن المشهود له بالايمان والمجرى عليه أحكام المؤمنين وهو كافر عندالله كثير و ان من أجرى عليه الاحكام مصيب لانه مكلف بالحكم على ظاهر قوله وعمله الدالين على النية وليس مكلفاً بالحكم على الباطن لعدم علمه به ولكن لماكان تخلف المدلول عن اللفظ وما يجرى مجراه كثيراًكان وجود القول والعمل بدون النية كثيراً ولذلك كان وجودالكافر عندالله كثيراً.

قوله (باب السبق الى الايمان) (١) سبق پيش دستى نمودن وپيشى گرفتن .

---

(١) قوله «باب السبق الى الايمان» قدمر فى كتاب العقل والجهل أن الثواب على*

حدّثنا أبوعمر الزّبيري، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له : إنّ للايمان درجات و منازل ، يتفاضل المؤمنون فيها عندالله ؟ قال : نعم ، قلت : صفه لي رحمك الله حتّى أفهمه ، قال : إنّ الله سبّق بين المؤمنين كما يسبّق بين الخيل يوم الرّهان ثمّ فضّلهم على درجاتهم في السبق إليه ، فجعل كلّ امرىء منهم على درجة سبقه، لاينقصه فيها من حقّه ولايتقدّم مسبوقٌ سابقاً ولامفضولٌ فاضلاً . تفاضل بذلك أوائل هذه

قوله (قال ان الله سبق بين المؤمنين) أى قرر السبق وقدره بين المؤمنين فى الايمان وندبهم اليه كما يسبق بين الخيل يوم الرهان فمنهم فى المقام الادنى و هو مقام يتحقق فيه المسبوقية دون السابقية، ومنهم فى المقام الاعلى وهو مقام يتحقق فيه السابقية دون المسبوقية وهو مقام خاتم الانبياء، و بين المقامين مقامات غير محصورة يجتمع فيها السابقية والمسبوقية باعتبارين، والتشبيه من باب تشبيه المعقول بالمحسوس لقصد الايضاح.

قوله (فجعل كل امرىء منهم على درجة سبقه) المراد بجعله عليها اعطاؤه المقرر له فى تلك الدرجة من الاجر والثواب والتقرب من غير أن ينقص من حقوقه فيها ، و فى الاقتصار بنفى النقص دون الزيادة ايماء الى جوازها من باب التفضل وان لم يستحق.

قوله (ولايتقدم مسبوق سابقاً) كما أن المسبوق فى المشبه به لايتقدم سابقاً لعدم وسعه ذلك، وللزوم خلاف الفرض كذلك المسبوق فى المشبه لايتقدم سابقاً فى الكمال والمنزلة والاجر والتقرب لانه تعالى حكيم عدل لايجور، بل يضع كلا فى موضعه.

قوله (تفاضل بذلك أوائل هذه الامة و أواخرها) ذلك اشارة الى السبق و الاوائل والاواخر أما بحسب الدرجات أو بحسب الوجود والازمان كالصحابة والتابعين الى يوم الدين فكما أن فى عصرنا هذا يقع التفاضل بعلو الدرجة فى الايمان والعلم و تخلية النفس عن الرذائل و تحليتها بالفضائل حتى أن من قدم المفضول على الفاضل ورجحه عليه، كان رأيه ضعيفاً و عقله خفيفاً كذلك فى أوائل هذه الامة ، و من هذا يظهر أن تقديم العجل

---

*العقل وما فى هذا الباب يؤيده فان السابق الى الايمان لابد أن يكون عقله أقوى و معارضة الوهم له أضعف والا فلا يسبق الى الايمان والوهم يأمر بحفظ العادات و يخاف من مخالفة الجمهور ولايجوز ترك ماعليه أكثر الناس ولايقدم على المخالفة الا من اطمئن بعقله و تجرأ على تخطئة الجمهور ولم يتأثر برأى الاكثرين و ضعيف العقل لايطمئن بصحة رأيه الا اذا رأى المشهور موافقين له هذا بناء على أن يكون المراد السبق بالزمان وأما الانواع الاخر من السبق فظاهر . (ش)

الامّة و أواخرها و لو لم يكن للسابق إلى الا يمان فضلٌ على المسبوق إذاً للحق آخر هذه الأُمّة أوّلها. نعم ولتقدّموهم إذا لم يكن لمن سبق إلى الا يمان الفضل على من أبطأ عنه ولكن بدرجات الا يمان قدّم الله السابقين و بالا بطاء عن الا يمان

على علـى «ع» كان باطلا و لعل الغرض الاصلى من هذا الحديث هو التنبيه عليه و ان كان ظاهره أعم.

قوله (و لولم يكن للسابق الى الايمان فضل على المسبوق اذاً للحق آخر هذه الامة أولها) أى للحق آخر هذه الامة بحسب درجات الايمان أولها بحسبها فيساويهم فـى الدرجة أو للحق آخر هذه الامة بحسب الازمان كالتابعين ومن بعدهم أول هذه الامة بحسبها كالصحابة من المهاجرين و الانصار ، و ذلك لانه اذا سقط اعتبار السبق لزم التسـاوى و الاشتراك فى الدرجة.

قوله (نعم و لتقدموهم)«نعم» تصديق لمضمون الشرطية المذكورة و تمهيد لشرطيـة اخرى أفخم من الاولى، وتصديق لمضمونها أيضاً أى اذا لم يكن لمن سبق الى الايمان الفضل على ما أبطأ عنه لتقدم آخر هذه الامة بحسب ماذكر أول هذه الامة بحسبه فقوله «لتقدموهم» جزاء الشرط على تقدير جواز تقديمه، أو دليل على جزائه المحذوف على تقدير عدم جوازه وبناء الشرطية الاولى على عدم تكثر العمل فى آخر هذه الامة وبناء هذه الشرطية على اعتباره فيهم، ووجه الشرطية أن السبق الى الايمان اذا لم يكن له مدخل فى الترجيح لزم تقدم الاخر مع زيادة العمل وتكثره لاختصاصه بهذه المزية، و اعلم أن المراد بالايمان اما نفس التصديـق أو التصديق مع العمل و لكل واحد منهما درجات ومنازل بعضها فوق بعض و آخرها غاية الكمال للبشر كمرتبة عين اليقين أو أعلى منها وصرف جميع الجوارح فى جميع الاوقات فى جميع ما خلقت له ثم المراد بالمسابقة اليه اما المسابقة الى درجاته ومنازله وطلب الاعلى فالاعلى الى غايتها وهى بزيادة العلم والعمل، أو المسابقة الى أصله وهى السبق الزمانى على سبيل منع الخلو، و الاول فى الموضعين أولى من الاخير نظراً الى ظاهر الحديث فمن اجتمع فيه المسابقة بالمعنيين كأمير المؤمنين «ع» فهو الكامل مطلقاً والسابق على الاطلاق ومن انتفى عنه الامران هـو الناقص للاحق مطلقاً ومن له سبق الزمان الى الايمان مع انتفاء الزيادة عنهما أو بالعكس فهو السابق و أعلى درجة وأما اذا تعارض الامران بأن يكون لاحدهما سبق الزمان و للاخر زيادة العمل فظاهر هذا الحديث أن السابق زماناً أفضل و أعلى درجة من الاخر ، و تخصيص ذلـك بالصحابى محتمل لان السابق أعون للنبى من اللاحق والتعميم أظهر و الله أعلم.

قوله (ولكن بدرجات الايمان) لما كان الشرط فى القضيتين وهو عدم الفضل للسابق

أخّر الله المقصّرين لأنّا نجد من المؤمنين من الآخرين من هو أكثر عملاً من الأوّلين وأكثرهم صلاةً و صوماً وحجّاً و زكاةً و جهاداً و إنفاقاً ولولم يكن سوابق يفضل بها المؤمنون بعضهم بعضاً عندالله لكان الآخرون بكثرة العمل مقدّمين على الأوّلين ولكن أبى الله عزّوجلّ أن يدرك آخر درجات الايمان أوّلها و يقدّم فيها من أخّر الله أو يؤخّر فيها من قدّم الله . قلت : أخبرني عمّا ندب الله عزّوجلّ المؤمنين إليه من الاستباق إلى الإيمان ، فقال : قول الله عزّوجلّ : « سابقوا إلى مغفرة من ربّكم و جنّة عرضها كعرض السماء والأرض اُعدّت للّذين آمنوا بالله

على المسبوق يستلزم لحوق المسبوق به أو تقدمه عليه بالاعتبارين كما أشرنا اليه أشارهنا الى نفى التالى فيهما باثبات نقيض الشرط بحكم الله تعالى اذ نقيضه وهو ثبوت الفضل للسابق يستلزم عدم اللحوق والتقدم وهو ظاهر.

قوله (لانا نجد من المؤمنين) كأنه بيان للشرطية الثانية و توجيه لمضمونها و حاصله انا نجد من آخر هذه الامة من هو أكثر عملا و عبادة من أولها فلولم يكن للسابق الى الايمان والتصديق وأعلادرجاتها المبتنية على اليقين والرضا والعلم والحلم وتخلية النفس عن الرذائل وتحليتها بالفضائل فضل على المسبوق لكان المسبوق بسبب كثرة العمل واتصافه بها مقدماً عليه، ولكن هذا باطل لان الله عزوجل أبى أن يدرك آخر درجات الايمان أولها و يلحق صاحب الاخر بصاحب الاول وكذا أبى أن يقدم فى درجات الايمان من أخرالله أو يؤخر فيها من قدمالله بل كل فى درجته لايقدم ولا يؤخر فقوله «ولكن أبى الله» اشارة الى بطلان التالى تأكيداً لما مر، و فيه سر لايخفى وهو أنه اذا كان اللاحق فى الايمان مع كثرة العمل غير لاحق بالسابق اليه ولامقدم عليه مع قلة عمله كان تقديم الغاصب الاول المنتحل لاسم الخلافة مع تأخره فى الايمان على تقدير تسليم ايمانه، و مع قلة عمله على العالم الربانى والمؤمن الوحدانى على بن أبى طالب «ع» مع تقدمه الى الايمان وسبقه الى أعلى مراتبه و كثرة عمله باتفاق الخاصة والعامة باطلا بالضرورة.

قوله (قلت أخبرنى عما ندب الله عزوجل) لما دل كلامه «ع» سابقاً على أنه تعالى طلب منهم الاستباق الى الايمان و دعاهم اليه سأله الزبيرى عن موضع من القرآن يدل عليه

قوله (سابقوا الى مغفرة) أى سارعوا مسارعة السابقين فى المضمار الى سبب مغفرة من ربكم من الاعمال الصالحة الموافقة لمقتضى النواميس الالهية والكمالات النفسانية ، و أعظم تلك الاعمال هو الايمان الكامل البالغ الى النهاية المتوقف على

ورسله» و قال : «السّابقون السّابقون۞اُولئك المقرّبون » و قال : « والسّابقون

جميع الكمالات النفسانية.

قوله (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) قال الفاضل الاردبيلى كنى بالعرض عن مطلق المقدار و هو متعارف و نقل على ذلك الاشعار فى مجمع البيان وأنه لماعلم أن عرضه الذى هوأقل من الطول عرفاً فى غير المتساوى علم أن طوله أيضاً يكون اما أكثر أو مثله، وقال القاضى ذكر العرض للمبالغة فىوصفها بالسعة على طريق التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس أنها كسبع سموات و سبع أرضين لووصل بعضها ببعض و ظاهر الاية وجوب المسارعة أو رجحانها الى الطاعة الموجبة للدخول فى الجنة وأعظمها الايمان بالله و كتبه ورسله واليوم الاخر والترقى الى مقاماته العالية.

قوله (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) ظاهر هذه الاية و غيرها من الايات والروايات أن الجنة مخلوقة الان وكذا النار قال الفاضل المذكور : وقال به الاصحاب و صرح به الشيخ المفيد فى بعض رسائله وقال أن الجنة مخلوقة مسكونة سكنتها الملائكة و ظاهر الاية أنها فى السماء والظاهر ان المراد به أنه يكون بعضها فى السماء ويكون البعض الاخر فوقها أو يكون أبوابها فيها أو فوق الكل وما ذكره الحكماء من «أن السماء لاتقبل الخرق والالتيام وأن فوقها لاخلاء ولاملاء » غير مسموع شرعاً (١) و هو ظاهر كما قيل أن النار

(١) قوله «ما ذكره الحكماء غير مسموع شرعاً» ما ذكره الحكماء يعنى امتناع الخرق على الفلك مما لم يدل عليه دليل عقلى ولم يبينوه ببرهان تعليمى كما هو دأبهم فى الفلكيات اعترف بذلك المنصفون منهم وصرحوا بأن الدليل خاص بمحدد الجهات و على فرض صحته فلا يوجب عبور الملائكة والاجسام الاخروية خرقاً كما لا يوجب دخول الملائكة فى القبور نبشاً و فى البيوت خراب الجدار. والبحث الذى أورده الشارح بحث طويل جداً لا يمكن حق ادائه فى هذا الموضع ولا يناسب فيه الاشارة مختصرة فنقول اولا الحق أن الجنة والنار موجودتان فعلا و ان خالف فيه جماعة من المسلمين وربما ينسب الى السيد الرضى رضى الله عنه، وثانياً بناء على وجودهما فعلا فالحق أن مكان الجنة فى السموات أو فوقها ومكان النار تحت الارض أو تحت البحر، ثالثاً أن أحكام الاجسام الدنيوية المبنية على التجربيات والعادات غير جارية فى الاجسام الاخروية ولا يجوز التشكيك فى وجود الجنة والنار أو فى مكانهما بعدم امكان جريان أحكام الاجسام الدنيوية عليها، لان التجربة خاصة بالدنيوية منها مثلا اذا قيل كيف يرتفع الصلحاء من الارض و كيف يصعدون الى السماء يوم القيامة ولم يرد فى رواية أو آية ذكر صعودهم وآلة صعودهم وان الابدان مائلة الى الارض لجاذبيتها و أن رسول الله «ص» وكثيراً من خواص أصحابه وأصحاب الائمة عليهم السلام كيف رأوا أهل الجنة فى الجنة و أهل النار فى النار مع هذه ✽

الأوّلون من المهاجرين والأنصاروالّذين اتّبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا

تحت الارض فتكون الاية دليلا على بطلان ما قالوه انتهى كلامه أعلى الله مقامه ، و قال القاضى فيه دلالة على أن الجنة مخلوقة و أنها خارجة عن هذا العالم (١) و ذهب جماعة من المعتزلة الى أنهما مخلوقة وأنهما خارجة عن هذا العالم، وذهب جماعة من المعتزلة الى أنهما غير مخلوقين وانما تخلقان يوم القيامة.

قوله (و قال السابقون) السابقون مبتدأ و خبر أى السابقون الى ما دعاهم اليه من التوحيد والايمان والاخلاص والطاعة هم السابقون الى المقامات العلية والدرجات الرفيعة أو السابقون ذلك هم السابقون الذين عرفت حالهم وبلغك وصفهم ، و يكون تعريف الخبر للمبالغة والاشارة الى ما هو معلوم لك ، و هذا بحسب الظاهر خبر، و بحسب المعنى حث على المسابقة الى ما ذكر.

قوله (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) قال المفسرون : السابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين أو شهدوا بدراً أو أسلموا قبل الهجرة و من الانصار أهل بيعة العقبة الاولى و كانوا سبعة نفر و أهل بيعة العقبة الثانية ، و كانوا سبعين، و قال الفاضل النيشابورى : الظاهر أن الاية عامة فى كل من سبق بالهجرة والنصرة، وقال أكثر العلماء كلمة «من» للتبعيض و انما استحق السابقون منهم هذا التعظيم لانهم آمنوا و فى عدد المسلمين قلة وفيهم ضعف فقوى الاسلام بسببهم، وكثر عدد المسلمين و اقتدى بهم غيرهم، وقيل للتبيين فيتناول المدح جميع الصحابة.

قوله (والذين اتبعوهم باحسان) قال صاحب الكشاف والنيشابورى هم الذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن وقال القاضى: هم اللاحقون بالسابقين أو

---

*المسافة البعيدة بين الارض الى السموات و حيلولة الارض بين الابصار و بين جهنم و كيف يفتح من الجنة التى فى السماء باب الى قبور الصالحين وكيف يرى ذلك صاحب القبر مع كونه ميتا ولايراه الناس مع كونهم أحياء و أمثال ذلك كثيرة مما دعا المعتزلة الى انكار أصل وجودهما فعلا وما يتفرع عليه.

وجواب ذلك وأمثاله ان حكم الاخرة غير حكم الدنيا فانه عالم آخر لايقاس مافيه بما فى هذا العالم ولايمتنع هناك الاتصال من بعيد والرؤية مع الفاصلة والعبور من الموانع و الحواجب العنصرية كما يدخل الملائكة فى القبور بغير نبش وتجوز الافلاك بغير خرق وفى بيت لاخرق فيه لقبض روح المحصورين فيه و لتفصيل ذلك مجال واسع فى موضعه ان شاء الله. (ش)

(١) قوله «و أنها خارجة عن هذا العالم» لان الجنة أوسع من عالم الاجسام بسماواتها و أرضها لان عرضها السموات والارض فكيف يكون فى موضع منه. (ش)

عنه» فبدأ بالمهاجرين الأوّلين على درجة سبقهم، ثمّ ثنّى بالأنصار ثمّ ثلّث بالتابعين لهم بإحسان، فوضع كلّ قوم على قدر درجاتهم و منازلهم عنده، ثمّ ذكر مافضّل الله عزّوجلّ به أولياءه بعضهم على بعض، فقال عزّوجلّ: «تلك الرّسل فضّلنا بعضهم على بعض منهم من كلّم الله و رفع بعضهم فوق بعض درجات - إلى آخر الاية -» و قال: «ولقدفضّلنا بعض النبيّين على بعض» و قال: «انظر كيف فضّلنا بعضهم على بعض وللاخرة أكبر درجات و أكبر تفضيلاً» و قال: «هم درجات عندالله» و قال: «ويؤت كلّ ذي فضل فضله» و قال: «الّذين آمنواو هاجروا

من اتبعوهم بالايمان والطاعة الىيوم القيامة.

قوله (ثم ذكر ما فضل الله عزوجل به أولياءه) بعد ما فرغ عن ذكر آيات دلت على الدعاء الى الاستباق ذكر آيات دلت على ما يترتب عليه من التفضيل و أعلاء الدرجة. **قوله** (تلك الرسل) فى الكشاف تلك اشارة الى جماعة الرسل التى ذكرت قصصها فى سورة أو التى ثبت علمها عند رسول الله «ص».

قوله (و رفع بعضهم فوق بعض درجات) فى الكشاف أي منهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم فى الفضل ارفع منهم بدرجات كثيرة، والظاهر أنه أراد محمداً «ص» لانه هو المفضل عليهم حيث اوتى مالم يؤته أحد من الايات المتكاثرة المرتقية الى ألف آية أو أكثر ولولم يؤت الاالقرآن وحده لكفى به فضلا منيفاً على ساير ما اوتى الانبياء لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون ساير المعجزات، و فى هذا الابهام من تفخيم فضله و اعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذى لايشتبه والتميز الذى لايلتبس.

قوله (هم درجات) أى ذوو درجات متفاوتة بعضها فوق بعض.

قوله (و يؤت كل ذى فضل فضله) فوجب بحسب وعده الصادق أن يضع كل ذى فضل فى منزلته و درجته فدرجة الفاضل أرفع من درجة غيره و درجة الافضل أعلى من درجة المفضول، و درجة السابق الى الايمان أشرف و أرفع من درجة المسبوق و قد ردالله عز شأنه بهذه الاية و أمثالها على من علم أنه سيزعم جواز تفضيل المفضول على الافضل بل الجاهل على الفاضل، و من زعم أن الافضلية باعتبار الزيادة فى الثواب و اعلاء الدرجة فى الاخرة لاباعتبار السبق والكمال فى الايمان والزيادة فى العمل لله تعالى ولم يدر أن الزيادة فى الثواب والدرجة نماهى بالاعتبار المذكور، والالزم الكذب بالوعد والوعيد و بطلان الكتاب

وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم و أنفسهم أعظم درجة عند الله » و قال : « فضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ✿ درجاتٍ منه و مغفرة و رحمة » و قال :

والشريعة نعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا.

قوله (و قال الذين آمنوا و هاجروا) أى قال الذين آمنوا بالله و رسوله و اليوم الاخر ايماناً لايشوبه شك و هاجروا الى الرسول و فارقوا الاوطان و تركوا الاقارب و الجيران و طلبوا مرضات الله و جاهدوا فى سبيل الله بصرف أموالهم و رفع أنفسهم الى الله و دفع هواها أعظم دزجة عندالله ممن لم يتصف بالصفات المذكورة لازالة طمعهم عن الحياة الدنيوية، و بذل أرواحهم القدسية طلباً للحياة الاخروية، و صرف همتهم العالية لاعلاء كلمة الحق و تقوية الدين، فلذلك صاروا أعظم درجة عندرب العالمين، والله لا يضيع اجر المحسنين و من هذا يظهر أن على بن أبى‌طالب صلوات الله عليه أعظم درجة من جميع الصحابة لانه آمن وهاجر وجاهد حين فشلوا و فروا كمايظهر بالنظر فى حاله و حالهم فى‌حرب حنين وأحد و خيبر و غيرها من الحروب.

قوله (وقال فضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً درجات منه ومغفرة و رحمة) أجراً مفعول ثان لفضل باعتبار تضمنه معنى الاعطاء كأنه قيل وأعطاهم زيادة على القاعدين أجراً عظيماً، و كل واحدة من درجات منه و مغفرة و رحمة بدل من أجراً، و يجوز أن تكون منصوباً على المصدر لان فضل بمعنى آجر كأنه قيل : و آجرهم زيادة على القاعدين أجراً عظيماً، والبدل بحاله، ويجوز أيضاً أن ينتصب درجات بنزع الخافض أى بدرجات، أو على المصدر لانها تدل على التفضيل فكأنه قيل: فضلهم تفضيلات كقولك ضربته أسواطاً أى ضربات لان الاسواط تدل على الضربات و حينئذ ينتصب أجراً على أنه حال عنها تقدمت عليها لانها نكرة، و مغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما أى فغفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة ، كذا ذكره المفسرون. وههنا شيئان لا بأس أن نشير اليهما الاول أن النيشابورى قال فى تفسيره: استدلت الشيعة ههنا بأن علياً «ع» أفضل من غيره من الصحابة لانه بالنسبة اليهم مجاهدوهم بالاضافة اليه قاعدون لما اشتهر من وقايعه و اقدامه و شجاعته و حمايته، وأجاب أهل السنة بأن جهاد أبى بكر بالدعوة الى الدين و هوالجهاد الاكبر حين كان الاسلام ضعيفاً والاحتياج الى المدد شديداً و انما جهاد على «ع» ظهر بالمدينة فى الغزوات و كان الاسلام فى ذلك الوقت قوياً والحق أن الاية لاتدل الاعلى تفضيل المجاهدين على القاعدين أما على تفضيل المجاهدين بعضهم على بعض فلا انتهى ، أقول هذا المجيب اعترف بأن علياً «ع» فى الغزوات سابق على أبى بكر و غيره و سبقه «ع» فى العلم والعمل و الزهد أشهر من أن

«لايستوي منكم مَن أنفق من قبل الفتح و قاتل اُولئك أعظم درجة من الّذين أنفقوا من بعد و قاتلوا» و قال: «يرفع الله الّذين آمنوا منكم والّذين اُتوا العلم درجات» و قال: «ذلك بأنّهم لايصيبهم ظمأٌ ولانصبٌ ولامخمصةٌ في سبيل الله ولايطؤن موطأ

ينكره أحد من المعاندين، و أما ما ذكره من جهاد أبى بكر فى الدين حين كان ضعيفاً فلا أثر له، و أى جهاد كان له لم يكن لعلى «ع» مع أن دعوته «ع» الى الدين و ارشاد الصحابة أجمعين و ارجاع الثلاثة كثيراً عن الباطل الى الحق المبين أشهر من أن يخفى و أكثر من أن يحصى، والثانى أن فاضلا من الشيعة كان فى مجلس حاكم من أهل السنة و وكان فيه أيضاً عالم ذوذنب (١) فذكر ذوذنب أن عائشة كانت أفضل من فاطمة عليها السلام، فقال الحاكم لذلك الفاضل: ما تقول؟ فقال: أيها الامير أنا أقول فى شأنها ما قال الله تعالى و قرأ هذه الاية رمزاً الى الحق واشارة الى ارتدادها بخروجها على على «ع» فضحك الحاكم بمعرفة قصده وخاطب ذا الذنب فقال ما تقول؟ فبهت الذى كفر.

قوله (و قال لايستوى منكم من انفق من قبل الفتح) اذ انفاق الاموال فى سبيل الله و المقاتلة من قبل الفتح أعظم و أشرف و أسبق و أشق على النفس منهما من بعد الفتح لوقوعهما عند ضعف الاسلام و قوة الكفر و كثرة العدو و شدة شوكتهم فلذلك صارا سبباً لرفع درجات السابقين وعظمتها.

قوله (والذين اوتوا العلم درجات) قيل المراد الرفعة فى مجلس النبى وهو المناسب للمقام والمشهور الرفعة فى درجات ثواب الاخرة.

قوله (وقال ذلك بانهم لايصيبهم ظمأ) ذلك اشارة الى وجوب الجهاد المفهوم من

(١) قوله «عالم ذوذنب» كانه كان ناصبياً يشعر به اصراره على تفضيل عائشة وأكثرهم على تفضيل فاطمة قال السهيلى وهو من أعاظم علماء أهل السنة يذكر عن أبى بكر بن داود أنه سئل أعائشه أفضل أم خديجة؟ فقال: عائشة أقرئها رسول الله (ص) السلام من جبرئيل وخديجة أقرئها جبرئيل السلام من ربها على لسان محمد «ص» فهى أفضل. قيل له: فمن أفضل أ خديجة أم فاطمة؟ فقال: ان رسول الله «ص» قال: ان فاطمة بضعة منى فلا أعدل ببضعة من رسول الله أحداً، قال السهيلى: وهذا استقراء حسن ويشهد لصحة هذا الاستقراء أن أبا لبابة حين ارتبط نفسه وحلف أن لايحله الا رسول الله «ص» فجاءت فاطمة لتحله فأبى من أجل قسمه فقال رسول الله (ص): انما فاطمة مضغة منى فحلته قال: و يدل على تفضيل فاطمة قوله «ع» لها أما ترضين أن تكونى سيدة نساء أهل الجنة الا مريم فدخل فى هذا الحديث امها وأخواتها وقد تكلم الناس في المعني الذى به سادت به فاطمة غيرها الى آخر ما قال. (ش)

يغيظ الكفّار ولاينالون من عدوّ نيلاً : إلاّ كتب لهم به عمل صالح » و قال : «و ما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عندالله » و قال : « فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره و من يعمل مثقال ذرّة شرّاً يـره » فهذا ذكر درجات الإيمان و منـازله عندالله عزّوجلّ .

(باب)

❁ (درجات الايمان) ❁

١ـ عدّةٌ من أصحابنا ، عن أحمدبن أبي عبدالله ، عن الحسن بن محبوب ، عن عمّاربن أبي الأحوص ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الله عزّوجلّ وضع الإيمان على سبعة أسهم على البرّ والصدق واليقين والرّضا والوفاء والعلم والحلم، ثمّ

الاية السابقة والمنع من التخلف عنه وما بعده يحث عليه ويجرى مجرى المنع من التخلف والظمأ شدة العطش والنصب الاعياء والتعب والمخمصة المجاعة الشديدة والموطىء اما اسم مكان أومصدر. والضمير فى «يغيظ» عائد الى الوطى وفيه دلالة على أن من قصد طاعة الله كان قيامه و قعـوده و مشيه وحركته وسكونه كلها حسنات تكتب فى ديوان عمله.

قوله (وما تقدموا لانفسكم من خير) فيه حث على الخير وترغيب فيه والمراد به الانفاق أو الاعم.

قوله (و قال فمن يعمل مثقال ذرة خيراً) يدل على أن عمل الخير سبب لعلوالدرجة ورفع المنزلة ، وعمل الشر خلاف ذلك ففيه ترغيب فى الخير وتبعيد عن الشر.

قوله (ان الله عزوجل وضع الايمان على سبعة أسهم) هذه الاسهم كلها من أفعـال القلب (١) وصفاته الا النادر منها .الاول البر أى الاحسان الى نفسه بفعل الواجبات و ترك المنهيات، والى الوالدين والاقربين والاخوان المؤمنين، وقد روى عن أبى عبدالله «ع »

---

(١) قوله «هذه الاسهم كلها من أفعال القلب» ومن مراتب السلوك فى اصطلاح العرفاء وهو حركة نفسانية من النقص الى الكمال الانسانى وقد تكلم فيها العلماء بهذا الشأن و من أحسن ماصنف فيه كتاب أوصاف الاشراف للمحقق الطوسى الذى أشار اليه الشارح ، واعلم أن تلك المراتب غير متناهية من جهة التقسيم كسائر الحركات كما أن السير فى المسافة ينقسم الـى الفراسخ والاميال والاذرع والاصابع وباعتبار كل تقسيم يختلف عدد الاقسام فان قسمنا مسافة بالفراسخ وحصل عشرة اقسام مثلا كانت بالاميال ثلاثين قسماً و بالاذرع مائة و عشرين ألف ذراع والمسافة واحدة كذلك السير الي الكمال الالهي ينضبط باقسام تختلف باعتبارات وقد يعبر عنها*

. . . .

أنه قال «ومن خالص الايمان البر بالاخوان» الثانى: الصدق وهو القول المطابق للواقع كما هو المشهور وينشأ من استقامة اللسان و اعتداله فى البيان ويطلق أيضاً على فعل القلب والجوارح المطابقين للقوانين العدلية والموازين الشرعية منه والصديق و هو من حصل له ملكة الصدق فى جميع هذه الامور ولايصدر منه خلاف المطلوب عقلا أو نقلا، كما صرح به المحقق الطوسى فى أوصاف الاشراف. الثالث: اليقين وهو الحالة التى تحصل للانسان عند كمال قوته النظرية كما ان التقوى هى الحالة التى تحصل له عند كمال قوته العملية و بعبارة اخرى هو الاعتقاد

*بالطائف السبع وأشار اليه الشاعر:

هفت شهر عشق را عطار گشت ماهنوز اندرخم يك كوچه ايم

وضبطها المحقق الطوسى فى ستة أقسام ثم قسم كل قسم الى ستة، و قسم صاحب منازل السائرين الى عشرة وكل قسم الى عشرة، وقسم مولانا الصادق «ع» فى هذا الحديث الى سبعة أقسام ، وفى حديث الى عشرة، وفى حديث آخر سيأتى ان شاءالله تعالى أيضاً الى سبعة، و كل قسم منها الى سبعة فصارت تسعة وأربعين، ثم قسم كل منها الى عشرة وللناس فيما يعشقون مذاهب وكلها صحيح والاولى بنا حفظ اصطلاح الامام «ع» ووجه الترتيب أن الانسان فى مبدء السلوك لايمكن أن يكون راغباً فى الشر مصراً فى الفسق معرضاً عن الخير لان من هذه صفته لايتصور فى حقه التوجه الى الكمال النفسانى فأول المراتب البر ولما كان البر ذا درجات أولها أن يكون معتقداً لحسن الحسن وقبح القبيح ومع ذلك يرتكب القبائح مسامحة وغفلة وغروراً كما نرى من كثير من الفساق المعترفين بقبح فعالهم وهؤلاء لايصدق فعلهم قولهم فثانى المراتب الصدق، ثم من صدق قوله فعله قد لايكون ايمانه خالياً عن شوائب الوهم، ولم يكن له محض اليقين بحيث يبعثه على الحركة على ما يأتى شرحه ان شاءالله فى درجات الايمان و ثالث المراتب لمزيد الكمال اليقين، ولما لم يكن اليقين بنفسه محركاً للانسان الا بالرضا كما أن العلم بالنافع لايوجب الحركة اليه الا اذا اشتاق فرب عالم بنفع التجارة لايتجر لعدم شوقه ورب متيقن بالجنة لايعبدالله لعدم شوقه لذلك كان الرضا رابعاً و الوفاء بعد الرضا بمنزلة تحريك العضلات بعد الشوق ثم عبر «ع» عما يسنح للسالك بعد الوفاء بالشروط، بالعلم والحلم وهو العلم المفيد فى الاخرة وهو المعرفة بالله تعالى وصفاته و أسمائه وأفعاله بما يسمى عندهم بالفناء أوله العلم و آخره الحلم وهذا وجه قريب الاحتمال فى ضبط الاسهم السبعة والله العالم بحقيقة كلام وليه و كل كلام من هذا الجنس فى أخبار الائمة عليهم السلام ورد مجملا ولم يرد فيه شرح يجوز للعقول التدبر فيها و أبداء أقرب الاحتمالات فيه والا كان ذكرهم عبثاً تعالى أولياءالله عن العبث. (ش)

قسّم ذلك بين النّاس ، فمن جعل فيه هذه السبعة الأسهم فهو كامل ، محتمل ، و قسّم لبعض النّاس السهم و لبعض السهمين ولبعض الثلاثة حتّى انتهوا إلى [ال]سبعة

الجازم المطابق الثابت الذى لايمكن زواله وهو فى الحقيقة مؤلف من علمين العلم بشىء والعلم بأنه لايمكن خلاف ذلك العلم. وله مراتب مذكورة فى القرآن علم اليقين و عين اليقين و حق اليقين، قال الله تعالى «لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين» وقال «و تصلية جحيم ان هذا لهوحق اليقين» و هذه المراتب مترتبة فى الفضل و الكمال مثلاالعلم بالنار بتوسط النور أو الدخان هو علم اليقين و العلم بها بمعاينة جرمها المفيض للنور عين اليقين والعلم بها بالوقوع فيها ومعرفة كيفيتها التى لاتظهر بالتعبير حق اليقين، و بالجملة علم اليقين يحصل بالبرهان، وعين اليقين بالكشف، وحق اليقين بالاتصال المعنوى الذى لايدرك بالتعبير، الرابع الرضاء بقضاءالله فى النفس و المال والولد حلواً كان ام مراً، الخامس الوفاء بعهدالله وهو ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته حين اشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى أوالاعم منه و من الوفاء بالرسالة و الولاية و التكاليف وعهود الناس و شروطهم الجايزة ، السادس العلم بالاحكام الدينية و الشرايع النبوية والاخلاق النفسية، و بالجملة المراد به البصيرة القلبية فىأمر الدين وهى التى توجب استيلاء الخوف والخشية على القلب كما قال جل شأنه «انما يخشى الله من عباده العلمؤا» السابع الحلم وهو هيئة حاصلة للنفس من الاعتدال فى القوة الغضبية مانعةلها من الانفعال بسهولة عن الواردات المكروهة الموذية التى من شأنها تحريك النفس الى الانتقام وَ التسلط والترفع والغلبة و بالجملة هو صفة يوجب سكون النفس و تأنيها عند هيجان الغضب.

قوله (فهو كامل محتمل) لبلوغ ايمانه حدالكمال واحتماله جميع سهامه وأنحائه.

قوله (ثم قال: لاتحملوا على صاحب السهم سهمين) كماأن القوة الجسمانيةيتفاوت فى أفراد الانسان حتى يقدر أحد بحمل من والاخر بحمل منين والثالث بحمل ثلاثة و هكذا، و كذلك القوة الروحانية فتكلف الادنى حين كونه أدنى بماكلف به الاعلى تكليف بما لايطاق، والثواب والعقاب ليسا بمتساويين كما روى «انما يداق الله العباد فى الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول فى الدنيا» نعم على الاعلى ان ينقل الادنى الى درجته بالتعليم والرفق والوعظ كما سيجىء عن أبىعبدالله «ع» قال «اذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه اليك برفق ولاتحملن عليه مالايطيق فتكسره» و على الادنى أن يتضرع الى الله عزوجل في المسألة بان يكمله ويوفقه للترقي الى درجة أعلى من درجته كما مر فى

ثمّ قال : لاتحملوا على صاحب السهم سهمين ولاعلى صاحب السهمين ثلاثة فتبهضوهم، ثمّ قال : كذلك حتّى ينتهى إلى [ال]سبعة .

٢ـ أبوعليّ الأشعريّ، عن محمّد بن عبدالجبّار و محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى جميعاً ، عن ابن فضّال عن الحسن بن الجهم ، عن أبي اليقظان، عن يعقوب ابن الضحّاك عن رجل من أصحابنا سرّاج و كان خادماً لأبي عبدالله عليه السلام قال: بعثني أبوعبدالله عليه السلام في حاجة و هو بالحيرة أنا وجماعة من مواليه قال : فانطلقنا فيها ثمّ رجعنا مغتمّين قال : و كان فراشي في الحائر الّذي كنّا فيه نزولاً ، فجئت و أنا بحال فرميت بنفسي فبينا أنا كذلك إذ أنا بأبي عبدالله عليه السلام قد أقبل قال: فقال: قد أتيناك أوقال: جئناك ، فاستويت جالساً و جلس على صدر فراشي فسألني عمّا بعثني له فأخبرته ، فحمدالله ثمّ جرى ذكر قوم فقلت : جعلت فداك إنّا نبرأ منهم، إنّهم لايقولون ما نقول. قال: فقال : يتولّونا ولايقولون ما تقولون تبرؤون منهم ؟ قال: قلت: نعم قال: فهو ذا عندنا ما ليس عندكم فينبغي لنا أن نبرأ منكم ؟ قال: قلت:

كتاب العقل، و من ههنا ظهر أن القسمة المذكورة لاتوجب الظلم لان المطلوب من كل أحد مايقتضيه قسمه و نصيبه وأن كل ذى قسم قابل للدرجة الفوقانية اما فى نفس الامر أو فى ظنه وتجويزه و ان بناء الكمال على التدرج والتعلم والطلب منه تعالى، و فيه دلالة على أن الرجل بعد تحصيل أصل الايمان لوقصر فى كماله لقصور فى القوة العقلية أو القوة العملية لايعد مقصراً ولايؤاخذ عليه والله أعلم.

قوله (فتبهضوهم) بهضه الحمل يبهضه بالضاد أى أثقله و أعجزه و بالظاء أكثر.

قوله (و هو بالحيرة) الحيرة بالكسر مدينة كان يسكنها النعمان بن المنذر وهى على رأس ميل من الكوفة.

قوله (مغتمين) بالغين المعجمة وفى بعض النسخ« معتمين» بالعين المهملة قيل أى داخلين وقت العتمة.

قوله (و كان فراشى فى الحائر) الحائر المكان المطمئن والبستان كالحير وكربلا.

قوله (و أنا بحال) أى من الضعف والكلال.

قوله (انهم لايقولون مانقول)من الفضائل أو من المسائل أو من الاعمال الصالحة التى يقولها أصحاب العرفان و يعملها أرباب الايقان، لامن اصول العقائد.

لا ـ جعلت فداك ـ قال : و هو ذاعندالله ما ليس عندنا افتراه أطرحنا ؟ قال:قلت: لاوالله جعلت فداك، ما نفعل ؟ قال : فتولّوهم ولاتبرؤوا منهم ، إنّ من المسلمين من له سهمٌ و منهم من له سهمان، ومنهم له ثلاثة أسهم ، و منهم من له أربعة أسهم،ومنهم من له خمسةأسهم ، ومنهم من له ستّة أسهم، ومنهم مَن له سبعة أسهم ، فليس ينبغي أن يحمل صاحب السّهم على ماعليه صاحب السّهمين، ولاصاحب السّهمين على ماعليه صاحب الثّلاثة، ولاصاحب الثّلاثة على ماعليه صاحب الأربعة، ولاصاحب الأربعة على ما عليه صاحب الخمسة، ولاصاحب الخمسة على ماعليه صاحب السّتّة. ولاصاحب السّتّة على ما عليه صاحب السبعة ، وسأضرب لك مثلاً إنّ رجلاً كان له جارٌ و كان نصرانيّاً فدعاه إلى الاسلام و زيّنه له فأجابه فأتاه سحيراً فقرع عليه الباب فقال له : مَن هذا ؟ قال : أنا فلان قال : و ما حاجتك ؟ فقال : توضّأ و البس ثوبيك و مُرّ بنا إلى الصلاة قال : فتوضّأ ولبس ثوبيه و خرج معه ، قال : فصلّيا ماشاءالله ثمّ صلّيا الفجر، ثمّ مكثا حتّى أصبحا ، فقام الّذي كان نصرانيّاً يريد منزله ، فقال له الرّجل أين تذهب ؟ النهار قصير والّذي بينك و بين الظهر قليل ؟ قال : فجلس معه إلى أن صلّى الظهر ، ثمّ قال : و ما بين الظهر والعصر قليل فاحتبسه حتّى صلّى العصر .

قوله (ما نفعل) لما رجع السائل بالمقدمات المذكورة عن الجهل المركب و هو القطع بالبراءةمنهم الى الجهل البسيط، استفهم عما يلزمه من التوسط بين التولى والتبرى أوالتولى بقوله مانفعل على صيغة المتكلم، والحاصل أن الاحتمالات ثلاثة التولى والتبرى والسكوت ، ولما بطل التبرى استفهم عن أحد الاخرين فأجاب «ع» بأن اللازم عليكم هو التولى، وفى بعض النسخ « ما يفعل » بالياء و هو حينئذ من تتمة السابق ، « و ما » نافية و الفاعل ضمير عائد الى الله.

قوله (فليس ينبغى ان يحمل صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين) كل من القوة العملية والقوة العقلية اما فى مرتبة النقص أو فى مرتبة الكمال أو الاولى فى مرتبة النقص و الثانية فى مرتبة الكمال أو بالعكس ، فالاحتمالات باعتبار القوتين أربعة ولا ينبغى أن يحمل الناقص على ماعليه الكامل بل ينبغى أن يراعى التوسط فى كل مرتبة كما يظهر من المثل.

قوله (ثم صليا الفجر ثم مكثا حتى أصبحا) يمكن ان يراد بالفجر الفريضة و

قال : ثمّ قام و أراد أن ينصرف إلى منزله فقال له : إنّ هذا آخر النهار وأقلّ من أوّله فاحتبسه حتّى صلّى المغرب ثمّ أراد أن ينصرف إلى منزله فقال له : إنّما بقيت صلاةٌ واحدةٌ قال : فمكث حتّى صلّى العشاء الآخرة ثمّ تفرّقا فلمّا كان سحيراً غدا عليه فضرب عليه الباب فقال : مَن هذا ؟ قال : أنا فلان ، قال : وماحاجتك؟ قال : توضّأ والبس ثوبيك و اخرج بنا فصلّ ، قال : اُطلب لهذا الدّين من هو أفرغ منّي و أنا إنسان مسكين و عليّ عيال ، فقال أبوعبدالله عليه السلام : أدخله في شيء أخرجه منه - أو قال : أدخله من مثل ذه و أخرجه من مثل هذا -.

(باب آخر منه)

١- أحمدُ بن محمّد ، عن الحسن بن موسى ، عن أحمد بن عمر ، عن يحيى بن أبان عن شهاب قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : لوعلم النّاس كيف خلق الله تبارك و تعالى هذا الخلق لم يلم أحدٌ أحداً . فقلت : أصلحك الله فكيف ذاك ؟

بالاصباح الدخول فى الصبح المضىء الكامل النور و أن يراد به النافلة مع الحذف أى حتى أصبحا وصليا الفريضة.

قوله (أدخله فى شىء أخرجه منه) لايخفى أن هذه العبارة ذات وجهين لان الشىء يحتمل الاسلام والنصرانية.

قوله (لو علم الناس كيف خلق الله تبارك و تعالى هذا الخلق لم يلم أحد أحداً) عدم اللوم باعتبار قصور فى القوة النظرية أو فى القوة العملية ظاهر و لذلك لايلام شارب الخمر مثلا لوادعى عدم العلم بحرمته و أمكن فى حقه ولامن أنكر شيئاً مماجاء به النبى «ص» اذا لم يبلغه بل اللازم عليه حينئذ هوالارشاد والتعليم برفق والحاق الناقص بالكامل ، كمادل عليه الثانى من هذاالباب ، و أمااذا كانت القوتان كاملتين بان علم مثلا وجوب شىء و قدر على فعله و تركه فانه يلام قطعاً و منه يظهر الجمع بين الروايات الدالةعلى اللوم و عدمه فليتأمل.

قوله (ان الله تبارك و تعالى خلق اجزاء بلغ بها تسعة و أربعين جزءاً) (١) كان

---

(١)قوله «بلغ بها تسعة و أربعين جزءاً» حاصلة من ضرب سبعة فى نفسها فكانه قسم المراتب أولا الى سبعة ثم كل قسم الى سبعة نظير مامر من المحقق الطوسى «ره» حيث قسم أولاالى ستةأقسام وكل قسم الى ستة. (ش)

فقال : إنّ الله تبارك و تعالى خلق أجزاء بلغ بها تسعة و أربعين جزءاً . ثمّ جعل الأجزاء أعشاراً فجعل الجزء عشرة أعشار ، ثمّ قسّمه بين الخلق فجعل في رجل عُشر جزء و في آخر عشُري جزء حتّى بلغ به جزءاً تامّاً و في آخر جزءاً وعُشر جزء و آخر جزءاً و عُشري جزء و آخر جزءاً و ثلاثة أعشار جزء حتّى بلغ به جزئين تامّين ، ثمّ بحساب ذلك حتّى بلغ بأرفعهم تسعة و أربعين جزءاً ، فمن لم يجعل فيه إلاّ عُشر جزء لم يقدر على أن يكون مثل صاحب العُشرين وكذلك صاحب العشرين لا يكون مثل صاحب الثلاثة الأعشار و كذلك من تمّ له جزء لا يقدر على أن يكون مثل صاحب الجزئين ولو علم الناس أنّ الله عزّ وجلّ خلق هذا الخلق على هذا لم يلم أحدٌ أحداً .

٢ - محمّد بن يحيى ، عن محمّد بن أحمد ، عن بعض أصحابه ، عن الحسن بن عليّ بن أبي عثمان ، عن محمّد بن عثمان ، عن محمّد بن حمّاد الخزّاز . عن عبد العزيز القراطيسي قال : قال لي أبوعبدالله عليه السلام : يا عبدالعزيز إنّ الايمان عشر درجات

المراد بها العقل و ما يتبعه من قوة الاعمال و الاخلاق كالتوكل و الزهد و الورع و اليقين و الرضا و غيرها من الصفات النفسانية، فانها تبلغ تسعة و أربعين، ثم جعل تلك الاجزاء أعشاراً بأن جعل التوكل عشرة أجزاء ، و قوة العمل عشرة أجزاء ، و قوة البصر كذلك و هكذا، والحاصل أنه قدر عمل البصر والسمع و اللسان والرجل واليد و عمل القلب أعنى التصديق والاخلاق أعشاراً ، و يؤيده قوله «ع» فى آخر الباب « و بعضهم أكثر صلاة من بعض و بعضهم أنفذ بصراً من بعض و هى الدرجات» .

قوله (فجعل الجزء عشرة أعشار ثم قسمه بين الخلق) أى جعل كل جزء عشرة أجزاء فبلغ المجموع أربعمائة و تسعين جزءاً، والمالك للجميع هو الكامل مطلقاً والفاقد للجميع هو الناقص مطلقاً و ما بينهما كامل و ناقص بالاضافة والناس بعد تفاوتهم بهذه المراتب متشاركون فى أصل القوة التكليفية والقدرة واللوم باعتبار هذه القوة والقدرة و ابطال استعدادهما وصرفهما فى غير الجهات المشروعة لا باعتبار ما هو فوق طاقتهما.

قوله (أن الايمان عشر درجات) (١) يجوز ان يراد بالايمان هنا التصديق و

---

(١) قوله «الايمان عشر درجات» لا ينافى ذلك تسبيع الاقسام أوجعلها تسعة وأربعين على ماذكرنا، و أما اختلاف الناس فى درجاتهم والتكلم معهم على قدر عقولهم وعدم جواز*

بمنزلة السلم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة فلايقولنّ صاحب الاثنين لصاحب الواحد لست على شيءحتّى ينتهي إلى العاشرة فلاتسقط من هو دونك فيسقطك من هوفوقك و إذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق ولاتحملنّ عليه مالايطيق

الايمان الكامل المركب منه و من العمل والاجزاء الاصلية المذكورة التى جعل كل واحد عشرة أجزاء.

قوله (و اذا رأيت من هوأسفل منك بدرجة فارفعه اليك برفق) ينبغى لارباب الكمال و اهل الصحة والسلامة أن يرحموا أهل النقص و أرباب الذنوب بانقاذهم و اعانتهم على الخروج منهما بالرفق واللطف تدريجاً لان ذلك دأب الانبياء والعلماء العالمين بكيفية التعليم والتفهيم، و فى قوله «فارفعه اليك» دلالة واضحة على أن القيام على الدرجةالاولى ليس من باب الحتم والحصر بل هو قابل للترقى الى الاعلى فالاعلى حتى يبلغ غايةمايمكن له من الكمال. لايقال الخبر السابق دل على أن صاحب عشر جزء لايقدر أن يكون مثل صاحب العشرين فكيف يؤمر صاحب العشرين بأن يرفعه الى درجته برفق ؟ لانا نقول لعل

---

*حمل احد على شيء لايقدر فهو ممالايخفى على المزاولين لهذه الامور كالتدريس والوعظ ووصى به الحكماء أيضاً فى علومهم التى لايستلزم الخطأ فيها سوء العاقبة فكيف فى علم الدين الذى لانجاة للضال فيه أبداً. قال الشيخ أبوعلى بن سينا فى آخر الاشارات القمتك قفى الحكم فى لطائف الكلم فصنه عن الجاهلين والمبتذلين و من لم يرزق الفطنة الوقادة والدربة والعادة و كان صغاه مع الغاغة أوكان من ملحدة هؤلاء المتفلسفة ومن همجهم انتهى.

و مما أوصى به افلاطون أن لايتصدى أحد للفلسفة اذالم يحكم العلوم التعليمية وكان مكتوباً على مدرسه: من لايعلم الهندسة فلايحضرن هنا والسر فيه أن العقل الانسانى قلمايخلص عن شائبة الوهم ومثاله المعروف الميت جماد والجماد لايخاف عنه يحكم به العقل ولايذعن به الوهم والانسان بعد قيام الدليل على عدم الخوف يخاف من الميت متابعة لوهمه و نظير هذا ثابت فى كل قضية عقلية قام على صحتها البرهان والوهم حاضر يعارضه وقل ان يتفق رجل لايتشوش خاطره به ويقدر على الجزم بالحق والقطع على الدليل وعدم الاعتناء بالوهم ومما جربنا فى العلوم وجرينا عليه فى تدريس العقليات منذ سنين الاحتراز من تعليم الفلسفة الالهية لمن لم يرتض ذهنه بالرياضيات كالهندسة والهيئة ولانتكلم فى العقليات مع من لايعرفها فان الخاطر يتبلبل ويتشوش عند سماع البرهان و يتردد بين قبول البرهان ومتابعة أوهامه المرتكزة الراسخة فى قلبه منذ حداثته الى أن كمل و من أحسن ما يؤثر فى اقامة الذهن البراهين الرياضية. (ش)

فتكسره ، فانّ من كسر مؤمناً فعليه جبره.

٣- محمّدُ بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن محمّد بن سنان ، عن ابن مسكان ، عن سدير قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام : إنّ المؤمنين على منازل منهم على واحدة ومنهم على اثنتين و منهم على ثلاث و منهم على أربع و منهم على خمس و منهم على ستّ و منهم على سبع فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحدة ثنتين لم يقوَ و على صاحب الثنتين ثلاثاً لم يقو و على صاحب الثلاث أربعاً لم يقو و على صاحب الأربع خمساً لم يقو و على صاحب الخمس ستّاً لم يقو و على صاحب السّت سبعاً لم يقو وعلى هذه الدّرجات.

٤- عنه ، عن عليّ بن الحكم ، عن محمّد بن سنان ، عن الصباح بن سيابة ، عن أبي عبدالله عليه السلام : قال : ما أنتم والبراءة ، يبرءُ بعضكم من بعض، إنّ المؤمنين بعضهم أفضل من بعض، وبعضهم أكثر صلاة من بعض، و بعضهم أنفذ بصراً من بعض وهي الدّرجات.

(باب نسبة الاسلام)

١- عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن بعض أصحابنا رفعه

المقصود أنه صاحب عشر بالفعل و له استعداد اكتساب عشر آخر على أنه لوفرض اختصاصه بالعشر و عدم استعداده للزائد فى نفس الامر فلاريب فى أن صاحب العشرين لايعلم ذلك ، بل ربما يظن أنه قابل للترقى فهو مأمور بهذا الاعتبار رجاء لتحقق مظنونه والله أعلم.

قوله (من كسر مؤمناً فعليه جبره) ان كان كسره باخراجه عن الدين فعليه أن يدخله فيه بالارشاد و ان كان يكسر قلبه فعليه أن يرضيه.

قوله (و بعضهم أنفذ بصراً) لعل المراد بالبصر البصر القلبى فهو اشارة الى تفاوت الدرجات فى القوة النظرية و ما قبله الى تفاوت الدرجات فى القوة العملية ، و كان قوله «وهى الدرجات» اشارة الى الدرجات التى فى قوله تعالى « هم درجات عندالله» .

قوله (باب نسبة الاسلام) أى صفته التى يتضح بها أمره و حقيقته، يقال نسبته الى الشىء نسباً من باب طلب أى عزوته اليه و انتسب هو اليه اعتزى والاسم النسبة بالكسر و لما كانت نسبة شىء الى شىء توضح أمره وحاله ومايؤول هو اليه أراد بها هذا من باب ذكر الملزوم وارادة اللازم.

قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : لأنسبنّ الإسلام نسبة لاينسبه أحدٌ قبلي ولاينسبه أحدٌ بعدي إلّا بمثل ذلك : إنّ الإسلام هو التسليم والتّسليم هو اليقين واليقين هو التّصديق والتصديق هو الاقرار والإقرار هو العمل والعمل هو الأداء ، إنّ المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكن أتاه من ربّه فأخذه ، إنّ المؤمن يرى يقينه في عمله والكافر يرى إنكاره في عمله ، فوالّذي نفسي بيده ما عرفوا أمرهم ، فاعتبروا

قوله (ان الاسلام هو التسليم والتسليم هواليقين واليقين هو التصديق و التصديق هوالاقراروالاقرار هوالعمل والعمل هوالاداء) (١) أشار «ع» الى أن الاسلام و هو دين الله الذى أشار اليه جل شأنه بقوله « ان الدين عندالله الاسلام » يتوقف حصوله على ستة امور حتى أنه ينتفى بانتفاء واحدمنها الاول التسليم وهو بذل العبد نفسه ورضاه بالاحكام الالهية والنوائب و ان كان مرة فى طبعه، الثانى اليقين بالله واليوم الاخر والثواب والعقاب و هو العلم به مع زوال الشك، الثالث التصديق الذى هو الايمان الخالص، الرابع الاقرار بمايجب الاقرار به، الخامس العمل بالجوارح، السادس أداء ما افترض الله به بل ماندبه اليه الأأنه حمل كل لاحق على سابقه وكل واحد على الاسلام على سبيل القياس المفصول النتايج وان كانا متغايرين يتوقف السابق على اللاحق لشدة الاتصال بينهما، ثم هذه العبارة لاتخلو من لطف وهو أنه جعل الذى هو الايمان الخالص الحقيقى بين ثلاثة و ثلاثة و اشتراك الثلاثة التى قبله فى أنها من مقتضياته و أسباب حصوله، و اشتراك الثلاثة التى بعده فى أنها من لوازمه و آثاره و ثمراته، و بالجملة جعل التصديق الذى هو الايمان وسطاً عدلا، وجعل أول مراتبه من جهة الاسباب مراقبة الاسلام، و ثانيها التسليم، و ثالثها اليقين، و جعل أول مراتبه من جانب المسببات الاقرار، و ثانيها العمل، و ثالثها الاداء فليتأمل.

قوله (ان المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكن أتاه من ربه فأخذه) هذا بمنزلة التأكيد لقوله « ان الاسلام هو التسليم » لان دين الحق لايجوز أخذه من الرأى بل يجب أخذه من الرب بلا واسطة أو بواسطة عالم ربانى ، و من أخذه من الرب كان من أهل التسليم له.

قوله (ان المؤمن يرى يقينه فى عمله والكافر يرى انكاره فى عمله) يرى امامجهول

---

(١) قوله «والعمل هوالاداء» وفى نهج البلاغة «والاقرار هو الاداء والاداء هو العمل» و تكلم فى هذا الحديث شراح نهج البلاغة و استدل به ابن أبى الحديد على صحة مذهبه وهو ان العمل من الايمان. (ش)

إنكار الكافرين والمنافقين بأعمالهم الخبيثة.

٢- عنه ، عن أبيه ، عن عبدالله بن القاسم ، عن مدرك بن عبدالرّحمن ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الإسلام عريانٌ ، فلباسه الحياء و زينته الوقار و مروّته العمل الصّالح و عماده الورع و لكلّ شيءٍ أساسٌ ، وأساس الإسلام حُبّنا أهل البيت.

من الرؤية أو معلوم من الاراءة و ما بعده على الاول مرفوع و على الثانى منصوب، وهذا بمنزلة الدليل والتأكيد لما لزم من قوله واليقين هو العمل و صريح فى أن العمل معتبر فى الايمان و ان كل من كان عمله خبيثاً غير واقع على القوانين الشرعية فهو كافر أو منافق و ان كان مدعياً للايمان، و ان الايمان هو التصديق القلبى والعمل دليل عليه فكل ما دل على أن الايمان هو التصديق مع العمل أودل على أنه العمل فلابد من حمله على أن اضافة العمل اليه اضافة كمال لا أنه جزء منه بحيث ينتفى الايمان بانتفائه، لايقال اذا كان الايمان نفس التصديق وجب أن لايتفاوت اذ التصديق لايزيد ولاينقص لانه علم والعلوم لا تتفاوت فوجب أن يكون ايمان أحدنا مثل ايمان أمير المؤمنين «ع» و أنه باطل قطعاً، لانا نقول لانسلم أن العلوم لاتتفاوت وقد زعم النووى من العامة أن التصديق الواحد يزيد باعتبار كثرة الادلة وان كان هذا لايخلو من شيء لان كثرة الادلة انما يفيد العلم بالشيء من جهات متعددة لاتفاوت العلم ولوسلم فلانسلم أن تفاوت مراتب الايمان وقع من جهة التصديق بل من جهة الاعمال المنضافة اليه لاجل الكمال، و الحاصل أن العمل غير داخل فى حقيقة الايمان لانه غير داخل فى حقيقة أفراده والتفاوت انما هو بين الافراد لا بين الحقيقة فليتأمل.

قوله (الاسلام عريان فلباسه الحياء) شبه الاسلام بالرجل العريان فى النقص و الضعف و أثبت اللباس له ترشيحاً للتشبيه. و شبه الحياء به لانه يمنع من المعاصى ويحجب عن القبايح و يحسن الصورة و يدفع العار كاللباس الفاخر الساتر و زينته الوفاء بعهد الربوبية والرسالة والولاية، أو الاعم منه و من عهود الناس ولايبعد أن يراد به الاقرار و التسليم، و مروته العمل الصالح و هو من آثارها اذ من شأن المروة وهى كمال الرجولية الحث على فعل ماينبغى فعله، و عماده الورع من المنهيات والمكروهات بل عن المشتبهات أيضاً لان ذلك يوجب ثبات الاسلام وبقاءه كما أن فعل المنهيات يوجب زواله و فناءه.

قوله (و لكل شيء اساس) الظاهر أنه كلام أبى عبدالله «ع» واستعار أساس

عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عليّ بن معبد ، عن عبدالله بن القاسم ، عن مدرك ابن عبدالرّحمن ، عن أبي عبدالله مثله.

٣ـ عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد ، عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسني. عن أبي جعفر الثاني عليه السلام ، عن أبيه ، عن جدّه صلوات الله عليهم قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله خلق الإسلام فجعل له عرصة وجعل له نوراً و جعل له حصناً و جعل له ناصراً . فأمّا عرصته فالقرآن، وأمّا نوره فالحكمة

الاسلام لحب أهل البيت عليهم السلام اذ حبهم مبدء للاسلام و دين الحق و أصل له لما يعتبر فيه و به بناؤه وثباته.

قوله (ان الله خلق الاسلام فجعل له عرصة) شبه الاسلام بالدار فى الرجوع اليه و السكون فيه والانس به و جعل له عرصة وهى موضع واسع فيها لابناء فيه و جعل له نوراً يرى به ما خفى كما أن للبيت نوراً، وجعل له حصنا يمنع من خروج المصلح عنه و دخول المفسد فيه كما أن للدار حصناً مانعاً من ذلك، و جعل له ناصراً ينصره و يروجه و يتدبر فى أمره واصلاحه كما أن للدار ناصراً كذلك فأما عرصته فالقرآن لان أهله يستريح فيه و يسير اليه و أيضاً لايدخل فى الدين الا مايدخل فى القرآن كما أنه لايدخل فى الدار الا مايدخل فى العرصة، و أما نوره فالحكمة (١) لان بالحكمة وهى العلم يظهر أوامر الدين ونواهيه، و آدابه و أسراره، و أما حصنه فالمعروف لان المعروف و اقامته يوجب

---

(١) قوله «وأما نوره فالحكمة» القرآن والحكمة و بعبارة اخرى الشرع و العقل ولن يفيد العقل والحكمة ان لم ينظر بهما الى القرآن ولايستفيد من القرآن اذا لم يتدبر فيه بعقله فالقرآن عرصة يرى ما فيها بنور العقل و الحكمة وقد روى فى آخر كتاب العقل (المجلد الاول صفحة ٤٣٧) عن أمير المؤمنين «ع» «بالعقل استخرج غور الحكمة وبالحكمة استخرج غور العقل الى آخره» وفى حديث ورد فى بعض نسخ الكافى آخر كتاب العقل و الجهل عن الصادق «ع» فى حديث طويل: «أن أول الامور ومبدأها وقوتها وعمارتها التى لاينتفع شىء الا به، العقل الذى جعله الله زينة لخلقه و نوراً لهم، فبالعقل عرف العباد خالقهم، وأنهم مخلوقون، و أنه المدبر لهم، وأنهم المدبرون، و أنه الباقى وهم الفانون ، و استدلوا بعقولهم على مارأوا من خلقه، من سمائه وأرضه، و شمسه و قمره. و ليله ونهاره ، بأن له ولهم خالقاً ومدبراً لم يزل ولايزول، و عرفوا به الحسن من القبيح، و أن الظلمة فى الجهل، وأن النور فى العلم، فهذا مادلهم عليه العقل.

قيل له: فهل يكتفى العباد بالعقل دون غيره؟ قال: ان العاقل لدلالة عقله الذى جعله*

و أمّا حصنه فالمعروف، وأمّا أنصاره فأنا و أهل بيتي و شيعتنا ، فأحبّوا أهل بيتي و أنصارهم فإنّه لمّا اُسري بي إلى السّماء الدّنيا فنسبني جبرئيل عليه السلام لأهل السّماء ، استودع الله حبّي و حبّ أهل بيتي و شيعتهم في قلوب الملائكة، فهو عندهم وديعة إلى يوم القيامة . ثمّ هبط بي إلى أهل الأرض فنسبني لأهل الأرض فاستودع الله عزّ وجلّ حبّي وحبّ أهل بيتي و شيعتهم في قلوب مؤمني امّتي فمؤمنوا

حفظه من خروج الحق عنه و دخول الباطل فيه و أيضاً حفظه يوجب حياة الاسلام و تركه يوجب هلاكه فهويشبه الحصن، وأما أنصاره فأنا و أهل بيتى و شيعتنا ولعل المراد بالشيعة من كان تابعاً لهم فى العلم والعمل اذ لايتصور النصرة بدونهما.

قوله (ثم هبط بى الى أهل الارض فنسبنى لاهل الارض) فان قلت كيف ذكر نسبه لاهل الارض والمؤمنون به الى يوم القيامة لم يكونوا موجودين فى ذلك الزمان، قلت لعله نادى بقوله «ياأيها الناس هذا محمد بن عبدالله رسول الله وخاتم النبيين» فسمع صوته من فى

---

*الله قوامه وزينته و هدايته، علم أن الله هوالحق، و أنه هو ربه، وعلم أن لخالقه محبة، وأن له كراهية، وأن له طاعة، وأن له معصية ، فلم يجد عقله يدله على ذلك و علم أنه لا يوصل اليه الا بالعلم و طلبه، و أنه لاينتفع بعقله ان لم يصب ذلك بعلمه ، فوجب على العاقل طلب العلم والادب الذى لاقوام له الا به».

قال الراغب الاصفهانى فى كتابه المسمى بالذريعة: لله عزوجل رسولان الى خلائقه أحدهما من الباطن وهو العقل ، والثانى من الظاهر وهو الرسول ولاسبيل لاحد الانتفاع بالرسول الظاهر مالم يتقدمه الانتفاع بالباطن فالباطن يعرف صحة دعوى الظاهر ولولاه لما كان تلزم الحجة و لهذا أحال الله من يشكك فى وحدانيته وصحة نبوة أنبيائه على العقل و أمر أن يفزع اليه فى معرفة صحتهما فالعقل قائد والدين مسدد ولو لم يكن العقل لم يكن الدين باقيا ولو لم يكن الدين لاصبح العقل حائرا واجتماعهما كما قال تعالى «نور على نور» ونقل الفيض ـ رحمه الله ـ فى كتاب عين اليقين عن بعض الفضلاء و هو الراغب فى تفصيل النشأتين قال: اعلم أن العقل لن يهتدى الا بالشرع والشرع لن يتبين الا بالعقل والعقل كالاس والشرع كالبناء ولن يثبت بناء مالم يكن اس و لن يغنى اس مالم يكن بناء، و أيضاً العقل كالبصر والشرع كالشعاع و لن ينفع البصر مالم يكن شعاع من خارج ولن يغنى الشعاع مالم يكن بصر. قال : و أيضاً فالعقل كالسراج والشرع كالزيت الذى يمده فما لم يكن الزيت لم يشعل السراج وما لم يكن سراج لم يضىء الزيت انتهى. وقال الرضا «ع» : «لايعبأ بأهل الدين ممن لاعقل له» . وقال الصادق «ع» «ليس بين الايمان والكفر الاقلة العقل» وكل ذلك مأخوذ من كلام أمير المؤمنين «ع». (ش)

أُمتي يحفظون وديعتي في أهل بيتي إلى يوم القيامة ، ألا فلو أنَّ الرَّجل من أُمّتي عبدالله عزَّ وجل عمره أيّام الدُّنيا ثمَّ لقى الله عزَّ وجلَّ مبغضاً لأهل بيتي و شيعتي ما فرَّج الله صدره إلّا عن النّفاق.

(باب خصال المؤمن)

١- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسين بن محبوب ، عن جميل بن صالح ، عن عبدالملك بن غالب ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ينبغي للمؤمن أن يكون فيه ثماني خصال: وقوراً عند الهزاهز ، صبوراً عند البلاء ، شكوراً عند الرَّخاء ، قانعاً بما رزقه الله ، لايظلم الأعداء ولايتحامل للأصدقاء ، بدنه منه في

أصلاب الرجال وأرحام النساء الى يوم القيامة فأجاب من أجاب كما نادى خليل الرحمن للحج أو أراد بذكر نسبه لاهل الارض ذكره فى القرآن فانهم يسمعونه بطناً بعد بطن وعصراً بعد عصر الى يوم القيامة فيحبهم شيعتهم ويبغضهم عدوهم والله أعلم.

قوله (وقوراً عند الهزاهز) الوقور فعول من الوقار و هو الحلم و الرزانة، و الهز: التحريك، يقال هززته هزاً فاهتز من باب قتل أى حركته، والهزاهز الفتن يهتز الناس فيها.

قوله (صبوراً عند البلاء) البلاء اسم لما يمتحن به من شر أو خير ، و يقال بالفارسية «زحمت و نعمت» وكثر استعماله فى الشر والصبر و هو حبس النفس على الامور الشاقة عليها و ترك الاعتراض على المقدور و عدم اظهار الشكاية و الاضطراب من أعظم خصال الايمان.

قوله (شكوراً عند الرخاء) الرخاء النعمة والخصب وسعة العيش، والشكر الاعتراف بالنعمة ظاهراً و باطناً ومعرفة حق المنعم والاتيان بطاعته وترك معصيته والشكور للمبالغة فيه.

قوله (قانعاً بما رزقه الله) لايبعثه الحرص على الحرام و جمع مالايحتاج اليه وتضييع العمر فيمالايعنيه.

قوله (لايظلم الاعداء) المقصود نفى الظلم مطلقاً وانما خص الاعداء بالذكر لانهم مورد الظلم اذالعداوة تبعث عليه غالباً.

قوله (ولايتحامل للاصدقا) أى لايتحامل على الناس يعنى لايجور عليهم لاجل الاصدقاء وطلب مرضاتهم، و قيل لايتحمل الوزر لاجلهم كما اذاكان عندك شهادة على صديقك لغيره فلاتشهد له رعاية للصداقة.

تعب والنّاس منه في راحة ، إنّ العلم خليلُ المؤمن والحلمُ وزيره والعقل أمير جنوده والرّفق أخوه والبرّ والده.

قوله (بدنه منه فى تعب والناس منه فى راحة) لقيامه بالعبادات ليلا ونهاراً و اشتغاله بالطاعات سراً وجهاراً حتى أسهرت لياليه وأظمأت هواجره وكان همه بعد ذلك رفع الاذى عن الناس وايصال الخير اليهم، فهم منه فى راحة دنيوية واخروية.

قوله (ان العلم خليل المؤمن) اشارة الى ماهو الاصل لجميع ماذكر لتوقف الخصال المذكورة على هذه الامور، والخلة ـ بالضم ـ الصداقة والمحبة التى تخللت القلب فصارت خلاله أى فى باطنه والخليل الصديق فعيل بمعنى فاعل وقد يكون بمعنى مفعول، و انما كان العلم خليل المؤمن لانه ينفعه غاية النفع كالخليل، والمراد بالمؤمن النفس الناطقة المطيعة المنزلة الى هذا البدن لتحصيل معرفة الحق من جهة آثاره، و مشاهدة عجايب صنعه، والتقرب منه قبل العود وبعده على الوجه الاكمل كما قال عزشأنه «سنريهم آياتنا فى الافاق و فى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق» ولما كان ذلك التحصيل لايتم الا بالاعضاء والحواس الظاهرة والباطنة و الشهوة والغضب والحلم والعقل وغيرها خلقت لها هذه الامور وجعلت جنودها وهى سلطان على الجميع تأمر كل واحد بما خلق له تنهاه عن غيره فتأمر اللسان بالقول الصحيح وتأمر البصر بالنظر الصحيح وتأمر الشهوة بطلب ماينفع البدن وتأمر الغضب بدفع مايضره، و قس عليه وكما أن للسلطان الظاهر وزيراً يشاوره فى نظام أمره ومملكته و أميراً لجنوده يقهر الاعداء بحسن تدبيره ويضبط امور عساكره، كذلك لسلطان البدن وزير وأمير فوزيره الحلم وأميره العقل اذ العقل ينهى اليه أن مرسوم اليد مثلا الاخذ والاعطاء الصحيحين، ومرسوم اللسان القول اللين والاقوال الصحيحة الموافقة للقوانين الشرعية، و مرسوم الشهوة هو القدر الضرورى من الطعام والشراب و نحوهما، ومرسوم الغضب هو دفع المانع منه ودفع العدو المفسد فيأمر الوزير وهو الحلم بأن يعطى كل واحد ماأنهاه الامير اليه ويمنعه من التجاوز عنه، فأمير البدن اذا رجع اليها تم نظام مملكته وصارت جنوده مسخرة له فتحمل له السعادة الابدية والتقرب بالحضرة الربوبية ولو انعكس الامر وعصت الرعايا وغلبت الشهوة والغضب على الامير والوزير زالت سلطنته وخربت مملكته ونكست أحواله وبعد عن مولاه وهو من الخاسرين.

قوله (والرفق اخوه والبر والده) أى الرفق وهو اللين والتلطف بالصديق والعدو والجليس والرفق، بمنزلة الاخ فى دفع الشر عنه. والبر هو الاحسان الى الخلق بمنزلة الوالد فى جلب النفع وطلب الخير له .

٢- عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبدالله ، عن أبيه عليهما السلام قال : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : الإيمان له أركان أربعة التوكّل على الله، وتفويض الأمر إلى الله، والرّضاء بقضاء الله، والتّسليم لأمر الله عزّوجلّ.

٣- عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن أبيه عمّن ذكره، عن محمّد بن عبدالرّحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّكم لاتكونون صالحين حتّى تعرفوا ولاتعرفون حتّى تصدّقوا ولاتصدّقون حتّى تسلّموا أبواباً أربعة لايصلح

قوله (الايمان له أركان أربعة) المراد بالايمان اما التصديق الجازم الثابت المطابق للواقع أو هو مع العمل، ولكماله أولثباته واستقراره أركان أربعة لوانتفى أحد ها لبطل كماله وزال استقراره الاول التوكل على الله وهو الاعتماد عليه والوثوق به فى الرزق و غيره من الضروريات، وقطع تعلق القلب بغيره من الاسباب والمسببات وهو يوجب قوة الايمان وثباته اذلوانتفى التوكل عليه وتعلق القلب بغيره من الاسباب والمسببات والوسائط تحركت الجوارح الى تحصيلها وفرغ القلب عن ذكره وذهلت الجوارح عن طاعته، وهو يوجب ضعف الايمان، الثانى تفويض الامر فى دفع شر الاعداء وكيد الخصماء ومكائد النفس ووساوس الشيطان أو مطلقاً الى الله كمافوض مؤمن آل فرعون أمره الى الله «فوقاه الله سيئات مامكروا» فان من استكفاه كفاه الله وفرغ هو لذكره وطاعته وهو يوجب قوة الايمان وثباته، الثالث الرضا بقضاء الله فى حصول الشدة والرخاء ونزول المصيبة والبلاء، وهذه خصلة شريفة توجب كمال الايمان و ثباته، و انتفاؤها يوجب السخط بالله وبصنعه، و ذلك يوجب نقص الايمان بل زواله غالباً ، الرابع التسليم لامر الله عزوجل والانقياد له فى الشرايع والاحكام والحدود وكل ما أنزله على رسوله وهو فى الحقيقة قبول قول الله وقول الرسول والاوصياء وأفعالهم ظاهراً وباطناً و تلقيها بالبشر والسرور و ان كان ثقيلا على النفس و غير موافق للطبع ، و هو أصل عظيم لرسوخ الايمان وكماله اذلوانتفى استولى ضده وهو الشك على القلب والشك ينافى أصل الايمان فضلا عن كماله.

قوله (عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه) قد مر هذا الحديث سنداً و متناً فى أوائل كتاب الحجة فى باب معرفة الامام و الرد اليه و ذكرنا شرحه مفصلا.

قوله (انكم لاتكونوا صالحين حتى تعرفوا) ذكر اموراً أربعة كل سابق موقوف

أوّلها إلاّ بآخرها ، ضلّ أصحاب الثّلاثة و تاهوا تيهاً بعيداً ، إنّ الله تبارك وتعالى لايقبل إلاّ العمل الصالح ولايتقبّل ُالله إلاّ بالوفاء بالشروط والعهود، ومن وفى الله بشروطه و استكمل ما وصف في عهده نال ما عنده و استكمل وعده ، إنّ الله عزّ وجل أخبر العباد بطريق الهدى و شرع لهم فيها المنار و أخبرهم كيف يسلكون، فقال : « و إنّي لغفّارٌ لمن تاب و آمن و عمل صالحاً ثمّ اهتدى » و قال : « إنّما يتقبّل

على اللاحق لظهور أن الصلاح وهو التحلى بالفضائل الظاهرة والباطنة والتخلى عن الرذائل متوقف على معرفتها والمعرفة متوقفة على التصديق اذهى بدونه نفاق واستهزاء ، والتصديق موقوف على تسليم أبواب أربعة. و لعل المراد بها الاقرار بالله، والاقرار بالرسول، والاقرار بماجاء به الرسول، والاقرار بالائمة عليهم السلام بعده، أو المراد بها الرسول وعلى والحسن والحسين عليهم السلام، أو المراد بها الاربعة المذكورة فى الاية الاتية و هى التوبة والايمان والعمل الصالح والاهتداء وهو متابعة الامام ولكن لايخلو هذا من مناقشة.

قوله (لايصلح أولها الا بآخرها) فلايصلح الاقرار بالله والتسليم له الا بالاقرار بالامام والتسليم له .

قوله (لايقبل الا العمل الصالح) و هو المشتمل على مايعتبر فى تحققه و صلاحه شرعاً داخلا كان أم خارجاً ومن جملة ذلك التسليم للابواب الاربعة وهو شرط الله و عهده على عباده فى صلاح العمل و قبوله واستحقاق الاجر به. ولايتقبل الله من العاملين أعمالهم الا بوفائهم بشروطه وعهوده ومن وفى الله بشروطه و حفظها وأتى بماوصف فى عهده على وجه الكمال ورعاه و عبده بارشاد الرسول والهداة من بعده نال ما عنده من الثواب الجزيل و استكمل وعده من الاجر الجميل كماقال عزوجل أوفوا بعهدى أوف بعهدكم أى أوفوا بما عاهدتكم عليه من الامور المذكورة أوف بعهدكم من الثواب والجزاء. وقيل ان للوفاء عرضاً عريضاً أوله الاقرار بالشهادتين و آخره الاستغراق فى التوحيد.

قوله (ان الله عزوجل اخبر العباد بطرق الهدى) بيان للشروط والعهود المذكورة أو تأكيد لها أو دليل عليها ولذا ترك العطف، والمراد بطرق الهدى طرق الشرع الموصلة الى المطلوب الهادية الى مقام القرب وبالمنار وهى جمع المنارة على غير قياس يعنى موضع النور ومحله أعلام الهدى وهم الحجج عليهم السلام لانهم محال أنوار الله تعالى و علومه التى بمنزلة النور فى الايصال الى المطلوب باخبارهم كيفية سلوكهم طرق الشرع و الزامهم باقتفاء آثار الحجج و اتباع أقوالهم وأعمالهم و عقائدهم فقال عزوجل :

(و انى لغفار لمن تاب) عن الباطل ورجع الى والى الحجج (وآمن) بى وبهم

الله من المتّقين » فمن اتّقى الله عزّوجلّ فيما أمره لقى الله عزّوجلّ مؤمناً بماجاء به محمّد صلى الله عليه وآله، هيهات هيهات فات قوم و ماتوا قبل أن يهتدوا و ظنّوا أنّهم آمنوا، و أشركوا من حيث لايعلمون، إنّه من أتى البيوت من أبوابها اهتدى و من أخذ في غيرها سلك طريق الرّدي، و صل الله طاعة وليّ أمره بطاعة رسوله صلى الله عليه وآله و طاعة رسوله بطاعته، فمن ترك طاعة ولاة الأمر لم يطع الله ولارسوله وهو الإقرار بمانزل

(وعمل صالحاً) ببيانهم وارشادهم، (ثم اهتدى) الى والى مقام قربى أوالى العلم بأ نه لا يتحقق المغفرة والعمل الصالح بدون التوبة والايمان المذكورين.

(و قال عزوجل انما يتقبل الله من المتقين) الذين يتمكون بما جاء به الرسول (ص) و بين لهم الحجج ولم يتجاوزوه ويقومون على ما أمرهم الله به و ينتهوا عمانها هم عنه.

(فمن اتقى الله عزوجل فيما أمره) من متابعة الحجج و اقتفاء آثارهم . (لقى الله عزوجل) يوم القيامة مؤمناً (بماجاء به محمد «ص» هيهات هيهات)أى بعد التقوى واللقاء بالايمان . (فات قوم) فى الضلالة (وماتوا قبل أن يهتدوا) الى الله و الحجج (و ظنـوا أنهم آمنوا) بالله والحال أنهم (أشركوا) به (من حيث لايعلمون) انه اتباع الهوى و ترك متابعة الحجج شرك بالله العظيم، ثم أوضح ذلك على سبيل الاقتباس من القرآن الكريم بقوله (أنه من اتى البيوت) بيوت الشرع (من أبوابها) وهى الحجج (اهتدى) الى دين الله الموصل اليه (و من أخذ فى غيرها سلك طريق الردى) أى الضلال والهلاك و سر ذلك أن الوصول الى الله متوقف على سلوك سبيله المتوقف على العلم بالمبدأ و المعاد و القوانين الشرعيـة المقررة بالوحى و شيء من ذلك لايتسير الابارشاد معلم ربانى وهو النبى ومن يقوم مقامه من الاوصياء والعلماء التابعين لهم فمن أخذ منهم فقد اهتدى ، و من عدل عنهم فقد سلك سبيل الردى وضل عن سبيل الحق، و مثله كمثل من قصد جهة الشرق وهو سلك سبيل الغرب فكلما بالغ فى السير بعد عن المقصد وضل عن سبيله وهو الضلال البعيد (ثم أكد ذلك بقوله «ص» وصل الله طاعة ولى أمره بطاعة رسوله وطاعة رسوله بطاعته) فى قوله «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولى الامر منكم» و هو يفيد التلازم (فمن ترك طاعة ولاة الامر لم يطع الله ولا رسولـه) لان ترك اللازم يوجب ترك الملزوم والحال أن الاقرار بطاعة ولاة الامر (وهو الاقرار بما نزل من عندالله) وهى الاية الكريمة لان كل من أقر به فقد أقر بالاولين أيضاً دون العكس فان كثيراً من الناس أقروا بالاولين دون الاخير فهم لم يقروا بمانزل من عندالله ثم بالغ فى الاقرار بولاة الامر و حث عليه بقوله (خذوا زينتكم عند كل مسجد) والزينة مطلق ما يتزين به شرعاً، ومنه الاقرار والتصديق بولاية ولاة الامر لانه أعظم ما يتزين به الظاهر و

من عندالله ، خذوا زينتكم عند كلّ مسجد والتمسوا البيوت الّتي أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه، فإنّه قد خبّركم أنّهم رجالٌ لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله عزّوجلّ و إقام الصّلاة و إيتاء الزّكوة ، يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب و الأبصار، إنّ الله قداستخلص الرّسل لأمره، ثمّ استخلصهم مصدّقين لذلك في نُذُره فقال : « و إن من اُمّةٍ إلاّ خلا فيها نذير » تاه من جهل و اهتدى من أبصروعقل ، إنّ الله عزّوجلّ يقول :«فانّها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوبالّتي في الصدور» و كيف يهتدي من لم يبصرو كيف يبصر من لم ينذر اتّبعوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وأقرّوا

الباطن (والتمسوا البيوت التى أذن الله أن ترفع ويذكر فيما اسمه) أى اطلبوها وهى بيوت النبوة والوصاية التى شرفها الله تعالى على بيوتات ساير الانبياء والاوصياء ، و يذكر فيها اسم الله وآياته، كما أشار اليه بقوله (فانه قدخبركم أنهم) أى الرسول وولاة الامر (رجال لا تلهيهم تجارة) أى مطلق الاكتساب (ولابيع عن ذكرالله) عزوجل (واقام الصلاة وايتاء الزكوة يخافون يوماً) أى عذابه أو شره (تتقلب فيه القلوب و الابصار) ظهر البطن و من جانب الى جانب كتقلب الحية على الرمضاء ، و ذلك لكثرة شدائده و عظمة مصايبه .

قوله (ان الله قداستخلص الرسل لامره)«الاستخلاص» رهانيدن خواستن ورهانيده خواستن وپاك شدن خواستن، و كان النذر بضمتين جمع النذير، و أن المراد به على بن أبيطالب و ولاة الامر بعده. أى جعل الرسل خالصين لامره فارغين عماعداه بالمجاهدات النفسانية والتأييدات الربانية ثم جعلهم خالصين من باب التأكيد حال كونهم مصدقين لاجل خلوصهم فى نذره أى فى وصف الاولياء و تعيين الاوصياء (فقال وان من امة الاخلا فيها نذير) فكيف يجوز أن لايكون فى هذه الامة نذير منصوب من قبل الله و قبل رسوله، و فيه رد على من جعل الكفرة صاحبين للخلافة قابلين للنيابة (تاه) أى تحير فى الدين وضل الطريق من جهل النذير واهتدى من أبصره وعقله.

قوله (ان الله عزوجل يقول فانها لاتعمى الابصار) فيه تسهيل للاول وتقبيح للثانى، و اشارة الى أن سبب الجهل ذهاب البصيرة و ابطال القوة القلبية التى بها تدرك الصور الحقة والاسرار الالهية و ابطالها يتحقق تارة بعدم التفكر والتدبر، و اخرى بمتابعة القوة الشهوية والغضبية حتى ينزل فى الدرجة الحيوانية.

قوله (كيف يهتدى من لم يبصر وكيف يبصر من لم ينذر) اشارة الى أن الهداية

بما نزل من عندالله واتّبعوا آثار الهدى، فانّهم علامات الأمانة والتّقى ، واعلموا أنّه لو أنكر رجلٌ عيسى بن مريم عليه السلام و أقرّ بمن سواه من الرّسل لم يؤمن ، اقتصّوا الطريق بالتماس المنار والتمسوا من وراء الحجب الآثار . تستكملوا أمر دينكم و تؤمنوا بالله ربّكم.

٤- عنه،عن أبيه ، عن سليمان الجعفري،عن أبي الحسن الرّضا، عن أبيه عليهما السلام

الى الدين بدون البصيرة والبصيرة بدون هداية الهادى و ارشاد المنذر محال ولذلك أمر باتباع الرسول والائمة الهداة بعده فقال (اتبعوارسول‌الله «ص» و أقروا بما نزل من‌عندالله) و منه طاعة ولاة الامر (و اتبعوا آثار) ائمة (الهدى) من العقائد والاقوال و الافعال و الاخلاق (فانهم علامات الامانة والتقى) اذبهم يعرف الامانة أى الدين والتقوى ، ويعلم أركانهماوشرائطهماوكيفيةالوصول اليهماوالتقوى ملكة تحدث من‌ملازمة المأمورات واجتناب المنهيات والمشتبهات و ثمرتها حفظ النفس عن الدنيا .

قوله (و اعلموا أنه لوانكر رجل عيسى‌بن مريم) المقصود أن من أنكرواحداً من الائمة أو أزاله عن موضعه لم يؤمن بالله ، و ذكر عيسى‌بن مريم على سبيل التمثيل والا فـالحكم مشترك و هو أن منكر أحد من الرسل غير مؤمن بالله تعالى مماذهب اليه حذاق المتكلمين و دليلهم على ذلك هو السمع دون العقل اذ لايمتنع فى العقل أن يعرف الله من كذب رسوله لانهما معلومان لاارتباط لاحدهما بالاخر عقلا، لايقال العقل دل عليه لان منكر الرسول مقر بالله غير مرسل لهذا الرسول، ولاشىء من المقر بالله غير مرسل لهذا الرسول مقر بالله سبحانه فلاشىء من منكر الرسول مقر بالله سبحانه فلايكون مؤمناً به وهوالمطلوب أما الصغرى فصادقة لانها الواقع و أما الكبرى فلان الاله الذى لم يرسل هذا الرسول ليس هوالله سبحانه .لانانقول يصير النزاع لفظياً والكبرى فيها مصادرة . أما الاول فلان الخلاف يتوجه الى أن العارف بالشىء المقربه من وجه وغيرمقر به‌من وجه آخرهل يسمى عـارفـاً لذلك الشىء أم لا، و أما الثانى فهو ظاهر فليتأمل.

قوله (اقتصوا الطريق بالتماس المنار) قص الاثر و اقتصه‌اذاتبعه، أى اتبعواالطريق و اطلبوه بطلب أعلامه التى نصبت لمعرفته كيلاتضلوا .

قوله (والتمسوا من وراء الحجب الاثار) أى اطلبوا آثار الائمة و أخبارهم من وراء حجب شبهات الجاحدين، أو من‌ورائهم، ففيه أمر بالرجوع اليهم عند غيبتهم بخلاف السابق فانه أمر به عند حضورهم، و يحتمل أن يراد بالحجب الانبياء ففيه حث‌على اقتفاء آثار أقدامهم و سلوك طريقتهم، ولايتحقق ذلك الا بارشاد الاوصياء .

قال : رفع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قوم في بعض غزواته فقال من القوم ؟ فقالوا : مؤمنون يا رسول الله، قال : و ما بلغ من إيمانكم ؟ قالوا : الصبر عند البلاء والشكر عند الرّخاء والرّضاء بالقضاء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : حلماء علماء كادوا من الفقه أن يكونوا أنبياء ، إن كنتم كما تصفون، فلاتبنوا مالا تسكنون و لاتجمعوا مالا تأكلون و اتّقوا الله الّذي إليه ترجعون.

(باب)

١ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، و محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، و عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، جميعاً ، عن الحسن بن محبوب، عن يعقوب السرّاج ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام و بأسانيد مختلفة، عن الأصبغ ابن نباتة قال : خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام في داره ـ أو قال : في القصر ـ و نحن مجتمعون، ثمّ أمر صلوات الله عليه فكُتب في كتاب و قرىء على الناس وروى غيره أنّ ابن الكوّاء سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن صفة الاسلام والايمان والكفر والنفاق ،

قوله (فقال من القوم) سأل عما يوجب تعيينهم من الخصال والصفات (فقالوا مؤمنون) أى نحن أو القوم مؤمنون ، و لما كان للايمان آثار و لوازم شريفة يدل عليه سأل عما بلغهم منها من أجل ايمانهم فقالوا: الصبر على المشاق عند البلاء والشكر للمنعم عند الرخاء والرضاء بالقضاء ، و لما كانت هذه الامور من آثار العلم و الحكمة والحلم و كانت من أعظم صفات الانبياء قال «ص» حلماء علماء (١) لان وجود الاثر يدل على وجود المؤثر، وشبههم بالانبياء على وجه المبالغة لكمال التشابه والتقارب ، ثم لما كانت هذه الصفات تقتضى الزهد فى الدنيا والتقوى أى الاتيان بالمامورات و ترك المنهيات حثهم على الاول بقوله : ان كنتم صادقين ، فلاتبنوا مالا تسكنون ولا تجمعوا مالا تأكلون وخصهما بالنهى لانهما من أعظم مطالب الراغبين فى الدنيا و على الثانى بقوله (واتقوا الله الذى اليه ترجعون) و فيه وعد و وعيد جميعاً .

---

(١) قوله « علماء حلماء » لانهم استنبطوا لوازم الايمان بعقلهم فانهم فهموا أن المؤمن يصبر عند البلاء اذ علموا أن ما يصيب الانسان انما هو من الله تعالى وهو لايريد السوء لعبادة والشكر عند الرضا لان النعمة منه تعالى، والرضا بالقضاء يعم ذلك وغيره ، و سماهم الفقهاء لاستنباطهم و عدم وقوفهم على حفظ ماسمعوا .

فقال : أمّا بعد فانّ اللهتبارك و تعالى شرع الإسلامو سهّل شرائعه لمن ورده و أعزّ أركانه لمن حاربه و جعله عزّاً لمن تولاّه و سلماً لمن دخله وهدى لمن ائتمّ بهوزينة لمن تجلّله و عذراً لمن انتحله و عروةلمناعتصم به وحبلاً لمن استمسك به وبرهاناًلمن

قوله (و روى غيره أن ابن الكواء) الظاهر أن ضمير غيره راجع الى الاصبغ بن نباته ، و عبدالله بن الكواء من رجال أميرالمؤمنين «ع» خارجى ملعون.

قوله (شرع الاسلام) أى أظهره و أوضحه أو جعله شريعة للعقول و طريقاً لها لتسلكه اليه .

قوله (و سهل شرائعه لمن ورده) الشرائع جمع الشريعة وهى طريق الماء . و المراد بها قواعده و أركانه وخطاباته على سبيل الاستعارة ، و بتسهيلها اظهارها وايضاحها و جعلها سهل المأخذ بحيثيفهمها الفصيح والالكن ويدركهاالغبى والفطن.

قوله (و أعزأركانه لمن حاربه) لعل المراد با عزاز أركانه ـ أى قواعدهوقوانينه و أحكامه و حدوده ـحمايتها بنصره و رفعها بأهله علىمن قصد محاربته و هدمه و اطفاء نوره و ازالة بنيانه مغالبة من المشركين والجاحدين والجاهلين.

قوله (و جعله عزاً لمن تولاه) فى الدنيا من القتل والاسر و النهب بالعدوان و فى الاخرة من العذاب والنكال والخزى والخذلان.

قوله (و سلما لمن دخله) استعار له لفظ السلم بالكسر و هو الصلح باعتبار عدم أذاه لمن دخل فيه و انقاد لحكمه فهو كالمسالم المصالح له ، وقد لاحظ شبهه بالغالب من الشجعان باعتبار مسالمته و مصالحته لمن تبعه و انقاد لامره ، و ايذائه لمن خالفه و عانده و فى معنى مسالمته معه جعله محقون الدم مستقراً فى يده مـا يملكه و محفوظاً فى الاخرة من عقوبة المخالفة.

(و هدى لمنائتم به) فانهيهديه الى سعادة الدنيا والاخرة التى أعظمها قرب الحق وهوالمطلوب من خلقالانسان .

(و زينة لمن تجلله) أى جعله برداً و لباساًمن قولهم جلل فرساً له فتجلل . ولاريب فىأن أحكام الاسلام بعضها يتعلق بالظاهر وبعضهايتعلق بالباطن، و من تلبس بهايتزين ظاهره و باطنه فيصير انساناً كاملا لهصورة مزينة ظاهراً وباطناً(و عذراً لمن انتحله) العذر بالضم و ضمتين والمعذرة اسم لمايرفع به اللوم . والانتحال اما بمعنى أخذالنحلة والدينأو بمعنى ادعائه و انتسابه اليه معءدمكونه له ، والاسلام على الاول عذر له فىالدنياوالاخرة و يرفع به اللوم عنهمطلقاً ، وعلى الثانى عذر له فى الدنيا و يرفع عنه لومها مثـل القتل

تكلّم به و نوراً لمن استضاء به و عوناً لمن استغاث به و شاهداً لمن خاصم به و فلجاً لمن حاجّ به و علماً لمن وعاه و حديثاً لمن روى و حكماً لمن قضا و حلماً لمن جرّب

والاسر و النهب و الاذى و غير ها .

(و عروة لمن اعتصم به) عروه دسته كوزه و دسته هرچيز، و اعتصام دست درزدن. لاحظ شبه الاسلام بالعروة لانه عروة الخيرات كلها فمن اعتصم به ملك جميعها ورفعها لنفسه.

(و حبلا لمن استمسك به) لان الاسلام حبل الله المتين بينه وبين خلقه فمن استمسك به خرج من حضيض النقص الى أوج الكمال و من جب الغربة والفراق الى منزل القرب والوصال، والحبل يطلق على الرسن وعلى العهد والامان والكل محتمل.

(و برهاناً لمن تكلم به) لان من علم حقيقته وعرف أسراره غلب به على من جحده و أنكره عندالمناظرة و لذلك كان العالم بالشرع كماينبغى فائقاً على الباطل وأهله دائماً.

(و نوراً لمن استضاء به) شبهه بالنور و استعار له لفظه و رشحه بذكر الاستضاءة ، و وجه المشابهة أنه يهدى النفس الناطقة المستضيئة به فى ظلمات البشرية و الغواشى النفسانية الى فناء القدس و طريق الجنة

(و شاهداً لمن خاصم به) الشاهد أعم من البرهان لتناوله الجدل والخطابة مع احتمال ارادة أنه برهان لمن احتج به وشاهد لمن جعله مؤيداً.

(و فلجاً لمن حاج به) الفلج بالفتح والسكون الظفر والفوز كالافلاج ، والاسم منه الفلج بالضم والسكون وهو الغلبة وجعله فلجاً من باب المبالغة لكونه تاماً فى الغلبة فكأنه نفسها.(و علماً لمن وعاه) اطلاق العلم على الاسلام من باب اطلاق المسبب على السبب لان الاسلام سبب لحصول العلم لمن وعاه وحفظه وتوقف وعيه و حفظه على قدر من العلم به لاينافى ذلك لان العلم به يزداد ويتكامل بالتدريج حتى يبلغ غاية الكمال .

(و حديثاً لمن روى) خبراً جديداً مشتملا على المواعظ والنصايح والقصص والاحكام والحدود وغيرها لمن روى، وأخبر، وفيه حث على روايته. وفى السابق على درايته.

(و حكماً لمن قضى) أى و جعله حكماً زاجراً عن القبائح باعثاً على المحاسن لمن اريد القضاء والحكم و هو أصل له.

(و حلماً لمن جرب) اطلاق الحكم على الاسلام مجاز من باب اطلاق المسبب على السبب لان الاسلام سبب لحصول ملكة الحلم لمن جرب الامور و تفكر فى عواقبها و عرف قبح السفه الناشى من طغيان القوة الغضبية و تجاوزها عن الاعتدال. و من خفة النفس و حركتها الى مالايليق مثل القتل والضرب والبطش والشتم والترفع والتسلط والغلبة وغيرها

و لباساً لمن تدبّر و فهماً لمن تفطّن و يقيناً لمن عقل و بصيرة لمن عزم و آية لمن توسّم و عبرة لمن اتّعظ و نجاةً لمن صدّق وتُؤدة لمن أصلح و زلفى لمن اقترب و ثقة لمن توكّل و رخاءاً لمن فوّض و سبقة لمن أحسن وخيراً لمن سارع و جنّة

من المفاسد. (و لباساً لمن تدبر) فان من تفكر فيه وتدبر فى أوامره وزواجره وربط نفسه بقوانينه ومعارفه حصلت له حالة متوسطة معتدلة محيطة بباطنه شبيهة باللباس فى الاحاطة و الشمول والزينة وهى لباس العلم والمعرفة، و أطلق تلك الحالة على الاسلام اطلاقاً للمسبب على السبب لان الاسلام ومعارفه سبب لها.

(و فهماً لمن تفطن) الفهم جودة تهيؤ الذهن لقبول ما يرد عليه ولما كان الاسلام و الدخول فيه و رياضة النفس بقوانينه لاتصاف الذهن بذلك التهيؤ وقبوله للانوار العقلية و الاسرار الربوبية أطلق عليه لفظ الفهم مجازاً اطلاقاً لاسم المسبب على السبب.

(و يقيناً لمن عقل) لماكان اليقين هو العلم الاستدلالى مع زوال الشك ، و كان الاسلام والدخول فيه و التمسك بقوانينه سبباً لحصوله أطلق عليه لفظ اليقين مجازاً على نحو مامر . (و بصيرة لمن عزم) أى من عزم على أى أمر من الامور الدنيوية و الاخروية و قصد فعله فان فى الاسلام بصيرة لكيفية فعله على الوجه الذى ينبغى وهذا الاطلاق أيضاً مثل مامر .

(و آية لمن توسم) أى من تفرس طرق الخير الموصلة الى الحق و مقاصده التى ترشد الى ساحة القدس فان الاسلام آية و علامة لذلك المتفرس المتوسم فاذا اهتدى بها سلك طريق الهدى. (و عبرة لمن اتعظ) عبرت اعتبار گرفتن و پند گرفتن ، ومتعظ پند گيرنده و ذلك ظاهر لان فى الاسلام عبرة للمعتبر وعظة للمتعظ لما فيه من أخبار القرون الخالية و أحوال الايام الماضية و كيفية تصرف الزمان بهم وجريان القضاء فيهم مثل قوم فرعون و عاد و ثمود و قوم نوح و صالح و هود و غيرهم ممن لايحصى كثرة.

(و نجاة لمن صدق) فان الاسلام سبب لنجاة من صدق الرسول فيما جاء به و دخل فيه من القتل والاسر والنهب والاذى فى الدنيا، ومن العذاب والعقوبة فى الاخرة، والاطلاق فيه وفيما سبق مثل مامر. (وتؤدة لمن أصلح) التؤدة ـ بضم التاء وسكون الهمزة و فتحها ـ الرزانة والتأنى و ذلك ظاهر لان من أصلح بقواعد الاسلام و تبع حكمه كان الاسلام سبباً لتأنيه و رزانته . (و زلفى لمن اقترب) زلفى نزديك شدن يعنى أن الاسلام سبب القرب من الله لكل من اقترب اليه ، والحاصل أن كل من اقترب فسبب قربه هو الاسلام باعتبار التمسك بذيله ، والعمل بقوانينه.

(و ثقة لمن توكل) أى هو سبب ثقة و اعتماد لمن توكل على الله لاشتماله على

لمن صبر و لباساً لمن اتّقى و ظهيراً لمن رشد و كهفاً لمن آمن و أمنة لمن أسلم و

الوعد الصادق مثل من يتوكل على الله فهو حسبه وغير ذلك و هو يوجب زيادة استعداد للتوكل. (و رخاء لمن فوض) أى هو رخاء سهل غير صعب لمن فوض فعله اليه ولم يتكلف فان الاسلام ملة سمحة سهلة. وقيل من ترك البحث والاستقصاء عن الدليل فتمسك باحكام الاسلام ودلائل القرآن والسنة المتداولة بين أهله، و فوض أمره اليه استراح بذلك التفويض ولا يقع فى تعب، وقيل: المراد أن المسلم اذا كمل اسلامه و فوض أمره الى الله كفاه فى جميع الامور وأراحه من الاهتمام بها. (وسبقة لمن أحسن) السبقة والسبق بفتحتين الخطر وهو مايتراهن عليه المتسابقان أى الاسلام خطر و حظ لمن أحسن الى أهله أو لمن أحسن صحبته، أو لمن أحسن العمل فيه، أو الاعم من الجميع وبالجملة هو نصيب للمحسن وكأن غير المحسن ليس له نصيب فيه.

(و خيراً لمن سارع) الخير ماينفع فى الدنيا والاخرة، والاسلام خير لمن سارع اليه لانه ينفعه فيهما. (و جنة لمن صبر) استعار لفظ الجنة للاسلام لانه يحفظ من صبر على العمل بقواعده وأركانه من العقوبة الدنيوية و الاخروية كما ن أن الجنة تحفظ صاحبها من شر الاعادى وعقوبتهم. (و لباساً لمن اتقى) فان من اتقى الله حق تقاته واجتنب عما يضر فى الاخرة من محرماته ومكروهاته وترك واجباته حصلت له حالة معتدلة محيطة بظاهره، و سمى تلك الحالة الشبيهة باللباس فى الاحاطة والشمول والزينة اسلاماً مجازاً تسمية للمسبب باسم السبب، لان تلك الحالة حصلت بسبب الاسلام و متابعته. فالمراد باللباس هنا لباس الظاهر وهو لباس التقوى و فى السابق لباس الباطن المحيط بالنفس الناطقة الحاصل بالتدبر والتفكر فى معارف الاسلام و أسراره والله أعلم.

(و ظهيراً لمن رشد) ظهير يارى كننده و همپشت. ورشد راه راست يافتن، وانما كان الاسلام ظهيراً لمن رشد وسلك طريقاً مستقيماً وهو طريق الحق لان قواعده ترشد اليه، و قوانينه تدل عليه، فهو يعينه ويمده الى أن يبلغ الى الغاية ويصل الى النهاية.

(و كهفاً لمن آمن) كهف غارى كه دركوه باشد، و پناهى كه دفع كند از شخص حوادث را. يعنى من آمن بالله ورسوله واليوم الاخر فقد دخل فى الاسلام الذى بمنزلة الكهف فى دفع الضر عنه اذ كل ضرر يعود الى أحد فانما يعود اليه بمخالفة قانون من قوانينه و خروجه منه. (و أمنة لمن أسلم) أمنة ايمن داشتن و بى ترس شدن. يعنى من أسلم لله ودخل فى الاسلام كان آمناً من غيره فالاسلام سبب لامنه، فاطلاق الامنة على الاسلام للمبالغة فى السببية. (و رجاء لمن صدق) يعنى من صدق النبى و العترة النبوية دخل فى الاسلام، والاسلام سبب لرجائه المثوبات الدنيوية والاخروية.

رجاءً لمن صدق و غنى لمن قنع، فذلك الحق، سبيله الهدى و مأثرته المجد وصفته الحسنى فهو أبلج المنهاج مشرق المنار، ذاكي المصباح، رفيع الغاية، يسير المضمار،

(و غنى لمن قنع) غنى آسوده داشتن و فائده دادن و بس کردن . و قناعت باندك چیزی اکتفاکردن. و لعل المراد ان من قنع بالقليل من المال واكتفى بالكفاف من الرزق، فالاسلام غنى له امالان التمسك بقواعده والاعتماد بقوانينه يوجب وصول ذلك القدر اليه كماقال عزوجل «و من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب » أولانه يحثه على القيام بها ويفيده الثبوت عليها لاشتماله على فوائد القناعة ومضار عدمها و الله أعلم .

(فذلك الحق سبيله الهدى) هدى راه نمودن و بیان کردن و راه راست. « والفاء » للتفريع، و ذلك للتنبيه على علو المنزلة يعنى ذلك الحق الثابت الذى لايأتيه الباطل من بين يديه وهو الاسلام ،سبيله اراءة الطريق الموصلة الى المطلوب، أو سبيله السبيل المستقيم الموصل اليه، أو سبيله بيان مايحتاج اليه الانسان .

(و مأثرته المجد) المأثرة- بالسكون بعد الفتح قبل الضم- المكرمة واحدة المآثر وهى المكارم من الاثر و هو النقل والرواية لانها تنقل و تروى والمجد الكرم والشرف، و رجل ماجد أى كريم شريف، و لعل المقصود أن مكارمه عين الشرف لاهله أو مقتضية له .

(و صفته الحسنى) أى الخصلة الحسنى مثل الدعوة الى الخير و نحوها .

(فهو أبلج المنهاج) الابلج الواضح من بلج الحق اذاوضح و ظهر، و منهاج الاسلام طريقه التى يصدق على من سلكها أنه مسلم وهى الاقرار بالله ورسوله والتصديق بماجاء به الرسول ووضوحها ظاهر. (مشرق المنار) الاشراق بالقاف الاضاءة، والمنار الاعمال الصالحة التى يتنور بها قلوب العارفين كالعبادات الخمس و نحوها، و كونها مشرقة ظاهر ، وقد يقرىء بالفاء. و كونها مشرفة عالية على غيرها من العبادات أيضاً ظاهر .

(ذاكى المصباح) الذاكى المتوقد المستنير يقال ذكت النار اذااشتد لهبها واستنار ، والمصباح چراغ، والجمع مصابيح استعاره للفقه والمعارف الاسلامية و رشحه بالذكاء و وصفه بالذكاء و الاستعارة امالانه فى نفسه نور الهى مستنير واطلاق النور على العلم شايع أو لظهوره من الادلة الاسلامية وهى الكتاب والسنة بل يمكن أن يراد به نفس هذه الادلة، وقيل اريد به علماء الاسلام و كنى بالذكاء عن صفاء عقولهم، أو عن ظهور العلم و اقتداء الخلق بهم.

(رفيع الغاية) كماجعل للاسلام مصباحاً وللمصباح ذكاء كذلك جعل له غاية وللغاية رفعة و لعل المراد بغايته الوصول الى الجنة، ورفعته ظاهرة اذلاغاية أرفع منه منزلة وأعلى منه مرتبة، أو المراد الموت المعروف أو موت الشهوات و كون كل واحد رفيعاً لكونه سبباً للوصول المذكور

جامع الحلبة، سريع السبقة. أليم النقمة ، كامل العدة ، كريم الفرسان ، فالايمان منهاجه والصالحات مناره والفقه مصابيحه والدنيا مضماره والموت غايته والقيامة حلبته

والتقرب بالحق. (يسير المضمار) المضمار الميدان و مضمار الاسلام الدنيا وهى يسير قليل يسهل السبق فيها الى الله تعالى، وفى بعض النسخ « بشير » بالشين المعجمة فكانها تبشر للسابق بما عندالله تعالى. (جامع الحلبة) الحلبة وزان سجدة و ضربة خيل يجمع من كل أوب للسباق ولايخرج من وجه واحد يقال جاءت الفرس فى آخر الحلبة أى آخر الخيل و هى بمعنى الحليبة، ولهذا تجمع على حلايب ، وقد شبه المسلمين بالحلبة و استعار لهم لفظها حيث اجتمعوا فى الاسلام للسباق الى طاعة الرب وقدشاع اطلاقها على محلها تجوزاً ،وهذا الاطلاق هو الاولى بالارادة هنا بالنظر الى ماسيأتى ومحلها هنا هو القيامة لانها محل لاجتماعهم فيها للسباق الى حضرة الله التى هى الجنة كاجتماع الخيل فى الحلبة للسباق الى السبق وهو الرهن .

(سريع السبقة) سبقتها الجنة وسرعتها ظاهرة لان مضمارها وهى الدنيا التى هى مدة العمر فى زمان التكليف يسير .

(أليم النقمة) أليم درد رساننده بمعنى المولم ونقمته النار وايلامها ظاهر.

(كامل العدة) العدة بالضم والشد ما اعددته و هيأته من مال أو سلاح أوغير ذلك مما ينفعك يوماً ما، والمراد بها هنا التقوى والورع وكمالهما ظاهر .

(كريم الفرسان) المراد بالفرسان أهل الاحسان وعلماء الاسلام، وكونهم كرماء و شرفاء ظاهر باعتبار اقتباس الانوار منهم وهدايتهم للضعفاء.

(فالايمان منهاجه) لماجعل سابقاً للاسلام منهاجاً أى طريقاً واضحاً يوصل الى الرحمن عينه هنا بأنه الايمان، فهذا ناظر الى قوله أبلج المنهاج. وقس عليه مابعده.

(والصالحات مناره) أى الاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة علامات الاسلام بها يعرف الاسلام والداخل فيه. (والفقه مصابيحه) المراد بالفقه العلم بأحكام الاسلام وأسراره ، أو البصيرة القلبية فى أمر الدين وهو شبيه بالمصباح فى أنه يضيىء طريق الحق و يرى به وجه المطلوب ولذلك استعار له لفظ المصباح . (والدنيا مضماره) اذهى محل للتسابق الى الطاعات، والسعى الى القربات، وقد وصفها سابقاً بأنها يسير للتحريك الى التسابق فيها.

(والموت غايته) أى الموت المعروف غايته التى هى سبب الوصول الى الله تعالى أو موت الشهوات فانها أيضاً غاية قريبة للاسلام موصلة اليه تعالى وهذه الفقرة متعلقة بقوله رفيع الغاية فكان الانسب أن يقدم على قوله «والدنيا مضماره» ولعل التأخير هنا لاجل أن ذكر الغاية بعد ذكر المضمار أنسب بحسب الواقع والتقديم سابقاً باعتبار الرفعة والشرف .

والجنّة سبقته و النار نقمته والتقوى عُدّته والمحسنون فرسانه، فبالإيمان يُستدلّ على الصالحات و بالصالحات يعمر الفقه وبالفقه يُرهب الموت و بالموت تختم الدّنيا

(والقيامة حلبته) قدذكرنا أن الحلبة هى الخيول المجتمعة من كل أوب للسباق و انها تطلق على محلها أيضاً وباعتبار هذا الاطلاق استعار لفظ الحلبة للقيامة لانها حلبة الاسلام و محل اجتماع المسلمين للسباق الى حضرة الله التى هى الجنة كاجتماع الخيل فى الحلبة للسباق الى الرهن. (والجنة سبقته) السبقة مايوضع بين أهل السباق وهى الثمرة المطلوبة منه و استعارها للجنة لكونها الثمرة المطلوبة من الاسلام والغاية المقصودة من الدين كما أن السبقة غاية سعى المراهنين. (والنار نقمته) لماجعل سابقاً للاسلام نقمة مولمة لمن خالفه فسر هنا بأن نقمته النار وهى أشد النقمات.

(والتقوى عدته) لانها تنفع صاحبها فى أشد الاوقات وأعظمها وهو القيامة كما أن العدة من المال تنفع صاحبها فى وقت الحاجة.

(والمحسنون فرسانه) استعار لفظ الفرسان لارباب الاحسان ، وعلماء الدين وهم فرسان الاحسان والعلوم لملاحظة تشبيه الاحسان والعلوم بالفرس الجواد.

(فبالايمان يستدل على الصالحات) لدلالة المجمل على المفصل اذيدخل فى الايمان التصديق بماجاء به النبى اجمالا ومنه الاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة كالعبادات والخمس و نحوها وأيضاً الايمان منهج الاسلام و طريقه الواضح ولابد للطريق من زاد يناسبه وزاد طريق الاسلام هو الاخلاق و الاعمال الصالحة، وهو يقتضيها ويطلبها فيدل الايمان عليها كدلالة السبب على المسبب، و ماوقع فى بعض الروايات من أن الاعمال تدل على الايمان فهو باعتبار أن الاثر يدل على المؤثر ، والمسبب على السبب.

(و بالصالحات يعمر الفقه) ولما شبه آنفاً الفقه بالمصباح فى الهداية الى المطلوب و كان تعمير المصباح الحقيقى بالدهن كان تعمير الشبيه بالمصباح أيضاً يشبه بالدهن و هو الاعمال الصالحة، و لذلك روى أن العلم مقرون بالعمل فان عمل بقى والا ارتحل ، وبعبارة اخرى الفقه نور نفسانى ، والعمل نور جسمانى و للظاهر تأثير فى الباطن ، فالعمل يوجب ثبات الفقه و زيادته و هو المراد بتعميره.

(و بالفقه يرهب الموت) لان الفقه بمابعد الموت والعلم اجمالا وتفصيلا بما يرد على الانسان بعده من الخير والشر والحساب والميزان و الصراط و غيرها من أحوال البرزخ والقيامة وأهوالها يوجب الخوف من الموت لامن حيث هو موت. بل من حيث أنه لا يدرى مايفعل به بعده، و يوجب ذلك كمال الاستعداد لمابعده والله هو الموفق .

و بالدّنيا تجوز القيامة وبالقيامة تُزلف الجنّة والجنّة حسرة أهل النار والنّار موعظة المتّقين والتقوى سنخ الايمان.

(باب صفة الايمان)

١ـ بالاسناد الأوّل، عن ابن محبوب، عن يعقوب السرّاج، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سُئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الايمان، فقال: إنّ الله عزّ وجلّ جعل الايمان على أربع دعائم: على الصبر واليقين والعدل والجهاد، فالصبر من ذلك

(و بالموت تختم الدنيا) لان الدنيا مضمار، والموت غايته فاذا وردختمت الدنيا و انقطع السير فيها، ثم لاعود اليها.

(و بالدنيا يجوز القيامة) ومن ثم قيل من مات قامت قيامته. (و بالقيامة تزلف الجنة) أى تقرب (والجنة حسرة أهل النار) لما رأوا من كمال نعيمها وحرمانهم عنها مع شدائد عقوبتهم بالنار (والنار موعظة المتقين) موعظه پند دادن، وذلك لان المتقين يتعظون من النار و شدائدها ويتركون كل ما يؤثم، و يجتنبون عن كل مايوجب الدخول فيها.

(والتقوى سنخ الايمان) السنخ من كل شيء أصله، والجمع أسناخ. مثل حمل و أحمال، و ذلك لان المراد بالايمان الايمان الكامل، وقد مر أن كماله بالاعمال فله سنخان: أحدهما اليقين وهو الكمال فى القوة النظرية، والثانى التقوى وهى الكمال فى القوة العملية فاذا تحققا تحقق كمال الايمان فهما سنخاه.

(ان الله عزوجل جعل الايمان على أربع دعائم) (١) أى جعل بناءه عليها فهى أساسه لاحقيقته لان حقيقته التصديق لما مر مراراً، والدعامة معروفة، وقد شبه الايمان بالبيت من الشعر و نحوه ممايكون اعتماده على الدعائم، ولاحظ فى ذلك أن الايمان هو المقصود الاصلى و أن الامور الاربعة مقصودة لحفظه وبقائه.

(على الصبر واليقين والعدل والجهاد) قدم الاهم ولكل واحد منها مدخل عظيم فى تحقق الايمان و ثباته وبقائه، والمراد بالصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة و خلع النفس عن الشهوات ومنعها عن الجزع عند المصيبات، وهو كنز من كنوز الجنة و طريق عظيم للدخول فيها. و باعث قوى للبقاء على الايمان، و باليقين العلم مع زوال الشك و

---

(١) قوله «على أربع دعائم» قدمر أن هذه الامور النفسانية التى تعد من درجات الايمان أومراتب السلوك ينقسم باعتبارات مختلفة الى أقسام مختلفة لامنافاة بينها وجميعها صحيحة باعتبار ويتداخل أقسامها (ش).

على أربع شعب : على الشوق والاشفاق والزّهد والترقّب، فمن اشتاق إلى الجنّة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النّار رجع عن المحرّمات، ومن زهد في الدّنيا هانت عليه المصيبات ،ومن راقب الموت سارع إلى الخيرات، واليقين على أربع شعب:

عدم احتمال طريانه و حاصله مشاهدة الغيوب بأنوار القلوب و ملاحظة الاسرار بمعاونة الافكار وبالعدل ملكة الاعتدال فى القوة النظرية والعملية والتوسط فى القوة الشهوية و الغضبية وهو مثمر لقوة الايمان وكماله، و بالجهاد المجاهدة النفسانية والبدنية والمراقبة الروحانية والجسمانية، والله سبحانه أظهر الدين و طلب الايمان به وجعل عزهما و كمالهما فى الجهاد فمن جاهد كمل ايمانه و شارك المجاهدين، و من فقد نقص ايمانه و شارك المتخلفين والمنافقين. (فالصبر من ذلك على أربع شعب) لما فرغ من دعائم الاسلام شرع فى تفصيلها لان الصبر من المباح ليس من دعائمه واليقين بكثير من الاشياء وذكر آثار تلك أيضاً ليس منها وكذا العدل والجهاد وذكر منها ما هو من الايمان وذكر لكل واحد منها أربع شعب و الشعب وثمراتها. والشعب جمع الشعبة، والمراد بها هنا الاغصان فقد شبه الصبر مثلا بشجرة فى كونه أصلا والشعب بالاغصان فى كونها فروعاً، وما يترتب على الشعب بالاثمار فى كونه حاصلا. (على الشوق) أى الشوق الى الجنة ونعيمها و درجاتها و هو ميل النفس الى الشىء بعد تصوره و تصور نفعه، والصبر أصل له اذ هو لا يحصل بدون الصبر عن أحكام الله و مكاره النفس، و هو مع ذلك سبب لكمال الصبر وثباته.

(والاشفاق) وهو الخوف من نار جهنم أو من نار الفراق لان الصابر بترقياته يصل الى أعلى مراتب القرب فيحصل له الخوف مما ذكر وهو سبب لبقاء الصبر وثباته .

(والزهد) أى الزهد فى الدنيا و زهراتها وهو لا يحصل بدون الصبر فى الطاعات و زجر النفس عن المنهيات و هو مع ذلك سبب لثبات الصبر.

(والترقب) أى ترقب الموت و انتظاره و هو لا يحصل بدون الصبر لان الصابر هو الذى يطلب الحياة الحقيقية التى تحصل بالموت والترقب سبب لبقاء الصبر وكماله ثم أشار الى فوائد تلك الشعب و ثمراتها بقوله.

(فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات) أى فارقها و طيب نفسه عن جميع مشتهياتها التى هى طرق النار لان من اشتاق الى شىء يجتنب عما يوصل الى ضده.

(و من أشفق من النار رجع عن المحرمات) لانها مؤدية الى النار، وسبب لها ومن خاف من المسبب يفر عن السبب فمن ادعى الاشفاق و ارتكب الحرام فهو كاذب .

(و من زهد فى الدنيا هانت عليها المصيبات) اذ منشأ صعوبتها هو الميل الى الدنيا

تبصرة الفطنة ، وتأوّل الحكمة، ومعرفة العبرة، وسنّة الأوّلين. فمن أبصر الفطنة عرف الحكمة، ومن تأوّل الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة عرف السنّة ومن عرف السنّة فكأنّما كان مع الأوّلين و اهتدى إلى الّتي هي أقوم و نظر إلى من

و محبة قنياتها والشوق الى لذاتها و راحتها النفسانية والبدنية ، و من ثم يكون الفقر و البلاء عند الزهاد أحسن من الفراغ والغناء.

(و من راقب الموت سارع الى الخيرات) حذراً من أن يموت قبل أن يدركها، و لعلمه بأنها سبب للحياة الابدية التى هى الحياة الحقيقيةفيستعد لها بالتبادر الى الاعمال الصالحة، و لما فرغ من شعب الصبر و بيان فوائدها أشار الى شعب اليقين وفوائدها بقوله:

(واليقين على أربع شعب تبصرة الفطنة) الفطنة جودة الذهن وتهيؤه لادراك الاشياء و أحوالها كما هى، والاضافة من باب اضافة المصدر الى مفعوله، والمراد برؤيتها التوجه اليها. والتأمل فيها و فى مقتضاها من العلوم والمعارف، و جعلها فاعلا للمصدر و ارادة رؤيتها للاشياء و ان كان محتملا فى نفسه لكن ينافى قوله فمن أبصر الفطنة .

(و تأول الحكمة) التأول بمعنى التأويل و هو تفسيرمايؤول اليه الشىء، و الحكمة العلم الذى يمنع الانسان من القبيح مطلقاً، والمراد بتأولها الوصول الى غورها ليعرف منافع كل شىء و مضاره. (و معرفة العبرة) وهى اسم من الاعتبار بآثار الماضين وأطوار الاولين فانهم عبرةلاولىالابصار و محل لاعتبارماكانوا فيهمن نعيم الدنيا ولذاتها،والمباهاة بكثرة أسبابها و زهراتها ثم مفارقتهم لذلك كله بالموت و بقاء الحسرة والندامة لهم حجباً حائلة بينهم و بين الوصول الى حضرة جلال الله.

(و سنة الاولين) أى و معرفة سنتهم و طريقتهم من خير يوجب النجاة وشر يوجب الهلاك، ثم أشار الى فوائد هذه الشعب والترتيب بينها بقوله:

(فمن أبصر الفطنة) و نظر الى وجه مقتضاها (عرف الحكمة و من تأول الحكمة) و بلغ غورها (عرف العبرة) بأحواله و أحوال الماضين. (و من عرف العبرة عرف السنة) أى سنة الاولين و طرزهمو طريقتهم.

(و من عرف السنةفكأ نما كان مع الاولين) فى حياتهم فيرى أعمالهم و ما يتعقبها من العقوبات الدنيوية، أو بعد موتهم فيرى حسراتهم و عقوباتهم الاخروية (واهتدى) بذلك (الى)الطريقة (التى هى أقوم) الطرايق و أفضلها.

(و نظر الى من نجىبما نجى) من الاعمال الصالحة والاخلاق المرضية.

(و من هلك بما هلك) من الاعمال الباطلة والاخلاق الفاسدة.

نجى بما نجى و من هلك بما هلك و إنّما أهلك الله من أهلك بمعصيته وأنجى من أنجى بطاعته، والعدل على أربع شعب : غامض الفهم ،و غمر العلم، و زهرة الحكم و روضة الحلم، فمن فهم فسّر جميع العلم ، و من علم عرف شرائع الحكم، ومن حلم لم يفرط في أمره و عاش في الناس حميداً ، والجهاد على أربع شعب : على الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والصّدق في المواطن وشنآن الفاسقين ، فمن أمر بالمعروف شدّ

(وانما أهلك الله من أهلك) من الامم السابقة وغيرهم (بمعصيته).

(و أنجى من أنجى بطاعته) يظهر كل ذلك لمن نظر فى الايات والروايات، و فيه ترغيب فى الطاعة و زجر عن المعصية. (والعدل على أربع شعب) أوليها (غامض الفهم وغمر العلم) الاضافة فيها اضافة الصفة الى الموصوف أى الفهم الغامض الذى ينفذ فى بواطن الاشياء والغامر أى الغائر الذى يطلع عليه أذهان الاذكياء . ولوكان الغايص من الغوص بدل الغامض كان له أيضاً معنى صحيح والغايص الذى يدخل فى الماء ليطلع على ما فيه من اللؤلؤ ونحوه ليأخذه و استعير للفهم الغايص الذى ينفذ فى دقائق الاشياء و يطلع على أسرارها وحقائقها (و) اخريها : (زهرة الحكم و روضة الحلم) أى نضارتهما و غضارتهما و حسنهما و كمالهما ، و التركيب من باب لجين الماء، و جعله من باب المكنية والتخييلية بعيد ، والمراد بزهرة الحكم الحكم المعجب للانام. و بروضة الحلم الحلم المكمل للنظام ،ثم أشار الى ثمرات تلك الشعب و فوائدها المترتبة عليها بقوله :

(فمن فهم) بالفهم الغامض أو الغايص. (فسر جميع العلم) الشرعى والقانون العقلى والنقلى لان هذا التفسير من شأن الفهم المذكور و آثاره.

(و من علم) كذلك. (عرف) جميع (شرائع الحكم) و مشاربه و موارده لان ذلك من آثار العلم الغامر. (ومن حلم لم يفرط فى أمره) ولم يقصر فيه أصلا لان شأن الحليم الكامل هو التحرز عن طرف الافراط والتفريط والاستقرار فى الوسط.

(و عاش فى الناس حميداً) أى محموداً لانه يطفىء نائرة الغضب عند نزول التعب و مكاره النفس فيحمده الناس و ينصرونه كما قيل: الحلم يكتسب المدح من الملوك و المحبة من المملوك. (والجهاد على أربع شعب) أوليها (الامر بالمعروف والنهى عن المنكر) أى الامر بالطاعة و النهى عن المعصية بالشرائط والمراتب المذكور فى كتب الفروع (و) ثالثها (الصدق فى المواطن) أى مواطن جهاد النفس والعدو والفاسق بالامر و النهى ومنه أن يكون قوله موافقاً لفعله، وفعله موافقاً لقلبه،وقلبه موافقاً لرضا الله تعالى ، (و) رابعها (شنآن الفاسقين) أى بغضهم وهو راجع الى انكارهم بالقلب و مقتضى الايمان، وليس بداخل

ظهر المؤمن، و من نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق و أمن كيده، ومن صدق في المواطن قضى الّذي عليه و من شنأ الفاسقين غضب لله و من غضب لله غضب الله له، فذلك الايمان و دعائمه و شعبه.

(باب)

فضل الايمان على الاسلام و اليقين على الايمان

١ـ أبوعليّ الأشعريّ، عن محمّد بن سالم، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر قال: قال لي أبوعبدالله عليه السلام: يا أخا جعف إنّ الايمان أفضل من الاسلام و إنّ اليقين أفضل من الايمان وما من شيء أعزّ من اليقين.

فى النهى عن المنكر عند جماعة. ومن الاصحاب من أدخله فيه مجازاً. ولما فرغ عن شعب الجهاد أشار الى فوائدها بقوله:

(فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمن، و من نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق و أمن كيده) والمراد بشد ظهر المؤمن تقويته وامداده، و بارغام أنف المنافق اهانته واذلاله وذلك لان الامر بالمعروف تحريض العبد على مايقربه الى الله تعالى باتباع شرائعه، والنهى عن المنكر زجره عما يبعده منه و من الندم عاجلا و آجلا، و من البين أن من اتصف بهذه الصفة يكون مقوياً و مرغماً و آمناً.

(و من صدق فى المواطن) كلها (قضى الذى) يجب (عليه) من القول الحق وغيره، و دخل فى زمرة الصادقين الذين مدحهم الله فى كتابه الكريم بقوله «يوم ينفع الصادقين صدقهم (و من شنأ الفاسقين) وأبغضهم لفسقهم (غضب لله) طلباً لمرضاته. (و من غضب لله غضب الله له) وأرضاه فى الدنيا والاخرة. نعم من كان لله كان الله له؛ رضى الله عنه ورضى عنه. (فذلك الايمان ودعائمه و شعبه) وثمرات شعبه والله هو الموفق للصواب.

قوله (ان الايمان أفضل من الاسلام) (١) لاعتبار خصوصية فى الايمان غير معتبرة فى الاسلام وهى التصديق والاقرار بالولاية، وقد مر سابقاً مايوضحه فلانعيده (وان اليقين أفضل من الايمان) لان الايمان اما نفس التصديق، وهو مع العمل، سواء حصل ذلك بالبرهان أو بالتقليد كما فى أكثر العوام وسواء احتمل النقيض أولا واليقين غاية الكمال فى القوة النظرية التى

---

(١) «ان الايمان أفضل من الاسلام» فى صدر الحديث يا أخا جعف المشهور فى اسم هذه الطائفة بصيغة النسبة والنسبة اليه جعفي أيضاً و يا أخا جعف فالظاهر أنه تصحيف من بعض النساخ. (ش)

٢ـ عدّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد والحسين بن محمّد ، عن معلّى بن محمّد جميعاً ، عن الوشّاء ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : سمعته يقول : الإيمان فوق الإسلام بدرجة، والتقوى فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة، وما قسّم في الناس شيء أقلّ من اليقين.

لاتحتمل النقيض سواء حصلت بالبرهان وهو علم اليقين أو بالمجاهدات والرياضات النفسانية والهدايات الخاصة بالاولياء وهو عين اليقين وحق اليقين، و بالجملة هو أعلى مراتب العلم و أشرفها ولاريب فى أنه أفضل من الايمان، (وما من شىء أعزمن اليقين) أى أرفع درجة ، أو أقل وجوداً ومن علامة قلته فى أكثر الخلق صدور المعصية منهم، اذلايصدر معصية من أهل اليقين وانما يكون لهم ظن ضعيف يزول بأدنى وسوسة النفس و الشيطان ألاترى أن الطبيب اذا أخبر أحدهم بأن الشىء الفلانى يضره ، أويوجب زيادة مرضه ، أو بطؤ برئه يتبع قوله المفيد للظن و يترك ذلك الشىء حفظاً لنفسه من الضرر الضعيف ، ولا يتبع قول الله تعالى ولاقول رسوله بأن هذه معصية مهلكة وليس ذلك الا لان ظنه بقولهما دون الظن بقول ذلك الطبيب.

قوله (الايمان فوق الاسلام بدرجة، والتقوى فوق الايمان بدرجة ، و اليقين فوق التقوى بدرجة) فاليقين أفضل من التقوى والتقوى أفضل من الايمان. والايمان أفضل من الاسلام فدل على أن كل مؤمن مسلم دون العكس لاعتبار خصوصية فى الايمان دون الاسلام ، كمامر. وان كل متق مؤمن دون العكس لان المتقى يؤثر ذكر من لم يزل ولا يزال على ذكر من لم يكن فكان ، وطاعة من لم يزل ولا يزال على خدمة من لم يكن فكان ، ومحبة من لم يزل ولايزال على محبة من لم يكن فكان، وكل مؤمن ليس كذلك. وأيضاً التقوى من الوقاية ، وهى فى اللغة فرط الصيانة وفى العرف صيانة النفس عما يضرها فى الاخرة وقصرها على ماينفعه فيها ولها ثلاث مراتب: الاولى التوقى من العذاب الخلد باظهار الشهادتين وهى أدناها ؛ و الثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغاير عندقوم وهو المتعارف فى عرف الشرع باسم التقوى. والثالثة التوقى عن كل مايشغل القلب عن الحق و الرجوع اليه بالكلية و هو لخاص الخاص، والمراد بالتقوى هنا أحد المعنيين الاخيرين وكونه فوق الايمان ظاهر اذكل مؤمن ليست لههذه المرتبة سواء اريد بالايمان التصديق فقط، أو هو مع العمل . اما التصديق فظاهر، واما التصديق مع العمل فباعتبار أن التجنب عن الكل حتى عن المباحات والمكروهات والمشتبهات معتبر في التقوى دون الايمان لانه مقول بالاضافة أو باعتبار أن

٣ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمدبن محمّدبن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن عليّ بن رئاب ، عن حمران بن أعين قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إنّ الله فضّل الإيمان على الإسلام بدرجة كما فضّل الكعبة على المسجدالحرام .

٤ـ عدّةٌ من أصحابنا ، عن أحمدبن محمّدبن خالد ، عن أبيه ، عن هارون بن الجهم أو غيره عن عمربن أبان الكلبي ، عن عبدالحميد الواسطي ، عن أبي بصير قال: قال لي أبوعبدالله عليه السلام : يا أبا محمّد الإسلام درجة قال : قلت : نعم قال: والإيمان على الإسلام درجة قال : قلت : نعم ، قال : والتقوى على الإيمان درجة. قال : قلت : نعم ، قال : واليقين على التقوى درجة ، قال : قلت : نعم ، قال : فما أوتي الناس أقلّ من اليقين و إنّما تمسّكتم بأدنى الإسلام فإيّاكم أن ينفلت من أيديكم.

الملكة معتبرة فيها لافيه فليتأمل، و على أن كل من اتصف باليقين متصف بالتقوى دون العكس أما الاول فظاهر بالتأمل فيما ذكرنا، و أما الثانى فلان التقوى قد توجد بدون اليقين كما فى بعض المقلدين (وما قسم فى الناس شىء أقل من اليقين) ثم حق اليقين أقل من عين اليقين وعين اليقين أقل من علم اليقين.

قوله (كما فضل الكعبة على المسجد الحرام) فكما أن حرمة المسجد داخلة فى حرمة الكعبة دون العكس. كذلك حرمة الاسلام داخلة فى حرمة الايمان دون العكس . فالايمان أفضل من الاسلام.

قوله (ياأبامحمدالاسلام درجة) لماكان الاسلام أول درجة من الدرجات المطلوبة قال : الاسلام درجة. ولم يقل : الاسلام على الكفر درجة كما قال : (والايمان على الاسلام درجة).

قوله (فما اوتى الناس أقل من اليقين) قال بعض الاكابر : معناه ما اوتى الناس شيئاً قليلا من اليقين، ويحتمل أن يكون معناه أن اليقين فيهم أقل من كل شىء، والاول يفيد نفى اليقين بالمرة. والثانى يفيد ثبوت قليل منه و الاول أنسب بقوله (وانما تمسكتم بأدنى الاسلام فاياكم أن ينفلت من أيديكم) التفلت والافلات والانفلات التخلص من الشىء فجأة . و فيه ترغيب فى امساك مالهم من أدنى الاسلام وحفظه، وتحذير من الغفلة عنه و تفلته فان تفلته يوجب الدخول فى الكفر و لعل المراد بالاسلام هنا الايمان مجازاً من باب تسمية الشىء باسم جزئه بقرينة أن المخاطب كان مؤمناً مع أن هذه التسمية لاتخلو من نكتة وهى أن المؤمن اذا خرج من الايمان خرج من الاسلام ودخل فى الكفر .

٥- عليٌّ بن إبراهيم . عن محمّد بن عيسى ، عن يونس قال : سألت أبا الحسن الرّضا عليه السلام عن الايمان والاسلام فقال : قال أبو جعفر عليه السلام : انّما هو الاسلام ، والايمان فوقه بدرجة ، والتقوى فوق الايمان بدرجة ، و اليقين فوق التقوى بدرجة و لم يقسم بين الناس شيء أقلّ من اليقين ، قال : قلت : فأي شيء اليقين ؟ قال : التوكّل على الله والتسليم لله والرّضا بقضاء الله والتفويض إلى الله . قلت : فما تفسير ذلك؟ قال: هكذا قال أبو جعفر عليه السلام .

قوله (قال قلت فأى شىء اليقين ؟ قال : التوكل على الله ، والتسليم لله ، والرضا بقضاء الله ، والتفويض الى الله) تفسير اليقين بماذكر من باب تفسير الشىء بآثاره اذ اليقين سبب للامور المذكورة، و ذلك لانه اذا حصل لاحد بالبرهان أو الهداية الخاصة أو الكشف بتصفية النفس اليقين بالله و بوحدانيته وعلمه وقدرته و تقديره للاشياء، و تدبيره فيها، وحكمته التى لايفوتها شىء من المصالح، ورأفته بالعباد، و احسانه اليهم ظاهراً وباطنا ، و تقديره كمالات الاعضاء الظاهرة والباطنة، و تدبير منافعها بلااستحقاق ولامصلحة منهم ومن غيرهم وايصال الارزاق اليهم حيث لاشعور لهم بطرقها ولاقدرة لهم على تحصيلها مع عدم جوره بوجه من الوجوه حصلت له حالات قلبية شريفة بعضها أرفع من بعض أحدها العلم بأن من كان كذلك كان قادراً على مستقبل اموره ومهماته وايصال أرزاقه و تحصيل مراداته، و ذلك يبعثه على التوكل عليه فى اموره، والاعتماد عليه من الوثوق به كما يثق الموكل على وكيله، وليس معنى التوكل قلع نفسه عن اموره بل لابد من التمسك بها والاعتماد على الله وثانيها العلم بعظمته وكبريائه واشتمال حكمه على مصالح وان لم يعلم خصوصياتها وتفاصيلها ، وذلك يبعثه على التسليم لله فى أحكامه وغاية الانقياد والاخبات و الخضوع والخشوع له. و ثالثها العلم بأنه ينبغى المحبة له وتفريغ القلب عن غيره و جعله سريراً لحبه ، و ذلك يبعثه الى الرضا بقضاء الله من الصحة والسقم والغنا والفقر وغيرها من المصايب والنوائب الواردة على النفس والمال والولد. بل يجد لذة ذلك فى نفسه كماهو شأن المحب بالنظر الى فعل حبيبه وان كانت مرة فى نفس الخلى عن حبه. ورابعها العلم بكمال قدرته وجريان حكمه مع ملاحظة العجز فى نفسه وذلك يبعثه على تفويض امره ورده اليه وجعله الحاكم فيه وسلب القدرة عن نفسه ومشاهدة اضمحلال قدرته فى قدرة الله و هذا قريب من مرتبة الفناء فى الله لاهى لانه فى هذه المرتبة لايرى لنفسه وجوداً ولالقدرته اسماً .

قوله (قلت فما تفسير ذلك) كان السائل استبعد تفسير اليقين بالتوكل وما بعده لعلمه

٦- محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر ، عن الرّضا عليه السلام قال : الايمان فوق الإسلام بدرجة، والتقوى فوق الايمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة و لم يقسم بين العباد شيء أقلّ من اليقين.

(باب)

حقيقة الايمان و اليقين

١- عدّةٌ من أصحابنا . عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن محمّد بن إسماعيل بن بزيع

بأنه غيره أو استعلم عن حاله ووجه صحته لعدم تفطنه به فأجاب «ع» بما أجاب لضيق المقام عن ذكره، أو لغير ذلك ومثل هذا الجواب شائع كما تقول : العلم هو العمل فيقال : كيف ذلك، أو ما وجهه فتقول هكذا قالوا.

قوله (الايمان فوق الاسلام بدرجة) قد ذكرنا شرحه ولا بأس أن نعيده لزيادة التوضيح فنقول : الاسلام هو الاقرار، والايمان اما التصديق، أو التصديق مع الاقرار. وعلى التقديرين فهو فوق الاسلام بدرجة اما على الثانى فظاهر و أما على الاول فلان التصديق القلبى أفضل وأعلى من الاقرار اللسانى، كما أن القلب أفضل من اللسان. (والتقوى فوق الايمان بدرجة) لان التقوى هو التجنب عما يضر فى الاخرة وان كان ضرره يسيراً و له ثلاث مراتب كما مر ، وليست المراد هنا المرتبة الاولى لانها مرتبة الايمان بل المراد الاخيرتان لانهما فوق الايمان (واليقين فوق التقوى) اذ التقوى قد لايكون فى مرتبة اليقين. نعم من اتقى وثبت قدمه فيها ترقى فى اليقين الى أن يبلغ أعلى مراتبه وهى مرتبة حق اليقين (١) وهى التى أشار أمير المؤمنين «ع» بقوله «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً»

---

(١) قوله «وهى مرتبة حق اليقين» كأنه اريد باليقين غير ما يتبادر الى أذهاننا لان اليقين وهو العلم بالواقع فى مقابل الظن من شرائط الايمان بل الاسلام اذ قد مر أن من ظن أن الله واحد، أو ظن أن محمداً رسول الله، و قال انى أظن ذلك وفى القلب منه شىء لايحكم باسلامه كما صرح به أبوسفيان فى مجلس رسول الله «ص» وردعه عباس وقال اشهد و الاضرب عنقك و بالجملة ليس المراد باليقين هنا المعنى المقابل للظن بل معنى آخر وكأنه سلامة الايمان عن معارضة الاوهام وغلبة الوساوس فان الانسان قد يعلم ثبوت أمر مثل أن الميت جماد و الجماد لايخاف منه ولايعترف بأن الميت لايخاف منه وان كان متيقناً بأنه جماد كالحجر . وكذلك اليقين بالتوحيد والرسالة قد يكون مع معارضة أوهام كثيرة يمنع الانسان عن الالتزام بلوازم يقينه وانما يحصل بعد ارتكاز التقوى فى قلبه حالة يغلب يقينه على أوهامه ولايمنعه*

عن محمّد بن عذافر ، عن أبيه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض أسفاره إذ لقيه ركب*. فقالوا : السلام عليك يا رسول الله ، فقال : ما أنتم؟ فقالوا: نحن مؤمنون يا رسول الله ، قال : فما حقيقة إيمانكم ؟ قالوا : الرّضا بقضاء الله، والتفويض إلى الله، والتسليم لأمر الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء ، [ف] إن كنتم صادقين فلاتبنوا مالاتسكنون ولاتجمعوا مالاتأكلون واتّقوا الله الّذي إليه ترجعون.

قوله (بينا رسول الله «ص» فى بعض اسفاره اذلقيه ركب) قال بعض المحققين : بينا هى بين الظرفية اشبعت فتحتها فصارت ألفاً، و يقع بعدها حينئذ اذالفجائية غالباً و عاملها محذوف يفسره الفعل الواقع بعد اذ عند بعض ، و بعضهم يجعلها خبراً عن مصدر مسبوك من الفعل أى بين أوقات سفره لقى الركب ، و الركب جمع راكب الدابة مثل صاحب و صحب.

قوله (فقال ماأنتم) «ما» كما تكون سؤالا عن حقيقة الشيء كذلك تكون سؤالا عن خواصه وآثاره المترتبة عليه وهو المراد هنا فلذلك أجابوا بها (فقالوا نحن مؤمنون) أى متصفون بالايمان الكامل (يا رسول الله) ولما ادعوا أنهم من أهل الايمان سألهم رسول الله «ص» عن خواص الايمان وآثاره اللازمة له ليعلم هل علموا الايمان أم لا ؟ (قال : فما حقيقة ايمانكم) أى ماالذى ينبىء عن كون ما تدعونه من الايمان حقاً ثابتاً فاجابوا بأفضل خواص الايمان وأكمل آثاره التى لاتنفك عنه حقيقة الايمان الكامل .(قالوا الرضاء بقضاء الله) فى جميع الاحوال (والتفويض الى الله) فى جميع الامور (والتسليم لامر الله) و الاخبات له فى جميع الاحكام. (فقال رسول الله «ص») فى مدحهم لكون هذه الخصال المرضية من آثار العلم والحكمة، وهما من أعظم صفات الانبياء (علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء) لان وجود الاثر دليل على وجود المؤثر، وقد ذكرنا سابقاً أن الحكيم أرفع من العليم، وشبههم بالانبياء على وجه المبالغة لكمال التشابه والتقارب، ولما كانت هذه الصفات يقتضى الزهد فى الدنيا والتقوى أى التحرز عما يؤثم وتفريغ القلب عن غيره تعالى حثهم على الاول بقوله (فان كنتم صادقين فلاتبنوا مالاتسكنون ولاتجمعوا مالا تأكلون) وانما خصهما بالنهى لانهما من أعظم مطالب الراغبين فى الدنيا ، و على الثانى بقوله (و اتقوا الله الذى اليه

---

*شيء عن الجرى على مقتضى ايمانه كما لايخاف عمال الموتى عن الاموات ولايخاف الممارس من المشى على جذع موضوع على جدار عال . (ش)

٢- محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، وعليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، جميعاً عن ابن محبوب ، عن أبي محمّد الوابشي وإبراهيم بن مهزم ، عن إسحاق بن عمّار قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صلّى بالناس الصبح، فنظر إلى شابّ في المسجد و هو يخفق و يهوى برأسه، مصفرّاً لونه ، قد نحف جسمه و غارت عيناه في رأسه. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : كيف أصبحت يا فلان ؟ قال: أصبحت يا رسول الله موقناً ، فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله و قال : إنّ لكلّ يقين حقيقة فما حقيقة يقينك ؟ فقال : إنّ يقيني يا رسول الله هو الّذي أحزنني و أسهر ليلي و أظمأ هو اجري فعزفت نفسي عن الدّنيا و ما فيها حتّى كأنّي أنظر إلى عرش ربّي

ترجعون) وفيه وعد ووعيد جميعاً وقد مر تفسير التقوى وبيان مراتبها.

قوله (فنظر الى شاب فى المسجد) يحتمل أن يكون حارثة بن مالك الانصارى الاتى (وهو يخفق) أى يضرب أو ينام حتى يسقط ذقنه على صدره وهو قاعد. يقال: خفق برأسه اذا أخذته سنة من النعاس فمال رأسه دون سائر جسده و حينئذ قوله (ويهوى برأسه) كالتفسير له. ومنشأ هذا وما بعده من اصفرار اللون و نحافة الجسم و غور العينين قلة الاكل و كثرة السهر والرياضة والعبادة والحزن من امر الاخرة. (فعجب رسول صلى الله عليه وآله من قوله) لانه أخبر بشىء نادر الوقوع موجب لحمده واستحسانه والرضاء عنه، والتعجب انفعال النفس لزيادة وصف مدح أوذم فى المتعجب منه .ولما ادعى اليقين لنفسه تقاضاه «ص» بمصداقه أى مايصدقه وطلب منه شواهد تشهد له بحقيقة دعواه، و قال (ان لكل يقين حقيقة) أى لكل فرد من أفراده الشخصية كمايشعر به قوله (فما حقيقة يقينك) فان الاضافة تفيد الاختصاص و الجزئية أو لكل نوع من أنواعه وهى علم اليقين. و عين اليقين، و حق اليقين، ولعل المراد بحقيقة اليقين غايته التى ينتهى اليها ويستقر فيها ولها آثار شريفة وصفات لطيفة و امارات منيفة دالة على حصولها و تحققها والسؤال وقع عن تلك الاثار فلذلك أجاب بها (فقال: ان يقينى يا رسول الله هو الذى احزننى) فى أمر الاخرة أو بالم الفراق و شوق اللقاء (وأسهر ليلى) بترك النوم مع التفكر والتضرع والعبادة (و أظمأ هواجرى) بالصيام، و ترك الشراب والطعام، ونسبة الاسهار الى الليل والاظماء الى الهواجر مجاز عقلى، و اظماء الهواجر كناية عن الصوم فى حرالنهار فان الصوم فيه أشق أو أفضل و ثوابه أكمل وأجزل (فعزفت نفسى عن الدنيا ومافيها) ومن نعيمها وزهراتها و عزفت بسكون التاء أى عافتها و كرهتها نفسى وانصرفت عنها وضم التاء محتمل أى منعت نفسى و صرفتها عنها (حتى كأنى أنظر الى عرش ربى وقد نصب

وقد نُصب للحساب و حُشر الخلائق لذلك و أنا فيهم و كأنّي أنظر إلى أهل الجنّة يتنعّمون في الجنّة ويتعارفون وعلى الأرائك متّكئون ، و كأنّي أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذّبون مصطرخون و كأنّي الآن أسمع زفير النار ، يدور في مسامعي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه : هذا عبدٌ نوّر الله قلبه بالايمان، ثمّ قال له : إلزم ما أنت عليه ، فقال الشابّ : ادع الله لي يا رسول الله أن اُرزق الشهادة معك، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبيّ صلى الله عليه وآله فاستشهد بعد تسعة نفر و كان هو العاشر.

للحساب و حشر الخلائق لذلك وأنا فيهم) تمثيل لحال الغايب بحال الشاهد لزيادة الايضاح مع احتمال ارادة الظاهر والاضافة للاختصاص كبيت الله و كأنه قصد افادة حصول الظن بثبوت خبر كان لاسمه من غير تشبيه أو قصد تشبيه النظر القلبى بالنظر العينى لقصد التوضيح، (وكأنى أنظر الى أهل الجنة يتنعمون فى الجنة ويتعارفون) أى يعرفون بعضهم بعضاً ويتكلمون (وعلى الارائك متكئون، وكأنى أنظر الى أهل النار وهم فيها معذبون مصطرخون) أى صايحون مستغيثون. (وكأنى الان أسمع زفير النار يدور فى مسامعى) جمع مسمع وهو آلة السمع أو جمع سمع على غير قياس كمشابه وملامح جمع شبه و لمحة، وينبغى أن يعلم أن السالك العارف الموقن الزاهد وان كان فى الدنيا بجسده فهو فى مشاهدة بعين بصيرته لاحوال الجنة ودرجاتها و سعاداتها و أهلها وأحوال النار ودركاتها و شقاوتها وأهلها كالذين شاهدوا الجنة بعين حسهم وتنعم أهلها و كالذين شاهدوا النار و عذاب أهلها، وهى مرتبة عين اليقين أو حق اليقين أو مرتبة علم اليقين على احتمال بعيد. والحق أن الجواب بمرتبة عين اليقين أنسب (فقال رسول الله «ص») بعد ماسمع منه هذه الاثار والامارات التى شواهد صدق على وجود حقيقة اليقين و غاية كماله فيه: (هذا عبد نور الله قلبه بالايمان) اريد بالايمان الايمان الكامل، وقد مر أنه لايتحقق الا بعد استقامة جميع الاعضاء الظاهرة والباطنة، ولاريب فى أن الايمان بهذا المعنى نور الهى يتنور به الظاهر والباطن، و كل يهتدى به الى ماهو له وقد مر أيضاً ان بين الظاهر والباطن مناسبة توجب تأثر كل منهما عن الاخر فنور الظاهر سبب لنور الباطن و بالعكس على وجه لايدور، و انما اكتفى بذكر نور الباطن وهو نور القلب لانه المقصود الاعظم والمطلوب الاهم و لانه المقتضى للصفات المذكورة بلاواسطة (ثم قال له الزم ما أنت عليه) دل أن الكمالات البشرية قد تزول بعدم المحافظة ، و لذلك قال العارفون الخائفون من زوالها : « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة

٣- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن سنان، عن عبدالله بن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: استقبل رسول الله صلى الله عليه وآله حارثة بن مالك بن النعمان الأنصاري فقال له: كيف أنت يا حارثة بن مالك؟ فقال: يا رسول الله! مؤمن حقّاً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: لكلّ شيء حقيقة فما حقيقة قولك؟ فقال: يا رسول الله عزفت نفسي عن الدّنيا فأسهرت ليلي و أظمأت هو اجري و كأنّي أنظر إلى عرش ربي [و] قد وضع للحساب، و كأنّي أنظر إلى أهل الجنّة يتزاورون في الجنّة، و كأنّي أسمع عواء أهل النّار في النّار، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: عبدٌ

انك أنت الوهاب».

قوله (فقال يا رسول الله مؤمن حقاً) أى كامل فى خصال الايمان و هو من سار فى طرق الايمان باكتساب مكارم الاعمال والاخلاق حتى يبلغ أعلاه و ترقى بالمجاهدة والوفاء من حضيض نقصه الى أن بلغ ذراه، ولما ادعى هذه المرتبة و نطق بدعوى حق الايمان تقاضاه بمصداق ذلك واماراته و طلب منه بيان آثاره وعلاماته (فقال له رسول الله «ص» لكل شيء حقيقة) أى لكل شيء من الاشياء الظاهرة والباطنة حقيقة بها تمامه و كماله و غاية اليها انتهائه و مآله (فما حقيقة قولك) الظاهر فى دعوى ذلك الامر الباطن الكامن؟ و ما غايته المترتبة عليه و ما علاماته الدالة عليه. (فقال: يا رسول الله عزفت نفسى عن الدنيا فاسهرت ليلى وأظمأت هواجرى و كأنى أنظر الى عرش ربى وقد وضع للحساب، وكأنى أنظر الى أهل الجنة يتزاورون) أى يزور بعضهم بعضاً (فى الجنة و كأنى أسمع عواء أهل النار فى النار) أى صياحهم. والعوى صوت السباع، و كأنه بالدب و الكلب أخص و السالك اذا اجتهد فى زيادة العلم والعمل والاخلاق و قطع تعلقه عن المحسوسات ورسوم العادات ومات مع الحياة بلغ مرتبة عين اليقين و شاهد جمال الاسرار، و انكشف له أحوال الاخرة والجنة والنار، ثم اذا رجع الى نفسه و نظر الى عالم المحسوسات لابعين التعلق خطر بباله بعض تلك الاحوال و انتقش فى نفسه بعض هذه الاثار ولو شاهد الجنة يجد فى نفسه السرور والنشاط، ولو شاهد النار يجد فى نفسه الحزن والخوف. و بالجملة تظهر له حالات مع الحياة كما تظهر بعد الموت الأن ظهورها بعد الموت لاينفع بل يوجب الحسرة والندامة بخلاف ظهورها قبله فانه يوجب السعادة التى هى قرب الحق و الاعراض عن غيره بالكلية، واعلم أن فى هذه الرواية ورواية القاسم بن يزيد دلالة واضحة على أن حارثة استشهد فى عهد الرسول «ص» وقال الفاضل الاسترابادى فى رجاله حارثة بن النعمان الانصارى كنيته

نوّر الله قلبه ، أبصرت فاثبت ، فقال : يا رسول الله اُدع الله لي أن يرزقني الشهادة معك ، فقال : اللّهم ارزق حارثة الشهادة ، فلم يلبث إلاّ أيّاماً حتّى بعث رسول الله صلّى الله عليه وآله بسريّة فبعثه فيها؟ فقاتل فقتل تسعة أو ثمانية، ثمّ قُتل.

و في رواية القاسم بن بريد، عن أبي بصير : قال : استشهد مع جعفر بن أبي‌طالب بعد تسعة نفر وكان هو العاشر.

٤ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفليّ عن السكونيّ ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أميرالمؤمنين صلوات الله عليه : إنّ على كلّ حقّ حقيقة و على كلّ صواب نوراً .

أبوعبدالله شهد بدراً واحداً وما بعدهما من المشاهد وذكر هو أنه رأى جبرئيل «ع» دفعتين على صورة دحية الكلبى أولهما حين خرج رسول الله «ص» الى بنى قريظة ، والثانى حين رجع من حنين. وشهد مع أميرالمؤمنين «ع» القتال و توفى فى زمن معاوية ولايخفى المنافات بينه و بين الرواية الاأن يكون هذا غيره .

قوله (ان على كل حق حقيقة) الحق وهو ضد الباطل كل ماجاء به الرسول من الاحكام والاخلاق والشرائع و جميع ما أمر به ودعا اليه فاخبر «ع» ان على كل حق ظاهر حقيقة هو ينتهى اليها و يراد بها، وفيها كماله والبها مآله، وقول بعض المحققين فى تقسيم ما جاء به الشارع الى شريعة وحقيقة اشارة اليهما حيث أرادوا بالشريعة ظاهر ما ورد به النقل، وبالحقيقة باطن مابين العبد و بين الله عزوجل فحكم الشريعة على الظاهر، وحكم الحقيقة على الباطن كما روى عنه «ص» « نحن نحكم بالظاهر و الله يتولى السرائر » فقد ظهر أن الحق كالشريعة أول الحقيقة وهى غايته وهو ظاهر وهى بطانته، فكل عبادة ظاهرة ان لم تصدر عن حقيقة باطنة كأعمال المنافقين فهى باطلة، وكل طاعة ان لم تنته الى حقيقة ثابتة كأفعال المرائين فهى عاطلة، وكذلك الاخلاق لها حق وحقيقة كالتوكل فان حقه مع العام بضرورة عقد الايمان مع تعلقهم بالاسباب وحقيقته ينتهى اليها الخاص بقطع الاسباب وسكون السر الى مسبب الاسباب، وكالحياء فانه له حقاً مع الكل وله حقيقة مع الخواص، و كالتقوى فان أوله حق وهو تقوى الشرك يشمل عوام المؤمنين وله حقيقة وغاية يبلغها خواص الاولياء ، وكذلك الايمان فان أوله حق وبه يخرج عن الكفر وهو يشمل عوام المؤمنين وله حقيقة وغاية وهى كماله يبلغها خواص المؤمنين الذين قال الله تعالى فى شأنهم «انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم و اذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون» وكذلك اليقين أوله حق وآخره و

باب التفكر

١- عليٌّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفليّ ، عن السّكونيّ ، عن أبي عبدالله عَلَيْهِ السَّلَامُ : قال كان أميرالمؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول : نبّه بالتفكّر قلبك ، و جاف عن

باطنه حقيقة هى غايته وكماله وبالجملة الحق فى كل شىء بمنزلة القشر والحقيقة بمنزلة اللب ولاينفع القشر بدون اللب وانما قال: على كل حق ولم يقل لكل حق للتنبيه بالاستعلاء على أن حقية كل شىء باعتبار حقيقته التى هو بهاهو حتى لولم يكن حقيقة كاملة وغاية مرادة منه لم يكن حقاً أو باعتبار المجانسة مع قوله (وعلى كل صواب نوراً) الصواب ضد الخطأ أى على كل صواب جلى أوخفى من قول أوفعل أوعقد، برهان يحققه ودليل يصدقه كالايمان واليقين فان لهما علامات دالة عليهما وبينات كاشفة عنهما حتى أن من ادعاهما و لم تكن له تلك العلامات والبينات كانت دعواه باطلة وانما سمى البرهان نوراً لان البرهان آلة لظهور المعقولات كما أن النور آلة لظهور المحسوسات.

قوله (نبه بالتفكر قلبك) دل على أن القلب يغفل عن الحق والاخرة وماينفع فيها وأنه لابد من تنبيهه عن الغفلة دائماً بالتفكر واختلفت العبارة فى تفسيره والمرجع واحد. قال الغزالى : حقيقة التفكر طلب علم غير بديهى من مقدمات موصلة اليه كما اذا تفكر أن الاخرة باقية وأن الدنيا فانية ، فانه يحصل له العلم بأن الاخرة خير من الدنيا و هو يبعثه على العمل للاخرة فالتفكر سبب لهذا العلم ، و هذا العلم يقتضى حالة نفسانية وهو التوجه الى الاخرة وهذه الحالة يقتضى العمل لها و قس على هذا فالتفكر موجب لتنور القلب وخروجه عن الغفلة، واصل لجميع الخيرات، وقال المحقق الطوسى: التفكر سير الباطن من المبادى الى المقاصد وهو قريب من النظر ولايرتقى أحد من النقص الى الكمال الا بهذا السير ومباديه الافاق والانفس بأن يتفكر فى أجزاء العالم وذراته، و فى الاجرام العلوية من الافلاك والكواكب و حركاتها وأوضاعها و مقاديرها واختلافاتها ومقارناتها ومفارقاتها و تأثيراتها و تغييراتها، وفى الاجرام السفلية وتربيتها وتفاعلها وكيفياتها ومركباتها ومعدنياتها وحيواناتها، وفى أجزاء الانسان وأعضائه من العظام والعضلات والعصبات والعروق وغيرها مما لايحصى كثرة، ويستدل بها وبمافيها من المصالح والمنافع والحكم والتغير على كمال الصانع وعظمته وعلمه وقدرته وعدم ثبات ماسواه، و بالجملة التفكر فيماذكرونحوه من حيث الخلق والحكمة والمصالح أثره العلم بوجود الصانع وقدرته ومن حيث تغيره وانقلابه وفنائه بعدوجود أثره الانقطاع عنه والتوجه بالكلية الى الخالق الحق، ومن هذا القبيل التفكر فى أحوال الماضين وانقطاع أيديهم عن الدنيا وما فيها ورجوعهم الى دار الاخرة فانه يوجب انقطاع المتفكر عن

اللّيل جنبك؛ و اتّق الله ربّك.

٢- عليٌّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن بعض أصحابه ، عن أبان ، عن الحسن الصيقل قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عمّا يروي النّاس [أنَّ] تفكّر ساعة خير من قيام ليلة ، قلت : كيف تفكّر ؟ قال : يمرُّ بالخربة أو بالدّار فيقول : أين ساكنوك ، أين بانوك ، ما[با]لك لاتتكلّمين .

٣- عدَّةٌ من أصحابنا ، عن أحمدبن محمّدبن خالد، عن أحمدبن محمّدبن أبي نصر، عن بعض رجاله، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : أفضل العبادة إدمان التفكّر في الله و في قدرته.

غيرالله اليه بالطاعة والتقوى، و لذلك أمربهما بعدالامر بالتفكر، وقال(وجاف عن الليل جنبك) وهو كناية عن الامر بالقيام للعبادة فى ظلمات الليالى فان العبادة فيها أفضل كما دلت عليه الايات والروايات(واتق الله ربك) بترك المحرمات بل المكروهات والمشتبهات.

قوله(ان تفكرساعة خير من قيام ليلة) أى تفكرساعة فى عظمته وآلاته و تواترأياديه ونعمائه أو فى سكرات الموت ومابعده من العقوبات أو فى محن الدنيا وعدم وفائها وما فيها من المصائب والبليات أوفى فناء أهلها وانقطاع أيديهم من التصرفات(خيرمن قيام ليلة) للعبادة فان كل ذلك يوجب تنور القلب وصفاء الذهن و ترك الدنيا والميل الى الاخرة وحلاوة الذكر والطاعة وكمال السعادة ومحبة الحق واعراضه عن غيره واستعمال الاعضاء الظاهرة والباطنة فيما خلقت له، وربما يخطر بالقلب بتفكر ساعة حالة مانعة من المعاصى فى مدة العمر فهو أفضل من عبادة ليلة لكثرة فوائده وعظمتها (قلت كيف تفكر) أراد ايضاحه بمثال جزئى فلذلك أتى «ع» به (قال يمر بالخربة أو بالدار) التى هلك أهلها (فيقول) تحسراً أوتحزناً لحاله وحالهم (أين ساكنوك أين بانوك مالك لاتتكلمين) فانه اذا تفكر فى ذلك تجدهم انقطعوا عن الدنيا و ثمراتها، وزالت أيديهم عما كان لهم من أسبابها و زهراتها و انتقلوا عن دارالانس والاحبة وخلوا بيت الغربة والوحشة، مالهم من احبائهم ظهير ولا نصير ولاله من أموالهم قطمير و لانقير اذ أوجدهم كذلك خطر بباله أنه يصير مثلهم عنقريب ولا يكون له من ماله حق ولا نصيب فتبرد لذلك قنيات الدنيا فى بصره و تحتقر زهراتها فى نظره فيقدم الى اصلاح أمره و مثواه ولايبيع آخرته بدينار.

قوله (أفضل العبادة ادمان التفكر فى الله وفى قدرته) أفضلية العبادة باعتبار عظمة قدرها وكثرة منافعها وآثارها وشرافة لوازمها وأسرارها ولاريب فى ان ادمان التفكر فى الله وفى قدرته

٤ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن معمر بن خلّاد قال: سمعت أبا الحسن الرِّضا عليه السلام يقول : ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم . إنّما العبادة التفكّر في أمر الله عزّ وجل.

٥ـ محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن إسماعيل بن سهل ، عن حمّاد، عن ربعي قال : قال أبو عبدالله عليه السلام: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : [إنّ] التفكّر

أعظم العبادات قدراً وأشرفها أثراً و أفخمها رتبة وأرفعها منزلة، ولذلك وقع الامر به في آيات متكاثرة وروايات متضافرة وله آثار شريفة ولوازم منيفة كلها عبادات عظيمة كمعرفة الرب وعظمته وعلمه وقدرته و احتقار الدنيا وزهراتها و معرفة الجنة ودرجاتها ومعرفة النار و دركاتها والانقطاع عن غير الحق وتفريغ القلب له و بالجملة ادمان التفكر عبادة و أصل لجميع العبادات فهو أفضلها، و ليس المراد التفكر في حقيقة ذاته وحقيقة قدرته وسائر صفاته اذ معرفتها خارجة عن قدرة البشر ولايصل اليها العقل والتفكر، وكان التفكر فيها مؤديا الى الضلال المبين والالحاد في الدين بل المراد به التفكر في وضع صنع الله وآثار قدرته فان التفكر فيها وفي عظمتها يدل على عظمة الصانع الحق وكمال قدرته، ومما يدل على ذلك ما رواه محمد بن مسلم عن أبي جعفر «ع» قال: «اياكم والتفكر في الله ولكن اذا أردتم ان تنظروا الى عظمته فانظروا الى عظيم خلقه» و ماروا حسين بن المياح عن أبيه قال: سمعت أباعبدالله «ع» يقول « من نظر في الله كيف هو هلك» و بالجملة التفكر على قسمين: تفكر في الحق. و تفكر في الخلق، والعبد ممنوع من الاول ومندوب الى الثاني. قال الله تعالى: « و يتفكرون في خلق السموات والارض- الاية» .

قوله (انما العبادة التفكر في أمر الله عزوجل) الحصر اضافي بالنسبة الى غير المتفكر أو حقيقي لان العبادة كلها تابعة للتفكر فلاتوجد عبادة بدونه فان من تفكر أبصر الحق وطرقه الموصلة اليه وهانت الدنيا وما فيها عنده لما رأى من كثرة انقلابها على أهلها وعدم الوفاء لهم فيحصل له كمال الميل الى المولى الحق وغاية الخشوع والطاعة له والشوق الى لقائه لعلمه بأن الوصول الى الدرجة العليا ، والبلوغ الى السعادة العظمى، والتخلص عن أهوال العقبى، والتقرب الى مقام الزلفى انما يحصل بترك الدنيا والتزام العبادة والتقوى فيصرف نفسه عن ميدان الطغيان و يجريها في مضمار الطاعة و مرضات الرحمن، ويقدم لنفسه ما ينفعه في دار الجنان والتوفيق من الله الملك المنان.

قوله (التفكر يدعو الى البر والعمل به) لان التفكر سراج القلب يرى به المتفكر

يدعو إلى البرّ والعمل به.

(باب المكارم)

١- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الهيثم بن أبي مسروق، عن يزيد بن إسحاق شعر، عن الحسين بن عطيّة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: المكارم عشر

خيره و شره و منافعه و مضاره وكل قلب لافكر فيه فهو مظلم لايرى الى البر دليلا ولا الى العمل سبيلا، و من التفكر أن يتفكر لاىشىء خلق و من أين جاء والى أين يقصد ولاى شيء أنزل فى هذا المنزل، و فيها سعادته و شقاوته فان هذا التفكر أشد جاذب له الى البر والعمل به، ومنه أن يتفكر فى قوله تعالى: «أولم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض مالم نمكن لكم - الاية» الى غيرها من الايات الدالة على الترغيب فى التفكر فان التفكر فيها أقوى زاجر له عن الدنيا وأكمل داع الى البر والعمل به للاخرة اذ من تفكر فى أحوال الماضين من الرعايا والسلاطين و أعمالهم وأخبارهم و آثارهم وتفكر فى أنهم بنوا مالم يسكنوا و جمعوا مالم يأكلوا وسعوا فيما لم ينتفعوا وفى أنهم كم تركوا من جنات وعيون و زروع و مقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين تبرد الدنيا وما فيها عنده، و اشرق قلبه بنور ربه حتى رأى بعين البصيرة أحوال الاخرة و مقاماتها و رغبت نفسه عن قنيات الدنيا وزهراتها ومال الى حضرة الحق والجلال و اشتاق الى كأس القرب والوصال، و علم أن ذلك لايحصل الا بالبر والعمل فعلم أن التفكر يدعو اليهما، نعم ماقيل:

و لم أر كالايام للمرء واعظاً ... ولا كصروف الدهر للمرء هادياً
لعمرك ما يدرى الفتى كيف يتقى ... اذا هو لم يجعل له الله واقياً
و أحسن فان المرء لابد ميت ... و انك قد تجزى بما كنت ساعياً

و منه أن يتفكر فى معانى آيات القرآن عند تلاوته فاذا بلغ آيات الصفات مثل العزيز والحكيم والقدوس يتأمل فى أسراره، واذا بلغ آيات الافعال مثل خلق السموات و الارض يتأمل فى عظمة الخالق و كمال علمه وقدرته، وعلى هذا فانه يحصل له بذلك الانقطاع عن الدنيا وملكة الميل الى البر والعمل به.

قوله (قال المكارم عشر) المكرمة بزرگى وبزرگوارى و المكارم بزرگيها و بزرگواريها و ينبغى أن يعلم أن النفس الناطقة اذا تركت سلطنتها فى ملك البدن وصارت مأسورة فى يدقواه حصلت له أخلاق مهلكة مثل الكذب والخيانة والحرص والحسد والفخر والغضب والبخل و قطع الرحم وأمثال ذلك ممايعد فى هذا الكتاب ثم تسرى تلك الاخلاق الى الاعضاء الظاهرة فيصدر منها الضرب والقتل والنهب والبهتان و نحوها، و بذلك تبعد عن

فان استطعت أن تكون فيك فلتكن، فإنّها تكون في الرّجل ولاتكون في ولده
و تكون في الولد ولاتكون في أبيه، وتكون في العبد ولاتكون في الحرّ، قيل :
و ماهنّ ؟ قال : صدق البأس وصدق اللّسان وأداء الأمانة وصلة الرّحم و إقراء

رب العالمين و تستقر فى أسفل السافلين و ان راعت سلطنتها فيه و أسرت قواه واعطت كل واحدة مافيه صلاحها عقلا و شرعاً حصلت لها أخلاق صالحة منجية مثل حسن الخلق والرفق والحكمة والعدالة والشجاعة و أمثالها مما يعد فى هذا الكتاب أيضاً و يصدر بسببها من الاعضاء أفعال حسنة ومكارم فاضلة مثل الصدق وأداء الامانة و غيرهما من الامور المذكورة وان المكارم غير منحصرة فيما ذكر و ان اطلاقها عليه مجاز من باب تسمية السبب باسم المسبب لان ما ذكر من الافعال سبب لمكارم النفس (فان استطعت أن تكون فيك فلتكن) دل على أنها كسبية تحصل بمشقة الاكتساب والمجاهدة مع النفس الامارة ورياضتها، وقد بالغ فى ذلك بقوله (فانها تكون فى الرجل، ولاتكون فى ولده وتكون فى ولده ولاتكون فى أبيه وتكون فى العبد ولاتكون فى الحر) للتنبيه على أنها نعمة عظيمة يمن الله على عباده ممن أخذت يده العناية الالهية و توجهت اليه التوفيقات الربانية بحسن سياسته وكمال عزيمته و تمام ارادته الى معالى الامور (قيل: وماهن؟ قال صدق البأس) أى الخوف أو الخضوع أو الشدة والفقر و منه البائس الفقير أو القوة و صدق الخوف عن المعصية بأن يتركها ومن التقصير فى العمل بأن يسعى فى كماله ومن عدم الوصول الى درجة الابرار بأن يسعى فى اكتساب الخيرات فلوا دعى الخوف فى شىء من ذلك و بقى عليه ولم يسع فى ازالته فهو كاذب و صدق الخضوع بأن يخضع لله تعالى لالغيره فمن ادعى الخضوع لله تعالى وهو يخضع لغيره فهو كاذب و صدق الفقر بأن يترك عن نفسه هواها ومتمنياتها و آمالها والا فهو ليس بفقير، و صدق القوة أن يصرفها فى الطاعات فمن صرفها فى المعاصى فهو ضعيف عاجز، (وصدق اللسان) بأن لايتكلم بماليس فيه رضاه تعالى مثل الكذب واللغو والفحش والغيبة و نحوها بل يتكلم بمافيه رضاه من الامور الدينية أو الدينوية (وأداء الامانة) أى أمانة الناس براً كان أو فاجراً أو أمانة الله تعالى أيضاً مثل الامامة وفعل الطاعات وترك المنهيات والعهود.

(وصلة الرحم) أى الاحسان الى الاقربين من ذوى النسب والاصهار والتعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لاحوالهم فى السر والعلانية وان أساؤه فكأنه بالاحسان اليهم وصل ما بينهم و بينه من علاقة القرابة والصهر، ويدخل فيها صلة أقرباء النبى «ص» (واقراء الضيف) أى المؤمن أو المسلم مطلقاً أو الاعم منه، ومن الكتابى على احتمال لدلالة ظاهر بعض الروايات عليه، وأما الحربى ففيه تأمل والظاهر أن الاقراء بمعنى القرى المجرد يقال: قريت الضيف

الضيف وإطعام السائل والمكافاة على الصنايع والتذمّم للجار والتذمّم للصّاحب و رأسهنّ الحياء .

٢- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن عثمان بن عيسى ، عن عبدالله بن مسكان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ خصّ رسله بمكارم

أقريه من باب رمى قرى بالكسر والقصر والاسم القراء بالفتح والمد (واطعام السائل) كذلك والاطعام كما يوجب الثواب الجزيل فى الاخرة كذلك يدفع الفقر والبلاء ويوجب زيادة الرزق فى الدنيا ثم يتفاوت ذلك بحسب تفاوت نية المطعم واحتياجه واستحقاق السائل وصلاحه، (و المكافاة على الصنائع) جمع الصنيعة وهى ما اصطنعته من خير وكل شىء ساوى شيئاً حتى صار مثله فهو مكافىء له والمكافاة بين الناس من هذا، ويقال بالفارسية پاداش دادن بمثل وقديعم ويراد مطلق المجازاة الشامل للمساوى والازيد والانقص ثم المكافاة من باب الاداب والاستحباب لجواز الاخذ من غير عوض للروايات منها رواية اسحاق بن عمار قال قلت له: «الرجل الفقير يهدى الى الهدية يتعرض لما عندى فآخذها ولا أعطيه شيئاً؛ قال نعم هى لك حلال ولكن لا تدع أن تعطيه» (والتذمم للجار، والتذمم للصاحب) التفعل يجىء للتجنب مثل تأثم و تحرج أى تجنب الاثم والحرج، ومنه التذمم وهو مجانبة الذم والتحرز منه والمقصود أن من مكارم الرجل أن يحفظ ذمام الجار ولصاحب ويطرح عن نفسه ذم الناس له ان لم يحفظه، والذمام بالكسر الحرمة، وما يذم به الرجل على اضاعته من العهد والامان وغيرهما و (رأسهن الحياء) هو خلق غريزى أو مكتسب يمنع من فعل القبيح وخلاف الاداب والتقصير فى الحقوق خوفاً من اللوم والذم به، ولا يوجد شىء من المكارم بدونه ولذلك هو رأسهن.

قوله (ان الله عزوجل خص رسله بمكارم الاخلاق) الاخلاق جمع خلق وهو ملكة للنفس يصدر عنه الفعل بسهولة من غير روية وفكر خلاف الحال؛ وقد توهم أن الاخلاق كلها خلقية فيكون التكليف بها تكليفاً بما لا يطاق وهذا التوهم فاسد لان الاخلاق قد تتغير و تتبدل كما هو المشاهد فى كثير من الناس فانهم يزاولون و يمارسون خلقاً من الاخلاق حتى يصير ملكة لا يقال مدخول الباء اما مقصور كما يقتضيه القاعدة، أو مقصور عليه. فعلى الاول لزم أن لا توجد المكارم فى غير الرسل وهو ينافى ما بعده وعلى الثانى لزم أن لا يوجد فى الرسل غير المكارم لانا نقول يمكن دفع الاول بأن للمكارم عرضاً عريضاً والمقصور على الرسل هو الطرف الاعلى، ولا ينافيه وجود ما دونه على تفاوت المراتب فى غيرهم، أو بان خلقية المكارم مقصورة على الرسل جميعاً ولا توجد فى غيرهم جميعاً ولا ينافيه وجودها فى بعض الاغيار، و يمكن دفع الثانى بأن الحصر اضافى بالنسبة الى أضداد المكارم يعنى أن الرسل مقصورون على المكارم ولا يتجاوزونها

الاخلاق، فامتحنوا أنفسكم، فإن كانت فيكم فاحمدوا الله و اعلموا أنّ ذلك من خير و إن لاتكن فيكم فاسألوا الله و ارغبوا إليه فيها، قال: فذكر [ها] عشرة: اليقين والقناعة والصّبر والشكر والحلم وحسن الخلق والسخاء والغيرة والشجاعة والمروّة قال: وروي بعضهم بعد هذه الخصال العشرة وزاد فيها الصدق و أداء الأمانة.

الى أضدادها بخلاف غيرهم وهذا أظهر على أنه يمكن ان يكون المقصود أنه تعالى خص رسله بانزال المكارم اليهم وتقريرهم لها وعلى هذا لايتوجه شيء.

(فامتحنوا أنفسكم) و اختبروها (فان كانت فيكم فاحمدوا الله) لانها من أعظم نعمائه لديكم (واعلموا أن ذلك من خير) عظيم أفاضه عليكم (و ان لاتكن فيكم فاسألوا الله) عن تيسير ذلك الكمال (و ارغبوا اليه) بالتضرع والابتهال.

(قال فذكرها عشرة) غير العشرة المذكورة فى الحديث السابق لكونها غير منحصرة فيها. (اليقين) بالله واليوم الاخر وكتبه و رسله، وهو العلم مع زوال الشك و علاماته العمل بمقتضاه (والقناعة) وهى الرضا بالقليل وفيه راحة فى الدارين، و فى الحديث «القناعة كنز لاينفد» لان الانفاق معها لاينقطع كلما تعذر عليه شيء من امور الدنيا قنع بمادونه ورضى وفيه «عز من قنع وذل من طمع» لان القانع لايذله الطلب فلايزال عزيزاً.

(والصبر) على المصيبة وفعل الطاعة وترك المعصية (والشكر) لله فى جميع الاحوال باللسان والجنان والاركان (والحلم) بضبط النفس عن الانتقام عند صدور مايؤذيه عن الغير وهو صفة لها بالاعتدال فى القوة الغضبية.

(و حسن الخلق) مع الناس بالجميل والطلاقة والبشاشة والتودد والتلطف و الاشفاق عليهم (و السخاء) أى بذل المال بسهولة على قدر لابد منه فى موضعه و هو فضيلة نفسانية مندرجة تحت الاعتدال فى القوة الشهوية وأفضله ماوقع بغير سؤال كما يدل عليه قول أمير المؤمنين «ع» «السخاء ماكان ابتداء فاما ماكان عن مسئلة فحياء وتذمم» أى استنكاف و مجانبة عن الذم (والغيرة) أى الحمية فى الدين والاستنكاف عما يغايره و تغير الطبع عما يخالفه (والشجاعة) وهى ملكة للنفس حاصلة من الاعتدال فى القوة الغضبية و يبتنى عليها الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وامضاء الاحكام والحدود والجهاد مع النفس والشيطان والعدو (والمروة) أى كمال الرجولية فى الدين ورعاية حال فقراء المسلمات و المسلمين و تفقد أحوال اليتامى والارامل والمساكين.

(قال وروى بعضهم بعد هذه الخصال العشرة وزاد فيها الصدق) أى صدق البأس و صدق اللسان (و اداء الامانة) الى الناس، أومطلقاً وهو أى الصدق مفعول روى و زاد على سبيل

٣- عنه، عن بكر بن صالح، عن جعفر بن محمّد الهاشمي، عن إسماعيل بن عبّاد قال بكر: وأظنّني قد سمعته من إسماعيل؛ عن عبدالله بن بكير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّا لنحبّ من كان عاقلاً، فهماً، فقيهاً، حليماً، مدارياً، صبوراً صدوقاً، وفيّاً

التنازع وان توهم زيادة لفظ بعدأوزاد.

قوله (انا لنحب من كان عاقلا) له جوهر مجرد (١) نورانى يدرك به المعقولات و المنقولات ويميز بين الحق والباطل والهادى والمضل (فهماً) الفهم من صفات العاقل و هو جودة تهيؤ الذهن لقبول مايرد عليه من الحق وبه ينتقل من المبادى الى المطالب بسرعة. (فقيهاً) الفقه العلم بالاحكام من الحلال والحرام و بالاخلاق وآفات النفوس(٢) و موانع

---

(١) قوله «له جوهر مجرد» جرى على اصطلاح الحكماء فان العقل عندهم يطلق على العقل النظرى والعقل العملى، وهما مما امتاز به الانسان من سائر الحيوانات. فانها تشترك مع الانسان فى الحس، ويمتاز الانسان عنها بشيئين: الاول بأنه يدرك الحسن والقبح فى الافعال ويحكم بأن بعض الاعمال حسن و بعضها قبيح، ولا يدرك الحيوان شيئاً من ذلك ألبتة، ولذلك كلف الانسان بتكاليف وصار مسؤلا عن أفعاله «ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا» وهذا يسمى العقل العملى وهو الذى أنكره الاشاعرة. والثانى أنه يدرك الكليات والمعانى العامة. ولا يدركها الحيوانات والدليل عليه أنه يتكلم، وأكثر كلماته كليات يدرك معناها ويحكى عنها ولا يقدر على ذلك الحيوانات الاخر. فالحيوان يتوجع ويعرض له الالم ويحس به ويخاف من عدوه، ويحصل له الباعث على الفرار، ويحب أولاده ويحفظها من الافات حتى تكبر وتستغنى عن الام، ولكن لا يقدر على لفظ يحكى به عن معنى الالم والخوف والحب لانه لم يدرك معنى عاماً يشمل أفراد كل منها، وانما يحصل لها مصاديق هذه المعانى كما يحصل للطفل الصغير قبل أن يتكلم، ولذلك عبر عن ادراك الكلى بالنطق، وبالجملة أشار الشارح بقوله «يدرك به المعقولات» الى العقل النظرى، و بقوله «يميز بين الحق والباطل» الى العقل العملى و كلاهما حاصل للانسان بسبب تجرده عن المادة ذاتاً وان تعلق بها فعلا ولا ريب أن الاختيار من لوازم النفس المجردة والطبيعة مقهورة مجبورة فى أفعالها لا سبيل لها الى التخلف عما أودع فيها، والانسان لكونه مختاراً غير مجبور لابد أن يكون له قوة يرجح بها ماينبغى أن يفعله ويميز مايجب أن يتركه وهو العقل العملى، ولكونه مستعداً لاستنباط المجهولات من المعلومات ان يكون له عقل نظرى يدرك به الكليات اذ الجزئى لا يكون كاسباً ولا مكتسباً. (ش)

(٢) قوله « و بالاخلاق و آفات النفوس » جرى على اصطلاح الائمة عليهم السلام فى تعريف الفقه. فان الفقه عندهم عليهم السلام كان يشمل علم الاخلاق و غيره. و لكن *

إنّ الله عزّوجلّ خصّ الأنبياء بمكارم الأخلاق، فمن كانت فيه فليحمدالله على ذلك و من لم تكن فيه فليتضرّع إلى الله عزّوجلّ و ليسأله إيّاها. قال : قلت : جعلت فداك و ماهنّ؟ قال: هنّ الورع والقناعة والصبر والشكر والحلم والحياءو السخاء والشجاعة والغيرة والبرّ و صدق الحديث وأداء الأمانة.

٤ـ محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله عزّوجلّ ارتضى لكم الإسلام ديناً ،

القرب من الحق أو بصيرة قلبية فى أمر الدين تابعة للعلم والعمل مستلزمة للخوف والخشية(١) (مداريأ) المداراة الملاطفة والملاينة مع الناس وترك مجادلتهم ومناقشتهم.

(صدوقاً وفياً) أى دائم الصدق والوفاء ، والصدق ملكة تحصل عن لزوم الاقوال المطابقة، والوفاء ملكة تنشأ عن لزوم العهد والامانة والبقاء عليه وهما فضيلتان داخلتان تحت العفة متلازمتان، و لذلك قال أمير المؤمنين «ع» ان الوفاء توأم الصدق ولماكان التوأم هو الولد المقارن لولد آخر فى بطن واحد شبه به الوفاء لمقارنته الصدق تحت العفة ، و فى هذا الحديث تحريص على محبة الموصوف بالصفات المذكورة فيه واختيار مصاحبته . فانه دليل الى سبيل الخيرات و مرشد الى طرق النجاة ولكن وجدانه متعسر فان الجاهل قد يدلس فلابد للطالب من حزم وتجسس لئلايتخذ الجاهل مصاحباً ولايقع فى ويل الخذلان بعد الايمان. واعلم أن المكارم المذكورة فى هذا الحديث اثنى عشرة كما فى السابق الأن اليقين وحسن الخلق والمروة المذكورة فى السابق غير مذكورة فى هذا الحديث، والورع والحياء والبر المذكورة فى هذا الحديث غير مذكورة فى السابق. والورع هو الكف عن المحرمات و المشتبهات بل عن المباحات أيضاً والبر هو الاحسان بالوالدين والاقربين بل بالناس أجمعين و قد يطلق على الاعمال الصالحة والخيرات كلها.

---

*المتأخرين رضى الله عنهم خصصوا الفقه بالاحكام الظاهرية وميزوا بينه وبين علم الاخلاق ولا مشاحة فى الاصطلاح. (ش)

(١) قوله «مستلزمة للخوف والخشية» فرق بعض علماء الاخلاق بين الخوف والخشية وقال ان الخوف من الضعفاء وأهل الاهواء لكثرة معاصيهم وتقصيرهم يخافون العذاب. والخشية حاصلة للعلماء بالله والاولياء لمعرفتهم بعظمة ربهم والاستشعار بشدة قهره وكمال رحمته و عظم قدرته واحاطة علمه وسائر صفاته الكمالية لا للخوف من العذاب اذلاخوف عليهم ولاهم يحزنون وقال تعالى «انما يخشى الله من عباده العلمؤا». (ش)

فأحسنوا صحبته بالسخاء و حسن الخلق.

٥ـ عليٌّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: الايمان أربعة أركان: الرِّضا بقضاء الله والتوكّل على الله و تفويض الأمر إلى الله والتسليم لأمر الله.

٦ـ الحسينُ بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن الحسن بن عليٍّ، عن عبدالله بن سنان عن رجل من بني هاشم قال: أربعٌ من كنَّ فيه كمل إسلامه ولو كان من قرنه إلى قدمه خطايا لم تنقصه: الصدق والحياء و حسن الخلق والشكر.

قوله (فأحسنوا صحبته بالسخاء و حسن الخلق) فانهما يوجبان كمال الدين و قراره كما أن البخل و سوء الخلق يوجبان نقصانه وفراره. فالدين كالمصاحب ان راعيته قر وان آذيته فر. **قوله** (الايمان أربعة أركان الرضا بقضاء الله والتوكل على الله وتفويض الامر الى الله والتسليم لامر الله) الرضا بقضاء الله سكون النفس تحت مجارى القدر وسرورها بما يرد عليها وان كان ثقيلا عليها لانه من الحبيب وكل شيء من الحبيب فهو حبيب والتوكل جعل الغير وكيلا فى اموره وهو على قسمين أحدهما أن يقصد رجوع الوكيل اليه فى امضائها والاخر أن يقصد استقلاله فيه وهذا القسم هو التفوض فالتفويض قسم من التوكل وأفضل أفراده، ثم التفويض على قسمين: أحدهما أن يرى المفوض، كل ما يفعله المفوض اليه موافقاً لطبعه والاخر أن يجرد نفسه عن ملاحظة الموافقة والمخالفة حتى كأنه فوض نفسه وطبعه أيضاً اليه، وهذا هو التسليم فالتسليم نوع من التفويض وأكمل أفراده، وانما كانت هذه الاربعة أركان الايمان اذ بانتفاء الرضا بقضاء الله يتحقق السخط عليه وهو يوجب هدم بناء الايمان به، و بانتفاء التوكل يتحقق الحرص فى الطلب وفوات كثير من الاعمال الصالحة المعتبرة فى الايمان وهو يوجب هدمه و كذا انتفاء التفويض والتسليم يوجب تحقق تعلقات كثيرة منافية للايمان الكامل، وبالجملة هذه الامور من لوازم اليقين فانتفاؤها موجب لانتفائه المنافى للايمان.

قوله (أربع من كن فيه كمل اسلامه ولو كان من قرنه الى قدمه خطايا لم تنقصه) أى أربع خصال، والضمير المفعول فى لم تنقصه راجع الى الاسلام، أو الى من.

(الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر) قدمر تفسيرها، ولايخفى أن ثبوتها يستلزم انتفاء العصيان (١) مطلقاً كما لايخفى على المتأمل.

---

(١) قوله «يستلزم انتفاء العصيان» أولانه ينتهى أمره الى التوبة يقيناً ويموت تائباً ألبتة (ش)

٧– عدَّةٌ من أُصحابنا، عن سهل بن زياد، وعليُّ بن إبراهيم عن أبيه، جميعاً عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن أبي حمزة، عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ألا اُخبركم بخير رجالكم؟ قلنا: بلى يا رسول الله! قال: إنَّ من خير رجالكم التقيُّ النقيُّ، السمح الكفّين، النقيُّ الطرفين البرُّ بوالديه ولا يلجيء عياله إلى غيره.

(باب فضل اليقين)

١– الحسينُ بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن الحسن بن عليٍّ الوشّاء، عن مثنّى ابن الوليد، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ليس شيء إلّا وله حدٌّ، قال: قلت: جعلت فداك فما حدُّ التوكّل؟ قال: اليقين، قلت: فما حدُّ اليقين؟ قال: ألّا تخاف مع الله شيئاً.

قوله (ألا أخبركم بخير رجالكم؟ قلنا بلى يا رسول الله قال ان من خير رجالكم) لايقال أول هذا الكلام ينافى آخره فى الجملة لان قوله خير رجالكم يفيد أنه الخير مطلقاً، و قوله من خير رجالكم يفيد أنه من جملة خير الرجال و بعضهم لانا نقول لعل المراد بالاول الصنف و بالاخر كل فرد من هذا الصنف أو نقول الاخير قرينة على أن المراد بالاول الخير الاضافى بالنسبة الى من لم توجد فيه الصفات المذكورة دون الخير الحقيقى و على الاطلاق.

(التقى النقى السمح الكفين) «التقى» المحترز عن كل ما يؤثم خوفاً من الله تعالى و تبعيداً لنفسه عن مخالفته و «النقى» النظيف الظاهر والباطن من الوسخ النفسانى و الدنس الجسمانى «والسمح» الجواد المعطى واسناد الجود والاعطاء الى الكفين لظهورهما منهما و فى ذكر الكفين مبالغة فى كمالهما.

(النقى الطرفين) أى الفرجين أو الفرج واللسان، أو الفرج والبطن، وقيل الوالدين

(والبر بوالديه) أى المحسن اليهما والمطيع لهما والرفيق بهما و المتحرى لمحابهما والمتوقى عن مكارههما.

(ولايلجىء عياله الى غيره) مع القدرة على انفاق ما يكفيهم يقال: ألجأته اليه ولجأته بالهمزة والتضعيف أى اضطررته و أكرهته.

قوله (فما حد التوكل؟ قال اليقين) فى المصباح اليقين: العلم الحاصل عن نظر و استدلال، ولهذا لا يسمي علم الله يقيناً. وفي أوصاف الاشراف اليقين اعتقاد جازم مطابق ثابت

٢ـ عنه، عن معلّى، عن الحسن بن علي الوشّاء، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام، ومحمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن أبي ولّاد الحنّاط و عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من صحّة يقين المرء المسلم أن لا يرضي

لايمكن زواله و هوفى الحقيقة مؤلف من علمين: العلم بالمعلوم، والعلم بأن خلاف ذلك العلم محال وله مراتب علم اليقين وعين اليقين و حق اليقين والقرآن ناطق بذلك والحد فى اللغة منتهى كل شيء و نهايته وفى العرف التعريف و يمكن ارادة كلا المعنيين: أما الاول فلان التوكل ينتهى الى اليقين و هو منتهاه و أثره اذالانسان قبل التوكل يظن أن له مدخلا فى حصول مهماته فليس له يقين بالله و صفاته الذاتية والفعلية كماهو حقه و بعده يرى أن مهماته تحصل على الوجه الاحسن والاكمل فيحصل له يقين كماهو حقه فاليقين حده و منتهاه. وأما الثانى فلان اليقين أثر من آثار التوكل كما عرفت فتعريفه باليقين تعريف له بأثر من آثاره، و أما جعل الحد بمعنى التعريف و جعل اليقين سبباً للتوكل فهو وان كان محتملا فى نفسه لكن لايناسب ما بعده اذاليقين سبب لعدم الخوف من غيرالله دون العكس.

(قلت فما حداليقين؟ قال ألاتخاف مع الله شيئاً) جعل عدم الخوف من غير الله نهاية لليقين و أثراً من آثاره أوتعريفاً له مبالغة للسببية لان الانسان اذاكملت قوته النظرية باليقين بالله و صفاته العظام لايخاف الامن الله كما قال عز شأنه «انما يخشى الله من عباده العلمؤا» ثم نقول حد الخوف استعمال الجوارح والاعضاء فيما خلقت له و صرفها عن غيره. ثم حد هذا تفريغ القلب عماعداه بحيث لاينظر الى شيء سواه، ولايرى فى الوجود الا اياه فهو منتهى كل غاية و غاية الغايات كما ورد فى بعض الروايات.

(قال من صحة يقين المرء المسلم أن لايرضى الناس بسخط الله) ليس كل من يدعى اليقين له يقين صحيح صادق مستمر بل لصحته و ثبوته و كونه ملكة علامات، ومن علامات صحته أن لايرضى الناس أبداً بما يوجب سخط الله تعالى وغضبه عليه كما هو فعل غيرموقن فانه يقول مايوافق طبع الناس و يعمل ما فيه رضاهم و ان كان فيه سخط الرب لئلا يفوت مقاصده المأمولة منهم، أو لغير ذلك من الاغراض الفاسدة فيترك الامر بالمعروف و النهى عن المنكر و يجالس الفاسقين والظالمين، و يساهل معهم و يميل الى ما هو مستحسن فى طباعهم المعوجة ولايعلم أن أقل ما يفعل الله تعالى بمن جعل رجاه فداء لرضا غيره و سخطه فداء لسخط خلقه بعد مقته هو أن يضرب على قلبه ذل الحجاب وأن يقلب قلب من طلب رضاه ببغضه اياه كماروى من أرضى الناس بسخط الله سخط الله عليه و أسخط عليه الناس بخلاف الموقن فانه لماكانت ثقته بالحق و اعتماده على لطفه و احسانه مع يقينه بأن الخلق مقهورون مضطرون و أن

الناس بسخط الله ولا يلومهم على ما لم يؤته الله، فانّ الرزق لا يسوقه حرص حريص ولا يردّه كراهية كاره، ولو أنّ أحدكم فرّ من رزقه كما يفرّ من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت، ثمّ قال: إنّ الله بعدله وقسطه جعل الرّوح والرّاحة في

قلوبهم بيده يتصرف فيها مايشاء كان صليباً فى الدين قايماً على اليقين يقول الحق و يأمر به و ينهى عن الباطل و يزجر عنه و يفر مما فيه رضى الناس و سخط الرب ولا يبالى أن ذلك يوجب سخطهم ومنعهم لعلمه بأن حصول المقاصد و وصول الارزاق من عند الله تعالى.

(ولا يلومهم على مالم يؤته الله) أى ولا يذمهم على مالم يؤته الله تعالى من الرزق و هو مايحتاج اليه و ينتفع به فى التعيش والبقاء وفى اختصاصه بالحلال أو شموله للحرام أيضاً خلاف مذكور فى موضعه والنهى عن الذم لوجوه الاول أن ذمهم ظلم لهم لانهم لم يمنعوه بل الله لم يؤته ماطلب منهم، الثانى أن ذمهم ينتهى الى الله لانه انما يذم المانع من الاعطاء ولا معطى ولا مانع الا الله فيرجع الذم اليه، الثالث ان ذمه المانع من الخلق شرك لانه اعتقد أنهم مانع له فذمه فأشرك فى المنع مع الله غيره ألا ترى كيف رده عن هذا الشرك الى التوحيد وعن الجهل الى العلم وعن الشك الى اليقين وعن الاضطراب الى الاطمينان بقوله:

(فان الرزق لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهية كاره) فان أمر الرزق ليس بيد احد حتى يسوقه اليه عند حرصه أو ترده عند كراهته بل هو بيده تعالى يوصله الى عباده على حسب مايقتضيه المصلحة من الزيادة والنقصان، و يحتمل أن يكون المراد أن الرزق لا يسوقه الى أحد حرص حريص ولا يرده عنه كراهة كاره فينبغى أن لا يذم الخلق بالرد والمنع. ويؤيده ما روى من طرق العامة «أن رزق الله لا يسوقه اليك حرص حريص ولا يرده عنك كراهة كاره».

(لو أن أحدكم فر من رزقه كما يفر من الموت لادركه رزقه كما يدركه الموت) بالغ به فى أن رزق كل أحد كموته بيده تعالى يوصله اليه قطعاً أراده أو كرهه لان الحكيم القادر اذا جعل الوجود موقوفاً على الرزق يمتنع عليه أن يقطع الرزق مع تحقق الوجود بل وجب عليه ايصاله، و ان لم يكن المرزوق عالماً بطرقه و منه ينشأ الاضطراب والهم والحزن، ويحرك الى السؤال والذم والدافع له هو اليقين والرضا عنه تعالى و لذلك حث على طلبهما للظفر بالروح فى القلب والتخلص من الاضطراب و بالراحة فى البدن والتنزه من ذل السؤال و خسايس الاكتساب بقوله:

(ثم قال ان الله بعدله و قسطه) العطف للتفسير (جعل الروح والراحة) أى راحة القلب و سكونه عن الاضطراب و راحة البدن و فراغه من الاعقاب.

اليقين والرّضا و جعل الهمّ والحزن في الشك والسخط.

٣- ابن محبوب، عن هشام بن سالم قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : إنّ العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عندالله من العمل الكثير على غير يقين.

٤- الحسين بن محمّد. عن معلّى بن محمّد، عن الوشّاء ، عن أبان، عن زرارة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه -على المنبر- :لا يجد أحد [كم] طعم الايمان حتّى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه و ما أخطأه لم يكن ليصيبه.

(فى اليقين والرضا)فان الموقن بالله و بصفاته العظمى والراضى عنه بالمنع والاعطاء يطمئن قلبه عن التردد والتلون ، و يفرغ عن الاعتماد والتحزن و ينقلع عن علقة الاسباب و يقوى توكله على رب الارباب فيستريح عن تصادم الهموم والاضطراب ويتخلص عن تراكم الغموم والاكتساب لتيقنه بأن رزقه يصل اليه لانه ضمنه عادل حكيم ثم عكس ذلك تأكيداً بقوله

(و جعل الهم والحزن) الهم الغم المقلق للنفس أوالغم فى تحصيل المطلوب عند صعوبته خوفاً من فواته، والحزن غم يصيب الانسان بعد فوات المحبوب.

(فى الشك والسخط) لان الشك يوجب تردد القلب وانزعاجه وتلونه واضطرابه من تجاذب الاسباب وغفلته عن تقدير رب الارباب و كل ذلك يوقعه فى الهم والحزن والعذاب وكذا سخط القلب بالمقسوم وعدم الرضا به يوقعه فى الهم والحزن والغموم ولذلك قيل :

ماالعيش الا فى الرضا والصبر فى حكم القضاء ❊ ما بات من عدم الرضا الاعلى جمر الغضاء

قوله (أن العمل الدائم القليل على اليقين) بذلك أو مطلقاً. (أفضل عندالله من العمل الكثير على غير يقين) «لابد من اعتبار الدوام فى العمل الكثير ليكون نصاً على أن الافضلية باعتبار اليقين ولعل السر فيه أن اليقين يوجب التقوى و كمال الاخلاص والفضل يزداد بهما و لذلك قال أمير المؤمنين «ع» لايقل عمل مع التقوى و كيف يقل مايتقبل» وفيه ايماء الى قوله تعالى «انما يتقبل الله من المتقين»، واشارة الى أن المقبول من الاعمال لايعد قليلا وكيف يعد قليلا مايضاعف و ينمو عندالله تعالى، والى أن العمل على غير يقين قد لايكون مقبولا وقد سمع «ع» رجلا من الحرورية يتهجد ويقرأ فقال: «نوم على يقين خير من صلاة فى شك» وذلك لان صلاة الشاك فيما يجب الاعتقاد فيه لاتنفعه عقلا و نقلا، و نوم الموقن ينفعه.

(لايجد أحد [كم] طعم الايمان) فيه مكنية و تخييلية حيث شبه الايمان بالطعام فى أنه غذاء للروح به ينمو ويبلغ حد الكمال كما أن الطعام غذاء للبدن.

(حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه) اشارة الى أن للايمان

٥ـ عليٌّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن زيد الشحّام، عن أبي عبدالله عليه السلام أنَّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه جلس إلى حائط مائل ، يقضي بين

بداية ونهاية وغاية فبدايته حق ونهايته حقيقة كما أشار اليه اجمالا بقوله سابقاً: ان على كل حق حقيقة وأن المؤمن ينبغى أن يسير فى طرق الايمان باكتساب مكارم الاخلاق حتى يبلغ أعلاه ويترقى بالمجاهدة والوفاء من حضيض النقصان الى أن يبلغ ذراه فلايزعجه الهوى ولا تحركه الشهوة والمنى ويقبل بكلية قلبه الى المولى ويحقق ماقلنا قوله حتى يعلم لذكر الحقيقة بلفظ الغاية وهو حتى الموضوعة لها فجعلها حقيقة الايمان المترقى اليها باستعمال وظائفه و ليس المراد بهذا العلم العلم بسابق قدرالله ونفوذ حكمه فيما قدره وقضاه من عطاء ومنع وضر ونفع لان هذا أول الايمان وحقه الذى اشترك فيه المؤمنون كلهم (١). بل المراد والله أعلم يقينياً بالمطلوب بالغاً مرتبة عين اليقين حتى كأنه يعاينه كما أخبر حارثة بحضرة النبى «ص» بأنه مؤمن حقاً وادعى حقيقة الايمان فطالبه بامارات تلك الحقيقة التى ادعى بلوغها. فقالوا عزفت نفسى عن الدنيا الى آخر ماذكره، وما كان هذا الحديث الا كما روى أن أفضل ايمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان، فلو كان المراد الاعتقاد بأن الله معهم أينما كانوا علماً واحاطة لم يكن للتفضيل معنى وفائدة لاشتراك الكل فيه فلابد من أن يراد بلوغ صاحب هذا الايمان

(١) قوله «اشترك فيه المؤمنون كلهم» قد سبق منا مراراً خصوصاً فى مقدمة الكتاب أن اليقين بالمعنى الذى ذكره الشارح أولا وهو التصديق الثابت الجازم المطابق للواقع معنى واحد لايقبل الشدة والضعف بنفسه وهو مناط الايمان والاسلام اذ لم يحكم أحد من علماء المسلمين من صدر الاسلام الى زماننا هذا باسلام من يظن صدق رسول الله تعالى، وانما يحكم بمايدل على يقينه وعلمه المانع من احتمال النقيض فلابد أن يلتزم بتأويل مايوهم خلاف ذلك والاظهر أن يحمل الدرجات والمراتب على درجات تغليب العقل على الوهم. اذ قد يتفق أن يعلم الانسان شيئاً علماً يقيناً ولكن يعارضه وهمه كمن يعلم بعقله أن الميت جماد لايخاف ولكن يخاف منه بوهمه ومن يعلم أن البطالة توجب الحرمان والفقر ولايبالى به لمعارضة وهمه والمؤمن يجب أن لا يعتنى بوهمه بكل حال ويغلب عليه، ويلتزم بلوازم يقينه ومثال علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين يشير الى هذا التأويل فان الذى يعلم بوجود النار، والذى يراها بعينه كلاهما عالمان. لايحتمل عندهما عدم وجود النار لكن العين بابصارها تغلب على الوهم غلبة لاتحصل من العلم. والذى ماس النار و أدرك ألم الحرق يجتنب عنها أكثر ممن لم يدركه وهذا حاصل بالتجربة فى أفراد الناس، وفى أمثالنا مامعناه لسيع الحية يخاف من الحبل وذكرنا هناك تأويلا آخر ينطبق على كثير من الروايات. (ش)

الناس فقال: بعضهم ،لاتقعد تحت هذا الحائط ؛ فانّه مُعور فقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: حرس امرء أجله فلمّا قام سقط الحائط قال: وكان أمير المؤمنين عليه السلام ممّا يفعل هذا و أشباهه و هذا اليقين.

غاية يفضل بها على غيره فكذا المراد هنا أن أحداً لا يجد طعم الايمان وحقيقته حتى ينتهى الى غاية يعلم بها يقيناً كالعيان ان ما أصابه من خير وشر ونفع وضر لم يكن ليخطئه أى يجاوزه الى غيره، وما أخطأه أى جاوزه الى غيره لم يكن قط ليصيبه ولا يعرف بلوغ العبد الى حقيقة هذا الايمان والعلم الا بظهور أماراته له ولغيره كما أبان حارثة أمارات ما ادعى من حقيقة ايمانه فيسلم له ويقف هو عند علمه ومن أمارات من بلغ حقيقة هذا اليقين والايمان أنه يسكن عن طلب الدنيا وثمراتها، وعن التشرف الى منافعها وزهراتها، وتعذيب القلب والخاطر بانتظارها وتمنيها ثقة بأن ما قسم له منها لا يجاوزه وما جاوزه الى غيره لا يصيبه فيطمئن قلبه و يرضى بسابق قسمته له فلا يحرص فى طلب المنافع ولا يتوجه قلبه اليها كأنه يخاف فيها منع مانع، ولا يتحرك فى أسبابها الا أن يتوجه اليه أمر المولى كقوله «فامشوا فى مناكبها و كلوا من رزقه» فالظاهر منه متحرك والباطن ساكن مطمئن موقن بأنه لابد من كون جميع ما قدر الله كونه وامضاءه . ومن لم يبلغ هذه المرتبة فعليه الصبر على ما يكره فان فيه خيراً كثيراً لعله يوصله الى غاية مقام اليقين والرضا. قال بعض الاكابر : لله عباد لا يرضون له منهم بالصبر على ما قدرو قضى بل يتلقون أمر أحكامه باليقين والمحبة والرضا .

قوله (فانه معور) بضم الميم وسكون العين وكسر الواو أى ذو عوار بفتح العين وضمها يعنى فيه عيب وخلل يخاف منه القطع والهدم.

(حرس أمرء أجله) امرء مرفوع على الفاعلية وأجله منصوب على المفعولية و العكس محتمل والمقصود الانكار لان أجل المرء ليس بيده حتى يحرسه .

(وهذا اليقين) بالقدر فانه يسكن النفس فى مثل هذه المواضع لعلمه يقيناً بأن كل ما قدر وقوعه فهو واقع فلا ينفع الفرار منه وكل ما قدر عدم وقوعه فهو غير واقع فلا يضر عدم الفرار. لا يقال لعل تقدير عدم وقوع الحائط عليه مثلا مشروط بالفرار فيجب الفرار طلباً للقدر وتحرزاً عن الهلاك لانا نقول الفرار وعدمه أيضاً داخلان فى التقدير، ومن جملة المقدر فان كان المقدر هو الفرار. وقع قطعاً وان كان عدمه لم يقع. فان قلت لا معنى حينئذ للتكليف بالفرار. قلت التكليف به تكليف بالمقدر والتكليف بالمقدر أيضاً مقدر فهو واقع على أنه يمكن أن يقال مناط التكليف به امكانه فى ذاته، أو التكليف به مختص بغير الموقن لان الموقن يتوكل على الله، و يفوض أمره اليه فيقيه عن كل مكروه كما قال عز وجل «أليس الله بكاف عبده» وكما قال مؤمن آل فرعون «و أفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه

٦ عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر عن صفوان الجمّال قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «وأمّا الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة و كان تحته كنز لهما» فقال: أما إنّه ماكان ذهباً ولا فضّة و إنّما كان أربع كلمات: لا إله إلّا أنا، من أيقن بالموت لم يضحك سنّه، من أيقن بالحساب لم يفرح قلبه، و من أيقن بالقدر لم يخش إلّا الله.

الله سيئات مامكروا» وسر ذلك أن المؤمن الموقن المتوكل المفوض امره الى الله اذا بلغ ايمانه و ايقانه وتوكله و تفويضه حد الكمال لاينظر الى الاسباب والوسائط فى النفع والضر ولايتعلق قلبه بها أصلا و انما كان نظره الى مسبب الاسباب و تعلق قلبه به وحده، و أما من لم يبلغ حد الكمال ولم يغلب عليه مشاهدة اليقين كآحاد المؤمنين فانه يخاطب بالفرار قضاء لحق الوسائط. هذا الذى ذكرنا من باب الاحتمال والله أعلم بحقيقة الحال.

قوله (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين) قال القرطبى كان اسمهما اصرم واصيرم، وقال عياض كان أبوهما الصالح جدهما السابع وكان اسمه كاشحاً. ففيه أنه تعالى يحفظ الصالح فى نفسه وولده و ان بعدوا كما يشعر به قوله تعالى «ان وليي الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين» وروى أنه تعالى يحفظه فى سبعة من ذريته.

(و انما كان أربع كلمات) حث بالاولى على التوحيد المطلق والتنزيه عن جميع مالا يليق به تعالى، و بالثانى على تذكر الموت والاستعداد لما بعده والتحزن لاحوال البرزخ، و بالثالثة على تذكر أحوال القيامة وأهوالها سيما الحساب الذى لايعلم مآل أحواله وهو يوجب زوال الفرح والسرور عن القلب، وبالرابعة على اليقين بالقدر و الخوف من الله وحده و اقتصر بذكر هذه الخصال لان الاتصاف بها يوجب البلوغ الى غاية الكمال.

(لااله الاالله أنا من أيقن بالموت لم يضحك سنه) السن معروف و يحتمل أن يراد به العمر أى لم يضحك فى مدة عمره لان الضحك ينشأ من الفرح و السرور و الموقن بالموت و شدائده وما بعده من القبر وسؤال منكر ونكير فيه وأهوال البرزخ والقيامة والجنة و النار قلبه محزون مغموم دايماً لعدم علمه بمآل حاله وما يفعل به فى تلك المواطن فينقطع عنه أسباب السرور بالكلية

(و من أيقن بالحساب) عن القليل والكثير. (لم يفرح قلبه) لشدة الحزن والخوف من رجحان سيئاته على حسناته ويوجب ذلك اشتغاله بمحاسبة النفس قبل أن تحاسب.

(ومن أيقن بالقدر) قيل المراد به التقدير كما أن المراد بالقضاء الخلق على وفق التقدير،

٧ـ عنه، عن عليّ بن الحكم ، عن صفوان الجمّال، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : لايجد عبدٌ طعم الا يمان حتّى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه و أنّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه و أنّ الضارّ النافع هوالله عزّوجلّ.

٨ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن الوشاء ، عن عبدالله بن سنان ، عن أبي حمزة ، عن سعيد بن قيس الهمداني قال : نظرت يوماً في الحرب إلى

و قيل المراد به تعلق علم الله سبحانه وارادته بالكائنات قبل وجودها.

(لم يخش الاالله) و من علاماته تخلية الظاهر والباطن عن الرذائل وتحليتهما بالفضائل وعدم الرجوع فى جلب النفع ودفع الضر الاالى الله. قال عياض قيل: الكنز كان لوحاً من ذهب مكتوباً فى جانب منه «بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن أيقن بالقدر ثم نصب عجبت لمن أيقن بالنار ثم ضحك» و فى رواية « لااله الا أنا محمد عبدى ورسولى » و فى الشق الاخر «أنا الله الذى لااله الا أنا وحدى لاشريك لى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير و أجريته على يديه والويل لمن خلقته للشر و أجريته على يديه » و قيل المكتوب « عجبت لمن آمن بالقدر كيف يحزن ولمن آمن بالرزق كيف يتعب ولمن أيقن بالموت كيف يفرح ولمن أيقن بالحساب كيف يغفل ولمن رأى الدنيا و تقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لااله الا الله محمد رسول الله». وقيل كان الكنز مالا مدفوناً انتهى.

قوله (لايجد عبد طعم الايمان) أى لذته و حقيقته (حتى يعلم) يقيناً لايعتريه شك.

(ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه) لتيقنه بأن ما أصابه علم الله أزلا بأنه يصيبه فيستحيل أن لايصيبه، وما اخطأه علم الله بانه لايصيبه فيستحيل أن يصيبه كل ذلك لاستحالة أن يصير علمه جهلا هذا فيما لااختيار للعبد فيه مثل الصحة والسقم والحسن والقبح والطول والقصر الى غير ذلك ظاهر، فأما فى فعله الاختيارى مثل الصلاة وتركها والشرب وتركه. والقتل وعدمه الى غير ذلك فكذلك لعلمه تعالى فى الازل بكل مايقع فلابد من أن يقع لما ذكر ولكن علمه ليس علة لوقوعه بل تابع له، وقد مر توضيحه فى كتاب التوحيد.

(و أن الضار النافع هوالله عزوجل) الضر والنفع منه تعالى بلاواسطة ، والضر يعود الى النفع العظيم كحمى يوم مثلا فانها توجب ثواباً جزيلا ، و أما الضر و النفع المستندان الى الغير ظاهراً فهما مستندان الى الله تعالى عز شأنه باطناً لانه أقدره عليهما، فاذن ليس الضار النافع الا هو ، فاذن لابد لكل أحد أن لايطلب الخير الامنه ، ولا يلوذ فى دفع الضر الااليه.

رجل عليه ثوبان فحركت فرسي فإذا هو أمير المؤمنين عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين في مثل هذا الموضع؟ فقال: نعم يا سعيد بن قيس إنه ليس من عبد إلا وله من الله حافظ و واقية معه، ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل أو يقع في بئر، فإذا نزل القضاء خليا بينه وبين كل شيء.

٩- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن علي بن أسباط قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: كان في الكنز الذي قال الله عز وجل: «وكان تحته كنز لهما» كان فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يركن إليها و ينبغي لمن عقل عن الله أن لا يتهم الله في قضائه ولا يستبطئه في رزقه، فقلت: جعلت فداك أريد أن أكتبه قال: فضرب والله يده إلى الدواة ليضعها بين يدي، فتناولت يده، فقبلتها و أخذت الدواة فكتبته.

١٠- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن عبد الرحمن العرزمي، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان قنبر غلام علي يحب علياً عليه السلام حباً شديداً فإذا خرج علي صلوات الله عليه خرج على أثره بالسيف، فرآه ذات ليلة فقال: يا قنبر! مالك؟ فقال: جئت لأمشي خلفك يا أمير المؤمنين قال: ويحك أمن أهل السماء تحرسني أو من أهل الأرض؟! فقال: لا، بل من أهل الأرض،

قوله (ملكان يحفظانه) بدل من حافظ وواقية، والقضاء الامر أو الحكم بوقوع الشيء على النحو المقدر والحاصل أن مع وجود الحافظ لا يضر شيء ومع عدمه لا ينفع شيء فليس في تحمل آلات الحرب مثل الدرع و غيره فائدة وهذا أمر يقتضيه اليقين بالله و بقدره. فان المستغرق في بحر اليقين لا يرى غيره ولا يخاف أحداً سواه فضلا عن أن يتحرز منه ويحترز من شره، و أما غيره فلما لم يكن له هذه المرتبة كان عليه التمسك بالاسباب والجريان على ظاهر الشريعة.

قوله (كان فيه بسم الله الرحمن الرحيم) كان فيه تأكيد لما سبق والقضاء مشترك بين الحكم والامر ويحمل على أحدهما بالقرينة، و هو هنا يحتمل كلا المعنيين، ولا ينافي هذا الخبر مامر ولا ماذكرنا من طرق العامة و أقوالهم، لجواز أن يكون كل ذلك مكتوباً فيه.

فقال: إنّ أهل الأرض لايستطيعون لي شيئاً إلاّ باذن الله من السماء فارجع، فرجع.

١١- عليٌّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس عمّن ذكره قال: قيل للرّضا عليه السلام: إنّك تتكلّم بهذا الكلام والسيف يقطر دماً، فقال: إنّ لله وادياً من ذهب، حماه بأضعف خلقه: النمل: فلو رامه البخاتي لم تصل إليه.

(باب الرضا بالقضاء)

١- عليٌّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن صالح، عن بعض أشياخ بني النجاشي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: رأس طاعة الله الصبر والرّضا

قوله (ان أهل الارض لايستطيعون لى شيئاً الا باذن الله) فيه و فيما بعده اشارة الى أن الايمان بالقدر والايقان به كما روى عنه «و لكل امرء عاقبة سوف يأتيك ما قدر لك» ومن كلامه «ع» لما خوف من الغيلة «وان على من الله جنة حصينة فاذا جاء يومى انفرجت عنى و أسلمنى» أراد بيومى حضور الموت، و بالانفراج زوال أسباب الحياة المستلزم لعدمها و باسلام الجنة اسلامها له الى المنية تشبيهاً للجنة بمن يحفظه ثم يسلمه الى القاتل، و من كلامه المنظوم:

فى أى يومى من الموت افر ... ايوم لم يقدر أم يوم قدر

فيوم لم يقدر فلا أرهبه ... ويوم قد قدر لايغنى الحذر

و فى ذلك ملاحظ لقوله تعالى «وماكان لنفس أن تموت الى باذن الله كتابا مؤجلا فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون» وقد أشرنا سابقاً الى أن الموقن بالله وقدره لما كان توسله بالله تاماً بالغا حد الغاية كان الله يكفيه، و يحصل له أسباب النفع ويدفع عنه أسباب الضر ومن يتوكل على الله فهو حسبه. وأما غيره فلما لم يكن له مثل هذا التوسل والتوكل فربما كان تمسكه بأسباب النفع سبباً وشرطاً لحصوله له، وفراره عن أسباب الضر باعثاً لدفعه عنه.

قوله (قال رأس طاعة الله الصبر والرضا عن الله فيما احب العبد أو كره) الرأس العضو المعروف والاصل و منه رأس المال والاشرف قدراً، و منه رئيس القوم. وكل واحد منهما محتمل والاول من باب المكنية والتخييلية، والصبر نوع من العفة الحاصلة من الاعتدال فى القوة الشهوية، و هو قوة للانسان يقتدر بها على حبس نفسه على الامور الشاقة مثل البليات والمصيبات، و فعل الطاعات و ترك المنهيات، والرضا عن الله بقضائه فيما أحبه العبد مثل الصحة فى الجسم، والسعة فى الرزق، و نحوهما، أو فيما كرهه مثل السقم والضيق وغيرهما

. . . .

عبارة عن الاقبال الى الواردات من الحق و تلقيها بالقبول، والسرور بها لكونها تحفة و هدية منه تعالى له منافع كثيرة. والقضاء الامر والحكم والخلق على وفق التقدير الازلى، و من ثمةقيل: القضاء والقدر متلازمان لاينفك أحدهما عن الاخر اذالقدر بمنزلة الاساس و القضاء بمنزلة البناء ووجه كون الصبر والرضا رأس الطاعة ظاهر اذ بانتفاء الصبـر فى المصيبات والعبادات والمنهيات يتحقق الجزع والشكوى عن الله. و ترك الطاعات وفعل المنهيات و كل ذلك يوجب انتفاء الطاعة، و بانتفاء الرضا يتحقق السخط و هو أيضاً يوجب انتفاء الطاعة لان بناء الطاعة على المحبة، و بناء السخط على البغض، وهما لايجتمعان. و اعلم أن رضا العبد و سروره فيما أحب سهل. لانه موافق لطبعه. و أما رضاه فيما كرهه فصعب لانـه مخالف لطبعه و ميله الى شىء والى ضده مشكل، و من ثمة ذهب جماعة من الناس الى أن الرضا بما يستكرهه الطبع و يخالف هوى النفس كالبلايا والمصائب غير ممكن، وغاية مايمكن هى الصبر عنه ، والجواب عنه أن الرضا ثمرة المحبة الكاملة و محبة العبد للرب اذا بلغت حـد الكمال يمكن أن يرجح ارادته على ارادة نفسه. بل يمكن أن لايرى لنفسه مراداً غير مراده تعالى لاستغراقه فى بحر المحبة، أولان فعل المحبوب مثله محبوب. أو لانه لايجد فى نفسه الالم لاشتغال قلبه به. و غفلته عن نفسه فضلا عن الامور الموافقة لها، كما أن المجـاهد لتوغله فى الجهاد قد لايجد ألم الجراحة و بالجملة هو أمر ممكن الا انه صعب نادر ثم الرضاء بالشىء لاينافى الدعا لرفعه خلافاً لطائفة من المتصوفة المبتدعة حيث قالوا: ان شرط الرضاء ترك الدعاء لرفع البلاء و طلب النعماء. لان طلب رفع امر وارد منه تعالى و حصول غيره ينافى الرضا بماحكم به، وهم فى طرف الافراط، والطائفة الاولى فى طرف التفريط. والجواب عنه أولا بالنقض وهو أن دعاء الانبياء والاوصياء وحثهم عليه أمر مشهور، و فى الكتب السماوية و غيرهـا مذكور ولاينكره أحد من أهل الاسلام، وثانياً بالمنع لانا لانسلم أن الطلب المذكور ينافى الرضاء وانما المنافى له استكراه النفس بالواردات من عندالله تعالى والطلب لايستلزم الاستكراه، و ثالثاً بالحل وهو أن الدعاء عبادة أمرالله تعالى بها غير مرة لتضمنها انكسـار القلب وعجزه وتضرعه وتواضعه وخشوعه ومخالفة امرالله تعالى تنافى الرضا وههنا بحث مشهور وهو أن المعصية والكفر بلية، والرضا بهما معصية وكفر فكيف يعد من الفضائل وكيف يطلبه الشارع، واجيب عنه بأنه مستثنى لورود النهى عنه كما نقله الغزالى، وأجاب هو بأن المعصية من قضاءالله تعالى ولكن لها وجهان: أحدهما كونهما من فعل العبد باختياره وسبباً لمقته ، وثانيهما كونها بقضاءالله و تقديره عدم خلو العالم منها ولابد من الرضا بها على هذا الوجه

عن الله فيما أحبّ العبد أو كره ولا يرضى عبد عن الله فيما أحبّ أو كره إلّا كان خيراً له فيما أحبّ أو كره.

٢- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن أبيه، عن حماد بن عيسى عن عبدالله بن مسكان، عن ليث المرادي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ أعلم النّاس بالله أرضاهم بقضاء الله عزّ وجلّ.

٣- عنه، عن يحيى بن إبراهيم بن أبي البلاد، عن عاصم بن حميد، عن أبي حمزة الثمالي، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: الصبر والرّضا عن الله رأس طاعة الله ومن صبر ورضي عن الله فيما قضى عليه فيما أحبّ أو كره لم يقض الله عزّ وجلّ له فيما أحبّ

دون الاول الذى هو صدورها من العبد، واجيب عنه أيضاً بأن الرضاء بالقضاء لايستلزم الرضاء بالمقضى. والمقضى ان كان فعله تعالى أو فعل العبد وهو خير، فالرضاء به مطلوب من دليل خارج وقد مر لهذا زيادة توضيح فى كتاب العقل فى حديث جنوده.

(ولا يرضى عبد عن الله فيما أحب أو كره الا كان خيراً له فيما أحب أو كره) اسم كان راجع الى ما قضاه الله بقرينة المقام أى كاف ما قضاه الله خيراً للعبد فيما أحبه وما كرهه لاشتماله على مصالح جليلة جلية أو خفية كما قال سبحانه «عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم» أو الى رضاء العبد وهو خير له لانه يوجب أجراً عظيماً وذلك كما أن الدواء مر فى مذاق المريض مكروه له الا أنه خير له فى الواقع، فكما أن الحكيم منا يداوى المريض بما هو خير له، وان كان مكروهاً لطبعه كذلك الحكيم المطلق يفعل بعباده ما هو خير لهم.

قوله (ان أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله عزوجل) دل على أن الرضاء بالقضاء تابع للعلم والمعرفة، وأنه قابل للشدة والضعف مثلهما، والوجه فيه أن بناء الرضاء على العلم بأنه عدل حكيم يفعل الاشياء على ما يقتضيه الحكمة والمصلحة، فكلما كان العلم بالله أزيد وأتم كان الرضاء بقضائه أكثر وأعظم. وأيضاً الرضاء به ثمرة المحبة والمحبة تابعة للعلم به فكلما زاد العلم زادت المحبة وكلما زادت المحبة زاد الرضاء به ألا ترى أن المحبة اذا بلغت حد الكمال وجد المحب كل ما صدر من الحبيب لذيذاً موافقاً لطبعه وان كان كريهاً بالنسبة الى الغير سيما اذا علم أن الحبيب يجعل ذلك وسيلة الى البر والاحسان.

قوله (ومن صبر ورضى عن الله فيما قضى عليه) دل بحسب المفهوم على أن من لم يصبر ولم يرض قد يقضى الله عليه ما هو شر له فلابد من القول بأن المفهوم غير معتبر، أو القول بأن ما قضاه شر له لفقده أجر الصبر والرضاء، أو في نظره بخلاف الصابر والراضي فانه خير،

أو كره إلاّ ماهو خيرٌ له.

٤- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن داود الرقي عن أبي عبيدة الحذّاء، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله قال الله عزّ وجلّ: إنّ من عبادي المؤمنين عباداً لايصلح لهم أمر دينهم إلاّ بالغنى و السعة والصحة في البدن فأبلوهم بالغنى والسعة وصحّة البدن، فيصلح عليهم أمر دينهم و إنّ من عبادي المؤمنين لعباداً لايصلح لهم أمر دينهم إلاّ بالفاقة والمسكنة والسقم في أبدانهم فأبلوهم بالفاقة والمسكنة والسقم، فيصلح عليهم أمر دينهم وأنا أعلم بمايصلح عليه أمر دين عبادي المؤمنين وإنّ من عبادي المؤمنين لمن يجتهد في عبادتي فيقوم من رقاده ولذيذ وساده فيتهجّد لي اللّيالي فيتعب نفسه في عبادتي فأضربه بالنعاس اللّيلة واللّيلتين نظراً منّي له و إبقاء عليه، فينام حتّى يصبح فيقوم وهو ماقتٌ لنفسه زارىء عليها ولو اُخلّي بينه و بين مايريد من عبادتي لدخله العجب من ذلك فيصيره العجب إلى

فى نظرهما، وفى الواقع.

قوله (قال الله عزوجل ان من عبادى المؤمنين عباداً لايصلح أمردينهم الا بالغنى و السعة والصحة فى البدن فابلوهم بالغنى والسعة وصحة البدن فيصلح عليهم أمردينهم) الدنيا كلها وكل مافيها من خير وشر ونفع وضر وصحة وسقم وغنى وفقر الى غيرذلك محض الاختبار والامتحان. فيختبر الغنى بالغنى ليرى أنه يشكره أم يكفره، و لعلمه بأنه أصلح لدينه، ويختبر الفقير بالفقر ليختبره بأنه يصبر أم يشكو و لعلمه بأنه أصلح لدينه، ووجوه الابتلاء والاختبار متكثرة وطرق الامتحان متعددة، والله تعالى عالم يبلو كل أحدبما هو أصلح له فلو اختبر الغنى بالفقر أوالعكس لفسددينهما وقس عليها.

(وهو ماقت لنفسه زارىء عليها) أى مبغض لهامعيب ومعاتب عليها لتقصيرها فى العبادة، وتركها بالنوم وهذا مع كونه دافعاً للعجب من أعظم العبادات.

(ولواخلى بينه وبين مايريد من عبادتى لدخله العجب) وهو ابتهاج الانسان و سروره بتصور الكمال فى نفسه واستعظامه اياه لامن حيث أنه من عطاياه تعالى ونعمائه عليه مع طلب زيادته، والخوف من نقصه أوزواله ، بل من حيث أنه وصف له موجب لعلو قدره ورفع درجته وسمو مرتبته وخروجه عن حد النقص والتقصير مع الغفلة عن قياس نفسه الى الغير بكونه أكمل وأفضل منه، و بهذا القيد ينفصل عن الكبر اذلابد فيه أن يرى لنفسه مرتبة، و للغير مرتبة. ثم

الفتنة بأعماله فيأتيه من ذلك مافيه هلاكه لعجبه بأعماله و رضاه عن نفسه حتى يظنّ أنّه قدفاق العابدين و جاز في عبادته حدّ التقصير فيتباعد منّي عند ذلك و هو يظنّ أنّه يتقرّب إليّ ، فلايتّكل العاملون على أعمالهم التي يعملونها لثوابي فإنّهم لواجتهدوا و أتعبوا أنفسهم و أفنوا أعمارهم في عبادتي كانوامقصّرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جنّاتي ورفيع درجات العلى في جواري ولكن فبرحمتي فليثقوا و بفضلي فليفرحوا و إلى حسن الظنّ بي فليطمأنّوا ، فإنّ رحمتي عند ذلك تداركهم، و منّي يبلّغهم رضواني و مغفرتي ، تلبّسهم عفوي فإنّي أنا الله الرّحمن الرّحيم وبذلك تسمّيت.

٥- عدّة من أصحابنا؛ عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر ، عن صفوان الجمّال، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: ينبغي لمن عقل عن الله أن لا

يرى مرتبته فوق مرتبة غيره، والعجب من أعظم الذنوب المهلكة حتى روى عن النبى «ص» أنه قال «لولم تذنبوا لخشيت عليكم ماهو أكبر من ذلك العجب العجب» وفيه دلالة على أنه تعالى قد يبلو العبد بالذنب ليدفع عنه العجب.

(فلايتكل العاملون على أعمالهم التى يعملونها لثوابى) وان كانت حسنة تامة الاركان والافعال لانهم، وان بالغوا واجتهدوا كانوا مقصرين غير بالغين كنه العبادة وحقيقتها ولانه لاقدر لعبادتهم فى جنب ثوابها وهو الجنة ونعيمها ودرجاتها و قرب الحق ولان مفسدات العبادة كثيرة لايتحقق العلم بخلوصها منها الا عند المعاينة و حضور الموت ، و فيه دلالة على أنه يجوز العمل لقصد الثواب .

(والى حسن الظن بى فليطمئنوا) كان يظن منه الغفران حين يستغفر وقبول العمل حين يعمل، والتوبة اذا تاب، والاجابة اذا دعا، والكفاية اذا استكفاه و نحو ذلك. و بالجملة ينبغى أن يعمل ولايتكل بحسن عمله و كثرته بل يحسن ظنه بالله فى قبول عمله ورفع درجته واحسانه، و أما من يحسن ظنه بالله بدون العمل فهو احمق و نظيره من لم يزرع فى وقته ويتوقع الحصاد كما يتوقعه الزارعون.

قوله (ينبغى لمن عقل عن الله أن لايستبطئه فى رزقه) المجرور فى رزقه يعود الى الله أو الى «من» أى من عرفه ينبغى أن لاينسب اليه البطؤ والبخل فى ايصال الرزق كاليهود قالوا

يستبطئه في رزقه ولا يتّهمه في قضائه.

٦ـ أبوعليّ الأشعري، عن محمّد بن عبدالجبّار، عن محمّد بن إسماعيل، عن عليّ بن النعمان، عن عمرو بن نهيك بيّاع الهروي قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: قال الله عزّ وجلّ عبدي المؤمن لا أصرفه في شيء إلاّ جعلته خيراً له، فليرض بقضائي و ليصبر على بلائي وليشكر نعمائي أكتبه يا محمّد من الصدّيقين عندي.

٧ـ محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن مالك بن عطيّة، عن داود بن فرقد، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّ فيما أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى بن عمران عليه السلام: يا موسى بن عمران ما خلقت خلقاً أحبّ إليّ من عبدي المؤمن فإنّي إنّما ابتليته لما هو خير له و أعافيه لما هو خير له، وأزوي عنه ما هو شرٌّ له لما هو خير له، و أنا أعلم بما يصلح عليه عبدي، فليصبر على بلائي وليشكر نعمائي و ليرض بقضائي، أكتبه في الصدّيقين عندي، إذا عمل برضائي و أطاع أمري.

يدالله مغلولة. (ولا يتهمه فى قضائه) بالظلم والجور أو بنفيه، أولايشك فيه بل يستيقن من اتهمته فى قوله بمعنى شككت فى صدقه.

قوله (عن عمرو بن نهيك بياع الهروى) قال فى المغرب ثوب هروى بالتحريك ومروى بالسكون منسوب الى هرات ومرو، وهما قريتان معروفتان بخراسان، وعن خواهرزاده هما على شط الفرات ولم يسمع ذلك لغيره و فى الاشكال سوى هراة خراسان هراة اخرى هى بنواحى اصطخر من بلاد فارس.

(أكتبه يا محمد فى الصديقين عندى) الصدق راست گفتن وراست شدن وراست داشتن والمراد هنا تقويم العبد ظاهره و باطنه وتقويم الباطن يتحقق بتخليته عن الرذائل وتحليته بالفضائل وتقويم الظاهر يتحقق بفعل الطاعات وترك المنهيات واليه يشير قوله تعالى «انما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله ثم لم يرتابوا ـ الى قوله ـ اولئك هم الصادقون» ولاريب فى أن الصدق بهذا المعنى قابل للزيادة والنقصان، و من بلغ حد الكمال فهو صديق ومفهومه فى الصدق أيضاً على أفراده متفاوت، والصديق الاكمل هو الذى قطع منازل الناسوتية و رفع عوائق البشرية حتى شاهد جمال الاسرار و جلال الحق ، و استغرق فى توحيده بحيث لايطلب الا اياه و يغفل عن مشاهدة ماسواه.

(اذا عمل برضائى وأطاع أمرى) لعل المراد ان كتب من اتصف بالخصال المذكورة

٨- أبوعليّ الأشعري، عن محمّد بن عبدالجبّار، عن صفوان بن يحيى، عن فضيل ابن عثمان، عن ابن أبي يعفور، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: عجبت للمرء المسلم لا يقضي الله عزّ وجلّ له قضاء إلّا كان خيراً له و إن قُرض بالمقاريض كان خيراً له و إن ملك مشارق الأرض و مغاربها كان خيراً له.

٩- محمّدُ بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن سنان، عن صالح بن عقبة عن عبدالله بن محمّد الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أحقّ خلق الله أن يسلّم لما قضى الله عزّ وجلّ: من عرف الله عزّ وجلّ. و من رضي بالقضاء أتى عليه القضاء و عظّم الله أجره، و من سخط القضاء مضى عليه القضاء و أحبط الله أجره.

١٠ عليُّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمّد، عن المنقري، عن عليّ ابن هاشم بن البريد، عن أبيه قال: قال [لي] عليُّ بن الحسين صلوات الله عليهما:

وهى الصبر على البلاء و الشكر على النعماء و الرضاء بالقضاء فى زمرة الصديقين مشروط بالعمل بما فيه رضا الله تعالى و اطاعة أمره بالشرائع والاحكام ولا يتحقق ذلك الا بأخذها من أهل العلم.

قوله (عجبت للمرء المسلم لايقضى الله عزوجل له قضاء الاكان خيراً له) أى عظمت له ذلك وأعده أمراً عظيماً لكونه تفضلا مشتملا على نفع عظيم و خير جزيل، والاصل أن الانسان لايتعجب من الشيء الا اذا عظم موقعه عنده وخفى عليه سببه فأخبره «ع» بذلك ليعلم موقع القضاء و يرضى به لعلو منزلته، و انما حملنا تعجبه «ع» على المجاز لانه لايخفى عليه أسباب القضاء والتعجب ماخفى سببه ولم يعلم وجهه، والمقاريض جمع المقراض بالكسر وهو آلة القرض، تقول: قرضت الشيء قرضاً من باب ضرب أى قطعته.

قوله (أحق خلق الله أن يسلم لما قضى الله عزوجل من عرف الله عزوجل) أى من عرف الله حق معرفته وعرف حكمته وعدله و لطفه واحسانه فهو أحق أن يسلم ما قضاه الله عليه من غيره لان التسليم له، تابع للمعرفة فكلما كانت المعرفة أكمل وأكثر كان التسليم أولى واجدر.

(و من رضى بالقضاء أتى عليه القضاء وعظم الله أجره) تعظيم الاجر لجريان القضاء عليه والرضا به، فله أجران كاملان، و أما الاحباط فيحتمل أن يكون المراد به احباط أجر الرضا، أو احباط أجر جريان القضاء أيضاً ويؤيد الاول ماروى عن أبى عبدالله «ع» قال «ثواب المؤمن من ولده اذا مات الجنة صبر أولم يصبر».

الزّهد عشرة أجزاء، أعلا درجة الزّهد أدنى درجة الورع، و أعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين، و أعلى درجة اليقين أدنى درجة الرّضا.

١١ـ عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن محمّد بن عليّ، عن عليّ بن أسباط، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لقى الحسن بن عليّ عليهما السلام

قوله (الزهد عشرة أجزاء أعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين و أعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضاء) دل على أن الرضاء فوق اليقين، واليقين فوق الورع، والورع فوق الزهد، وجه الترتيب أن الدنيا رأس كل خطيئة فلابد للسالك من الزهد فيها أولا، ثم بعد الزهد يسهل له ترك المعصية لان المعصية كلها عايدة الى الدنيا فيحصل له مرتبة الورع. فاذا حصلت له هذه المرتبة قرب من الحق فيحصل له مرتبة عين اليقين أو حق اليقين، واليقين يوجب المحبة فيحصل له الرضاء لان الرضاء لازم للمحبة وتابع له وعلى أن لكل واحد منها عشرة أجزاء كل جزء يصدق عليه اسم الكل، فكل جزء من الزهد مثلا زهد فله أفراد متفاوتة والظاهر أن كل جزء فوقانى مشتمل على جزء تحتانى مع زيادة فعلى هذا الجزء العاشر من الزهد مثلا عبارة عن الزهد على وجه الكمال، و انما قلنا الظاهر ذلك لاحتمال أن يكون العاشر جزء من الزهد الكامل كالسوابق، وان شئت زيادة توضيح المقال فنقول على سبيل الاجمال أن كل خصلة من خصال الخير ليست لها مرتبة شخصية لاتقبل الزيادة والنقصان. بل لها عرض عريض يمكن أن يفرض فيها درجات بعضها فوق بعض، والعلم بتلك الدرجات تفصيلا وتعييناً ليس فى وسعنا، و انما هو عند أهله ففرضها عشرة وبين تفاوت مراتبها على سبيل الاجمال وتفاوت مراتب بعض الخصال على سبيل التفصيل وأشار بذلك الى أن الرضاء فوق الجميع، و من ثم كان مقام الرضاء فوق جميع مقامات السالكين لان الرضاء ثمرة المحبة الكاملة اذ المحبة فى الجملة تكون فى كل مؤمن مع انتفاء فضيلة الرضاء عن أكثرهم والمحبة الكاملة ثمرة اليقين بالله وبكمال ذاته وصفاته وصدق مقاله وحسن فعاله بحيث يرى كل سبب من أسباب المحبة مختصاً به، واليقين ثمرة الورع، و هو الاعراض عن كل ما يوجب الاثم، والورع ثمرة الزهد وهو الاعراض عن الدنيا وزهراتها المانعة من السير الى الحق، و بالجملة السالك اذا أخذ ما يعنيه وترك مالايعنيه وصل الى مقام المشاهدة واذا وصل الى هذا المقام يستولى على قلبه المحبة التامة، واذا حصلت له المحبة حصلت له فضيلة الرضاء فيرضى بكل ماصدر منه كماهو شأن المحب مع محبوبه.

عبدالله بن جعفر فقال : يا عبدالله ! كيف يكون المؤمن مؤمناً و هو يسخط قسمه و يحقّر منزلته والحاكم عليه الله، وأنا الضامن لمن لم يهجس في قلبه إلاّ الرّضا أن يدعو الله فيستجاب له.

١٢- عنه، عن أبيه، عن ابن سنان، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له بأيّ شيء يُعلم المؤمن بأنّه مؤمن ؟ قال : بالتسليم لله والرّضا فيما ورد عليه من سرور أو سخط.

١٣- عنهُ ، عن أبيه ، عن ابن سنان ، عن الحسين بن المختار ، عن عبدالله

قوله (كيف يكون المؤمن مؤمناً) «كيف» للانكار والمقصود نفي الكمال ان لم يقصد تحقير الحاكم . (و هو يسخط قسمه) الواو للحال و القسم - بالكسر - الحصة والنصيب المقدر له لصلاح حاله .

(و يحقر منزلته) عندالله تعالى لانه تعالى جعل ذلك قسماً له لرفع منزلته فتحقير القسم السبب لها تحقير لها.

(والحاكم عليه الله) عطف على منزلته، و«الله» بدل عن الحاكم . أي و يحقر الحاكم عليه وهو الله لان تحقير حكم الحاكم تحقير له، و يحتمل أن يكون الواو للحال والحاكم حينئذ مبتدأ والله خبره، والمقصود أن تحقير القسم والمنزلة مستلزمة لتحقير الله لانه الحاكم عليه ، أو أنه لاجور فى تقسيمه فكيف يحقر ماقدره له من القسم.

(و أنا الضامن لمن لم يهجس فى قلبه الا الرضاء) هجس الامر فى القلب أى وقع و خطر (أن يدعوالله فيستجاب له) الرضاء بالقسم شكر للنعمة والمنعم و هو يوجب الزيادة فكيف اذا طلبها من الله فانه لايرده.

قوله (بأى شيء يعلم المؤمن بأنه مؤمن) لعل المراد بالمؤمن المؤمن الكامل وله علامات أقواها التسليم لله فى حكمه و تلقيه بالقبول ظاهراً و باطناً والرضاء بكل ماورد عليه مما يوجب السرور أو السخط و يوافق الطبع أو يخالفه. قال المحقق الطوسى فى أوصاف الاشراف نقل ان واحد من أهل الرضاء مضى له سبعون سنة ولم يقل ليت كان ذاك و ليت لم يكن هذا وسئل ان أى أثر بلغك من الرضاء قال بلغنى شائبة من الرضاء وريح منه ومع ذلك لو جعلنى الله صراط جهنم و مر على الخلايق كلهم و دخلوا الجنة ثم أدخلنى وحدى فى النار لم يخطر ببالى لم كان حظى هذا و حظ غيرى ذاك.

ابن أبي يعفور عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لشيء قد مضى: لو كان غيره.

(با ب)

التفويض الى الله والتوكل عليه

١- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد ، عن محمّد بن سنان، عن مفضّل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي، عرفت ذلك من نيّته، ثمّ تكيده السماوات والأرض ومَن فيهنّ

قوله (لم يكن رسول الله «ص» يقول لشيء قد مضى لو كان غيره) روى مسلم عن النبي «ص» قال: وان أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لم يصبني كذا فان «لو» تفتح عمل الشيطان»(١) أقول ينبغي للمؤمن أن يطلب من طريق أحله الله ما ينتفع به في أمر دنياه وآخرته الذي يصون به دينه وعياله و مروته و عرضه، ولا يعجز في تحصيل ذلك و يتكل على القدر فينسب الى التفريط شرعاً وعادة و مع الطلب فلابد من الاستعانة بالله واللجأ اليه، وبسلوك هاتين الطريقتين يحصل خير الدارين. ثم ان اصابه شيء بعد ذلك ينبغي له التسليم والرضاء بقضاء الله و ترك أن يقول لو أنني فعلت كذا لم يصبني كذا، فانه يجر الى وسوسة الشيطان، و أن التدبير يسبق القدر، و قال الابي في كتاب أكمال الاكمال وألحق الشاطبي بلو «ليت» وهو كذلك اذا اريد بليت الندم والتأسف على عدم فعل مالو فعله لم يصبه. أي تمنى لو فعل ذلك، و قال عياض النهي عن هذا القول مختص بالماضي لان النهي انما هو عن دعوى رد القدر بعد وقوعه. وأما المستقبل فيجوز فيه ذلك، و منه قوله «ع» « لولا أن أشق على امتي لامرتهم بالسؤال عند كل صلاة» لانه مستقبل لااعتراض فيه على قدر مضى، و انما أخبر فيه أنه كان يفعل ماهو في قدرته لولا المانع، و أما ما مضى و ذهب فليس في القدرة والامكان فعله. و قال الابي: والذي عندي أن النهي على عمومه ولكنه نهي تنزيه ، و قال المازري النهي عن هذا القول في الماضي ينافي ماجاء عنه «ص» «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدى » و أجاب بأن الظاهر أن النهي انما هو عن اطلاق ذلك فيما لافائدة فيه فهو نهي تنزيه، و أما من يقول تاسفاً على فعل طاعة فلابأس به، و عليه يحمل أكثر ماجاء من استعمال ذلك في الاحاديث

قوله (ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي) الاعتصام به دون غيره عبارة عن الانقطاع عن الغير بالكلية والرجوع اليه والركون الى فضله وهو معنى التوكل والتفويض

(١) صحيح مسلم ج ٨ ص ٥٦ بادنى اختلاف في اللفظ

إلاّ جعلت له المخرج من بينهنّ و ما اعتصم عبدٌ من عبادي بأحد من خلقي ، عرفت ذلك من نيّته إلاّ قطعت أسباب السّماوات والأرض من يديه و أسخت الأرض من تحته ولم أبال بأيّ واد هلك.

٢- أبوعليّ الأشعري، عن محمّد بن عبدالجبّار، عن ابن محبوب، عن أبي حفص الأعشى، عن عمر[و] بن خالد، عن أبي حمزة الثمالي ، عن عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما قال : خرجت حتى انتهيت إلى هذا الحائط فاتّكأت عليه فا ذا رجلٌ عليه ثوبان أبيضان ، ينظر في تجاه وجهي ثمّ قال : يا عليّ بن الحسين مالي أراك كئيباً حزيناً؟ أعلى الدُّنيا ؟ فرزق الله حاضر للبرّ والفاجر، قلت : ما على هذا أحزن و إنّه لكما تقول، قال: فعلى الأخرة ؟ فوعد صادق يحكم فيه ملك قاهر ـ أو قال : قادر- قلت: ما على هذا أحزن و إنّه لكما تقول، فقال: ممّ حزنك؟قلت: ممّا نتخوّف من فتنة ابن الزبير و ما فيه الناس قال: فضحك، ثمّ قال: يا عليّ بن

والوكيل كمايدفع الضرر عن موكله يجلب النفع اليه أيضاً واقتصر على الاول لان دفع الضرر أهم من جلب النفع على أن جلب النفع لدفع الضرر أيضاً.

(و اسخت الارض من تحته) السخت بالفتح الصلب الشديد فارسى معرب يستعمله العرب والعجم على معنى واحد، وهو كناية عن تضييق الامر عليه لان صلابة الارض يستلزم الضيق والضنك فى العيش لعدم خروج الزرع والنبات منها.

(ولم ابال بأى وادهلك) اشارة الى سلب اللطف والتوفيق عنه وعدم المبالاة بسيره فى وادى الضلالة اووقوعه فى وادى جهنم وهلاكه فيهما .

قوله (ينظر فى تجاه وجهى) تجاه الشىء بضم التاء وفتحها مايواجهه، وأصله و جاه قلبت الواو تاء جوازاً ويجوز استعمال الاصل فيقال وجاه لكنه قليل وقعدوا تجاهه أى مُستقبلين له (قال فعلى الاخرة فوعد صادق يحكم فيه ملك قاهر أوقال قادر) الترديد من الراوى حيث لم يحفظ أنه سمع هذا اللفظ أوذلك لايقال قوله «فوعد صادق» لايدفع الحزن على الاخرة ولا ينفيه بل يؤكده لانا نقول لعل المراد أن العامل للاخرة لاينبغى أن يحزن عليها لان الله تعالى وعدلهم الاجر الجميل ووعده صادق، وهو فى امضائه قادر قاهر لايمنعه أحد، أو المراد أن وعده بالمغفرة : أووعده أهل العصمة بالدرجات العالية صادق.

(قلت ممانتخوف من فتنة ابن الزبير وما فيه النـاس) حيث خرج و ادعى الخلافة و بايعه أهل مكة و غيرهم فى دولة بنى امية وسلطانهم وخوفه «ع» من ثوران نار الفتنة والحرب

الحسين هل رأيت أحداً دعا الله فلم يجبه ؟ قلت : لا، قال فهل : رأيت أحداً توكّل على الله فلم يكفه ؟ قلت : لا ، قال : فهل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه؟ قلت: لا، ثمّ غاب عنّي. عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب مثله.

٣- عدّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن عليّ بن حسّان، عن عمّه عبد الرَّحمن بن كثير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنَّ الغنى والعزَّ يجولان، فاذا ظفرا بموضع التوكّل أوطنا.

عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن محمّد بن عليّ، عن عليّ بن حسّان مثله.

بينه و بينهم، وقتل السادة العلوية و غيرهم .

(قال فضحك) لعل وجه الضحك تنشيط نفس المخاطب وتفريج همه باظهار أن ذلك سهل ودفع سبب الحزن فى غاية السهولة وذلك بأن يدعو الله و يتضرع اليه فى دفع الفتنة ورفع الغوائل ويسأله حصول الرفاهية والامن ويتوكل عليه فى جلب المنافع و رفع المكاره حتى فى هذا الدعاء والمسئلة (قال فهل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه) هذا تأكيد لما سبق للحث على الدعاء والسؤال ولذلك لم يقل شيئاً بعد ذلك وغاب .

قوله (قال ان الغنى والعز يجولان) أى يقطعان النواحى و يمران فى الاطراف كالطير طلباً للمسكن (فاذا ظفرا بموضع التوكل أوطناً) فالمتوكل فى غنى وعز دائماً أما الاول فلان الله يكفيه ويأتى بمهماته فهو أغنى الاغنياء. وأما الثانى فلاعتزاله عن الذل المطلق و هو الالتجاء الى الخلق وتمسكه بالعزالا وفروهو اللجأ الى الله. ومعنى التوكل على الله هو الرجوع اليه والاعتماد عليه والثقة بكفايته، و يمكن أن يقال توكل العبد فيما ينبغى أن يفعله أو يتركه من أمر الدنيا والاخرة هو الاعتماد على الله والثقة بكفايته، والتمسك بحوله و قوته و ترقب التوفيق والاعانة منه دون الاعتماد على نفسه وحوله وقوته وقدرته وعلمه وما يظنه من الاسباب الضرورية والعادية وغيرها لاترك وظائفه وعمله وأسبابه فى جلب المناقع و دفع المضار، و من ثم اشتهر أن التمسك بالاسباب لاينافى التوكل وفيما يجرى عليه من غيره سواء كان من قبل الله أو من قبل غيره هو تفويض نفسه وأمره الى الله توقعاً من أن يرد عليه ماهو خير له و المعلوم أنه لايرد عليه بعد ذلك الا ماهو خير له فى الدنيا والاخرة فعليه حينئذ القيام بمقام الرضا بالقضاء وهذا أقصى مراتب الكمال، وقال المحقق الطوسى المراد بالتوكل أن يوكل العبد جميع مايصدر عنه ويرد عليه الى الله تعالى لعلمه بأنه أقوى وأقدر ويفعل ماقدر عليه على وجه أحسن وأكمل ثم يرضى بما فعل وهو مع ذلك يسعى ويجتهد فيما وكله اليه ويعد نفسه وعلمه وقدرته

٤ـ محمّد بن يحيى، عن أحمدبن محمّدبن عيسى، عن ابن محبوب، عن عبدالله بن سنان، عن أبى عبدالله عليه‌السلام قال: أيّما عبد أقبل قبل ما يحبّ الله عزّوجلّ أقبل الله قبل ما يحبّ و من اعتصم بالله عصمه‌الله و من أقبل الله قبله و عصمه لم يبال لو سقطت السّماء على الأرض أو كانت نازلة نزلت على أهل‌الأرض فشملتهم بليّة، كان في حزب‌الله بالتقوي من كل بليّة، أليس‌الله عزّوجلّ يقول: «إنّ‌المتقين في مقام أمين.

٥ـ عدّة من أصحابنا، عن أحمدبن محمّدبن خالد، عن غير واحد، عن‌عليّ بن أسباط، عن أحمدبن عمر الحلال، عن عليّ بن سويد، عن أبي‌الحسن الأوّل عليه‌السلام

وارادته من الاسباب والشروط المخصصة لتعلق‌قدرته تعالى وأرادته لماصنعه‌بالنسبة‌اليه، ومن ذلك يظهر سر لاجبر ولاتفويض بل أمر بين‌أمرين. و ان أردت زيادة التوضيح فارجع الى كلامه‌فى‌أوصاف‌الاشراف.

قوله (ايما عبدأقبل قبل مايحب الله عزوجل أقبل‌الله قبل مايحب) يقال‌أقبل قبلك أى قصد قصدك وتوجه اليك، وجعلك قبالة وجهه و تلقاءه، والمراد باقبال العبد نحو ما يحبه‌الله قصده والاتيان به‌طلباً لرضاه، وباقبال‌الله نحومايحبه العبد افاضة مايسر به قلبه و تقربه عينه (و من اعتصم بالله عصمه‌الله) من الضياع والحاجة كمااعتصم به مؤمن‌آل‌فرعون بقوله «و افوض أمرى الى‌الله ان‌الله بصير بالعباد» فلجأ من‌شر فرعون و جنوده اليه سبحانه واعتصم به‌فوقاه‌الله‌سيئات‌مامكروا، واعتصم به‌يونس«ع» فى‌الظلمات بقوله «لااله‌الاأنت‌سبحانك‌انى كنت من الظالمين» فلجأ من‌غضبه‌اليه واعتصم به فأقبل‌الله اليه بالقبول وعصمه‌بقوله«فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين» واعتصم به أيوب وأقبل اليه بقوله «رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين» فاقبل‌الله اليه بالقبول وعصمه ورفع عنه الكرب والضر. وكذلك لجأ اليه كثير من الانبياء والمرسلين والصلحاء والمتقين والفاسقين فأقبل‌الله اليهم بقضاء حوائجهم و ازاحة مكارههم.

(و من أقبل‌الله قبله و عصمه لم يبال لوسقطت السماء) ان‌جعل‌لم‌يبال وحده جواباً للشرط السابق‌كان جواب الشرط اللاحق قوله(كان فى‌حزب الله) وان جعل جواباً للشرط اللاحق وجعل المجموع جواباً للشرط السابق كان‌قوله«كان‌فى حزب‌الله» استينافاً.

(بالتقوى من كل بلية)أى يقيه من‌كل بلية فى‌الدنيا والاخرة

(ان المتقين‌فى‌مقام‌أمين) أى المأمون من‌البلية والافةفيهما.

قال: سألته: عن قول الله عزّوجلّ: «و من يتوكّل على الله فهو حسبه» فقال: التوكّل على الله درجات منها أن تتوكّل على الله في اُمورك كلّها، فما فعل بك كنت عنه راضياً، تعلم أنّه لا يألوك خيراً وفضلاً و تعلم أن الحكم في ذلك له، فتوكّل على الله بتفويض ذلك إليه وثق به فيها وفي غيرها.

٦ـ عدّةٌ من أصحابنا. عن سهل بن زياد، و عليّ بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً عن يحيى بن المبارك، عن عبدالله بن جبلة، عن معاوية بن وهب، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من اُعطي ثلاثاً لم يمنع ثلاثاً: من اعطى الدّعاء اُعطي الاجابة و من اُعطي الشكر اُعطي الزّيادة و من اُعطي التوكّل اُعطي الكفاية ثمّ قال: أتلوت كتاب الله عزّوجلّ: «ومن يتوكّل على الله فهو حسبه» ؟ وقال: «لئن شكرتم لأزيدنّكم»

قوله (فقال التوكل على الله درجات منها أن تتوكل على الله فى امورك كلها) قد عرفت ان شرط التوكل فيها ليس رفع اليد عن أسبابها بل شرطه عدم الاعتماد عليها و الوثوق بها فلو طلب طالب الرزق مثلا رزقه من أسبابه المشروعة كالتاجر من التجارة، والزارع من الزراعة، و ليس اعتمادهما على عملهما بل على الله سبحانه، وعلى أن الرزق عليه ان شاء رزقه منهما وان شاء رزقه من غيرهما حتى لو فسد العمل لم يحزنا لم يكن ذلك منافياً للتوكل، وكذلك لو حمل الخائف من العدو سلاحاً وقفل الخارج من البيت باباً و شرب المريض دواء، ولم يكن اعتمادهم على السلاح والقفل والدواء اذ كثيراً ما يغلب العدو مع السلاح ويسرق السارق بكسر القفل ولا ينفع الدواء بل اعتمادهم عليه عزوجل لم يكن هذا منافياً للتوكل، و بالجملة قلب المتوكل متوجه الى الله و توجهه الى الوسائط والاسباب باعتبار أن العالم عالم الاسباب وأن الله تعالى أبى أن تجرى الامور الا بأسبابها فهو ان ظن سبباً وتعرض له ولم يعتمد عليه بل على خالقه فان ترتب عليه الاثر شكر وان لم يترتب لم يسخط و رضى لعلمه بأنه تعالى عالم بمصالح اموره، و أن ما فعله كان محض الخير فهو متوكل مفوض أمره الى الله (تعلم أنه لا يألوك خيراً) الالو التقصير واذا عدى الى مفعولين يضمن معنى المنع أى لا يمنعك خيراً وفضلا مقصراً فى حقك.

قوله (ومن اعطى التوكل اعطى الكفاية) نقل أن خليل الرحمن حين وضع فى المنجنيق قال حسبى الله ونعم الوكيل، فلما رمى لاقاه جبرئيل «ع» فى الهواء و قال ألك حاجة؟ قال أما اليك فلا. قال ذلك ابقاء لتوكله الذى أظهره أولا فكفاه الله عن النار.

(و من يتوكل على الله فهو حسبه) النشر على غير ترتيب اللف فالاول للاخر

وقال : « اُدعوني أستجب لكم.»؟

٧- الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد ، عن أبي عليٍّ ، عن محمّد بن الحسن ، عن الحسين بن راشد ، عن الحسين بن علوان قال: كنّا في مجلس نطلب فيه العلم وقد نفدت نفقتي في بعض الأسفار فقال لي: بعض أصحابنا من تؤمّل لما قد نزل بك؟ فقلت: فلاناً فقال: إذاً والله لاتسعف حاجتك ولايبلغك أملك ولاتنجح طلبتك، قلت: و ماعلمك رحمك الله ؟ قال: إنّ أباعبدالله عليه السلام حدّثني أنّه قرأ في بعض الكتب أنّ الله تبارك و تعالى يقول: و عزّتي و جلالي و مجدي و ارتفاعي على عرشي لأقطعنّ أمل كلّ مؤمّل [من الناس] غيري باليأس ولأكسونّه ثوب المذلّة عند الناس و لانحّينّه من قربي ولاُبعدنّه من فضلي، أيؤمّل غيري في الشدائد ؟! والشدائد بيدي ويرجو غيري ويقرع بالفكر باب غيري ؟! وبيدي مفاتيح الأبواب و هي مغلقة وبابي

و هكذا الى الاول. والشكر الاعتراف بالاحسان والتحدث به والانقياد للمشكور، وهو بالفعل أظهر منه بالقول.

قوله (و عزتى وجلالى ومجدى وارتفاعى على عرشى) العزة الشدة والقوة و الغلبة والسلطنة والملك والجلال والعظمة. والمجد الشرف والكرم الواسع، والارتفاع كناية عن الاستيلاء على جميع الممكنات والاستعلاء على جميع المخلوقات والاحاطة علماً وقدرة بها لكون العرش محيطاً بجميعها.

(لاقطعن أمل كل مؤمل من الناس غيرى باليأس ولاكسونه ثوب المذلة عند الناس و لانحينه من قربى ولا بعدنه من فضلى) باليأس متعلق بقوله لاقطعن، و فيه وعيد على كل من يؤمل غيره تعالى فى المقاصد بامور أربعة: الاول الياس من حصول مأموله غالباً أو الا باذنه تعالى بقرينة ماسيجيء. الثانى احاطة المذلة به واضافة الثوب اليها من باب اضافة المشبه به الى المشبه، والكسوة ترشيح للتشبيه، والثالث تبعيده أو ابعاده من قرب رحمته، والرابع تبعيده من احسانه و افضاله، وكل ذلك يوجب خسرانه فى الدنيا والاخرة.

(أيؤمل غيرى فى الشدائد؟! والشدائد بيدى) ذكر اليد مجاز فى بيان أن الشدائد تحت قدرته لاقدرة غيره وقد جرت الحكمة على أن يختبر الله تعالى عبده فى الدنيا بالشدائد ليرجع اليه و يتضرع بين يديه فى دفعها فاذا رجع الى غيره مع كون الشدائد بيد ذلك الغير كان ذلك موجباً للتوبيخ والانكار (و يقرع بالفكر باب غيرى) تشبيه الفكر باليد مكنية واثبات القرع لها تخييلية ،

مفتوحٌ لمن دعاني فمن ذا الذي أمّلني لنوائبه فقطّعته دونها ؟! و من ذا الذي رجاني لعظيمة فقطعت رجاءه منّي ؟! جعلت آمال عبادي عندي محفوظة، فلم يرضوا بحفظي و ملأت سماواتي ممّن لا يملّ من تسبيحي و أمرتهم أن لا يغلقوا الأبواب بيني وبين عبادي، فلم يثقوا بقولي، ألم يعلم [أنّ] من طرقته نائبةٌ من نوائبي أنّه لا يملك كشفها أحدٌ غيري إلاّ من بعد إذني، فمالي أراه لاهياً عنّي ، أعطيته بجودي مالم

وذكر الباب ترشيح، والمقصود ذمه بصرف قلبه وفكره عند الحاجة الى غيره تعالى (و بيدى مفاتيح الابواب وهى مغلقة) أى أبواب الحاجات مغلقة ومفاتيحها بيده تعالى و هو استعارة على سبيل التمثيل للتنبيه على أن قضاء الحاجة المرفوعة الى الخلق لايتحقق الا باذنه ان شاء أذن به وان شاء لم يأذن.

(و بابى مفتوح لمن دعانى) وهو أيضاً استعارة لتشبيه الغائب بالحاضر، وترغيب السائل بالرجوع اليه، وتنبيه الغافل على سهولة عرض المطلب عليه.

(فمن ذا الذى أملنى لنوائبه فقطعته دونها) أى قطعته عند النوائب وهجرته أومنعته عن أمله ورجائه ولم أرفع نوائبه. تقول قطعت الصديق قطيعة اذا هجرته، وقطعته عن حقه اذا منعته

(رجائى لعظيمة) أى لمطالب عظيمة .

(جعلت آمال عبادى عندى محفوظة) لاردها اليهم عند طلبهم كالوديعة. (فلم يرضوا بحفظى) حتى جعلوها عند غيرى وطلبوها منه (و ملات سمواتى ممن لايمل بتسبيحى) وهم الملائكة عليهم السلام الذين لايفترون من تسبيحه، ولا يسأمون من تقديسه، ولايخالفونه فى أمره (و أمرتهم أن لايغلقوا الابواب بينى وبين عبادى) كناية عن عدم منعهم لمن أراد الوصول اليه والسؤال منه، وعرض المقاصد عليه كما يمنع حجاب الملوك، أو عن ايصال حوائج السائلين ومطالبهم اليهم فانه تعالى قد يأمرهم بذلك كما دل عليه بعض الروايات .

(فلم يثقوا بقولى) والدليل على عدم الوثوق رجوعهم الى الغير و جعلهم له موضعاً للحاجات و منشاء ذلك معارضة الوهم والخيال، ولو رجعوا الى صرافة العقل وحكمه لوجدوا أن ذلك من أقبح الفعال (ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبى) أى أتته مطلقاً ولا وجه لتخصيص اتيانها بالليل (انه لايملك كشفها) أى دفعها.

(أحد غيرى الا بعد اذنى) دل ظاهراً على أن العبد لورجع الى غيره تعالى فى كشف نوائبه فقد تكشف باذن الله تعالى فهذا مخصص لما دل على اليأس وعدم القضاء على الاطلاق لايقال العالم عالم الاسباب فكيف يذم من رجع الى الغير لظنه أنه سبب لانا نقول الذم باعتبار

يسألني ثمّ انتزعته عنه فلم يسألني ردّه و سأل غيري، أفيراني أبدأ بالعطاء قبل المسألة ثمّ اُسأل فلا أُجيب سائلي؟! أبخيل أنا فيبخّلني عبدي؟! أوليس الجود و الكرم لي؟! أوليس العفو والرّحمة بيدي؟! أو ليس أنا محلّ الآمال؟ ! فمن يقطعها دوني؟! أفلا يخشى المؤمّلون أن يؤمّلوا غيري، فلو أنّ أهل سماواتي وأهل أرضي أمّلوا جميعاً ثمّ أعطيت كلّ واحد منهم مثل ما أمّل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرّة و كيف ينقص ملك أنا قيّمه، فيا بؤساً للقانطين من رحمتي و يا بؤساً لمن عصاني ولم يراقبني.

أن قلبه تعلق به واعتمد عليه، و أما من لم يركن اليه و لم يثق به ولم يعتمد عليه فالظاهر أنه ليس بمذموم والاولى مع ذلك أن يرجع الى الله فان شاء الله أن يكون قضاء حاجته على يد أحد جعله وسيلة له شاء أولم يشأ.

(أفيرانى أبدأ بالعطاء قبل المسألة ثم اسأل فلا اجيب) الاستفهام للانكار والتعجب فان من تأمل مثلا فى وجوده وذاته و حالاته السابقة يجد أنه تعالى شأنه أكرمه ونعمه وأحسن اليه بلا سابقة مسئلة واستحقاق مالايقرره اللسان ولايحيط به البيان و أنه أخرجه من حد النقص الى حد الكمال بلا التماس أحد ولامعاونة مدد ولاشفاعة شفيع، ثم لايحصل له العلم بأنه يعطيه فى مستقبل الاحوال جميع مايحتاج اليه، و يصلح جميع مايرد عليه عند السؤال و التفويض والتوكل والرجوع اليه بالتضرع والابتهال، ولم يتيقن أنه تعالى يقوم بكفايته و رعايته و اضطرالى أن يقرع باب غيره و يلجأ اليه ويظهر الفقر والعجز بين يديه. كان ذلك محل التعجب والانكاروان هذالشيء عجاب.

(أفلا يخشى المؤملون أن يؤملوا غيرى) الخشية اما من العقوبة أو من قطع الامال واليأس عنها ، أو من الابعاد عن مقام القرب ، أو من ازالة النعماء عنه، أو من رفع الوجودوالفيض والجودعنه .

(و كيف ينقص ملك أنا قيمه) أى قايم بسياسة اموره (فيا بؤساً للقانطين من رحمتى) البؤس والبأس والبأساء الشدة والفقر والحزن و كأنه كان غير متعين وقت ندائه لعظمته فناداه و أحضره ليروه و يتعجبوا منه، و يحتمل أن يكون منصوباً على المفعول لفعل مقدر تقديره ياعبادى أبصروا بؤساً للقانطين و نحوه ، أو على المصدر تقديره ياعبادى بؤساً لهم. و فيه وعيد عظيم لاهل القنوط من رحمته (و لم يراقبنى) أى لم يخف عذابى أو لم يحفظ حقوقى.

٨- محمّدُ بن يحيى ، عن محمّدبن الحسن، عن بعض أصحابنا، عن عبادبن يعقوب الرّواجني، عن سعيدبن عبدالرّحمن قال: كنتُ مع موسى بن عبدالله بينبع وقد نفدت نفقتي في بعض الأسفار، فقال لي بعض ولد الحسين: من تؤمّل لما قد نزل بك ؟ فقلت: موسى بن عبدالله ، فقال : إذاً لا تُقضى حاجتك ، ثمّ لا تنجح طلبتك ، قلت : و لم ذاك ؟ قال : لأنّي قد وجدت في بعض كتب آبائي إنّ الله عزّوجلّ يقول- ثمّ ذكر مثله - فقلت : يا ابن رسول الله أمل عليّ ، فأملاه عليّ ، فقلت: لا والله ما أسأله حاجة بعدها.

(باب الخوف والرجاء)

١- عدّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن حديد، عن منصور بن يونس ، عن الحارث بن المغيرة ، أو أبيه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له :ما كان في وصية لقمان؟ قال: كان فيها الأعاجيب و كان أعجب ما كان فيها أن قال لابنه خف الله عزّ وجلّ خيفة لوجئته ببرّ الثقلين لعذّبك و ارج الله رجاءً لوجئته بذنوب الثقلين لرحمك، ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام : كان أبي يقول : إنّه ليس من عبد مؤمن

قوله (قال كان فيها الاعاجيب) جمع الجمع، كالاناعيم والعجب ما يوجب انفعال النفس لزيادة وصف في المتعجب منه والعجيب چيزى كه ازو بغايت شگفت گيرند.

(خف الله عزوجل خيفة لوجئته ببر الثقلين لعذبك و ارج الله رجاء لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك) الخوف حالة نفسانية موجبة لتألمها بسبب توقع مكروه سببه ممكن الوقوع أو توقع فوات أمر مرغوب فيه ولو كان وقوع سببه معلوماً أو مظنوناً ظناً غالباً يسمى ذلك انتظار المكروه أيضاً كما يسمى خوفاً والتألم فيه أزيد ، و أما الخوف والتألم بسبب توقع مكروه علم قطعاً عدم وقوع شيء من أسبابه فذلك وسواس وماليخولياء والرجاء - بالمد - حالة نفسانية موجبة لفرحها بسبب توقع حصول أمر مطلوب سببه متوقع أو مظنون أو معلوم و يسمى الاخير انتظار المطلوب أيضاً والفرح فيه أشد، وأما الرجاء والفرح بسبب توقع مطلوب علم عدم وقوع سببه فذلك غرور و حماقة، و سبب الخوف من الله معرفته ومعرفة جلاله و عظمته و كبريائه و غنائه عن الخلق و غضبه وقهره و كمال قدرته على الخلق، و عدم مبالاته بتعذيبهم واهلاكهم و معرفة عيوب نفسه وتقصيره فى الطاعات والاخلاق والاداب مع التفكر في أمر الاخرة و شدائدها، و كلما زادت تلك المعارف زاد الخوف وثمرته فى القلب و

إلاّ و في قلبه نوران : نور خيفة و نوررجاء، لووزن هذا لم يزد على هذاولووزن

البدن والجوارح. اذ بالخوف يميل القلب الى ترك الشهوات والندامة على الزلات، والعزم على الخيرات ويخضع ويراقب و يحاسب وينظر الى عاقبة الامور ويحترز من الرذائل كالكبر والحسد والبخل و يذبل البدن ويصفر اللون من الغم والسهر و تشتغل الجوارح بوظائفها و يحصل له بترك الشهوات العفة والزهد وبترك المحرمات التقوى، وبترك مالايعنى الورع والصدق والاخلاص ودوام الذكر والفكر، و يترقى منها الى مقام المحبة، ثم منه الى مقام الرضا وسبب الرجاء معرفته و معرفة سعة رحمته و فيضه ولطفه ورأفته و احسانه على العباد، و اجراء نعمه عليهم ظاهرة وباطنة، جلية وخفية ، ضرورية و غير ضرورية حين كونهم أجنة فى بطون امهاتهم بلاسبق استحقاق ولاتقدم استيهال والتفكر فى غنائه عن عبادتهم و تعذيبهم مع عجزهم و مسكنتهم و فقرهم و حاجتهم اليه و ذلهم بين يديه ، و من استقرت فى قلبه هذه المعارف حصل له الرجاء بنيل الثواب والمغفرة والرحمة، وثمرته الاتيان بمايوجب الوصول اليها كماأن ثمرة الخوف من العقوبة ترك مايوجب الورود عليها.

(ليس من عبد مؤمن الاوفى قلبه نوران: نورخيفة و نور رجاء) لان المؤمن لايخلو من تصور أسباب الخوف والرجاء و تجويز وقوع مقتضى كل واحد منهما بدلاً من الاخر وانتهاء سيره الى القرب كأهل الايقان، أو الى البعد كأهل الحرمان بحيث لايرجح أحدهما على الاخر اذلورجح الرجاء لزم الامن لافى موضعه «أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الاالقوم الخاسرون » ولو رجح الخوف لزم اليأس الموجب للهلاك « أنه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون » ومنه ظهر أن الخوف غير القنوط و أنه والرجاء ينبغى أن يكونا متساويين مطلقاً وقدذهب اليه أيضاً بعض العامة. و قال عياض عبادة الله بين أصلين الرجاء والخوف، و يستحب أن يغلب فى حال الصحة الخوف فاذا زاد فى الاجل أو انقطع الاجل يستحب أن يغلب الرجاء ليلقى الله على حالة هى أحب اليه اذهو الله سبحانه الرحمن الرحيم ويحب الرضاء ولايغلب الخوف حينئذ خشية أن يقنط فيهلك و فيه أن الدليل لوتم لدل على رجحان الرجاء قبل الاجل أيضاً ولم يقل به، والتعليل لعدم غلبة الخوف عند الاجل دل على عدم غلبته أيضاً قبله، وقد قال بخلافه وقيل ينبغى أن يغلب الخوف ليكف عن المخالفات ويكثر من الطاعات، فاذا دنت أمارات الموت ينبغى أن يغلب الرجاء لان ثمرة الخوف وهى الانكفاف والاكثار فى الطاعة تعذرت حينئذ وهو قريب مما ذكر. وقال الابى فى كتاب اكمال الاكمال مقامات الصالحين عند الاحتضار تختلف، فعن بعضهم أنه قال لابنه يابنى حدثنى عن الرخص لعلى ألقى الله وأنا أحسن الظن به، و عن بعضهم أنه رجى حين احتضر، وقيل له تقدم على غفور رحيم فقال أفلا تقولون لى

هذا لم يزد على هذا.

٢- محمّد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن يحيى بن المبارك، عن عبدالله بن جبلة، عن إسحاق بن عمّار قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: يا إسحاق خف الله كأنّك

تقدم على شديد العقاب يعاقب على الكبيرة ويؤاخذ بالصغيرة، و هذا بحسب مقامات الخوف بقى شيء وهو أنه قال بعض الافاضل الخوف ليس من الفضائل والكمالات العقلية في النشأة الاخرة، و انما هو من الامور النافعة للنفس في الهرب عن المعاصي، و فعل الطاعات مادامت في دار العمل، و اما عند انقضاء الاجل والخروج من الدنيا التي هي دار العمل فائدة فيه، و أما الرجاء فانه باق أبداً الى يوم القيامة لاينقطع لانه كلما نال العبد من رحمة الله أكثر كان ازدياد طمعه فيما عندالله أعظم وأشد لان خزائن جوده و خيره و رحمته غير متناهية لاتبيد ولاتنقص فثبت أن الخوف منقطع والرجاء أبداً لاينقطع، وفيه نظر لان الظاهر أن الخوف عن العقوبة أوعن فوات الثواب أوعن فوات التفضل أو عن فوات رفع المنزلة أو عن ظهور أساءة على رؤس الاشهاد أو عن زلة القدم على الصراط باق بعد الخروج من الدنيا ثم بقاء الرجاء والطمع فيما عندالله كما حكم به يستلزم الخوف من عدم تحقق المطموع والله أعلم.

قوله (يا اسحاق خف الله كأنك تراه وان كنت لاتراه فانه يراك) و شبه الرؤية القلبية بالرؤية العينية قصداً للظهور والايضاح والاول اشارة الى مقام المشاهدة وهي مرتبة عين اليقين أو حق اليقين وهي أعلى مراتب السالكين، و في تلك المرتبة يتصل الطالب بالمطلوب اتصالا معنوياً بحيث لايشاهد الاجماله و كماله. الثاني اشارة الى مقام المراقبة و هي ثمرة الايمان و مرتبة عظيمة من مراتب السالكين روى عن رسول الله «ص» أنه قال: «اعبدالله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك» و قال جل شأنه «افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ان الله كان عليكم رقيباً» والمراقبة مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والمثمر لها هو العلم بأن الله تعالى مطلع على كل نفس بما كسبت و أنه تعالى عالم بسرائر القلوب وخطراتها كما هو عالم بظواهر الاشياء وجلياتها وهذا العلم اذا استقر في القلب ولم يبق فيه شبهة يجذبه الى مراعاة الرقيب و المتصفون بها على صنفين منهم الصديقون و مراقبتهم استغراق القلب بملاحظة العظمة والجلال وانكساره تحت الهيبة واستعمال الجوارح بوظائف الطاعات بحيث لايلتفت القلب الى الغير أصلا والجوارح الى المباحات فضلا عن المحظورات، ومنهم الورعون وهم قوم لم تدهشهم ملاحظة العظمة والجلال بل بقيت قلوبهم على الاعتدال يتسعها التلفت الى الاقوال والاعمال و مراقبتهم أن ينظروا الى جميع حركاتهم وسكناتهم و لحظاتهم و

تراه و إن كنت لا تراه فإنّه يراك ، فإن كنت ترى أنّه لا يراك فقد كفرت، و إن كنت تعلم أنّه يراك، ثمّ برزت له بالمعصية ، فقد جعلته من أهون النّاظرين عليك.

٣- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب ، عن الهيثم بن واقد قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول؟ من خاف الله أخاف الله منه كلّ شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كلّ شيء.

٤- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله ، عن أبيه، عن حمزة بن عبدالله الجعفري، عن جميل بن درّاج، عن أبي حمزة قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : من عرف الله

اختياراتهم ويرصدوا كل خاطر يسنح لهم فان كانت الهية عملوا بمقتضاها، و ان كانت شيطانية رفضوها استحياء من الرقيب، و ان كانت مبهمة توقفوا حتى يظهر لهم أمر ها.

(فان كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت) رؤيته تعالى نوع من العلم وهو العلم بالمبصرات ظاهرها و باطنها كماهى والمنكر له كافر بالله العظيم.

(و ان كنت تعلم أنه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من أهون الناظرين عليك) حيث تترك المعصية عند مشاهدة غيره خوفاً من اللوم و حياء ولا تترك عند مشاهدته مع علمك بأنه شاهد حاضر وليس ذلك الا لانه أهون عندك من ذلك الغير و هو لازم عليك، و ان لم تقصده و أنا أستغفر الله وأقول يا رب فعلنا كذلك لا لذلك بل لاجل انا نأمن منك ونرجو رحمتك ولا نأمن غيرك .

قوله (من خاف الله أخاف الله منه كل شيء) ظاهره أن الله تعالى يلقى الخوف منه على الاشياء مع احتمال أن يكون سر ذلك أن الخائف من الله نفسه قوية قدسية مقربة للحضرة الالهية قادرة على التأثير فى الممكنات فلذلك يخاف منه كل شيء حتى الوحوش و السباع والحيات كما نقل ذلك عن كثير من المقربين و من لم يخف الله نفسه ضعيفة متصفة بالنقصان بعيدة عن التأثر فى عالم الامكان فلذلك يخاف من كل شيء و يتأثر منه ولما كانت القوة و الضعف والتأثير والتأثر بسبب القرب من الله وعدمه نسبت الاخافة اليه.

قوله (من عرف الله خاف الله) دل على ان الخوف من الله لازم لمعرفته فكلما زادت زاد و لذلك قال عز شأنه «انما يخشى الله من عباده العلمؤا» و ذلك لان من عرف عظمته و غلبته على جميع الكاينات وقدرته على جميع الممكنات بالاعدام والافناء من غير أن يسأله سائل أو يمنعه مانع أو يعود اليه ضرر تهيب و خاف منه،وأيضاً من عرفه علم احتياجه اليه

خاف الله و من خاف الله سخت نفسه عن الدّنيا.

٥- عنه ، عن ابن أبي نجران، عمّن ذكره ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له: قومٌ يعملون بالمعاصي و يقولون نرجو، فلايزالون كذلك حتّى يأتيهم الموت فقال: هؤلاء قومٌ يترجّحون في الأماني، كذبوا، ليسوا براجين، إنّ من رجا شيئاً

فى وجوده و بقائه و كمالاته فى جميع حالاته و من البين أن الاحتياج اليه فى مثل تلك الامور العظام يستلزم الخوف منه فى سلب الفيض والاكرام.

(و من خاف الله سخت نفسه عن الدنيا) أى تركها تقول سخى عن الشىء يسخى من باب تعب أى ترك فمن ادعى الخوف ومال الى الدنيا غير تارك لها و ناهض للعبادة فهو كاذب لان الخوف يستلزم الاعراض عن الدنيا والتوجه الى العبادة.

قوله (و يقولون نرجو) أى نرجو رحمة الله أو مغفرته لدلالة الايات والروايات على سعة عفوه و جزيل رحمته و وفور مغفرته.

(فلايزالون كذلك حتى يأتيهم الموت) بلاتوبة ولاتدارك بالندامة والعبادة.

(فقال هؤلاء قوم يترجحون فى الامانى) الترجح ميل كردن از طرف بطرف ديگر والامانى آرزوها و دروغها و بى ترسيها جمع الامنية. و فى للسببية. أو للظرفية أو بمعنى على أى يميلون عن الحق بسبب الامانى أو فيها أو عليها باعتبار أنها يميل بهم كما تميل الارجوحة بمن فيها أو عليها وهى بضم الهمزة مثال يلعب عليه الصبيان و هو أن يوضع خشبة على تل و يقعد غلامان على طرفيها.

(كذبوا) فى دعوى الرجاء (ليسوا براجين) بل هم انتحلوا اسم الرجاء وليس لهم معناه أصلا و علل ذلك بقوله :

(أن من رجا شيئاً طلبه) بالضرورة و أما تمسكهم بسعة الرحمة فلا يوجب صدقهم فى الرجاء فان سعة الرحمة حق ولكن لابد لمن يرجوها من العمل الخالص المعد لحصولها و ترك الوغول فى المعاصى المفوت لهذا الاستعداد و هذا هو الرجاء الصادق الممدوح كرجاء من ألقى البذر فى الارض و أتى بآداب الزراعة رحمته فى الحاصل، وأما من توغل فى المعاصى فرجاؤه الرحمة غير ممدوح ولا معقول كرجاء من لم يزرع أن ينبت الله له زرعاً فان هذا حمق يذم به العقلاء ولا تتبع هؤلاء وانظر الى الانبياء (ع) فانهم مع كونهم اعلم بسعة الرحمة صرفوا أعمارهم فى الطاعة لعلمهم بأن توقع الاجر بدون الطاعة محض الغرور والقول بأنا نرجو بدون العمل قول الزور، وانظر أيضاً الى من رجا امراً من السلطان فانه

طلبه و من خاف من شيء هرب منه.

٦- ورواه عليّ بن محمّد، رفعه قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّ قوماً من مواليك يُلمّون بالمعاصي و يقولون نرجو؟ فقال: كذبوا ليسوا لنا بموال، اُولئك قوم ترجّحت بهم الأماني. من رجا شيئاً عمل له ومن خاف من شيء هرب منه.

٧- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن بعض أصحابه، عن صالح بن حمزة، رفعه قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إنّ من العبادة شدّة الخوف من الله عزّ وجلّ يقول الله: «إنّما يخشى الله من عباده العلمؤا» وقال جلّ ثناؤه: «فلاتخشوا

لايعصيه بل يطلب منه ذلك الامر ويخدمه خدمة بالغة طلباً للرضا و يكون خدمته بقدر قوة التوقع والرجاء ولما كان رجاء شيء مستلزماً للخوف من فواته وبالعكس ولذلك قيل الخوف والرجاء متلازمان كان رجاؤهم رحمته مستلزما لخوفهم من فواتها و لذلك أشار الى أن دعواهم الخوف باطل أيضاً على وجه العموم بقوله.

(و من خاف من شيء هرب منه) بالضرورة فليس لهم خوف من فوات الرحمة والا لهربوا منه بترك المعاصى الموجبة لفواتها.

قوله (ان قوماً من مواليك) أى ناصريك وتابعيك القائلين بولايتك المحبين لك، (يلمون بالمعاصى) أى ينزلون بالمعاصى و يفعلونها.

(و يقولون نرجو) الرحمة والمغفرة لانه تعالى واسع الرحمة والمغفرة (فقال كذبوا) فى دعوى الولاية والرجاء (ليسوا لنا بموال) لان الموالات ليست بمجرد القول بل هى محبة فى الباطن ومتابعة فى الظاهر لانفكاك بينهما والحصر المفهوم من تقديم الظرف يفيد أنهم موال لغيرهم و هو الشيطان (اولئك قوم ترجحت بهم الامانى) الباء للتعدية أى امالتهم الامانى عن طريق الرشاد الى سبيل الفساد حيث رجوا الرحمة مع انتفاء سببها و هو التمنى المستعمل فى المحال دون الرجاء.

قوله (ان من العبادة شدة الخوف من الله عزوجل) الخوف مبدؤه تصور عظمة الخالق ووعيده وأهوال الاخرة والتصديق بها وبحسب قوة ذلك التصور و التصديق يكون قوة الخوف و شدته، وهى مطلوبة مالم يبلغ حد القنوط، و ربما يشعر ذلك باعتبار زيادة الخوف على الرجاء، ويمكن أن يقال شدة الخوف تستلزم شدة الرجاء أو يقال ذكر شدة الخوف على سبيل التمثيل كما يشعر به قوله «من العبادة» فان منها شدة الرجاء.

(يقول الله عزوجل: انما يخشى الله من عباده العلمؤا) لابد أن نشير الى هؤلاء العلماء

الناس و اخشون» وقال تبارك وتعالى : «و من يتّق الله يجعل له مخرجاً »، قال : و قال أبو عبدالله عليه السلام : إنّ حبّ الشرف والذّكر لايكونان في قلب الخائف الرّاهب.

٨ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن الحسن بن الحسين ، عن محمّد بن سنان، عن أبي سعيد المكاري، عن أبي حمزة الثمالي، عن عليّ بن الحسين صلوات ـ

والى العلم الذى يورث الخوف والخشية فانا نرى كثيراً من أهل العلوم الدينية وغيرها لايخشون من الله و يفتنون بحب الدنيا والاستكثار منها وصحبة الامراء وسلاطين الجور للجاه والمال ويميلون معهم حيث مالوا وينالون الدنيا على أى وجه اتفق ويتبعون اهواء النفس والشيطان فنقول المراد بهذا العالم العالم الربانى وهو الذى علم عظمة الله وجلاله وعزه وقهره لاعلى وجه الاعتقاد فقط بل على وجه يحيط نور العلم ظاهر القلب وباطنه بحيث يمنعه من التوجه الى الدنيا ومافيها فضلا عن الوسائط اليها ويزجره عن متابعة النفس الامارة فى هواها ورداها فان هذا العلم هو الذى يورث الخشية وثمرته التقوى والورع وسائر الاخلاق النفسانية والعمل بعلم كتاب الله و سنة رسول الله، والاعراض عن الدنيا وأهلها ويرشد الى ماذكر ماروى عن النبى «ص» أنه قال «أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية» فانه كالمفسر للعلم والعالم الخاشى لله والمخصص لهما(١) هذا، وقال المحقق الطوسى فى أوصاف الاشراف أن الخوف والخشية وان كانا بمعنى واحد فى اللغة الا أن بينهما فرقاً بين أرباب القلوب وهو أن الخوف تألم النفس من المكروه المنتظر والعقاب المتوقع بسبب احتمال فعل المنهيات وترك الطاعات. والخشية حالة نفسانية تنشأ من الشعور بعظمة الرب وهيبته وخوف الحجب عنه بسبب الوقوف على نقصانه و تقصيره فى أداء حق العبودية ورعاية الادب فهى خوف خاص واليه يرشد قوله تعالى «ويخشون ربهم و يخافون سوء الحساب» والرهبة قريب من الخشية

أقول ولعل المقصود من الخشية هنا المعنى اللغوى بدليل الاستشهاد بالاية «فلا تخشوا الناس واخشون » دل على أن الخشية وهى شدة الخوف عبادة لان الله تعالى أمر بهما كالاية السابقة الأن الامر فيها وقع ضمناً، ثم من خشى الله يخشاه الناس فكفا الله من خشيتهم لمامر « و من يتق الله يجعل له مخرجاً » التقوى على مراتب الاولى التبرى عن الكفر و الشرك و هى تحصل بالشهادتين، وثانيها التجنب عما يوثم، وثالثها التنزه عما يشغل القلب عن الحق وبناء الكل على الخوف من العقوبة والبعد من الحق، ولعل المراد هنا احدى الاخريين مع

---

(١) قوله «والمخصص لهما» عطف على المفسر أى هذا الحديث مفسر للعلم والعالم و مخصص لهما بالعلم الموجب للخشية والعالم الخاشى. (ش)

الله عليهما قال: قال إنّ رجلاً ركب البحر بأهله فكسر بهم، فلم ينج ممّن كان في السفينة إلاّ امرأة الرّجل، فإنّها نجت على لوح من ألواح السفينة حتى ألجأت على جزيرة من جزائر البحر وكان في تلك الجزيرة رجلٌ يقطع الطريق ولم يدع لله حرمة إلاّ انتهكها فلم يعلم إلاّ والمرأة قائمة على رأسه، فرفع رأسه إليها فقال: إنسيّة أم جنيّة؟ فقالت: إنسيّة، فلم يكلّمها كلمة حتّى جلس منها مجلس الرّجل من أهله، فلمّا أن همّ بها اضطربت، فقال لها: مالك تضطربين؟ فقالت: أفرق من هذا- وأومأت بيدها إلى السّماء - قال: فصنعت من هذا شيئاً؟ قالت: لا وعزّته،

احتمال الاولى بعيدا أى ومن يتق الله خوفاً منه يجعل له مخرجاً من شدائد الدنيا والاخرة كما نقل عن ابن عباس، أومن ضيق المعاش كما يشعر به قوله تعالى «ويرزقه من حيث لا يحتسب» وكان السر فى الاول أن شدائد الدارين من الحرص على الدنيا واقتراف الذنوب والغفلة عن الحق والمتقى منزه عن جميع ذلك وفى الثانى أن فيضه تعالى وجوده عام لا بخل فيه وانما المانع من قبول فيضه هو بعد العبد عنه وعدم استعداده له بالذنوب. فاذا اتقى منها قرب منه تعالى واستحق قبول فيضه بلا تعب ولا كلفة. فيجمع بذلك خير الدنيا و الاخرة.

(و قال أبو عبدالله «ع» ان حب الشرف والذكر) أى حب الجاه والرياسة والعزة بين الناس وحب الذكر والمدح والثناء منهم والشهرة فيهم.

(لا يكونان فى قلب الخائف الراهب) لان حب ذلك من آثار الميل الى الدنيا وأهلها وهما منزهان عنه، وأيضاً حبها من الامراض النفسانية المهلكة والخوف و الرهبة يهذبان النفس منها. و من ثم قالوا: الخوف نار تحرق الوساوس والهواجس. وذكر الراهب بعد الخائف من باب ذكر الخاص بعد العام لزيادة الاهتمام اذ الرهبة بمعنى الخشية وهى أخص من الخوف كما مر، و أيضاً الراهب هو الخائف التارك لاشغال الدنيا و ملاذها حتى حلالها والمعتزل عن أهلها والمتحمل لمشاقها ومشاق التكاليف وغيرها.

قوله (ان رجلا ركب البحر) أراد بالبحر السفينة مجازاً من باب تسمية الحال باسم المحل بقرينة رجوع الضمير المستتر فى قوله فكسر اليه والباء فى بأهله بمعنى مع.

(الا انتهكها) انتهاك الحرمة تناولها بما لا يحل والحرمة بالضم اسم من الاحترام مثل الفرقة من الافتراق والجمع حرمات «فقال أفرق من هذا» الفرق محركة الخوف يقال فرق فرقاً من باب تعب أى خاف و يتعدى بالهمزة فيقال افرقته و انما خافت من الله مع كونها مستكرهة لاجل التمكين فلذلك اضطربت لئلا تمكنه بقدر الامكان و يفهم منه أن المستكره على الحرام وجب عليه الدفع على قدر القدرة ليتخلص من العقوبة.

قال: فأنت تفرقين منه هذاالفرق ولم تصنعي من هذا شيئاً وإنّما استكرهتك استكراهاً فأنا والله أولي بهذاالفرق والخوف و أحقّ منك. قال: فقام ولم يحدث شيئاً و رجع إلى أهله وليست له همّة إلّا التوبة والمراجعة، فبينا هو يمشي إذ صادفه راهبٌ يمشي في الطريق، فحميت عليهما الشمس فقال الراهب للشابّ: ادع الله يظلّنا بغمامة ، فقد حميت علينا الشمس، فقال الشّابُّ: ماأعلم أنّ لي عند ربّي حسنة فأتجاسر على أن أسأله شيئاً، قال: فأدعو أنا وتؤمّن أنت ، قال : نعم فأقبل الرّاهب يدعووالشّابّ يؤمّن، فما كان بأسرع من أن أظلّتهما غمامة، فمشيا تحتها مليّاً من النهار ثمّ تفرّقت الجادّة جادّتين فأخذالشابُّ في واحدة و أخذ الرّاهب في واحدة فإ ذا السحابة مع الشّابّ فقال: الرّاهب أنت خيرٌ منّي، لك اُستجيب ولم يستجب لي، فأخبرني ماقصّتك؟ فأخبره بخبر المرأة فقال: غُفر لك مامضى حيث دخلك الخوف، فانظر كيف تكون

(فبينا هو يمشى اذصادفه راهب) بين ظرفية والالف للاشباع و معمولة لفعل يفسره الفعل الواقع بعد اذالفجائية أو خبر عن مصدره أى صادفه راهب بين أوقات مشيه، أوبين أوقات مشيه مصادفة الراهب: والمصادفة يكديگر را يافتن، والراهب عابد النصارى و هو المنقطع للعبادة. وفى بعض النسخ «اذضامه» بالضاد المعجمة، وفى بعضها «اذجاءه» و المضامة نزديك كسى رفتن.

(و تؤمن أنت) أى تقول آمين وهو بالقصر فى الحجاز (١) والمد اشباع بدليل أنه لايوجد فى العربية كلمة على فاعيل ومعناه «اللهم استجب» وقيل «كذلك يكون» وقيل «كذا فليكن» وعن الحسن البصرى أنه اسم من اسماء الله تعالى والموجود فى مشاهير الاصول المعتمدة أن التشديد خطاء وقال بعضهم التشديد لغة وهو وهم قديم ووجه الوهم مذكور فى المصباح.

(فمشيا تحتها مليا من النهار) أى زماناً كثيراً وساعة طويلة.

---

(١) قوله «وهو بالقصر فى الحجاز» أى أمين على وزن شريف، قال الشاعر:

تباعد منى فطحل اذ رأيته ... أمين فزاد الله ما بيننا بعداً

وهى كلمة غير موضوعة فى الاصل للدعاء، بل معناه كذلك فليكن، فتستعمل بعد كل كلام يليق بأن يظهر المخاطب بعده الشوق الى وقوعه، ولذلك يبطل به الصلاة عندنا. لانه بمنزلة كلام الادميين نظير أهلا وسهلا ومرحباً وسقياً ورعياً ، والتعبير بالدعاء نظير «اللهم استجب» لتقريب المعنى. (ش)

فيما تستقبل.

٩ـ محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن النعمان، عن حمزة بن حمران قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: إنّ ممّا حفظ من خطب النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: يا أيّها الناس إنّ لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم وإنّ لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، ألا إنّ المؤمن يعمل بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد المؤمن من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته و في

(فقال غفرلك مامضى حيث دخلك الخوف) دل على أن ترك كبيرة واحدة مع الاقتدار عليها خوفا من الله وخالصاً لوجهه موجب لغفران الذنوب كلها ولو كان حق الناس على احتمال لان الرجل كان يقطع الطريق مع احتمال أن يكون المغفرة للخوف مع التوبة الى الله والمراجعة الى الناس فى حقوقهم كما يفهم من قوله «وليس له همة الا التوبة والمراجعة».

قوله (أيها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم) لعل المراد بها مواضع العلوم والحقايق وهى القوانين الشرعية، أو الحجج العالمون بها.

(و ان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم) كان المراد بها الغاية المطلوبة للانسان وهى الكمالات الموجبة للقرب وحملها على الاجل الموعود بعيد.

(ألا ان المؤمن يعمل بين مخافتين بين أجل قد مضى لايدرى ما الله صانع فيه و بين أجل قد بقى لايدرى ما الله قاض فيه) دل على أن الخوف كما يكون بالنسبة الى ما يأتى يكون بالنسبة الى مامضى أيضاً وتخصيصه بما يأتى واطلاق الحزن على مامضى اصطلاح عند قوم و هذان الخوفان يوجبان تحقق كمال الانسان، لان الخوف مما مضى يوجب تصميم العزم بالتوبة و الاستغفار والتدارك والاعتراف بالتقصير واشتغال القلب بذكر الرب والخوف مما يأتى من احتمال المعصية والاغترار ونقصان الدرجة عن درجة الابرار وانقلاب القلب والغفلة وترك الطاعات يوجب الاجتهاد فى اكتساب الخيرات والمبادرة الى تحصيل الكمالات والمحافظة لاوقات العبادات، والخالى عن الخوف قاسى القلب فاسد العقل «فويل للقاسية قلوبهم اولئك فى ضلال مبين» (فليأخذ العبد المؤمن من نفسه لنفسه) بأن يأخذ فى الدنيا من نفسه فعل الطاعات والقربات و ترك المنهيات والمهويات ورفض الدنيا وأهلها ورسوم العادات، لنفسه فى الاخرة (و من دنياه لاخرته) بأن ينفق متاعها على الفقراء والمساكين وذوى الحاجات من المسلمين ولا ينسى نصيبه من الدنيا وهى مزرعة الاخرة.

(و فى الشبيبة قبل الكبر) لانه قد لايصل الى الكبر فالتأخير مفوت للمقصود أو لان القدرة

الشبيبة قبل الكبر وفي الحياة قبل الممات، فوالّذي نفس محمّد بيده ما بعد الدّنيا من مستعتب وما بعدها من دار إلاّ الجنّة أوالنار.

على العمل وتحمل المشاق فى أيام الشباب أقوى أولان القوى فى أيامه قوية وكمال العمل تابع لقوتها. أولان العمل اذصار ملكة فى أيامه سهل عليه فى أيام الكبر أولانه ينبغى أن يكون ميول القلب فى أيامه الى الطاعة والانقياد للاوامر والنواهى ليكون مايردعلى لوح نفسه من الكمالات النافعة فى الاخرة (١) على لوح صاف عن كدر الباطل ولوعكس وجعل أوائل ميوله وارادته الى المعاصى تسود مرآة نفسه بالملكات الردية فلم يكد يقبل بعد ذلك الاستضاءة بنور الحق فكان من الاخسرين أعمالا.

(و فى الحياة قبل الممات) لان العمل بعد الموت منقطع كما أشار اليه بقوله:

(فوالذى نفس محمد بيده مابعد الدنيا من مستعتب) مستعتب مصدر على زنة المفعول طلب الرضا أواسم فاعل على احتمال بمعنى طالبه والعتب والعتاب التوبيخ و السخط للذنب والتقصير، يقال عتب عليه عتبا من بابى ضرب وقتل، وعاتبه معاتبة وعتاباً أى وبخه و لامه وسخط عليه لذنبه وتقصيره والاعتاب الازالة لكون الهمزة للسلب فهو بمعنى الرضا، يقال أعتبه اعتاباً أى أزال عنه العتاب وعاد الى مسرته ورضاه، و الاستعتاب طلب الاعتاب والرضا بازالة ماعوتب عليه والمعنى ليس بعد الدنيا من استرضاء واقالة ذنب وقبول عذر كما قال تعالى «و ان يستعتبوا فماهم من المعتبين» فالمعتب بفتح التاء المرضى أى أن يطلبوا الرضا والمسرة عنه تعالى ويستقيلوه فلايرضى عنهم ولايسرهم ولايقيلهم لان محل الاستعتاب والاعتاب والاستقالة والاقالة انما هو الدنيا قبل حضور الموت وأما بعده فهو دار جزاء.

(وما بعدها من دار الا الجنة أو النار) فمن أطاع ربه فى الدنيا فالجنة داره ومثواه ومن عصاه فالنار منزله وماواه. والمقصود من هذا الحديث حث المكلف على اغتنام الفرصة فى زمن المهلة للاستعتاب والاعتذار والتوبة والاستغفار والاستيقاظ عن سنة الغفلة والاجتهاد ورائى الاعمال و الاستعداد لما بعد الموت لئلا يقع بعده فى الحسرة والندامة فيعتذر فلا ـ

---

(١) قوله «على لوح نفسه من الكمالات النافعة فى الاخرة» هذا ما جرى عليه علماء الاخلاق ويدل عليه قوله تعالى «يوم لاينفع مال ولابنون الامن أتى الله بقلب سليم» لان بنائهم على أن المؤثر بالذات فى السعادة الاخروية هو الكمالات الحاصلة للنفس الانسانية بسبب الملكات الكريمة، وأما عمل الجوارح كالصلاة والصيام والحج فانما يؤثر بالتسبيب وبالعرض لانه يوجب رسوخ الملكات، و رسوخ الملكات يوجب السعادة فى الاخرة. فعمل الجوارح سبب سبب السعادة ولايفيد ان لم يكسب للنفس ملكة راسخة، أوصفة ثابتة. (ش)

١٠- عنه. عن أحمد، عن ابن محبوب، عن داود الرقّي، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «ولمن خاف مقام ربّه جنّتان» قال: من علم أنّ الله يراه و يسمع ما يقول ويعلم ما يعمله من خير أو شرّ فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال، فذلك الّذي خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى.

١١- عنه، عن أحمد بن محمّد، عن ابن سنان، عن ابن مسكان، عن الحسن بن أبي سارة قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: لايكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً

يقبل معذرته فيقول «أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر» بل قد يمنع من الاعتذار فيقول «اخسؤا فيها ولا تكلمون».

قوله (و لمن خاف مقام ربه جنتان) قال الشيخ بهاء الملة والدين والمراد بمقام ربه والله أعلم موقفة الذى يوقف فيه العباد، للحساب، أوهو مصدر بمعنى قيامه على أحوالهم و مراقبته لهم، أوالمراد مقام الخائف عند ربه وفسر الجنتان بجنة يستحقها العبد بعقائده الحقة واخرى بأعماله الصالحة. أو احديهما لفعل الحسنات والاخرى لترك السيئات أو جنة يثاب بها و اخرى يتفضل بها عليه أو جنة روحانية واخرى جسمانية، و قال صاحب الكشاف الخطاب للثقلين فكأنه قيل للخائفين منكما جنتان جنة للخائف الانسى وجنة للخائف الجنى وجوز أيضاً أرادة الثانى والثالث المذكورين.

أقول يجوز أن يراد جنة للخوف لانه عبادة كمامر و جنة للازمه وهو فعل الطاعات و ترك المنهيات ويشعر به ما بعده، وما روى عن النبى «ص» أنه قال: «من عرضت له فاحشة أو شهوة فاجتنبها من مخافة الله عزوجل حرم الله عليه النار وآمنه من الفزع الاكبر وأنجز له ماوعده فى كتابه فى قوله تعالى «ولمن خاف مقام ربه جنتان» فان ترتب استحقاق الجنتين على الخوف والاجتناب يشعر بماذكرنا.

قوله (فذلك الذى خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) أشار به الى أن الموصول فى قوله تعالى «وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى» من علم أن الله يراه الى آخره، و أنه الذى فى مقام المراقبة، وأنه الذى له جنتان و أن نهى النفس عن الهوى تابع للخوف، و أن الخوف تابع للعلم المذكور، فلاخوف بدونه كما قال عزوجل «انما يخشى الله من عباده العلمؤا».

قوله (لايكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً) قدشاع اطلاق الايمان على

راجياً ولايكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لمايخاف و يرجو.

١٢ـ عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن فضيل بن عثمان، عن أبي عبيدة الحذّاء، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: المؤمن بين مخافتين: ذنب قد مضى لايدري ماصنع الله فيه وعمر قد بقي لايدري مايكتسب فيه من المهالك، فهو لايصبح إلّا خائفاً ولايصلحه إلّا الخوف.

١٣ـ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان أبي عليه السلام يقول: إنّه ليس من عبد مؤمن إلّا [و] في قلبه نوران: نور خيفة ونور رجاء، لووزن هذا لم يزد على هذا ولووزن هذا لم يزد على هذا.

(باب)

(حسن الظن بالله عزوجل)

١ ـ عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن داود بن كثير، عن أبي عبيدة الحذّاء، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله تبارك وتعالى: لايتّكل العاملون لي على أعمالهم الّتي يعملونها لثوابي

مايمنع من الدخول فى النار وهذا الايمان لايكون الامع الصفات المذكورة التى أولها الخوف من الله وأسبابه على كثرتها امامور مكروهة لذاتها كشدائد الدنيا والاخرة كشدة الموت و عذاب القبر وهول المطلع والموقف بين يديه عزوجل وكشف السر والمناقشة فى الحساب و العبور على الصراط والدخول فى النار وحرمان الجنة، والحجاب منه تعالى وخوف الحجاب أعلى رتبة وهو خوف العارفين وما قبله خوف العابدين والصالحين والزاهدين أوامور مكروهة لانها تؤدى الى ماهو مكروه لذاته كنقض التوبة والموت قبلها والتقصير فى الطاعة والافراط فى القوة الشهوية والغضبية وسوء الخاتمة والشقاوة فى العلم الازلى، والاغلب على المتقين خوف الخاتمة والاعظم خوف السابقة لكون الخاتمة تبعاً لها.

قوله (فهو لايصبح الاخائفاً) أصبح دخل فى الصباح وهذا تأكيد لماسبق من قوله «المؤمن بين مخافتين» أوالغرض منه افادة استمرار الخوف دائماً.

قوله (ولايصلحه الاالخوف) أذبه يتلافى مافات ويتدارك ماهوآت كمامر.

قوله (لايتكل العاملون لى على أعمالهم) أى لايعتمدوا فى دخول الجنة و نيل و درجاتها على محض تلك الاعمال و ان كان صحيحة تامة الاركان فى نفسها وواقعة مع

فإنّهم لو اجتهدوا و أتعبوا أنفسهم -أعمارهم- في عبادتي كانوا مقصّرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي و النعيم في جنّاتي، و رفيع-

المبالغة فى الاجتهاد لانها بالنسبة الى عظمة الحق ومايستحقه من العبادة ناقصة و قد نطقت ألسنة الاولياء بأنهم ماعبدوه حق عبادته فكيف غيرهم وبالنظر الى نعيم الجنات ورفع الدرجات وكرامة الرب وجوار القرب قاصرة غيرقابلة لاقتضائها مع أن مفاسد الاعمال كثيرة لاتخلص منها الى آخر العمر الانادراً والاتكال عليها موجب للعجب المهلك غالباً، وعلى هذا لا ينبغى للعاملين أن يتكلوا على محض أعمالهم ولايثقوا بمجرد أفعالهم، بل ينبغى لهم مع الاجتهاد فيها والاتيان بها تامة الاركان وتخليصها عن طريان المفاسد وشوائب النقصان أن يثقوا برحمة ربهم فى دخول الجنان ويرجوا فضله فى الكرامة والاحسان ويطمئنوا الى حسن الظن به فى قبول العمل وجبر النقصان، فان رحمته عند ذلك تدركهم ورضوانه يبلغهم فى دار السلامة، ومغفرته تلبسهم لباس العفو والكرامة وبهذا التقرير ظهر أن طمع من ترك العمل لحسن الظن به مقطوع، وأن قول من قال فى هذا الخبر دلالة على أن العمل ليس سبباً لدخول الجنة ممنوع كيف وقد قال جل شأنه «ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون» وملخص القول أن الاحسان بالعمل مع عمل آخر وهو الثقة بفضل الله ورحمته فى قبوله سبب لدخولها ونيل درجاتها كما قال «ان رحمة الله قريب من المحسنين» هذا وقد ذهب جماعة من العامة ان العمل ليس سببا لدخول الجنة أصلا واستدلوا على ذلك بمارواه مسلم عن النبى «ص» أنه قال «لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة» وهذا بناء على أصلهم من أن الله تعالى يجوز أن يعذب المؤمن المطيع ويثيب الكافر، و أوردوا على أنفسهم أن ذلك منقوض بالاية المذكورة وأن العمل اذا لم يكن سبباً أصلا فما الفائدة فيه؟ فأجابوا عن الاول بأن معنى الاية: ادخلوها بأعمالكم رحمة من الله لا استحقاقاً عليه، و قال المازرى معناها أن دخول الجنة بالعمل لكن بهدايته له وفضله فصح أنه لم يدخل الجنة بمجرد العمل. وأجاب أبو عبدالله الابى عن الثانى بأن القائلين بأن دخول الجنة انما هو بنعمة الله لايلغون أثر الاعمال بل يقولون انما هو فى رفع الدرجات

أقول: يرد على الجواب الاول أن استفادة ذلك من الاية ممنوعة وعلى تقدير التسليم لايخلو من تناقض لان قولهم ادخلوها بأعمالكم يفيد أن الاعمال سبب للدخول فى الجملة و قولهم لا استحقاقاً عليه يفيد أنها ليست سبباً له و على جواب المازرى أنه لاينافى كون الاعمال سبباً فى الجملة وعلى جواب الابى أنه اذا جاز أن تكون الاعمال سببا لعلو الدرجات

الدّرجات العلى في جواري ولكن برحمتي فليثقوا و فضلي فليرجوا ، و إلى حسن الظنّ بي فليطمئنّوا ، فانّ رحمتي عند ذلك تدركهم ، و منّي يبلغهم رضواني و مغفرتي، تلبسهم عفوي فإنّي أنا الله الرّحمن الرّحيم و بذلك تسمّيت .

٢ـ ابن محبوب، عن جميل بن صالح، عن بريد بن معاوية، عن أبي جعفر عليه السلام قال: وجدنا في كتاب عليّ عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال ـ وهو على منبره ـ : والّذي لا إله إلاّ هو ما اُعطي مؤمن قطّ خير الدّنيا والآخرة إلاّ بحسن ظنّه بالله ورجائه له

لم لايجوز(١) أن يكون سبباً لدخول الجنة.

(والى حسن الظن بى فليطمئنوا) هذا هو المطلوب ولذا ذكره فى هذا الباب وأما ذكره فى باب الرضا بالقضاء فمن باب التبعية وينبغى أن يعلم أن الخوف يقتضى ترك المنهيات والرجاء يقتضى فعل الطاعات والمكلف بعد اتصافه بهما على السواء ينبغى أن لايتكل على اعماله فان العابد ـ كما مر ـ وان بالغ كان مقصراً بعد، بل ينبغى أن يحسن ظنه بالله فى قبول عمله و رفع درجته ويعتمد على فضله وكرمه ولايسوء ظنه به فان حسن الظن ينبعث منه المحبة و هى اعلى مقامات السالكين و سوء الظن ينبعث منه النفرة و هى من أعظم خصال الشياطين ، و مما ذكرنا يندفع توهم أن حسن الظن يوجب ترجيح الرجاء على الخوف وهذا ينافى مامر من اعتبار التساوى بينهما .

قوله (والذى لااله الاهو ماأعطى مؤمن قط خيرالدنيا والاخرة الا بحسن ظنه بالله) قال بعض الافاضل معناه حسن ظنه بالغفران اذا ظنه حين يستغفر و بالقبول اذا ظنه حين يتوب وبالاجابة اذا ظنه حين يدعو وبالكفاية حين يستكفى لان هذه صفات لاتظهر الا اذا حسن ظنه بالله تعالى وكذلك تحسين الظن بقبول العمل عند فعله اياه. فينبغى للمستغفر و التائب و الداعى والعامل أن يأتوا بذلك موقنين بالاجابة بوعد الله الصادق فان الله تعالى وعد بقبول التوبة الصادقة والاعمال الصالحة، وأما لو فعل هذه الاشياء وهو يظن أنها لاتقبل ولاتنفعه فذلك قنوط

---

(١) قوله «أن تكون الاعمال سبباً لعلو الدرجات» ومبنى كلام الشارح أن عمل الجوارح سبب لدخول الجنة. ولكن سببيته بالواسطة لانه سبب لعلو الدرجة، و علو الدرجة سبب لدخول الجنة ، و على هذا فلا معنى لنفى سببية العمل لدخول الجنة أصلا . نعم ان اراد قائله نفى السببية بالمباشرة كان له وجه لكن يأبى عنه ظاهر كلام القائلين بالغاء أثر الاعمال. (ش)

وحسن خُلقه والكفّ عن اغتياب المؤمنين، والّذي لا إله إلاّ هو لايعذّب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار إلاّ بسوء ظنّه بالله وتقصيره من رجائه وسوء خُلقه و اغتيابه للمؤمنين. والذي لاإله إلاّ هولايحسن ظنّ عبدمؤمن بالله إلاّ كان الله عند ظنّ عبده المؤمن ، لأنّ الله كريم بيده الخيرات، يستحيي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظنّ ثمّ يُخلف ظنّه و رجاءه ، فأحسنوا بالله الظنّ وارغبوا إليه.

٣- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن إسماعيل بن بزيع، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام قال: أحسنوا الظنّ بالله. فإنّ الله عزّ وجلّ يقول : أنا عند ظنّ عبدي المؤمن بي، إن خيراً فخيراً و إن شرّاً فشرّاً.

٤- عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن القاسم بن محمّد، عن المنقري، عن سفيان ابن عيينة قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: حسن الظنّ بالله أن لاترجو إلاّ الله ولاتخاف إلاّ ذنبك.

من رحمة الله تعالى والقنوط كبيرة مهلكة وأما ظن المغفرة مع الاصرار وظن الثواب مع ترك الاعمال فذلك جهل وغرور يجر الى مذهب المرجئة والظن هو ترجيح أحد الجانبين بسبب يقتضى الترجيح فاذا خلا عن سبب فانما هو غرور وتمني للمحال.

قوله (قال أحسنوا الظن بالله فان الله عزوجل يقول أنا عند ظن عبدى المؤمن بى ان خيراً فخيراً وان شراً فشراً) أقول قدعرفت معناه ومثله من كتب العامة روى مسلم عن النبى «ص» قال: يقول الله عزوجل «أنا عندظن عبدى بى» قال القابسى يحتمل أنه تحذير للعبد مما يقع فى نفسه مثل قوله تعالى «فاحذروه» وقال الخطابى معناه أنا عند ظن عبدى بى فى حسن عمله وسوء عمله لان من حسن عمله حسن ظنه ومن ساء عمله ساء ظنه.

قوله (قال سمعت أباعبدالله «ع» يقول حسن الظن بالله أن لاترجو الا الله ولاتخاف الا ذنبك) يعنى حسن الظن أن ترجو الفوز بالسعادة الدنيوية من حول الله وقوته وتترقب النعماء الاخروية من فضله ورحمته لامن محض عملك ومجرد سعيك فان العمل وان كان فى حد الكمال قاصر فى جناب عزته، ناقص فى جنب عظمته، لايوجب الوصول الى كمال قربه و نعمته، و أن تخاف من ذنبك فانه يؤديك الى مقام الوعيد لامن الله تعالى فانه ليس بظلام للعبيد وفيه اشارة الى أن حسن الظن مركب من الرجاء والخوف وبه يشعر لفظه أيضاً فلو تخلف أحدهما عن الاخر

(باب الاعتراف بالتقصير)

١- محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن سعد ابن أبي خلف، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : قال لبعض ولده: يا بنيّ عليك

كان ذلك خروجاً عن التوسط بالافراط والتفريط المذمومين عقلا ونقلا ويشير اليه أيضاً قول أمير المؤمنين «ع» «العبد انما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه وان أحسن الناس ظناً بالله أشدهم خوفاً لله» و مراده «ع» في قوله على قدر خوفه من ربه على قدر خوفه من عذاب ربه لاجل ذنبه فلا ينافي هذا الخبر، و بالجملة المستفاد من هذين الخبرين ان حسن الظن و الخوف متلازمان لانهما معلولا علة واحدة وهي معرفة الله سبحانه الا أن كل واحد منهما يستند الى صنف من المعرفة ونوع من الاعتبار يكون هو مبدؤه، أما حسن الظن يعني الرجاء فان العبد اذا عرف ربه ولاحظ غناه عن العالمين وعن طاعتهم بحيث لا يزيد ذلك في ملكه مثقال ذرة واعتبر جميع أسباب نعمه عليهم ظاهرة وباطنة جلية وخفية مما هو ضروري لهم كآلات التغذية والتنمية ونحوهما مما لا يحصى وما لهم حاجة ما كالاظفار و نحوها وما هو غير ضروري ولكن زينة لهم كتقوس الحاجبين واختلاف ألوان العينين وغيرهما و تفكر في صفات رحمته ولطفه واحسانه وانعامه وفي أن العناية الالهية اذا لم ترض ان يفوتهم تلك النعماء والمزايا في الحاجة والزينة كيف ترضى بسياقهم الى الهلاك الابدي بعد معرفته و توحيده والاخلاص في عبادته، يحصل له بعد تلك الاعتبارات والملاحظات حسن الظن به والرجاء الى رحمته وعفوه وأما الخوف فانه اذا عرف الله تعالى ولاحظ صفات جلاله وعظمته و تعاليه و سطوته واستغناءه عن الخلق أجمعين وأنه لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع و لم يسأله سائل وتفكر في سخطه وغضبه وعظم رزية مخالفته ومعصية في اخراجه آدم من الجنة بسبب المخالفة السهلة مع كمال عزته ونشوه بين الملائكة وسجوده له واخراج الشيطان من رحمته بسبب مخالفة أمر واحد من أوامره وتكبره على آدم وتفكره في الامم الماضية وكيفية أخذهم واهلاكهم بسبب المعصية فمنهم من أهلكم بالصيحة ومنهم من أغرقهم ومنهم من خسف بهم الارض ومنهم من مسخهم الى غير ذلك من أنواع العذاب، يحصل له بتلك الاعتبارات و الملاحظات خوف و خشية و احتراق و ذبول و ذلة و انكسار . ثم ان الخوف لا يسمى خوفاً الا بعد أن يفيض أثره على الاعضاء الباطنة فيمنعها عن الرذائل كالكبر والحسد والحقد والبخل وسوء الخلق وغيرها، وعلى الاعضاء الظاهرة فيكفها عن المعاصي كما أن الرجاء لا يسمى رجاء حتى يوجب ميل الباطن الى الاخلاق الفاضلة وميل الظاهر الى الاعمال الصالحة فالجمع بينهما يوجب استقامة الظاهر والباطن والصبر عند المعصية والطاعة.

بالجدّ لاتخرجنّ نفسك من حدّ التقصير في عبادة الله عزّ وجلّ و طاعته، فإنّ الله لايُعبد حقّ عبادته.

٢- عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن بعض العراقيّين، عن محمّد بن المثنّى الحضرمي، عن أبيه، عن عثمان بن زيد، عن جابر قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا جابر لاأخرجك الله من النقص و[لا] التقصير.

٣- عنه، عن ابن فضّال، عن الحسن بن الجهم قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: إنّ رجلاً في بني إسرائيل عبدالله أربعين سنة ثمّ قرّب قرباناً فلم يُقبل منه فقال لنفسه: ما اُتيت إلّا منك وما الذّنب إلّا لك، قال: فأوحى الله تبارك الله وتعالى

قوله (فان الله لايعبد حق عبادته) أى لايعبد حق عبادته كماً وكيفاً، كيف و قد اعترف خاتم الانبياء و سيدالاوصياء بالتقصير، وفيه تنبيه على حقارة عبادة الخلق فى جنب عظمته و احسانه و استحقاقه لما هو اهله ليدوم شكرهم و جدهم فى عباداتهم و لايستكبروا شيئاً من طاعاتهم.

قوله (يا جابر لاأخرجك الله من النقص ولا التقصير) اى وفقك لان تعد عبادتك ناقصة ونفسك مقصرة اولان تعد نفسك ناقصة مقصرة، فبالنقص تخرج من الكبر و بالتقصير من العجب والكسل فى العبادة مع مافيها من الاعتراف بالحاجة والذل والعبودية لان من عرف تقصير نفسه ونقصها كان فى مقام الحاجة والذل والانكسار ولاعبودية أشرف منها.

قوله (ثم قرب قرباناً فلم يقبل منه) القربان اسم لما يتقرب به الى الله تعالى من ذبيحة و غيرها. قيل قبوله عندهم كانت عبارة عن خروج النار واحراقه.

(فقال لنفسه ماأتيت الامنك وماالذنب الالك) هذا الاعتراف من توابع العلم والحكمة لان العالم الحكيم يعلم أن فيضه تعالى(١) عام لكل قابل وان الاعمال الصالحة مقبولة قطعاً فاذا

---

(١) قوله «لان العالم الحكيم يعلم أن فيضه» مذهب الحكماء أن وجود الممكن عن مبدئه اماأن يتوقف على استعداد مادة لقبوله كوجود أشخاص الحيوان والنبات وحينئذ لا يوجد الابعد حصول ذلك الاستعداد، ولايتأخر عن الاستعداد البتة . فاذا صار البذر مستعدا لان يوجد فيه الصورة النباتية وجد من غير بطؤ وريث لان فيضه تعالى عام لايتأخر عن قابلية المستفيض البتة، وان لم يكن وجود الممكن متوقفاً على الاستعداد. بل كان وجوده ممكناً دائماً لم يتأخر وجوده الاعن مشية الله تعالى لان فيضه عام لكل قابل كنور الشمس فانه يضيىء

إليه ذمّك لنفسك أفضل من عبادتك أربعين سنة.

وجدعمله غير مقبول علم ان ذلك لتقصير فی عمله ونقص فی نفسه ثم عدم تأثير عبادته مدة أربعين سنة فی صفاء قلبه مع ماروی أن من عبدالله أربعين يوماً خالصاً لوجه الله ينفجر فی قلبه ينابيع الحكمة انما هو لفساد فی عمله مثل الرياء والحسد أو الفخر والعجب أو غيرها، ومنه يعلم أن العمل بدون تصفية القلب غير مقبول(١) كما قال جل شأنه انما يتقبل الله من المتقين» فلابد للعابد اذا أراد بلوغه حد الكمال من أن يطهر نفسه من الفساد وينزه ظاهره وباطنه عن العلائق و يوجه قلبه الی الله و يتفكر فی معانی الكلمات التی يناجيه بها وأسرار الايات التی يتلوها و يعترف بالعجز و التقصير . فانه اذا كان كذلك فی جميع الاوقات أو فی أكثرها بلغ قبول الحق و أدرك وصاله حتی تصير ارادته كارادته لا يتخلف عنها المراد ، و الله ولی التوفيق. (فاوحی الله تبارك وتعالی اليه) ظاهره بلوغ الوحی اليه و يحتمل نزوله الی

---

*كل شیء يمر فی مقابله، ولايتوقف اضاءته الاعلی المقابلة، وعليهذا فاذا عمل المؤمن عملا مؤثراً فی تهذيب نفسه وحصول ملكة صالحة فی قلبه من غير مانع ومفسد كالعجب والرياء فلا معنی لعدم قبوله كمالا يحتمل عدم تأثير الماء فی نمو النبات وعدم تأثير الغذاء فی شبع الحيوان(ش).

(١) قوله «بدون تصفية القلب غير مقبول» ويدل عليه أيضاً قوله تعالی « يوم لا ينفع مال ولابنون الامن أتی الله بقلب سليم» ويؤيد هذا الكلام ماذكرناه سابقاً من أن العمل سبب بالواسطة للسعادة الاخروية لا بالمباشرة، وان السبب المباشر القريب هو الملكة الصالحة الراسخة، وانما امر بهذه الاعمال الظاهرة لتحصيل تلك الملكة. والغرض الاصلی فيها تحصيل السعادة فی الاخرة . و من زعم أن حكمة أنزال الكتب وارسال الرسل وتشريع الشرائع حفظ نظم هذا العالم وحسن سياسة العباد فهو بمعزل عن الحق قاصر النظر علی الماديات «يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون». وقال تعالی «ونفس و ما سويها فالهمها فجورها وتقويها قد افلح من زكيها وقد خاف من دسيها» فبين أن فلاح نفس الانسان بالتزكية واستدل عليها بأن نفسه مجردة موجودة بامر الله تعالی ويعرف الفجور والتقوی بالهامه تعالی وكل شیء كان له صفة من الصفات ايا ما كانت فانما جعلت فيه لغاية يتوخاها البتة بتلك الصفة وليس ادراك الحسن والقبح واستبشاع المنكرات وتحسين المعروفات بالهام خالقه عبثا فی وجود الانسان، بل لابد من أن يكون لغاية هی تزكية نفسه كما أن وجود رغبة أو رهبة فی كل موجود انما هو لان ما يرغب فيه غايته و مكمل لوجوده كرغبة الشجر الی نور الشمس وجعل ادراك الفجور والتقوی فی طبيعة النفس لان فلاحها بتزكيتها و ذكرنا شيئاً يتعلق بذلك فی المجلد الرابع ص٢٨٥.(ش)

٤ـ أبوعليّ الأشعري، عن عيسى بن أيّوب، عن عليّ بن مهزيار، عن الفضل ابن يونس، عن أبي الحسن عليه السلام قال: قال: أكثر من أن تقول: اللّهمّ لاتجعلني من المعارين ولا تُخرجني من التقصير، قال: قلت: أمّا المعارون فقد عرفت أنّ الرّجل يعار الدّين ثمّ يخرج منه، فمامعنى لاتخرجني من التقصير؟ فقال: كلّ عمل تريد به الله عزّ وجلّ فكن فيه مقصّراً عند نفسك، فإنّ الناس كلّهم في أعمالهم فيما بينهم و بين الله مقصّرون إلّا من عصمه الله عزّ وجلّ.

(باب الطاعة والتقوى)

١ـ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن أخي عرام عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لاتذهب بكم المذاهب، فوالله ما شيعتنا إلّا من أطاع الله عزّ وجلّ.

بنى فبلغه. **قوله** (فقال كل عمل تريد به) وجه (الله عزوجل) وهو عمل الدين والاخرة وأما عمل الدنيا فلاينبغى أن تعد نفسك فى ترك الجد فيه مقصرة .

(فان الناس كلهم فى أعمالهم فيما بينهم و بين الله مقصرون) اذليس أحد و ان اشتد فى طلب رضا الله تعالى حرصه وطال فى العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما الله سبحانه أهله من الطاعة له وكمال الاخلاص ودوام الذكر و توجه القلب اليه وأداء حق شكر نعمه. اذ هو بكل نعمة يستحق الطاعة والشكر ونعمه غير محصورة كما قال «و ان تعدوا نعمة الله لاتحصوها» فاذا قوبلت الطاعة بالنعمة بقى أكثر نعمه غير مشكورة لامقابل لها من الطاعة .

(الا من عصمه الله عزوجل) وهم الانبياء والاوصياء لان عصمتهم و نورانية ذواتهم و صفاء صفاتهم وخلوص عقائدهم وعزيمة قلوبهم وكمال نفوسهم ودوام ذكرهم اخرجتهم عن حد التقصير، ومع ذلك اعترفوا به اظهاراً للعجز والنقصان ، و ان جاؤا بما هو المطلوب من الانسان على نهاية ما يتصور من القدرة و الامكان ، و يمكن أى يكون المراد بهم الملائكة المقربون الذين لايعصون الله وهم بأمره يعملون لكن الاستثناء حينئذ منقطع الاأن يراد بالناس العابد، والله أعلم.

قوله (لاتذهب بكم المذاهب) أى لاتذهبكم المذاهب الى سبيل الضلال وتمنى المحال فالباء للتعدية واسناد الاذهاب اليها مجاز عقلى لان فاعله النفس الامارة والشيطان، ولعل المراد به الاعمال القبيحة والعقائد الكاسدة والامانى الفاسدة التى من جملتها أن تفعلوا

٢ـ عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن ابن فضّال، عن عاصم بن حميد عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع فقال: يا أيّها الناس والله ما من شيء يقرّبكم من الجنّة و يباعدكم من النّار إلّا وقد أمرتكم به وما من شيء يقرّبكم من النّار و يباعدكم من الجنّة إلّا وقد نهيتكم عنه، ألا وإنّ الرّوح الامين نفث في روعي أنّه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتّقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحمل أحدكم استبطاء شيء من الرزق أن يطلبه بغير

ما تريدون و تقولوا نحن متشيعون، و نحن نحب أهل البيت، و نرجو شفاعتهم، فان ذلك لا ينفعكم كما أشار اليه بقوله:

(فوالله ما شيعتنا الا من اطاع الله عزوجل) بالقلب و الجوارح مع محبتنا لظهور أن معنى التشيع هو المتابعة لهم قولا و فعلا ولا يتحقق هذا المفهوم الا لمن أطاع الله كما أطاعوه.

قوله (ما من شيء يقربكم من الجنة و يباعدكم من النار الا وقد أمرتكم به) المقرب من الجنة هو الاداب الكاملة والعقائد الحقة والاخلاق الفاضلة و الاعمال الصالحة والمقرب من النار أضدادها (الاوان الروح الامين) جبرئيل «ع» (نفث فى روعى) النفث النفخ، و نفث الله الشيء فى القلب من باب ضرب ألقاه، والروع بالضم الخاطر والقلب.

(انه لن تموت نفس) موتها مفارقتها للبدن ورفع يدها عن التصرف فيه بأمر الله تعالى (حتى تستكمل رزقها) أى تأخذ رزقها المقدر على وجه الكمال ضرورة أن بقاء تعلقها بالبدن متوقف على الرزق. فمن المحال أن يبقى التعلق وينقطع الرزق.

(فاتقوا الله) التقوى هى الاقتداء بالنبى «ص» والمتقى من يجعل بينه وبين ما يخاف منه وقاية تقيه منه «و منه اتقوا النار ولو بشق تمرة» فأصل التقوى الخوف من الله بملاحظة جلال الله و عظمته وقبح مخالفته و شدة عقوبته، ولما كانت التقوى هى الحاجزة عن تقحم الدنيا والوغول فيها، و طلبها من حيث لا يجوز أمر أولا بها وعطف عليها ماهو من لوازمها فقال:

(و أجملوا فى الطلب) من الجميل أو الاجمال قال فى المصباح: أجملت فى الطلب رفقت أى أحسنوا فى الطلب ولا يكن كدكم فيه كدا فاحشاً ولا مذهب اكتسابكم مذهباً باطلا أو ارفقوا فيه واقتصدوا، من رفق فى السير اذا قصد.

(ولا يحمل أحدكم استبطاء شيء من الرزق أن يطلبه بغير حله) أى لا يبعث أحدكم ذلك على طلبه بطريق غير مشروع، فالمصدر المستفاد من أن يطلبه منصوب بنزع الخافض.

حلّه فانّه لايدرك ما عندالله إلاّ بطاعته.

٣- أبوعليّ الأشعري، عن محمّدبن سالم؛ و أحمدبن أبي عبدالله، عن أبيه، جميعاً عن أحمدبن النضر، عن عمروبن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال لي: يا جابر أيكتفي من انتحل التشيّع أن يقول بحبّنا أهل البيت، فوالله ما شيعتنا إلاّ من اتّقى الله و أطاعه وما كانوا يُعرفون ياجابر إلاّ بالتواضع والتخشّع

(فانه لايدرك ما عندالله) عن الثواب الجزيل والاجر الجميل والرزق الحلال. (الا بطاعته) فى الاوامر والنواهى، فكما أن من سلك سبيل المعصية ضل عن سبيل الجنة واستحق العقاب و حرم عن الثواب. فكذلك من طلب الرزق من غير حله حرم عما عنده تعالى من الرزق الحلال واستحق العقاب بكسب الحرام كماروى عن النبى «ص» من «أن الله تعالى قسم الارزاق بين خلقه حلالا ولم يقسمها حراماً فمن اتقى الله و صبر أتاه رزقه من حله، و من هتك حجاب الله عزوجل و اخذه من غير حله قص به من رزقه الحلال و حوسب عليه يوم القيامة» و اعلم أن الرزق عند المعتزلة كل ماصح الانتفاع به بالتغذى و غيره و ليس الحرام عندهم رزقاً، وهذا الحديث يدل عليه، وعند الاشاعرة كل ما ينتفع به ذو- حياة بالتغذى و غيره و ان كان حراماً و خص بعضهم بالاغذية والاشربة و للطرفين دلائل و مؤيدات تركناها تحرزاً من الاطناب.

قوله(فوالله ما شيعتنا الا من اتقى الله و أطاعه)لعل المراد بالتقوى الامتثال بالزواجر وبالطاعة الامتثال بالاوامر ويحتمل أن يراد بالتقوى تقوى القلوب وهى تخليته عما يفسده و تحليته بما يصلحه، و بالطاعة طاعة الظواهر بترك المنهيات وفعل المأمورات (وما كانوا يعرفون ياجابر) فى عهد الائمة الماضين عليهم السلام. (الا بالتواضع والتخشع) المراد بالتواضع التذلل لله عند أوامره ونواهيه وتقلد العبودية بمعرفة عجزه بين يديه، وكمال افتقاره اليه، ولعباده المؤمنين تعظيمهم واجلالهم وتكريمهم واظهار حبهم والميل الى مجالستهم ومواكلتهم ولين القول عندهم وحسن المعاشرة معهم والابتداء بسلامهم والرفق بذوى حاجاتهم والاقدام الى قضاء حوائجهم والمبادرة الى خدمتهم و غير ذلك ممايدل على ضعته عندهم وعدم تكبره عليهم، والمراد بالخشوع التذلل لله مع الخوف منه كماصرح به بعض المحققين، ثم قال وبذلك فسر فى قوله تعالى «والذينهم فى صلوتهم خاشعون» وقال صاحب المصباح: خضع لغريمه خضوعاً ذل واستكان والخضوع قريب من الخشوع الأأن الخشوع أكثرما يستعمل فى الصوت والخضوع فى الاعناق، أقول: ثم شاع وصف القلب والجوارح به كما روى عن النبى «ص» «أنه رأى رجلا يعبث بلحيته في

والأمانة وكثرة ذكر الله والصّوم والصّلاة والبرّ بالوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكفّ الألسن عن الناس إلاّ من خير، وكانوا اُمناء عشائرهم في جميع الأشياء. قال جابر: فقلت: يا ابن رسول الله ما نعرف اليوم أحداً بهذه الصفة، فقال: يا جابر لا تذهبنّ بك

صلاته فقال: أما انه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه» والمراد بخشوع القلب اشتغاله بذكر الله تعالى وتوجهه اليه، واعراضه عما سواه، واذا حصل له هذه الفضيلة حمل الجوارح على ما هو المطلوب مع انكسار وتذلل و خوف على مخالفتها لغفلة أو سهو أو لغرض من الاغراض النفسانية، واشتغال الجوارح بذلك عبارة عن خشوعها.

(والامانة) وهى حالة نفسانية توجب سكون القلب وطمأنينته، وعدم ميله الى المكر والحيلة، و منه فلان مأمون الغائلة أى ليس له مكر يخشى. ولعل المراد بها حفظ الوديعة و العهد مع الله تعالى أو مع الناس، ومن طرق العامة «الامانة غنى» أى من شهر بها كثر معاملوه فاستغنى. (وكثرة ذكر الله) باللسان والقلب خصوصاً فى مقام الاوامر والنواهى والنوائب

(والصوم والصلاة) على أركانهما وشرائطهما وفعلهما كذلك دليل على كمال القوة النظرية والعملية، والواو للعطف على الكثرة أو على ذكر الله.

(والبر بالوالدين) بتعظيمهما واطاعتهما فى كل ماجاز شرعاً وعقلا والاحسان اليهما و دفع الاذى عنهما، وأداء ديونهما وطلب الخير لهما حيين وميتين.

(والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة) أى حفظ حالهم ورعاية أحوالهم و ايصال الخير اليهم وترك أذاهم وتحمل الاذى منهم وعيادة مريضهم وتشييع جنائزهم و عدم التطلع الى عوراتهم، والفقير والمسكين من ليس له مال ولا كسب يفى بقوت السنة له ولعياله و اختلفوا فى أن أيهما أسوء حالا فقال الاصمعى والشافعى و ابن ادريس و الشيخ الطوسى فى المبسوط والخلاف: أن الفقير أسوء حالا، و قال الفراء و ابن السكيت و ثعلب و أبو ـ حنيفة، وابن الجنيد وسلار والشيخ الطوسى فى النهاية: ان المسكين أسوء حالا و للطرفين دلائل مذكورة فى محلها.

(والغارمين والايتام) بأداء ديونهم وتفقد أحوالهم ورعاية حقوقهم والرفق بهم والعطف على الفقراء أو على الجيران والاخير أنسب لانه أعم.

(و كانوا امناء عشائرهم فى (جميع) الاشياء) العشائر جمع العشيره وهو المعاشر، ولما كانت الامانة عامة مطلوبة من جميع الجوارح والشىء عاماً صادقاً على جميع أفعالها صار المقصود أنهم كانوا امناءهم بجميع الاعضاء فى جميع الافعال.

المذاهب حسب الرّجل أن يقول: اُحبّ عليّاً و أتولاّه ثمّ لايكون مع ذلك فعّالاً فلو قال: إنّي اُحبّ رسول الله صلى الله عليه وآله فرسول الله خيرٌ من علي عليه السلام ثمّ لايتّبع سيرته ولايعمل بسنّته مانفعه حبّه إيّاه شيئاً، فاتّقوا الله و اعملوا لما عندالله ليس بين الله و بين أحد قرابة، أحبّ العباد إلى الله عزّوجلّ وأكرمهم عليه أتقاهم وأعملهم بطاعته ياجابر ! والله ما يتقرّب إلى الله تبارك وتعالى إلاّ بالطاعة وما معنا براءةٌ من النّار ولاعلى الله لأحد من حجّة، من كان لله مطيعاً فهولنا وليٌّ و من كان لله عاصياً فهولنا

(حسب الرجل ان يقول احب عليا) التركيب مثل حسبك درهم أى كافيك، وهو خبر لفظاً واستفهام معنى للانكار والتوبيخ أى لايكفيه ذلك ولاينجيه من العقوبة بدون أن يكون فعالا مبالغاً فى الفعل ظاهراً وباطناً وتابعاً له عليه السلام قولا و عملا، والمحبة والشفاعة و ان كانتا نافعتين فى دفع الخلود من النار، ولكنهما لاتوجبان عدم الدخول فيها كما نقل عن على «ع» فى حديثه أنه قال: «المؤمن المسرف على نفسه لايدرى (يعنى عند الموت) مايؤل اليه حاله يأتيه الخبر مبهماً مخوفاً لم يسويه الله بأعدائنا ويخرجه من النار بشفاعتنا فاعملوا و أطيعوا ولا تتكلوا (يعنى على شفاعتنا) ولا تستصغروا عقوبة الله فان من المسرفين من لاتلحقه شفاعتنا الا بعد عذاب الله بثلاثمائة سنة.

(فاتقوا الله و اعملوا لما عندالله) قدعرفت أن المؤمن لايخلو من خوف ورجاء و أن الخوف يقتضى ترك المنهيات و هو التقوى و أن الرجاء يقتضى فعل الطاعات و انما قدم التقوى لان تخلية النفس عن الرذائل أقدم من تحليته بالفضائل.

(و أكرمهم عليه أتقاهم) كماقال عزوجل «ان أكرمكم عندالله أتقيكم» و المراد بالكرامة القرب منه تعالى والاستحقاق لقبول فيضه الدنيوى والاخروى مثل الجنة ودرجاتها و ثمراتها و قطوفها الدانية و غير ذلك مما أعدالله لاوليائه الابرار و ظاهر أن الكرامة لا تحصل لاحد الا بالتقوى و هى ضبط النفس عما يوجب البعد عنه تعالى من الرذائل النفسانية والجسمانية.

(من كان لله مطيعاً فهو لنا ولى) أى من كان مطيعاً لله لالغيره من النفس و الشيطان فهو لنا ولى ذاتاً و فعلا لا لغيرنا ، والولى فعيل بمعنى فاعل أى ناصر و محب ، أو بمعنى مفعول كما فى قولهم «المؤمن ولى الله».

(و من كان لله عاصياً فهولنا عدو) أى من حيث أنه عاص فيرجع النقص والعداوة الى فعله: «لا الى ذاته، ولذلك تدركه الشفاعة و تنجيه من الخلود فى النار مع أعدائهم ذاتاً و فعلا يدل على ذلك ماروى عن أبى عبدالله «ع» قال: «ان الله خلق السعادة والشقاء قبل أن

عدوٌّ ، وما تنال ولايتنا إلاّ بالعمل و الورع.

٤ـ عليُّ بن إبراهيم، عن أبيه ؛ ومحمّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، جميعاً عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من النّاس فيأتون باب الجنّة فيضربونه، فيقال لهم : من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر، فيقال لهم: على ما صبرتم؟ فيقولون: كنّا نصبر على طاعة الله و نصبر

يخلق خلقه فمن خلقه الله سعيداً لم يبغضه أبداً وان عمل شراً أبغض عمله ولم يبغضه وان كان شقياً لم يحبه أبداً و ان عمل صالحاً أحب عمله و أبغضه لما يصير اليه فاذا أحب الله شيئاً لم يبغضه أبداً واذا أبغض شيئاً لم يحبه أبداً».

(و ما تنال ولايتنا الا بالعمل والورع) أى الاتيان بالطاعات والاجتناب عن المنهيات، قال بعض المحققين للورع أربع درجات الاولى: ورع التائبين وهو ما يخرج به الانسان عن الفسق وهو المصحح لقبول الشهادة، الثانية ورع الصالحين وهو الاجتناب عن الشبهات خوفاً منها من الوقوع فى المحرمات. الثالثة: ورع المتقين وهو ترك الحلال خوفاً من أن ينجر الى الحرام مثل ترك التحدث بأحوال الناس لمخافة أن ينجر الى الغيبة. الرابعة : ورع السالكين و هو الاعراض عما سواه تعالى خوفاً من صرف ساعة من العمر فيما لا يفيد زيادة القرب منه تعالى وان علم أنه لا ينجر الى الحرام.

قوله (اذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس) العنق الرقبة، والنون مضمومة للاتباع فى لغة حجاز و ساكنة فى لغة تميم، والمراد بها الجماعة من الناس.

(فيقولون كنا نصبر على طاعة الله و نصبر على معاصى الله) لاريب فى أن النفوس البشرية مائلة الى اللذات، هاربة عن المشقات، و أن المعاصى لذات حاضرة و الطاعات مشقات ظاهرة فالنفس تريد المعاصى و تهرب عن الطاعة. و لذلك ورد فى بعض الادعية «اللهم لا تكلنى الى نفسى طرفة عين فانك ان تكلنى الى نفسى أقرب الى الشر و أبعد من الخير» فمن حاولها بحسن تقديره و ملك زمامها بلطف تدبيره حتى صرفها عن مرامها و استخرجها عن مقامها و حبسها فى مرابض العبادة و مرابط الطاعات و صبر على مجاهدتها ملك غنيمة عظيمة هى رأس مال الصابرين و أقوات قلوب السالكين و الزاد فى السير الى رب العالمين و أسباب الدخول فى الجنة التى اعدت للمتقين، و اليه أشار أمير المؤمنين « ع» «ان الله جعل الطاعة غنيمة الاكيأس عند تفريط الفجرة » و انما جعل الطاعة غنيمة الاكياس وهم الذين لهم جودة القرايح لانهم يأخذونها بالمحاربة مع النفس الامارة كما يأخذ الغانمون الغنيمة بالجهاد مع الكفار بل جهادهم أعظم من الكفار كما قال «ص» بعد رجوعه من

عن معاصي الله، فيقول الله عزّ وجلّ: صدقوا، اُدخلوهم الجنّة وهو قول الله عزّ وجلّ «إنّما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب».

٥- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن سنان، عن فضيل بن عثمان، عن أبي عبيدة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول: لا يقلّ عمل مع تقوى وكيف يقلّ ما يُتقبّل.

٦- حميدُ بن زياد، عن الحسن بن محمّد بن سماعة، عن بعض أصحابه، عن أبان عن عمرو بن خالد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: يا معشر الشيعة، - شيعة آل محمّد - كونوا النمرقة الوسطي يرجع إليكم الغالي ويلحق بكم التالي، فقال له رجلٌ من الأنصار

بعض الغزوات «رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وهى جهاد النفس» واذا حصلت لهم تلك الغنيمة و تمكنت فيهم هذه العزيمة أمكن لهم الدخول فى الجنة قبل فراغ الناس من الحساب لان اولئك هم المتقون الذين صبروا فى دار الدنيا و أدوا حسابهم فيها، وقد قال الله تعالى «انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب» لان الحساب انما هو على من خلط عملا صالحاً و اخر سيئاً، وأما المتقون فلاحساب عليهم كما لاحساب على المشركين فانهم يدخلون النار بغير حساب

قوله (لايقل عمل مع تقوى) كل عمل بنى على التقوى لايقل لكونه عظيماً فى ذاته وكثيراً ينمو عندالله تعالى مع توقفه على كثير من الاعمال القلبية التى لاتوجد الا بالمجاهدات النفسانية، ولايهدم ولايلحق بانيه الخسران كما قال عزوجل: «فمن أسس بنيانه على تقوى من الله و رضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم» ثم أكد ذلك و أشار الى أنه لاينبغى أن يعد قليلا بقوله:

(و كيف يقل ما يتقبل) لان العمل مع التقوى مقبول قطعاً لقوله تعالى: «انما يتقبل الله من المتقين».

قوله (كونوا النمرقة الوسطى) النمرقة و سادة وهى بضم النون والراء و بكسرهما و بغير هاء و جمعها نمارق، و لعل المراد كونوا بين الناس كالنمرقة الوسطى بين النمارق فى الشرف والحسن لان النمرقة الوسطى أشرف النمارق و أحسنها (١) و المقصود كونوا أمة

---

(١) قوله «أشرف النمارق و أحسنها» لايجب أن يكون الوسطى أشرف النمارق ولا حاجة الى هذا أيضاً بل المراد كون النمرقة الوسطى مستندة للطرفين اذ يعتمد عليها الجلاس من جانبيها بخلاف النمرقة الموضوعة فى طرف فانها يعتمد عليها الجالس فى أحد جانبيها، وليس فى جانبها الاخر مكان يجلس أحد فيه فيتكأ عليها و بالجملة النمرقة الوسطى وسادة موضوعة*

يقال له سعد: جعلت فداك ما الغالي؟ قال قوم يقولون فينا مالا نقوله في أنفسنا، فليس اولئك منّا ولسنا منهم، قال: فما التالي؟ قال: المرتاد يريد الخير يبلّغه الخير يوجر عليه. ثمّ أقبل علينا فقال: والله ما معنا من الله براءة ولا بيننا و بين الله قرابة ولا لنا على الله حجّة ولا نتقرّب إلى الله إلاّ بالطاعة، فمن كان منكم مطيعاً لله تنفعه ولايتنا، و من كان منكم عاصياً لله لم تنفعه ولايتنا، ويحكم لاتغترّوا، و يحكم لاتغترّوا.

٧- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن عثمان بن عيسى،

وسطاً بين طرفى الافراط والتفريط، أو كونوا أهل النمرقة الوسطى كما هو شأن أهل الشرف والمجد. اما على حذف المضاف وهو الاهل، او على ارادتهم من النمرقة مجازاً من باب تسمية الحال باسم المحل أو تسمية أحد المتجاورين باسم صاحبه ووجه التشبيه أو الغرض منه هو قوله يرجع اليكم الغالى و يلحق بكم التالى. وقيل كونوا ذوى النمرقة الوسطى بحذف المضاف، والنمرقة العليا للرسول وعترته المعصومين عليهم السلام. والنمرقة الدنيا لعبيد الدنيا و أبنائها فأمر «ع» بالوسطى، لان من استقر عليها وتمسك بها اطمأن على الحق واستقر دينه على الهدى وأمن من الضلال والردى كما أن من اتكأ على النمرقة الوسطى استقر عليها ووثق بالراحة مطمئناً آمناً من التعب.

(قال قوم يقولون فينا مالانقوله فى أنفسنا) فسر الغالى بأخص صفاته التى بها يمتاز عن غيره و هو أنه يقول بأن واحداً من الائمة اله أو يجرى عليه ماهو من أخص صفاته تعالى من غلا فى الدين غلواً من باب قعد تصلب و تشدد حتى جاوز الحد.

(قال المرتاد يريد الخير) فسر التالى بأنه المرتاد أى الطالب، من ارتاد الرجل الشىء اذا طلبه والمطلوب اعم من الخير و الشر فقوله يريد الخير تخصيص و بيان للمعنى المراد هنا (يبلغه الخير يوجر عليه) من الابلاغ والتبليغ وهو الايصال، و فاعله معلوم بقرينة المقام أى من يوصله الى الخير المطلوب له يوجر عليه لهدايته وارشاده.

(و يحكم لاتغتروا ويحكم لاتغتروا) بالغين المعجمة فى الموضعين من الاغترار بالولاية والشفاعة وقد ذكرنا سابقاً أن الشفاعة قد لاتنال أحداً الابعد تلبثه فى جهنم زمانا طويلا فلا ينبغى ترك العمل والاغترار بها أو بالفاء فيهما من الفتور فى العمل والتكرير للتأكيد أو بأحدهما فى الاول وبالاخرة فى الاخر.

---

*فى مكان يمكن أن يتكىء عليها جالس من طرف و جالس آخر من طرف آخر بخلاف الوسادة الموضوعة فى الطرف اذ لايتكىء عليها الا من جانب واحد، وكذلك اتباع الائمة عليهم السلام يجب أن يرجع كل من الطرفين اليه ويعتمد فى رأيه عليه. (ش)

عن مفضّل بن عمر قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فذكرنا الأعمال فقلت أنا : ما أضعف عملي ، فقال : مه ، استغفر الله ، ثمّ قال لي: إنّ قليل العمل مع التقوى خير من كثير العمل بلاتقوى، قلت: كيف يكون كثيرٌ بلاتقوى ؟قال: نعم مثل الرّجل يطعم طعامه و يرفق جيرانه و يوطيء رحله فإذا ارتفع له الباب من الحرام دخل فيه ، فهذا العمل بلاتقوى ، ويكون الآخر ليس عنده فإذا ارتفع له الباب من الحرام لم يدخل فيه.

٨- الحسينُ بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن أبي داود المسترق، عن محسن الميثمي عن يعقوب بن شعيب قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : ما نقل الله عزّ وجلّ عبداً من ذلّ المعاصي إلى عزّ التقوى إلاّ أغناه من غير مال و أعزّه من غيره عشيرة و

قوله (فقلت انا ما أضعف عملى فقال مه استغفرالله) أمره بالاستغفار عن ذلك القول لانه ظلم و جار حيث وضع الضعف فى غير موضعه و فيه مدح للمفضل بأنه من أهل التقوى الا أنه هو ناقله و جماعة من أصحاب الرجال جرحوه وعدا الشيخ فانه فى ارشاده ، عده من شيوخ أصحاب أبى عبدالله عليه السلام وخاصته و بطانته وثقاته الفقهاء الصالحين فان قلت تضعيف العمل وتقليله اعتراف بالتقصير وانه مطلوب من كل أحد فكيف أمره بالسكوت و نهاه عن ذلك و أمره بالاستغفار المشعر بأنه خطيئة ؟قلت: الاقوال والافعال يختلف حكمها باختلاف النيات والقصود و هو لم يقصد بذلك القول أن عمله ضعيف قليل بالنظر الى عظمة الحق و ما يستحقه من العبادة و انما قصد به ضعفه وقلته لذاته و بينهما فرق ظاهر، والاول هو الاعتراف بالتقصير دون الثانى .

(ثم قال لى ان قليل العمل مع التقوى خير من كثير العمل بلا تقوى) دل على أن العمل القليل مع التقوى كثير ، والعمل الكثير بلا تقوى قليل و به تبين خطأ المفضل حيث عد الكثير قليلا .

(قلت كيف يكون كثير بلاتقوى) كأنه ظن أن التقوى ما يقى من النار وهو يصدق على الاعمال الصالحة فحينئذ يستبعد تحقق كثير منها بلاتقوى، و حاصل الجواب أن التقوى فعل الطاعات و ترك المحرمات و هو الذى يقى من النار و حينئذ يتحقق كثير من الطاعات بدون التقوى عند فعل المحرمات.

(ويوطيء رحله) كناية عن كثرة الضيافة و قضاء حوائج المؤمنين بكثرة الواردين على منزله فذكره بعد الاطعام من باب ذكر العام بعد الخاص أو الاطعام مختص بالسائل و هذا بأهل الدعوة.

آنسه من غير بشر.

(باب الورع)

١ـ عليٌّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي المغرا، عن زيد الشحّام عن عمرو بن سعيد بن هلال الثقفي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: إنّي لا ألقاك إلاّ في السنين، فأخبرني بشيء آخذ به، فقال: اُوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد واعلم أنّه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه.

قوله (و آنسه من غير بشر) أشار اليه أمير المؤمنين «ع» بقوله «اللهم انك آنس الانسين بأوليائك» ولاريب فى أن المتقى من أوليائه اذ باطنه متوجه اليه و ظاهره عاكف على الامتثال بين يديه، ولما كانت أولياؤه فى الدنيا غرباء فى أبنائها، منفردين عنهم فى سلوك سبيله، ومبتهجين بمشاهدة أنوار كبريائه كان الله تعالى هو الانيس لهم وهم برحمته يألفون و بمناجاته يبتهجون، و بفيض جوده يستفيضون و بالغفلة عنهم يضطربون و يستوحشون.

قوله (فقال اوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد) الوقاية الحفظ يقال وقاه الله السوء يقيه وقاية أى حفظه، و اتقيت الله اتقاء أى حفظت نفسى عن عذابه أو عن مخالفته والتقوى اسم منه والتاء مبدلة من الواو والاصل وقوى من وقيت لكنه أبدل ولزمت التاء فى تصاريف الكلمة، والورع الكف عن المحارم يقال ورع عن المحارم يرع بكسرتين ورعاً بفتحتين ورعة مثل عدة فهو ورع أى كثير الورع وورعته عن الامر توريعاً كففته فتورع، اذا عرفت هذا فنقول اذا نظر العبد فى العظمة الالهية و تفكر فى الهيبة الربوبية حصل له خوف وخشية يوجب حفظ نفسه عن المخالفة و ميلها الى الطاعة و ترك المعصية و يسمى ذلك الخوف أو الحفظ أو الميل أو الجميع بالتقوى و هى تقوى القلوب المذكورة فى الايات والروايات و قد يسمى أثر ذلك و هو فعل الطاعات و ترك المنهيات بالتقوى أيضاً. والفرق بينها بالمعنى الاول و الورع وهو ترك ماينبغى تركه ظاهر.

أما الفرق بينها بالمعنى الثانى وبينه ففيه خفاء يمكن رفعه بتخصيص التقوى بفعل الطاعات أو بتعميم الترك فى الورع بحيث يشمل ترك المباحات بل الاعم منها أو بأن ذكر الورع بعد التقوى من ذكر العام بعد الخاص أن كانت التقوى عبارة عن مجموع الفعل والترك أو بالعكس ان كان عبارة عن كل واحد منهما ثم نقول للورع خمسة أقسام ذكرها أرباب القلوب ولابأس أن نشير اليها وان ذكرناها آنفاً لان ذكرها هنا لايخلو من فائدة ما، الاول ورع العادلين وهو ترك الفسوق، الثانى ورع الصالحين وهو ترك مايحتمل التحريم ولكن

٢- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحسن بن محبوب، عن حديد بن حكيم قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: اتّقواالله و صونوا دينكم بالورع.

٣- أبوعليّ الأشعري، عن محمّد بن عبدالجبّار، عن صفوان بن يحيى، عن يزيد

رخص فى تناوله بناء على الظاهر كطعام الملوك وعمالهم وعطاياهم ، الثالث ورع المتقين وهو ترك ماليس فى حليته شبهة خوفاً من ان يؤدى الى المحرم أو الشبهة ، الرابع ورع الصديقين وهو ترك ماليس فى حليته شبهة ولايخاف من أن يؤدى الى حرام أو شبهة لعدم تعلقه بالدين كالمباحات أو لاتصاله بمن يكره اتصاله به كما نقل أن ذاالنون المصرى لحقه جوع وهو مسجون فأرسلت اليه امرأة صالحة بطعام على يدى السجان فأبى أن يأكله واعتذر بانه وصل اليه يدى ظالم، يعنى أن القوة التى اوصلت اليه الطعام لم تكن طيبة، ومن ذلك مانقل أن بعض العرفاء كان لايشرب الماء من الانهار التى حفرتها الامراء فالماء وان كان مباحاً فى نفسه لكنها رأى أن النهر حفر بأجرة دفعت من مال حرام، الخامس ورع المقربين وهو صرف القلب عن الاشتغال بماسواه تعالى، و ينبغى أن يعلم أن الورع كماذكره بعض أهل التحقيق قد يشبه بالسواس كمن وجد ثوبين أحدهما لم تلحقه نجاسة والاخر لحقته وغسلت فيترك الصلاة بالمغسول لانه مسته نجاسة وكمن قبل أحد يده فيغسلها ويقول ان الخروج من عهدة التكليف بيقين يتوقف على غسلها لان من الجايز أن يكون بيد من مسه أو بفى من قبل يده نجاسة لاسيما العوام ومن لايتحفظ ولايعرف أحكام الطهارة والنجاسة والظاهر أن أمثال هذه الامور من الوسواس الا اذا كان المس ممن لايتحفظ ولايعرف أحكام الطهارة والنجاسة فان الظاهر أن الاجتناب منه من الورع، وقال بعض العامة كل هذا من باب الورع وانما الوسوسة مثل ما يتفق لبعض الناس من اكثار الماء للوضوء واكثار التدلك ونحو ذلك والمراد بالاجتهاد المبالغة فى طلب الدين وأحكامه والعمل بها من الجهد بالفتح وهو طلب الشيء الموجب لوصوله الى نهايته، يقال جهد فى الامر جهداً من باب نفع اذا طلبه حتى يبلغ نهايته.

قوله (اتقواالله و صونوا دينكم بالورع) أى اتقوا عذاب الله و مخالفته و صونوا دينكم عن الضياع والفساد بالورع وترك ماينبغى الاجتناب عنه من المشتبهات وان بعد احتمال الحرمة فيها قال أمير المؤمنين «ع» «الورع جنة» أى جنة من النار، اذ من ترك ملاذ الدنيا فاز بالعقبى ونجا من سهام النار، وقال بعض أهل المعرفة: رأيت فى المنام كان القيامة قد قامت والخلق كلهم فى الموقف فرأيت طيراً أبيض يأخذ واحداً واحداً من الموقف ويدخله الجنة فقلت ما هذا الطير الذى من الله تعالى على عباده، فنادى منادأن هذا الطير شيء يقال له الورع.

ابن خليفة، قال: وعظنا أبوعبدالله عليه السلام فأمر وزهّد ، ثمّ قال: عليكم بالورع،فإنّه لاينال ماعندالله إلاّ بالورع .

٤ ـ عدّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن ابن فضّال ،

قوله (فامر وزهد، ثم قال عليكم بالورع فانه لاينال ماعندالله الابالورع) أى لاينال ما عندالله من الاسرار اللاهوتية والانوار الملكوتية واللوامع الغيبية والصور العينية والمثوبات الاخروية واللذات الروحانية والدرجات العالية فى الدار الباقية الا بالورع فان المتورع يحاسب نفسه دائماً فى حركاتها و سكناتها و يتهمها فى كل ماتأمر به فاذا خلص من مهلكاتها تنور قلبه(١) وانفتح له باب الملكوت وظهرت له لوامع الانوار ولاحت له لوايح الاسرار مرة بعد اخرى فيشاهد اموراً غيبية فى صور مثالية (٢) وعند ذلك يرغب فى العزلة والخلوة و الذكر و

(١) قوله « فاذا خلص من مهلكاتها تنور قلبه » تكلم علماء هذا الشأن فى الحالات التى يتبادل على الانسان من اول سلوكه الى أن يبلغ ما يمكن بلوغه اليه وقد يقدم بعض المقامات على بعض أحدهم ويؤخره آخرون لاختلاف الحالات الطارية ونظيره رتبة الحكماء فى تدرج الانسان من العقل الهيولانى الى العقل بالفعل و العقل المستفاد قدم بعضهم العقل المستفاد والاخرون العقل بالفعل باعتبار وقد يكون عقل الانسان بالنسبة الى امور عقلا بالملكة وبالنسبة الى اخرى عقلا بالفعل او مستفاداً ، ولا خلاف بين أهل السلوك فى أن الورع والاجتناب عن المحارم بل عن الالتفات الى حظوظ النفس يوجب توجهه الى العوالم المعنوية وانفتاح باب عالم الملكوت على قلبه وقد علم بالتجربة أن توجه النفس الى بعض شؤنها يصرفها عن غيرها و اللذات والشهوات بعض شؤن النفس و الاختلاس من عالم الملكوت أيضاً بعض شؤونها يمنع احديهما الاخرى . (ش)

(٢) قوله « في صورمثالية » أول ما يبدو للسالك فى المنام فيرى رؤيا صادقة ويشاهد الغيب فى صورة مثالية كالعلم فى صورة اللبن والمال فى صورة القاذورات ثم يراها فى اليقظة اذا حصل له ملاك النوم من الاعراض عن عالم الحس ويقل ويكثر للناس بحسب اختلاف حالاتهم فقد لا يرى المنغمر فى الماديات المقطوع عن عالم المجردات رؤيا اصلا أو لا يرى رؤيا صادقة وبعده من يرى فى النوم كثيراً ويشاهد ما يتفق له بعد ذلك قبل وقوعه وهذا يدله على وجود عالم مجرد وموجودات كاملة فى ذلك العالم يعلمون ما يأتى قبل وقوعه ويحصل له مرتبة من عين اليقين بعالم التجرد فاذن يتوجه الى ذلك العالم و يرغب فى العزلة والخلوة على ما ذكره الشارح الى آخر ما ذكره (ش) .

عن أبي جميلة ، عن ابن أبي يعفور ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لاينفع اجتهاد لاورع فيه.

٥ـ عنه ، عن أبيه، عن فضالة بن أيّوب، عن الحسن بن زياد الصيقل، عن فضيل ابن يسار قال: قال أبوجعفر عليه السلام: إنّ أشدّ العبادة الورع.

٦ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن محمّد بن إسماعيل بن بزيع، عن حنان بن سدير قال: قال أبوالصباح الكناني لأبي عبدالله عليه السلام: ما نلقى من الناس فيك؟! فقال أبوعبدالله عليه السلام: وما الذي تلقى من الناس فيّ؟ فقال: لايزال يكون بيننا و بين الرّجل الكلام فيقول: جعفريٌّ خبيث، فقال : يعيّركم النّاس بي ؟ فقال له أبوالصباح: نعم فقال: ما أقلّ والله من يتّبع جعفراً منكم، إنّما أصحابي من اشتدّ ورعه، وعمل لخالقه و رجا ثوابه، فهؤلاء أصحابي.

المواظبة على الطهارة التامة والجد فى العبادة والمراقبة والاعراض عن المشاغل الدنيوية الحسية بالكلية فيحصل له الوجد والشكر والشوق والمحبة فيمحوه تارة بعد اخرى و يجعله فانياً عن نفسه وهكذا حتى يتمكن ويتخلص من التلوين وينزل عليه السكينة ويصير ورود هذه الاحوال ملكة له واذا بلغ هذه المرتبة دخل فى عالم الجبروت ولايرى الاالحى الذى لايموت وتم له نظامه ونال ماله عندالله كماله وتمامه.

قوله (لاينفع اجتهاد لا ورع فيه) أى لاينفع الاجتهاد فى الاعمال المطلوبة و الافعال المرغوبة بلاورع عن المحرمات والمشتبهات وغيرها فان احداث الباعث للكرامة لاينفع مع الاتيان بالمانع منها.

قوله (ان أشد العبادة الورع) اذ فى كل عبادة جهاد مع النفس الامارة ولا ريب فى أن تفاوت العبادات فى الشدة و الفضيلة باعتبار تفاوت الجهاد مع النفس فى الشدة و الضعف ولا فى أن الجهاد معها فى الورع عن المحرمات أشد فاذن الورع أشد العبادة

قوله (انما أصحابى من اشتد ورعه و عمل لخالقه ورجا ثوابه) فى ذكر الرجاء بعد العمل والورع تنبيه على أنهما سبب لرجاء الثواب لاللثواب و على أنه لاينبغى لاحد أن يتكل على عمله، غاية ما فى الباب له أن يجعله وسيلة للرجاء وقد مر أن الرجاء بدونهما غرور و حمق وفيه دلالة على أنه « ع » كره ما قاله أبو الصباح لما فيه من الخشونة و سوء الادب.

٧- حنان بن سدير، عن أبي سارة الغزال، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال الله عزّ وجلّ: ابن آدم اجتنب ما حرّمت عليك، تكن من أورع الناس.

٨- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، و عليّ بن محمّد، عن القاسم بن محمّد، عن سليمان المنقري، عن حفص بن غياث قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن الورع من الناس، فقال الّذي يتورّع عن محارم الله عزّ وجلّ.

٩- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن النعمان، عن أبي اُسامة قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: عليك بتقوى الله والورع والاجتهاد وصدق الحديث و أداء الأمانة و حسن الخلق و حسن الجوار و كونوا دعاة إلى أنفسكم بغير ألسنتكم و كونوا زيناً ولاتكونوا شيناً و عليكم بطول الرُّكوع والسجود، فانّ أحدكم إذا أطال الرُّكوع والسجود هتف إبليس من خلفه وقال: يا ويله أطاع و عصيتُ وسجد و أبيتُ.

١٠- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن أبي زيد، عن أبيه

قوله (ابن آدم اجتنب ماحرمت عليك تكن من أورع الناس) الظاهر أن الموصول عام وحينئذ معنى التفضيل واضح.

قوله (وحسن الجوار) من حسن الجوار ايصال الخير الى الجار والتحمل لاضراره ودفع الضرر عنه وعدم الاضرار له وعدم التطلع الى داره ونحو ذلك.

(و كونوا دعاة الى أنفسكم بغير ألسنتكم) يعنى بأعمالكم و أخلاقكم و ورعكم فان الناظر اليها يطلب المتابعة لكم.

(فان أحدكم اذا أطال الركوع والسجود هتف ابليس من خلفه فقال ياويله) الهتف الصيحة والصراخ والويل الحزن والمشقة والهلاك من العذاب، وقد يراد به معنى التعجب و أضافه الى ضمير الغايب دون ياء المتكلم كراهة أن يضيفه الى نفسه و معنى النداء فيه ياحزنه ويا هلاكه احضر فهذا وقتك وأوانك، فكأنه نادى الويل أن يحضره لما عرض له من الامر الفظيع وهو الندم على ترك السجود لآدم «ع» ولحوق ما لحقه من اللعن والطرد ويفهم من قوله:

(أطاع وعصيت و سجد و أبيت) أن تأسفه اولا على تركه طاعة الرب مطلقاً و اتيان ابن آدم بها و ثانياً على تركه خصوص الامر بأصل السجود و اتيان ابن آدم به و ان كانت السجدتان متغايرتين.

قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فدخل عيسى بن عبدالله القمّي فرحّب به و قرّب من مجلسه، ثمَّ قال : ياعيسى بن عبدالله ليس منّا ـ ولا كرامة ـ من كان في مصرٍ فيه مائة ألف أو يزيدون وكان في ذلك المصر أحدٌ أورع منه.

١١ـ عنه، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن فضّال، عن عليِّ بن عقبة ، عن أبي كهمس ، عن عمرو بن سعيد بن هلال قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام أوصني ، قال: اُوصيك بتقوى الله و الورع و الاجتهاد و اعلم أنّه لاينفع اجتهاد لاورع فيه.

١٢ـ عنه، عن أحمد بن محمّد، عن عليِّ بن الحكم، عن سيف بن عميرة ، عن أبي الصباح الكناني، عن أبي جعفر عليه السلام قال : أعينونا بالورع، فإنّه من لقى الله عزَّ و جلَّ منكم بالورع كان له عندالله فرجاً ، وإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: « من يطع الله و رسوله فاولئك مع الّذين أنعم الله عليهم من النبيّين و الصدّيقين و الشهداء و الصالحين و حسن اُولئك رفيقاً» فمنّا النبيُّ و منّا الصدِّيق والشهداء والصالحون.

١٣ـ عليٌّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن أبي عبدالله عليه السلام

قوله (فرحب به) رحب بالتشديد أى قال مرحباً أى أتيت أو نزلت مكاناً واسعاً من الرحب بالضم السعة وبالفتح الواسع وهذا يقال للتعظيم والتكريم.

(ليس منا ولا كرامة) أى ليس منا أهل البيت أوليس من خلص شيعتنا و لعل المراد بالكرامة هى الكون فى دارالمقامة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين كما يظهر من الخبر الاتى أو دخول الجنة والفوز بنعيمها بغير حساب.

(و كان فى ذلك المصر أحد أورع منه) قيل أراد بالاحد غير الشيعة من أهل الخلاف ، والتعميم محتمل ، فيه حث بليغ لكل أحد على تحصيل نهاية الورع والله ولى التوفيق .

قوله (أعينونا بالورع) الائمة عليهم السلام يتكفلون نجاة الشيعة بالشفاعة و كلما كان ذنوبهم أقل و ورعهم أشد و أكمل كانت التنجية والشفاعة عليهم أسهل فلذلك قال « ع » أعينونا بالورع.

(كان له عندالله فرجاً) فرجاً فى النسخ التى رأيناها بالجيم والنصب والحاء محتمل و هو خبر كان واسمه ضمير يعود الى اللقاء أوالورع (من يطع الله ورسوله) لاريب فى أن اطاعتهما لاتتحقق بدون الورع وبذلك يتم الاستشهاد.

قال: إنّا لانُعدُّ الرَّجل مؤمناً حتّى يكون بجميع أمرنا متّبعاً مريداً، ألا و إنَّ من اتّباع أمرنا وإرادته الورع، فتزيّنوا به يرحمكم الله، و كيدوا أعداءنا [به] ينعشكم الله.

١٤ـ محمّدُ بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحجّال، عن العلاء، عن ابن أبي يعفور قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: كونوا دعاة للنّاس بغير ألسنتكم، ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير، فإنَّ ذلك داعية.

١٥ـ الحسينُ بن محمّد، عن عليِّ بن محمّد، بن سعيد، عن محمّد بن مسلم، عن محمّد بن حمزة العلويِّ قال: أخبرني عبيدالله بن عليٍّ، عن أبي الحسن الأوَّل عليه السلام: قال: كثيراً ما كنت أسمع أبي يقول: ليس من شيعتنا من لاتتحدَّث المخدَّرات بورعه في خدورهنَّ و ليس من أوليائنا من هو في قرية، فيها عشرة آلاف رجل فيهم [من] خلق [ا]لله أورع منه.

قوله (انا لانعد الرجل مؤمناً حتى يكون لجميع امرنا متبعا مريدا) قد ذكرنا آنفاً أن المؤمن فى عرف الائمة عليهم السلام هو المؤمن الكامل وأن الكمال له مراتب متفاوتة و الذى يظهر هنا أن المراد به الفرد الاكمل وهو نادر جداً كما دل عليه ماروى عن أبى عبدالله «ع» قال «المؤمنة أعز من المؤمن والمؤمن أعز من الكبريت الاحمر فمن رأى منكم الكبريت الاحمر» (كيدوا أعداءنا به ينعشكم الله) الكيد المكر والاحتيال والمراد هنا الحرب وسميت كيداً لاحتيال الناس فيها، والنعش الرفع والاقامة يقال نعشه الله وأنعشه أى رفعه وأقامه كذا فى المصباح، و فيه رد على الجوهرى حيث قال يقال نعشه الله ينعشه ولايقال أنعشه الله، و المعنى حاربوا أعداءنا بالورع لتغلبوا عليهم يرفعكم الله كما يرفع درجات المجاهدين و تلك الغلبة اما بقطع ألسنة طعنهم بنسبة الخبث الى هذه الفرقة الناجية، أو ليرجعوا اليهم بمشاهدة حسن أفعالهم و يؤيد هذا مامر من قوله «ع» «و كونوا دعاة الى أنفسكم بغير ألسنتكم» والله اعلم.

قوله (فان ذلك داعية) أى داعية للناس على الاقتداء بكم اذ مشاهدة الخير فى الغير يدعو الطالب القابل المستعد الى الاقتداء به وهو مجرب، والتاء للمبالغة كما فى كافية لا للتأنيث باعتبار المذكورات لان ذلك اشارة الى المذكور.

قوله (ليس من شيعتنا من لاتتحدث المخدرات بورعه في خدورهن) المراد بالشيعة

(باب العفة)

١- عليُّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّادبن‌عيسى، عن حريز، عن‌زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال،: ما عُبدالله بشيء أفضل من‌عفّة‌بطن وفرج.

٢- محمّدبن يحيى، عن أحمدبن محمّد، عن محمّدبن إسماعيل، عن حنان بن سدير،

خلصهم الذين هم من أهل الكرامة المذكورة سابقاً، والخدر بالكسر السترو الجمع خدور، و يطلق الخدر على البيت ان كان فيه امرأة والافلا، واخدرت الجارية لزمت الخدر، واخدرها أهلها يتعدى ولايتعدى وخدورها بالتثقيل أيضاً وبالتخفيف أى ستروها وصانوها عن الامتهان والخروج لقضاء حوائجها و فيه أن شهرة الصلاح بل اظهاره ليشتهر أمر مطلوب ولكن بشرط أن لايكون الاظهار لقصد الرياء والسمعة بل لغرض صحيح مثل الاقتداء به والتحفظ عن نسبة الفسق اليه ونحوهما.

قوله (ما عبدالله بشيء أفضل من‌عفة بطن وفرج) لايبعد أن يراد بالبطن ما يشمل الفم أيضاً و يؤيده ماروى من طرق العامة «أكثر مايدخل النار الاجوفان الفم والفرج» و العفة فى اللغة الامتناع يقال عف عن الشيء يعف من باب ضرب عفة بالكسر و عفافاً بالفتح اذا امتنع عنه فهوعفيف، وفى العرف حالة نفسانية تمتنع بها عن غلبة الشهوة. وتلك الحالة من الاخلاق الشريفة الحاصلة من الاعتدال فى القوة الشهوية التى هى مبدأ طلب الغذاء و شوق التذاذ بالمواكل والمشارب والمناكح واعتدالها بأن تقتصر فى هذه الامور على قانون الشرع والعقل ولايتجاوز عن حكمهما وذلك بأن يعف البطن والفم عن الاكل والشرب من الحرام والغيبة والنميمة والقذف والكذب و شهادة الزور والبهتان واللغو والهذيان وغيرذلك من معاصى اللسان و يعف الفرج عن الزناء و ما يشبهه ويلحق به الرفث والنظر و اللمس و جميع ماحرم من مقدماته وعند ذلك يكون الشرع محفوظاً والعقل غالباً و تلك القوة مغلوبة مقهورة لامره ونهيه. و أما اذا أفرطت تلك القوة فى طلب اللذات البطنية والفرجية و خرجت عن حكمهما صار الشرع متروكاً مدروساً والعقل مغلوباً مقهوراً و صار الامير مأموراً والسلطان رعية كما فى الاكثر فان عقولهم صارت خادمة لشهواتهم، مشغولة بفنون التدبيرات والحيل لتحصيل اللذات المذكوزة ولو كان من الحرام، و مما ذكر يظهر أن عفة البطن و الفرج عبادة أفضل العبادات لان كل مايتصف به العبد و يوجب قرب الحق فهو عبادة و لها مراتب متفاوته فى الفضل و أفضلها العفة بكسر القوة الشهوية و كسرها مستلزم لكسر القوة الغضبية لان القوة الغضبية معينة للقوة الشهوية فى تحصيل مقتضاها برفع الموانع على وجه

عن أبيه قال: قال أبوجعفر عليه السلام: إنّ أفضل العبادة عفّة البطن والفرج.

٣ـ عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمّد الأشعري، عن عبدالله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول: أفضل العبادة العفاف.

٤ـ عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن أبيه، عن النضر بن سويد عن يحيى بن عمران الحلبيّ، عن معلّى أبي [بن.خ] عثمان، عن أبي بصير قال: قال رجل لأبي جعفر عليه السلام: إنّي ضعيف العمل قليل الصيام ولكنّي أرجو أن لا آكل إلّا حلالاً قال: فقال له: أيّ الاجتهاد أفضل من عفّة بطن وفرج.

٥ـ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أكثر ما تلج به أمّتي النّار الأجوفان البطن والفرج.

٦ـ وبإسناده قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ثلاث أخافهنّ على أمّتي من بعدي الضلالة بعد المعرفة، ومضلّات الفتن، وشهوة البطن والفرج.

التسلط و من البين أن العفة بكسر هاتين عبادة وأصل لسائر العبادات فهى أفضلها.

قوله (أن أفضل العبادة عفة البطن و الفرج) وهى الامتناع عن المحرمات و المشتبهات بل عن الاكثار أيضاً فان البطنة توجب خمود الفطنة و متابعة الشهوة فى السفاد تورث الفساد الامن عصمه الله. والحاصل أن عفتهما كناية عن كسر القوة الشهوية بل الغضبية أيضاً لماعرفت و هو أفضل العبادات اذبه يستقيم الظاهر والباطن و بدونه يقع الفساد فيهما وذلك لان شهوة البطن والفرج والقيام بمقتضاها لايحصل الا بالشره بالمال والحرص فى الدنيا و جمع زخارفها و هذا لايحصل الا بالجاه وحب الرئاسة وهما لايحصلان الا بالخصومة مع الخلق وهى تورث الحسد و التعصب و العداوة و الحقد و الكبر و ترك الفضائل الظاهرة و الباطنة و توجب جميع المعاصى و من ههنا علم أن عفة البطن و الفرج أصل لجميع العبادات و أفضلها.

قوله (و باسناده قال قال رسول الله «ص») أى باسناد السكونى أو على بن ابراهيم عن أبى عبدالله «ع» قال: قال: وقد وقع كل ما خافه «ص» بعده من الامور الثلاثة لطغيان قوة الشهوية والغضبية و متابعة الاهواء النفسانية فى الامة الا من شذ. قيل: هذا الحديث ليس فى كتاب الشهيد الثاني.

٧ ـ أبوعليّ الأشعري، عن محمّد بن عبدالجبّار، عن بعض أصحابه، عن ميمون القدّاح قال: سمعت أباجعفر عليه السلام يقول: ما من عبادة أفضل من عفّة بطن وفرج.

٨ـ محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن سيف بن عميرة عن منصور بن حازم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: مامن عبادة أفضل عندالله من عفّة بطن وفرج.

(باب اجتناب المحارم)

١ـ محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن داود ابن كثير الرقّي، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «و لمن خاف مقام ربّه جنّتان» قال: من علم أنّ الله عزّ وجلّ يراه و يسمع مايقوله و يفعله من خير أو شرّ فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال، فذلك الّذي خاف مقام ربّه ونهى النّفس عن الهوى.

٢ـ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني عن أبي جعفر عليه السلام قال: كلّ عين باكية يوم القيامة غير ثلاث: عين سهرت في سبيل الله، وعين فاضت من خشية الله، وعين غضّت عن محارم الله.

قوله (ولمن خاف مقام ربه جنتان) قدمر تفسيره فى باب الخوف.

(قال من علم ان الله عزوجل يراه و يسمع ما يقوله) هذا مقام المراقبة وهو يقتضى تجويد العمل و تحسينه لان من عمل عملا و علم أن عليه فى عمله رقيباً لايدع شيئاً من وجوه الاجادة الاياتى به كما هو مشاهد فى أعمال الناس بعضهم لبعض، و ينبغى أن يعلم أن للعبد فى عبادته ثلاثة مقامات الاول أن يفعلها مستوفاة للاركان والشرائط و هذا هو الذى يسقط معه التكليف و هو مقام أكثر العابدين. الثانى أن يفعلها كذلك و قد علم أن المعبود جل شأنه يراه و يشاهده و هو مستحضر القلب بذلك و هذا مقام المراقبة. الثالث أن يفعلها كذلك وقد استغرق فى بحر المكاشفة حتى كانه يرى الله المعبود بالحق وهذا مقام المكاشفة و مقام خاص الخاص كما قال«ص»«جعلت قرة عينى فى الصلاة» والمقام الاول ادنى المقامات بحيث لولم يكن العابد من أهل هذا المقام لم يكن عابداً بل مستهزئاً اعاذنا الله من ذلك، و الثالث أشرف المقامات وفقنا الله و اياكم لما يحبه و يرضاه.

قوله (عين سهرت فى سبيل الله) سبيل الله شامل لجميع الخيرات و منها طلب العلم وهو السبيل الاعظم.

٣ـ عليٌّ، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: فيما ناجى الله عزّ وجلّ به موسى عليه السلام يا موسى ما تقرَّب إليَّ المتقرّبون بمثل الورع عن محارمي، فإنّي اُبيحهم جنّات عدن لا اُشرك معهم أحداً.

٤ـ عليٌّ [بن إبراهيم]، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبيدة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من أشدّ ما فرض الله على خلقه ذكر الله كثيراً ،

(و عين فاضت من خشية الله) الخشية الخوف و الفرق بينهما بأن الخوف تألم النفس من العقاب المتوقع بسبب ارتكاب المنهيات و التقصير فى الطاعات ، و الخشية خوف يحصل عند الشعور بعظمة الحق و هيبته و الحجب عنه اصطلاح جديد حسن عند الاجتماع دون الانفراد .

(و عين غضت عن محارم الله) كناية عن ترك النظر فيما لايجوز.

قوله (ما تقرب الى المتقربون بمثل الورع عن محارمى) هذا أول الاقسام المذكورة و هو ورع العدول فليس التفضيل بالنسبة الى الاقسام التى بعده بل بالنسبة الى فعل الطاعات فدل على أن الاجتناب عن المنهيات من العقائد والاعمال أفضل من الاتيان بالطاعات مع اشتراكها فى تعظيم الرب اما لان التخلية أفضل من التحلية كما هو المشهور، أو لان مخالفته أفخم من موافقته أو لان المعصية أكثر من الطاعة .

(فانى ابيحهم جنات عدن) أى آذن لهم فى دخولها و أنزلهم فيها وهى مقام عال من مقامات الجنة أعدها للورعين لايدخلها غيرهم .

قوله (قال من أشد مافرض الله على خلقه ذكر الله كثيراً) قال الله تعالى و « اذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون» وقال «الذين يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم» وقال « و اذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخفيةو دون الجهر من القول بالغدو والاصال » وأصل الذكر التذكر بالقلب و منه اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم» أى تذكروا . ثم يطلق على الذكر اللسانى حقيقة ،أو من باب تسمية الدال باسم المدلول ثم كثر استعماله فيه لظهوره حتى صار هو السابق الى الفهم فنص «ع» على ارادة الاول دون الثانى فقط دفعاً لتخصيصه بالثانى و اشارة الى أكمل أفراده مع الايماء الى أن الذكر اللسانى بدون الذكر القلبى ذكر يثاب به. و قال بعض أرباب القلوب ذكر اللسان مع خلو القلب عنه لايخلو من فائدة لانه يمنعه من التكلم باللغو و يجعل لسانه معتاداً بالخير، وقد يلقى الشيطان اليه أن حركة اللسان بدون توجه القلب عبث ينبغي تركه؛ فاللائق بحال الذاكر أن يحضره قلبه حينئذ رغماً

ثمّ قال: لاأعني «سبحان الله والحمدلله ولاإله إلاّالله و الله أكبر» وإن كان منه ولكن ذكر الله عند ماأحلّ وحرّم، فإن كان طاعة عمل بها وإن كان معصية تركها.

للشيطان ولو لم يحضره فاللائق به أن لايترك ذكر اللسان رغما لانفه أيضاً وأن يجيبه بأن اللسان آلة للذكر كالقلب ولايترك أحدهما بترك الاخر فان لكل عضو عبادة ، و اعلم أن الذكر القلبى من أعظم علامات المحبة لان من أحب أحداً ذكره دايماً أو غالباً، وأن أصل الذكر عند الطاعة والمعصية سبب لفعل الطاعة و ترك المعصية وهما سببان لزيادة الذكر و رسوخه، وهكذا يتبادلان الى أن يستولى المذكور و هوالله سبحانه على القلب ويتجلى فيه . فالذاكر حينئذ يحبه حباً شديداً ويغفل عن جميع ماسواه حتى عن نفسه اذ الحب المفرط يمنع من مشاهدة غير المحبوب وهذا المقام يسمونه مقام الفناء فى الله، والواصل الى هذا المقام لا يرى فى الوجود الا هو، و هذا معنى وحدة الوجود لا بمعنى أنه تعالى متحد مع الكل لانه محال(١) و زندقة بل بمعنى أن الموجود فى نظر الفانى هو لاغيره لانه تجاوز عن عالم الكثرة وجعله وراء ظهره و غفل عنه فافهم.

---

(١) قوله «لابمعنى انه تعالى متحد مع الكل لانه محال» بل لم يقل به أحد و لايمكن ان يتفوه به عاقل، واعلم أن علماءنا رضى الله عنهم قد يذكرون احكاماً لامور لاتتفق فى الواقع و لايتحقق الانادراً لمزيد التوضيح و البيان كما يذكرون أحكام الخنثى المشكل والمنجم الذى يعتقد الوهية الكواكب وتأثيرها فى الحوادث بالوهيتها ، مع انهم يعلمون انه لايوجد بعد ظهور الاسلام فى هذه الامة منجم قائل بها وهكذا القائلون بوحدة الوجود فى الامة وفى كل امة لايعتقدون اثبات الممكنات وحلول ذات الواجب فيها بل لايثبتون معه تعالى غيره حتى يحل الواجب فى غيره فمرجع وحدة الوجود الى انكار الممكنات و نفى الكثرة لاالى اثبات الكثرات والممكنات و حلول الواجب فيها ومعلوم ان انكار الممكنات ليس كفراً نعم ان لم يفرض له معنى صحيح كان خرافياً نظير مذهب السوفسطائية و ان أول بمعنى صحيح فهو حق وليس كل رأى باطل خرافى كفراً و هذا البيت مشهور من الحلاج:

بينى وبينك انيى ينازعنى فارفع بلطفك انيى من البين

و هذا صريح فى ان اعتقادهم نفى شخصية الممكن عن نظره حتى لايرى غيره تعالى لانفى حقيقة الواجب بجعله مستهلكاً فى الممكنات و بعبارة اخرى الظاهر عند غيرهم اثبات ممكن وواجب متغايرين متفاصلين مستقل أحدهما عن الاخر وأما الاتحاد وهو ارجاع الاثنين الى الواحد فلا يتعقل الا بنفى أحدهما لامحالة فان نفى احدهم استقلال الواجب و اثبت الممكن فهو كفر وان نفى الممكن واثبت الواجب فهو ليس بكفر وهذا مراد الشارح.(ش)

٥ـ ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن سليمان بن خالد قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً» قال: أما والله إن كانت أعمالهم أشدّ بياضاً من القباطي ولكن كانوا إذا عرض لهم الحرام لم يدعوه.

٦ـ عليٌّ، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَن ترك معصية لله مخافة الله تَبارك وتعالى أرضاه الله يوم القيامة.

(باب أداء الفرائض)

١ـ عدّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، وعليٌّ بن إبراهيم، عن أبيه، جميعاً، عن ابن محبوب، عن أبي حمزة الثمالي قال: قال عليٌّ بن الحسين صلوات الله عليهما من عمل بما افترض الله عليه فهو خير الناس.

قوله (وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً) أى عمدنا وقصدنا الى ماعملوا من عمل كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف واعانة المظلوم وغيرها فجعلناه هباء منثوراً فلم يبق له أثر، والهباء غبار يرى فى شعاع الشمس الطالع من الكوة من الهبو وهو الغبار و فيه دلالة على حبط الاعمال بالفسق سواء كان كفراً أم غيره، وخصه بعض المفسرين بالكفر وهو على تقدير الكفر ظاهر اذ لاعبرة بالفرع بعد فقد الاصل وهو الايمان وأما على تقدير غيره فلعل المراد به حبط مايساويه مع بقاء الزائد، وفى هذا المقام كلام طويل(١) مذكور فى موضعه، والقباطى جمع القبطية بالكسر وهى ثياب بيض رقاق تتخذ من كتان بمصر، وفى تشبيه أعمالهم بها تنبيه على أن رد أعمالهم ليس من أجل فسادها فى نفسها بل لاجل ارتكابهم للحرام سواء كان حق الله تعالى أو حق الناس ولعل ذلك فيمن أخذه عادة. والله أعلم.

قوله (من ترك معصية لله) المعصية تشتمل ترك الواجبات و فعل المنهيات و لم يذكر ما أرضاه الله به لان عقل البشر لايصل الى كنه حقيقته ورضوان من الله أكبر.

قوله (من عمل بما افترض الله عليه فهو من خير الناس) الظاهر أن لفظ «ما» شامل

---

(١) قوله «و فى هذا المقام كلام طويل» وهو الاختلاف المشهور فى الاحباط بيننا و بين المعتزلة ومذهبنا عدم الاحباط و يأول كل مايوهم منه خلافه على عدم كون العمل المحبط ثوابه صحيحاً فى الاصل لأنه صحيح يستحق به الثواب ويرتفع بالفسق فان عدم ايصال الثواب المستحق الى صاحب العمل ظلم وكلام الشارح مشتبه والحق واضح. (ش)

٢ـ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن الحسين بن المختار، عن عبدالله بن أبي يعفور، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «اصبروا وصابروا ورابطوا» قال: اصبروا على الفرائض.

٣ـ عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن عبدالرّحمن بن أبي نجران، عن حمّاد بن عيسى، عن أبي السفاتج، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «إصبروا و صابروا و رابطوا» قال: اصبروا على الفرائض و صابروا على المصائب و رابطوا على الأئمّة عليهم السلام.

وفي رواية ابن محبوب، عن أبي السفاتج [و زاد فيه] «فاتّقوا الله ربّكم فيما افترض عليكم».

٤ـ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إعمل بفرائض الله تكن أتقى الناس.

٥ـ عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن ابن فضّال، عن أبي جميلة، عن محمّد الحلبيّ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال الله تبارك و تعالى: ما تحبّب إليّ عبدي بأحبّ ممّا افترضتُ عليه.

للاعمال القلبية والبدنية والمالية، والخيرية تتفاوت(١) بحسب تفاوت مراتب هذه الاعمال كماً و كيفاً، والخير المطلق من وصل الى مرتبة العليا منها.

قوله (قال اصبروا على الفرائض) لم يرد قصر الصبر عليها بل ذكرها لان الصبر عليها أعظم والظاهر أن ترك الحرام داخل فيها لانه أيضاً فرض.

(و رابطوا على الائمة عليهم السلام) بالنفس و المال و الخدمة والانقياد لهم والانتظار لفرجهم. **قوله** (وفى رواية ابن محبوب عن أبى السفاتج وزاد فيه واتقوا الله ربكم فيما افترض عليكم) ليس فى بعض النسخ قوله «وزادفيه» ولعل التقوى فيما افترض وهو الاتيان بالواجبات والاجتناب عن المنهيات تفسير للصبر.

قوله (قال الله تعالى ماتحبب الى عبدى باحب مماافترضت عليه) مثله ماروى عنه «ص»

---

(١) قوله «الخيرية تتفاوت» الخير يستعمل بمعنى التفضيل وهو المراد بقرينة المقام ولاتتفاوت مراتبه والاولى أن يقال التفضيل بالنسبة الى من يعمل بالمستحبات ويترك الفرائض فمن عكس وعمل بالفرائض وترك النوافل خير منه وهو تفسير المجلسى رحمه الله تعالى (ش).

(باب)

(استواء العمل والمداومة عليه)

١ـ عليٌّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد، عن الحلبيّ قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: إذا كان الرَّجل على عمل فليدم عليه سنة، ثمّ يتحوَّل عنه إن شاء إلى غيره و ذلك أنَّ ليلة القدر يكون فيها في عامه ذلك، ماشاء الله أن يكون.

٢ـ عليٌّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن حريز، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: أحبُّ الأعمال إلى الله عزَّ و جلَّ مادا [و]م عليه

أنه «يقول الله عزوجل ماتقرب عبدى الى بشىء أحب الى من أداء ماافترضت عليه» و لعل السبب فيه أنه تعالى عالم بالاسباب التى تقرب الى محبته و كرامته من بعد عنه بنفسه و هواه و عادته فجعل أكبرها فرائض لعظم حرماته وأوعد بالنار من ضيعه وفرط فيه فيجب على العبد تعظيمه والمبادرة اليه والمبالغة فى أحكامه و تفريغ القلب عمايشغله عنه وجعل أصغرها نوافل وجعل قبول النوافل موقوفاً على أداء الفرائض و متمماً لها ولزيادة التقرب بها و مانعاً من التعرض لزهرات الدنيا ومباحاتها بعد الفرائض فينبغى للعبد أن لايتهاون بها بالا شتغال بالنوافل فيترك الاصل و يتمسك بالفرع فيفوته الفرع أيضاً ولايقبل منه، بل ينبغى أن يهتم بالفرائض ثم بالنوافل لتكمل فرائضه وتزداد محبته.

قوله (اذا كان الرجل على عمل فليدم عليه سنة) لعل المراد بالعمل عمل المندوب كالدعاء وسائر المرغبات بقرينة جواز التحول وأما الفرائض فيجب دوامها على الوجه المقدر ولايجوز تركها وفى الدوام منافع جليلة هى ارتياض النفس فى العبادة و اعتيادها عليها وثبات القدم فيها وضبطها عن التقلب والاعتياد به ورجاء القبول وان لم تكن ابتداء من أهله كما روى عن النبى «ص» «ان العبد ليقول اللهم اغفرلى وهو معرض عنه، ثم يقول اللهم اغفرلى وهو معرض عنه، ثم يقول اللهم اغفرلى فيقول سبحانه للملائكة ألا ترون الى عبدى سألنى المغفرة وأنا معرض عنه ثم سألنى المغفرة و أنا معرض عنه، ثم سألنى المغفرة و علم عبدى أنه لايغفر الذنوب الا أنا أشهدكم أنى قد غفرت له» و توقع مضاعفة الاجر بوقوعها فى الاوقات الشريفة التى تكون فى السنة مثل ليلة القدر وهى خير من ألف شهر و العبادة فيها كذلك. وفى قوله «ثم يتحول عنه ان شاء الى غيره» اشارة الى أن له تركه مع بدل اما لامعه فلاينبغى لانه تعطيل فى العبودية ولايليق ذلك بحال العابد العامل لله.

العبد و إن قلّ.

٣- أبوعليّ الأشعري، عن عيسى بن أيّوب، عن عليّ بن مهزيار، عن فضالة بن أيّوب، عن معاوية بن عمّار، عن نجبة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما من شيء أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من عمل يداوم عليه وإن قلّ.

٤- عنه، عن فضالة بن أيّوب، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال كان عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما يقول: إنّي لأُحبّ أن اُداوم على العمل و إن قلّ.

٤- عنه، عن فضالة بن أيّوب، عن العلاء، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما يقول: إنّي لأُحبّ أن أقدم على ربّي وعملي مستو.

قوله (أحب الاعمال الى الله عزوجل ماداوم عليه العبد(١) وان قل) و انما كان أحب لان بدوام القليل تدوم الطاعة والعبادة والعبودية وهو أحسن من العبادة فى زمان وتركها بعده بالكلية ولانه يربو ثواب القليل مع المداومة على ثواب الكثير المنقطع كمايدل عليه قول أمير المؤمنين «ع» «قليل يدوم عليه أرجا من كثير مملول» و قوله «قليل يدوم عليه خير من كثير مملول» أى الذى يمل فيه فان البركة فيه أكثر والثواب فيه أزيد والعبودية فيه أدوم و تأثيره فى تنوير القلب بتكراره أشد، و احتمال كون رضاه سبحانه فيه أعظم كما رواه الصدوق باسناده عن أميرالمؤمنين «ع» قال «ان الله أخفى رضاه فى طاعة فلاتستصغروا شيئاً من طاعته فربما وافق رضاه وأنت لاتعلم».

قوله (انى لاحب أن أقدم على ربى وعملى مستو) استوى الاعمال اعتدلت وتساوت ولم يفضل بعضها على بعض و لعل المراد به تساوى أفراد كل نوع منه فى الكم والكيف بحيث لايكون بعضها اضعف من بعض وما روى من «أن من ساوى يوماه فهو مغبون» ولعل المراد به الحث على الاكثار فى الخير نظراً الى اليوم السابق لان الاعمال كالفسوق يجر بعضها الى بعض، أوالمراد به التساوى فى القرب والمنزلة لان اضافة عمل الى عمل قبله وان تساويا لابد أن تكون موجبة لزيادة القرب والمنزلة والا فتكون فى العمل خلل وفى النية نقص و هو غبن فاحش فلاينافى المساواة بالمعنى المذكور.

---

(١) قوله «ماداوم عليه العبد» يدل على مامر من أن تأثير العمل فى الجزاء بتأثير فى النفوس وتجسم ماأثر فيها. (ش)

٦ـ عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن إسماعيل، عن جعفر بن بشير، عن عبدالكريم بن عمرو، عن سليمان بن خالد قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: إيّاك أن تفرض على نفسك فريضةً فتفارقها اثني عشر هلالاً.

(باب العبادة)

١ـ عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن عمر بن يزيد. عن أبي عبدالله عليه السلام قال: في التوراة مكتوب: يا ابن آدم تفرّغ لعبادتي أملأ قلبك غنى ولا أكلك إلى طلبك وعليّ أن أسدّ فاقتك، وأملأ قلبك خوفاً منّي وإن لا تفرّغ لعبادتي أملأ قلبك شغلاً بالدّنيا، ثمّ لا أسدّ فاقتك، وأكلك إلى طلبك.

٢ـ عليٌّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن أبي جميلة قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: قال الله تبارك وتعالى: يا عبادي الصدّيقين تنعّموا بعبادتي في الدُّنيا، فإنّكم تتنعّمون بها في الآخرة.

٣ـ عليٌّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن عمرو بن جميع، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أفضل النّاس من عشق العبادة، فعانقها وأحبّها بقلبه وباشرها بجسده وتفرّغ لها، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدُّنيا،

قوله (يا ابن آدم تفرغ لعبادتى أملاء قلبك غنى) التفرغ للعبادة والجد فيها وعدم ثقلها على النفس لا يحصل الا بنزع القلب عن شهوات الدنيا، وقطع التعلق بعلايقها، و التحرز عن المعاصى وكسر القوة الشهوية والغضبية، فاذا حصل ذلك حصل الشوق الى الله والمحبة له واللذة بعبادته و مشاهدة الاسرار اللاهوتية والانوار الربوبية ورسوخ القلب فى الصرف عن الدنيا بحيث لا يوازن بواحد منها الدنيا ومافيها وغنى القلب عبارة عن حصول هذه الامور له ومن ثمة قيل سعادة المرء معرفة الرب ودوام ذكره وخلوص العبادة له فان التمرن عليها يوصله الى مقام القرب والمحبة والاعراض عن غيره.

قوله (يا عبادى الصديقين تنعموا بعبادتى فى الدنيا) الباء اما صلة أو سببية لان العبادة غذاء روحانى بها يربو الروح و تزداد قوته وسبب للرزق و سعته كما قال «من يتق الله يجعل له مخرجاً و يرزقه من حيث لا يحتسب».

قوله (أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها) عشق يعشق عشقا من باب تعب والاسم

على عسر أم على يسر.

٤- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن شاذان بن الخليل قال: - و كتبت من كتابه بإسناد له، يرفعه إلى عيسى بن عبدالله قال: - قال عيسى بن عبدالله لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك ما العبادة؟ قال: حسن النيّة بالطاعة من الوجوه الّتي يطاع الله منها، أما إنّك يا عيسى لاتكون مؤمناً حتّى تعرف الناسخ من المنسوخ، قال: قلت جعلت فداك و ما معرفة الناسخ من المنسوخ؟ قال: فقال: أليس تكون مع الإمام موطّناً نفسك على حسن النيّة في طاعته، فيمضي ذلك الإمام و يأتي إمام

العشق بالكسر وهو الافراط فى المحبة أى أحبها حباً مفرطاً من حيث أنها وسيلة الى المحبوب الحقيقى و ذريعة للوصول اليه والقرب منه فحبها تابع لحبه و فى قوله «أم على يسر» دلالة على أن اليسر لاينافى حبها و تفريغ القلب من غيرها لاجلها وانما المنافى له تعلق القلب به. قيل ذكرت الحكماء فى كتبهم الطبية ان العشق ضرب من الماليخوليا الجنون و الامراض السوداوية و قرروا فى كتبهم الالهية أنه من أعظم الكمالات وأتم السعادات وربما يظن أن بين الكلامين تخالفا وهو من واهى الظنون فان المذموم هو العشق الجسمانى الحيوانى الشهوانى والممدوح هو الروحانى الانسانى النفسانى والاول يزول ويفنى بمجرد الوصال و الاتصال والثانى يبقى ويسمو أبدالاباد على كل حال.

قوله (قال حسن النية بالطاعة من الوجوه التى يطاع الله منها) لعل المراد بهذه الوجوه الائمة عليهم السلام واحد بعد واحد لانهم الوجوه التى يطاع الله تعالى منها لارشادهم و هدايتهم و بالطاعة الطاعة المعلومة بتعليمهم أو اطاعتهم والانقياد لهم و بحسن النية تعلق القلب بها من صميمه بلا منازعة ولا مخاطرة كما قال جل شأنه « فلا و ربك لايؤمنون - الى قوله - و يسلموا تسليماً » و يحتمل ان يراد بالوجوه وجوه العبادات وأنواعها وبحسن النية تخليصها عن شوائب النقص.

قوله (أما انك ياعيسى لاتكون مؤمناً حتى تعرف الناسخ من المنسوخ قال قلت جعلت فداك و مامعرفة الناسخ من المنسوخ) دل على جواز الخطاب بالمجمل و هو ما لم يتضح دلالته أو بالعام المراد به بعض أفراده أو بالمحتمل وقد بينا جوازه فى اصول الفقه و قالت المعتزلة لايجوز لانه تجهيل للمخاطب وهو قبيح من الحكيم ولا نسلم أنه تجهيل بل هو تقرير للحكم وتثبيت له فى ذهن السامع حيث يطلبه والمفهوم بعد الطلب اعز من المنساق بلا طلب و باعث للثواب له لقصده الامتثال بعد البيان غايته لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.

آخر فتوطّن نفسك على حسن النيّة في طاعته: قال: قلت: نعم، قال: هذا معرفة الناسخ من المنسوخ.

٥ ـ عليٌّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن جميل، عن هارون بن خارجة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: [إنّ] العبادة ثلاثة. قوم عبدوا الله عزّ وجلّ خوفاً، فتلك عبادة العبيد، و قومٌ عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب، فتلك عبادة الأُجراء، وقومٌ عبدوا الله عزّ وجلّ حبّاً له، فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة.

٦ ـ عليٌّ، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أقبح الفقر بعد الغنى وأقبح الخطيئة بعد المسكنة وأقبح من ذلك العابد لله ثمّ يدع عبادته.

٧ ـ الحسينُ بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن الوشّاء، عن عاصم بن حميد، عن

قوله (قال ان العبادة ثلاثة) أى العبادة المترتب عليها الثواب والكرامة فى الجملة ثلاثة اقسام و غيرها مثل عبادة المرائى ونحوها ليس بعبادة فليس بداخل فى المقسم.

(قوم عبدوا الله) أى عبادة قوم عبدوا الله عزوجل خوفا من ناره حتى لولم تكن النار لم يعبدوه فتلك عبادة العبيد اذ العابد فيها شبيه بالعبد فى فعله خوفا من السيد وتحرزاً من عقوبته و عبادة قوم عبدوه طلباً لثوابه و نعيم الجنة فتلك عبادة الاجراء اذ حالهم فى العبادة مثل حال الاجراء فى المعاملة لولم يكن الاجر لم يعملوا و عبادة قوم عبدوه لحبهم له و استغراق قلوبهم فى ذكره واعتقادهم بانه أهل للعبادة وغاية الخشوع له فتلك عبادة الاحرار الذين لاينظرون الا اليه ولايعكفون الا عليه و يغفل قلوبهم بالكلية عن الاغيار فضلا عن الجنة والنار و هى أفضل العبادة لخلوصها من جميع الجهات. و فى صيغة التفضيل دلالة على ان العبادة على الوجهين السابقين أيضاً عبادة صحيحة لها فضل فى الجملة فيكون حجة على من قال ببطلان عبادة من قصد التحرز عن العقاب أو الفوز بالثواب.

قوله (ما اقبح الفقر بعد الغنى) أى وجود الفقر بعد الغنى و تعيش الغنى بعيش الفقير. (و اقبح الخطيئة بعد المسكنة) لضعف آلتها و قلة أسبابها.

(و اقبح من ذلك العابد لله ثم يدع عبادته) و كان السر فيه ان كل واحد منهم انتقل من المقام الاعلى الى المقام الادنى. ومن البين ان مقام الطاعة ارفع من مقام الغنى والمسكنة فترك الطاعة أقبح.

أبي حمزة ، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال : من عمل بما افترض الله عليه فهو من أعبد النّاس.

((باب النية))

١- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن مالك بن عطيّة، عن أبي حمزة، عن عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما قال: لاعمل إلاّ بنيّة.

قوله (من عمل بما افترض الله عليه فهو أعبد الناس) كان الموصول عام و حينئذ وجه التفضيل ظاهر.

قوله (لاعمل الا بنية) قال المحقق الطوسى فى بعض رسائله النية هى القصد الى الفعل وهى واسطة بين العلم والعمل اذ مالم يعلم الشىء لم يمكن قصده ومالم يقصده لم يصدر منه، ثم لما كان غرض السالك العامل هو الوصول الى مقصد معين كامل على الاطلاق وهو الله تعالى لابد من اشتمالها على قصد التقرب به وعرفها العلامة فى القواعد بأنها ارادة ايجاد الفعل على الوجه المأمور به شرعاً. وأراد بالارادة ارادة الفاعل فخرجت ارادة الله تعالى لافعالنا و بالفعل مايعم توطين النفس على الترك فدخلت الصوم والاحرام وأمثالهما، و بالمأمور به ما يرجح فعله شرعاً فدخل المندوب وخرج المباح، اذا عرفت هذا فنقول استدل الاصحاب بمثل هذا الخبر و بقوله تعالى «وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » على أنه لا بد فى العبادات من النية حتى قال بعضهم النية بمنزلة الروح والعبادة بمثابة البدن وقال بعضهم النية بذر والعبادة زرع والاخلاص ماء . ومثل هذا الخبر رواه مسلم باسناده عن رسول الله «ص» قال « انما الاعمال بالنية وانما لامرء مانوى» قال القرطبى ذكر الائمة أن هذا ثلث الايمان و قيل ربعه و أن أصول الدين ثلاثة أحاديث أو أربعة هذا أحدها، وقال المازرى : قال الشافعى هو ثلث الاسلام وفيه سبعون باباً من الفقه وأجمع المسلمون على صحته، وقالت الائمة ولكنه لم يتواتر، و قال الابى تأمل فيه فان ابن الصلاح قال لم يتواتر الاحديثان حديث «انما الاعمال بالنيات» و حديث «من كذب على متعمداً» و حكى الخطابى عن ائمتهم أنه ينبغى لمن صنف كتاباً ان يبدأ بهذا الحديث ليبعث الطالبين على تصحيح النية، ثم نقول النفى والاستثناء للحصر قد يكون مطلقاً وقد يكون باعتبار أمر خاص مثل مازيد الا قايماً فان الحصر فيه بالنسبة الى العقود مثلا دون ساير الصفات والضابط فى ذلك انه ان دلت قرينة على تخصيص الحصر باعتبار أمر معين فهو للحصر باعتبار ذلك الامر والا فهو للحصر المطلق و انظر الحصر فى الحديث من أى النوعين هو وتعرف ذلك بعد أن تعرف أنه لابد من تقدير محذوف يتم به المعنى و يحتمل

٢ـ عليٌّ، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: نيّة المؤمن خيرٌ من عمله ونيّة الكافر شرٌّ من عمله، وكلُّ عامل يعمل على نيّته.

أن يكون التقدير لاعمل على وجه الكمال الابالنية، و يحتمل أن يكون لاعمل على وجه الصحة الابها ،وهذا هو الارجح لان الصحة أكثر لزوماً للحقيقة من الكمال والحمل على الاكثر أولى ولان نفى الصحة أقرب الى نفى الحقيقة، واذا تعذر حمل اللفظ على الحقيقة وجب حمله على أقرب المجازات كما بيناه فى أصول الفقه، وعلى هذا يفهم منه اشتراط النية فى الاعمال كما ذهب اليه الاصحاب. ثم الظاهر أن لفظ العمل يشمل عمل الجوارح والقلب و تخصيصه بالاول لاوجه له ولابد من تخصيص عمل الجوارح باخراج مالا يحتاج الى النية كغسل الثوب و البدن والظروف من النجاسات وتخصيص عمل القلب باخراج النية لئلا تتسلسل و فيه دلالة على أن المعتبر فى ألفاظ الايمان والنكاح وغيرها من العقودات والايقاعات النية دون الالفاظ وحدها الا ماخرج بالدليل مثل ماثبت من أن فى الحلف تعتبر نية المدعى وفى الاقرار يحكم على الظاهر ولايسمع دعوى عدم القصد.

قوله (قال رسول الله «ص» نية المؤمن خير من عمله و نية الكافر شر من عمله) الحديث متفق عليه بين العامة والخاصة وله وجوه: الاول أن نية المؤمن اعتقاد الحق و اطاعة الرب لو خلد فى الدنيا وهى خير من عمله اذ ثمرتها الخلود فى الجنة بخلاف عمله فانه لايوجب الخلود فيها ونية الكافر اعتقاد الباطل و معصية الرب لو خلد فيها وهى شر من عمله اذ ثمرتها الخلود فى النار بخلاف عمله يدل على هذا الوجه حديث آخر هذا الباب . و اضافه الى المؤمن والكافر فان الوصف مشعر بالعلية. الثانى أن المؤمن ينوى خيرات كثيرة خارجة عن قدرته وهو يثاب بها بدون عمل فنيته بهذا الاعتبار خير من عمله لان ثوابها أكثر من ثوابه كما يدل عليه الخبر الاتى والكافر ينوى شروراً كثيرة لايقدر على العمل بها فنيته شر من عمله ولاينا فى ذلك ما روى من «أن العبد اذا هم بشر لم يكتب عليه شىء حتى يعمل» لان كون النية شراً لا ينافيه عدم كتب المنوى وعدم العقوبة به على سبيل التفضيل على أن أكثر العامة والمتكلمين والمحدثين ومنهم القاضى البيضاوى ذهبوا الى أنه يؤاخذ بهم سيئة اذا بلغ مرتبة العزم والتصميم وتوطين النفس على الفعل لكن بسيئة العزم والتوطين لانها معصية لابسيئة المعزوم عليه لانه لم يفعله فان فعله كتبت سيئة ثانية، الثالث أن النية روح العمل والعمل بمثابة البدن لها فخيرية العمل و شريته تابعتان لخيرية النية وشريتها كما أن شرافة البدن وخباثته تابعتان لشرافة الروح و خباثته فبهذا الاعتبار نية المؤمن خير من عمله ونية الكافر شر من عمله ، الرابع أن نية المؤمن و

٣ـ عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ العبد المؤمن الفقير ليقول: يا ربّ ارزقني حتّى أفعل كذا وكذا من البرّ ووجوه الخير، فإذا علم الله عزّ وجلّ ذلك منه بصدق نيّة كتب الله له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله، إنّ الله واسعٌ كريمٌ.

قصده أولاهو الله وثانياً العمل لانه يوصل اليه ونية الكافر وقصده غيره تعالى وعمله يوصله اليه وبهذا الاعتبار صح ماذكر، و هذان الوجهان استفدناهما من كلام المحقق الطوسى فى بعض رسائله وان لم يكن صريحاً فيهما، الخامس أن «خيراً» ليس للتفضيل و«من» تبعيضية صفة له يعنى أن نية المؤمن عمل خير من جملة أعماله ونية الكافر عمل شر من جملة أعماله وهو منقول عن السيد المرتضى وبه يندفع التنافى بين هذا الحديث و بين ماروى عنه «ص» أفضل الاعمال أحمزها، وأما الوجوه السابقة فيرد على ظاهرها أن العمل أشق من النية فيكون خيراً منها بحكم هذا المروى فكيف تكون النية خيراً منه والجواب أن العمل ليس أشق من النية بل الامر بالعكس لان النية ليست مجرد التلفظ بلفظ مخصوص وحصول معناه فى القلب بل حصولها متوقف على تنزيه الظاهر والباطن عن الرذائل كلها و توجه القلب الى المولى بالكلية و اعراضه عن جميع ماسواه وتطهير العمل عن جميع مايوجب نقصه وفساده ولا ريب فى أن النية على هذا الوجه أشق من العمل كما يدل عليه ماروى عن أمير المؤمنين «ع» «أن تصفية العمل أشد من العمل و تخليص النية من الفساد أشد على العاملين من طول الجهاد» الحديث طويل مذكور فى كتاب الروضة أخذنا منه موضع الحاجة، ثم أشار الى أن قبول العمل ورده وخيره و شره تابعة للنية بقوله «وكل عامل يعمل على نيته ان خيراً فخير وان شراً فشر» و من طرق العامة «ان الله لاينظر الى صوركم وانما ينظر الى قلوبكم» يعنى الى نياتكم من باب اطلاق المحل على الحال.

قوله (كتب الله له من الاجر مثل مايكتب له لو عمله) يمكن ان يجعل تفسيراً لما مر من ان نية المؤمن خير من عمله لان المؤمن ينوى خيرات كثيرة لا يساعده القدرة أو الزمان على فعلها فيثاب بها فيكون الثواب على النية أكثر من الثواب على العمل فتكون النية خيراً منه وهذا الوجه ينسب الى ابن دريد اللغوى كما صرح به الشيخ فى الاربعين، و لعل المراد أنه يكتب له أجره مضاعفاً كما يقتضيه لفظ المثل و أن أجر النية من حيث هى مثل أجر العمل من حيث هو، لا أنه مثل أجره مع النية فلا يلزم زيادة الشيء على نفسه أو الغاء العمل و اثابة المؤمن بنيته امر متفق عليه بين الامة روى مسلم باسناده عن رسول الله «ص» قال

٤- عدَّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن عليٍّ بن أسباط، عن محمّد بن إسحاق بن الحسين، عن عمرو، عن حسن بن أبان، عن أبي بصير قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن حدِّ العبادة الّتي إذا فعلها فاعلها كان مؤدِّياً؟ فقال: حسن النيّة بالطاعة.

٥- عليٌّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمّد، عن المنقري، عن أحمد بن يونس، عن أبي هاشم قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: إنّما خُلّد أهل النّار في النّار لأنَّ نيّاتهم كانت في الدُّنيا أن لو خلّدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، و إنّما خُلّد أهل الجنّة في الجنّة لأنَّ نيّاتهم كانت في الدُّنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيّات خُلّد هؤلاء وهؤلاء، ثمَّ تلا قوله تعالى: «قل كلٌّ يعمل على شاكلته» قال: على نيّته.

(باب)

١- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن الأحول، عن سلام بن المستنير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ألا إنَّ لكلِّ

« من طلب الشهادة صادقاً أعطيها ولو لم تصبه» و باسناد آخر عنه «ص» قال « من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه» قال المازرى وفيهما دلالة على أن من نوى شيئا من أفعال البر ولم يفعله لعذر كان بمنزلة من عمله، وعلى استحباب طلب الشهادة ونية الخير وقد صرح بذلك جماعة من علمائهم حتى قال الابى لو لم ينوه كان حاله حال المنافق لا يفعل الخير ولا ينويه ، و قيل «مر رجل من بنى اسرائيل سنة القحط على جبل من الرمل فقال: لو كان حنطة لانفقته على الفقراء فأوحى الله الى رسول ذلك العصر أن يقول له ان الله قبل صدقتك وأعطاك أجر انفاقه لو كان حنطة».

قوله (فقال حسن النية بالطاعة) لعل المراد به حسن النية بطاعة الامام و الاقبال عليها من صميم القلب أو المراد به تزكية نية العبادة عن جميع النقائص و تصفيتها عن غير وجه الله تعالى ،وجعله حد العبادة لان العبادة به عبادة فيفهم أنه شرط لقبولها.

قوله (قل كل يعمل على شاكلته قال على نيته) كان المراد نظراً الى ظاهر الاستشهاد أن كل أحد بمنزلة من يعمل على نيته فان كانت نيته الطاعة أبداً فهو مطيع أبداً فيستحق الخلود فى الجنة و ان كانت نيته المعصية أبداً فهو عاص أبداً فيستحق الخلود فى النار.

قوله (ألا ان لكل عبادة شرة ثم تصير الى فترة فمن صارت شرة عبادته الى سنتى فقد

عبادة شرّة ثمّ تصير إلى فترة ، فمن صارت شرّة عبادته إلى سنّتي فقد اهتدى ومن خالف سنّتي فقد ضلّ و كان عمله في تباب أما إنّي اُصلّي وأنام وأصوم وأفطر وأضحك وأبكي فمن رغب عن منهاجي وسنّتي فليس منّي . وقال: كفى بالموت موعظة، وكفى باليقين غنى ، وكفى بالعبادة شغلا .

٢- عدّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن الحجّال ، عن ثعلبة ، قال:

اهتدى) الشرة وزان الشدة: الحدة والرغبة والنشاط فى العمل والفترة بفتح الفاء الضعف و الكسل فيه وأصلها الانكسار ، يقال فتر عن العمل فترة وفتورا اذا انكسر حدته ، و لعل المراد أن للمبتدى فى العبادة نشاطاً تاماً وارادة حادة و رغبة كاملة تبعث النفس على الجد فيها وتحمل مشاقها فاذا دام ذلك يعترى النفس فتور وضعف عن العبادة اما لملال الطبع و سآمته اولمنع من جهة الحق عزوجل يمتحن به العابد ليريه عجزه فلا يعجب بعمل نفسه بل يرى تمكنه من العمل بحسن توفيقه أوليختبر ما عنده من الصدق فان هو سكن ولم يتألم لذلك فلا يردها عليه فانه لايعرف قدرها و ان هو توجع وتضرع وجزع فردها اليه وزاده ثم بين حال الشرة بقوله «فمن صارت شرة عبادته الى سنتى» أى طريقتى وهى طريقة العدل والاقتصاد ولم تتجاوز عنها فقد اهتدى لان طريق الاقتصاد قلما يعتريه الفتور وأما المتجاوز عنه فانه فى معرض الفتور لسأمة النفس وملالها غالباً كما يظهر من الباب الاتى. هذا الذى ذكرنا على سبيل الاحتمال والله أعلم بحقيقة الحال قال (كفى بالموت موعظة) الموعظة هى الزاجرة عن الدنيا و الركون اليها والداعية الى الاخرة وقرب الحق و أعظمها هو الموت اذ العاقل اذا تفكر فيه وفى غمراته وما يعقبه من أحوال البرزخ والقيامة وأهوالها والحساب والعقاب و ما فعله بأهل الدنيا من قطع أيديهم عنها واخراجهم منها طوعاً أو كرهاً هانت عنده الدنيا وما فيها واجتهد فى الطاعة وتحرز عن المعصية (وكفى باليقين غنى) الغنى ما يغنى عن غير الله تعالى و يرفع الحاجة اليه واليقين بالله وباليوم الاخر وبحصول ما وعده الله من الجزاء والارزاق أقوى ما يغنى عن غير الله سبحانه لانه نور موجب لوصول السالك الى الحق واتصاله به اتصالا معنوياً بحيث لايشاهد غيره فضلا عن الاحتياج اليه (وكفى بالعبادة شغلا) لان كل شغل غير العبادة فهو لهو ولعب يوجب البعد عنه تعالى وتنقطع ثمرته بخلاف العبادة فانها توجب قربه تعالى وتدوم ثمرته و فيه ترغيب فى العبادة و هى مرتبة عظيمة لايعطيها الله تعالى الا من يحبه ألا ترى أن الله تعالى حين أراد أن يلبس نبيه «ص» حلة الشرف و الكرامة نسب العبودية اليه فقال «أنزل على عبده الكتاب».

قال أبوعبدالله عليه السلام : لكلّ أحد شرّة و لكلّ شرّة فترة ، فطوبى لمن كانت فترته إلى خير.

(باب الاقتصاد فى العبادة)

١- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن سنان ،عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ هذا الدّين متين فأوغلوا فيه برفق ولاتكرهوا عبادة الله إلى عبادالله، فتكونوا كالرّاكب المنبتّ الّذي لاسفراً قطع ولاظهراً أبقى. محمّد بن سنان، عن مقرن، عن محمّد بن سوقة، عن أبي جعفر عليه السلام مثله.

٢- عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، و محمّد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ،

(لكل أحد شرة ولكل شرة فترة فطوبى لمن كانت فترته الى خير) لعل المراد أن الشرة قد تفضى الى التجاوز عن حد الاقتصاد وتوجب الكلال والفتور فى الاعمال فطوبى لمن كانت فترته الى الخير وهو القصد لاالى الاعراض فالاقتصاد أمر مطلوب قد وقع الحث على التمسك به حيث مدح فى الاول من انتهت شرته اليه، وفى هذا الحديث من رجع عن شرته عند التجاوز وقام عليه. وللحديث احتمالات اخر ذكرناها فى آخر كتاب العلم.

قوله (ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق) اسم الدين يقع على جميع ما تعبد الله به خلقه من توحيده وطاعته والانقياد لحكمه وهو جملة الاسلام كما قال تعالى «ان الدين عند الله الاسلام» ووصفه بأنه متين أى قوى شديد من متن الشيء -بالضم- متانة اشتد و قوى فهو متين للتنبيه على أنه لايقدر على تحمله الا المؤمنون وذلك كما قال الله تعالى فى وصف الصلاة « و انها لكبيرة الاعلى الخاشعين» وهم المؤمنون العارفون، والايغال السير الشديد، يقال أوغل القوم وتوغلوا اذا أمعنوا فى سيرهم، والمنبت الرجل الذى انقطع به فى سفره وعطبت راحلته وهو مطاوع بته بتاً من باب ضرب وقتل أى قطعه يعنى سيروا فيه سيراً سريعاً وابلغوا الغاية القصوى منه بالرفق ولاتحملوا على أنفسكم من العمل مالاتطيق فينقطع كالذى لايقطع طريقه ويهلك راحلته. والمراد بالرفق الاقتصاد فى العبادة و ترك التعمق فيها لان التعمق فيها يوجب غالباً كراهة النفس لها وبغضها اياها والاعراض عنها وهو مذموم قطعاً و لقد أحسن فى ايضاح المقصود بالاتيان بالتمثيل البديع لانه شبه النفس الناطقة فى السير الى الله بالمسافر. و شبه البدن و قواه بالمركوب لان النفس فى سيرها تحتاج اليهما كما أن المسافر فى سيره يحتاج الى المركوب وكما أن المسافر اذا جد فى السير جداً و حمل على مركوبه أثقالا كثيرة يهلك دابته قبل أن يقطع سبيله ويبلغ مقصده فيبقى متحيراً كذلك النفس اذا

جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختري، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا تكرهوا إلى أنفسكم العبادة.

٣- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن إسماعيل، عن حنان بن سدير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنّ الله عزّ وجلّ إذا أحبّ عبداً فعمل [عملاً] قليلاً جزاه بالقليل الكثير ولم يتعاظمه أن يجزي بالقليل الكثير له.

٤- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن ابن فضّال، عن الحسن بن الجهم عن منصور، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: مرّ بي أبي و أنا بالطواف وأنا

جدت فى طرق الاعمال وحملت على مركوبها أعمالا كثيرة شاقة تمل البدن و تكل قواه وذلك يضعفهما ويهلكهما فنبقى متحيرة قبل الوصول الى المطلوب فلابد لها من ترك الافراط و التفريط واختيار التوسط كما أنه لابد من ذلك لذلك المسافر. وبالجملة العبادة خلاف مقتضى الطبع فلابد من أن يسلك فيها سبيل التدريج و المداراة ليكون له نشاط فى الاعمال و الافعال و هذا فى المرغبات و أما المفروضات فلابد من أدائها و تعاهدها فى محلها و ان كانت ثقيلة.

قوله (قال لاتكرهوا الى أنفسكم العبادة) زجر بهذا الكلام المبالغين فى الجدو الاجتهاد و تحمل مشاق العبادات فربما كرهت النفس العبادة وذهب أجرها و ندبهم الى أخف العبادات على النفوس وأسهلها ليعملها بخفة و نشاط و طواعية لابعسر و كراهية، فيكون ذلك أنشط لها فى عبادة الله و أبلغ فى حضور القلب مع الله واجتماع الهم بين يديه فيقبل الله عليه ويوصله اليه، وبالجملة أحاديث الباب ظاهرة فى الامر بالرفق فى العبادة و ترك طلب النهاية فيها اذ خير الامور أوساطها، فلا يستحسن قيام جميع الليالى و صيام جميع الايام فان لنفسك عليك حقاً ولعينك عليك حقاً ولان العمل اذا قل دام واجتمع فقليله لطول الزمان كثير وخف على النفس تعهده بخلاف ما اذا كثر ولم تضبطه عادة، فانه قد يؤدى الى الترك فيحرم عن العبادة وهو مع ذلك مكره لها وهذا مذموم جداً، الم تسمع ان اشرف العابدين و سيد المرسلين كان ينام ويأكل ويشرب وينكح ويصاحب الناس ويصوم ويفطر ومع ذلك كان قادراً على أكثر من ذلك، كل ذلك تعليم للامة و ترحم لهم وتعطف عليهم ولذلك لم يكلفهم الله الا مادون الطاقة بكثير، نعم من استيقن أنه لايفتر بكثرة العبادة ولا يبغضها بطول مداومتها لا يبعد أن يكون ذلك راجحاً بالنظر اليه كما ورد الامر بعبادات كثيرة المشاق مثل صيام الدهر و بعض الصلوات ونحوهما.

حدث وقد اجتهدت في العبادة، فرآني وأنا أتصابُّ عرقاً ، فقال لي: يا جعفر يا بنيَّ إنَّ الله إذا أحبَّ عبداً أدخله الجنَّة ورضي عنه باليسير.

٥- عليُّ بن إبراهيم، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختري و غيره عن أبي عبدالله عليه السلام قال: اجتهدت في العبادة و أنا شابٌّ ، فقال لي أبي : يا بنيَّ دون ما أراك تصنع، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ إذا أحبَّ عبداً رضي عنه باليسير.

٦- حميدُ بن زياد ، عن الخشّاب، عن ابن بقّاح ، عن معاذ بن ثابت ، عن عمرو بن جميع ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا عليُّ إنَّ هذا الدِّين متين ، فأوغل فيه برفق ولا تبغّض إلى نفسك عبادة ربّك [ف] إنَّ المنبتّ يعني المفرط لاظهراً أبقى ولاأرضاً قطع ، فاعمل عمل من يرجو أن يموت هرماً و احذر حذر من يتخوَّف أن يموت غداً.

(باب)

(من بلغه ثواب من الله على عمل)

١- عليُّ بن إبراهيم، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من سمع شيئاً من الثواب على شيء فصنعه ، كان له ، و إن لم يكن على ما بلغه .

٢- محمّدُ بن يحيى ، عن محمّد بن الحسين ، عن محمّد بن سنان ، عن عمران الزعفراني

قوله (فاعمل عمل من يرجو أن يموت هرما واحذر حذر من يتخوف أن يموت غداً) أى اعمل فى الطاعات والخيرات برفق وتأن وأخذ حظ من جميع أنواعها كعمل من يرجو أن يكون أجله ممتداً الى الهرم واحذر عن المنهيات كحذر من يخاف أن يموت غداً و لعل السر فيه أن العبادات أعمال وفيها تعب الاركان وشغل عما سواها فأمر فيها بالرفق والاقتصاد كيلا تكل بها الجوارح ولاتبغضها النفس ولاتفوت بسببها حق من الحقوق فاما الحذر من المعاصى و المنهيات فهو ترك واطراح ليس فيه كثير كد ولاملالة ولاشغل عن شيء فيترك ترك من يخاف أن يموت غداً على معصية الله تعالى و لهذا قال «ع» « اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم و اذا نهيتكم عن شيء فانتهوا » و قيل الفرق أن فعل الطاعات نفل وفضل و ترك المخالفات حتم وفرض .

قوله (من سمع شيئا من الثواب على شيء فصنعه) الحديث حسن الطريق مضمونه مؤيد

عن محمّد بن مروان قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : من بلغه ثواب من الله على

بالخبر الذى بعده(١) وان كان ضعيفاً وبما رواه الصدوق فى كتاب ثواب الاعمال عن أبيه على بن بابويه عن على بن موسى عن أحمد بن محمد عن على بن الحكم عن هشام بن صفوان عن أبى عبدالله «ع» قال «من بلغه. شىء من الثواب على شىء من الخير فعمله كان له أجر ذلك وان كان رسول الله «ص» لم يقله» كان المراد أن من سمع رواية صادقة بحسب ظنه دالة على الثواب المترتب على فعل شىء أو تركه فصنع ذلك الشىء وأتى به طلباً لذلك الثواب كان له أجر ذلك الشىء وان لم يكن المسموع على ما بلغه. وقال الشيخ فى الاربعين يحتمل أن يراد بسماع الثواب مطلق بلوغه اليه سواء كان على سبيل الرواية أو الفتوى أو المذاكرة أو نحو ذلك كما رآه فى شىء من كتب الحديث أو الفقه مثلا ويؤيد هذا التعميم أنه ورد فى حديث آخر عن الصادق «ع» «من بلغه شىء من الثواب» ويمكن أن يراد السماع من لفظ الراوى أو المفتى خاصة فانه هو الشائع الغالب فى الزمن السالف، وأما الحمل على التحمل بأحد الوجوه الستة المشهورة فلا

(١) قوله «مضمونه مؤيد بالخبر الذى بعده» وهو من فروع حسن الظن بالله المرغوب اليه فيما سبق من الاحاديث ومن الصفات التى تبقى مع النفس بعد مفارقة البدن وتنفع الانسان بنفسها مباشرة فى الاخرة لا من الصفات المقدماتية التى لا تنفع الا بالواسطة و العرض فان الملكات الحسنة على قسمين قسم منها كالعفة والشجاعة والسخاء يختص بهذه الحياة الدنيا ما دامت النفس فى البدن و ممنوة بالشهوات والاوهام والصفات البدنية وفائدة هذه الملكات حفظ النفس عن غوائل الشهوات وأمثالها فلولم يكن فى الانسان شهوة لم يكن عفة ولو لم يكن خوف لم تحسن الشجاعة والسخاء وبعد فراق النفس عن البدن لم تكن فيه شهوة القبائح فلا معنى لوجود العفة ولم يتحقق فيه خوف الموت فلا معنى لتحسين صفة الشجاعة له . و اما معرفة الله تعالى وصفاته الكمالية وحسن الظن به والاعتماد عليه والتلذذ بقربه فهى مما يعقل وجودها للنفس الانسانية بعد الموت وقد تكون الملكة غير الباقية مستلزمة لصفة يمكن ان تبقى مع النفس كنية فعل الخير فانها تستلزم حب الخير والصبر فانه يتضمن الرضا بحكم الله تعالى، و لمثل تلك الصفات حكم فى الاخرة و يثاب عليها وقد مر فى سر خلود المؤمنين فى النعيم و خلود الكفار فى الجحيم بقاء نية الخير أو الشر فى قلوبهم فهم يعذبون بسبب النية كشجرة تثمر ثمراً ردياً لعيب طرى على أصله و بالجملة فحسن الظن بالله ملكة فاضلة اذا رسخت فى النفس كمل ايمانها بالله ورجاء الثواب من عمل لا يحتمل كونه مبغوضاً تقرب اليه و ذكر لآلائه و لطفه و هو حسن عقلا يستحق به الثواب والطريق الذى ذكرناه فى التسامح فى أدلة السنن أنسب وألصق بعلم الاخلاق والكلام مما ذكره الشارح فانه أنسب بالفقه (ش)

. . . .

يخلو من بعد وظاهر الاطلاق أن ظن صدق الناقل غير شرط في ترتب الثواب فلو تساوى صدقه و كذبه في نظر السامع وعمل بقوله فاز بالاجر نعم بشرط عدم ظن كذبه بقيام بعض القرائن والظاهر أن تصريح الراوى بترتب الثواب غير شرط بل قوله ان العمل الفلانى مستحب أو مكروه كاف في ترتب الثواب على فعله أو تركه انتهى، وأنت خبير بأن هذا الحديث على الاحتمال الاول يدل على أنه يجوز العمل باخبار الاحاد المعتبر وعلى الاحتمال الذى ذكره الشيخ يدل عليه و على جواز العمل بالاخبار الضعيفة الدالة على استحباب فعل عمل أو تركه وهو الموافق لمذهب الاصحاب. ويرد عليهم اشكال وهو أن الاستحباب حكم شرعى وقد اتفقوا بأن الحكم الشرعى لا يثبت بالحديث الضعيف فكيف يصح قولهم باستحباب الاعمال التى ورد بها أخبار ضعيفة و حكمهم بترتب الثواب عليها ولهم في التفصى عنه أقوال فقال الشيخ - رحمه الله - حكمهم باستحباب تلك الاعمال و ترتب الثواب عليها ليس مستنداً في الحقيقة الى الاحاديث الضعيفة بل الى هذا الحديث الحسن المشتهر المعتضد بغيره من الاحاديث، ووجه عدم استنادهم الى هذا الحديث في وجوب ما تضمن الخبر الضعيف وجوبه كاستنادهم اليه في استحباب ما تضمن استحبابه، ظاهر فان هذا الخبر لم يتضمن الا ترتب الثواب على العمل وهو يقتضى الامر بالعمل، وقيل اذا وجد حديث ضعيف في فضيلة عمل ولم يكن هذا العمل ما يحتمل الحرمة والكراهة فانه يجوز العمل به ويستحب لانه مأمون الخطر ومرجو النفع اذ هو دائر بين الاباحة والاستحباب فالاحتياط العمل لرجاء الثواب وأما اذا دار بين الاستحباب والحرمة فلا وجه لاستحباب العمل به و كذا اذا دار بينه وبين الكراهة الشديدة اذ في العمل به دغدغة الوقوع فيها وأما اذا كانت الكراهة أضعف من الاستحباب فالاحتياط العمل وكذا اذا تساويا، و قيل: معنى قولهم يجوز العمل بالحديث الضعيف في فضايل الاعمال دون مسائل الحلال والحرام أنه اذا ورد حديث صحيح أو حسن في استحباب عمل وورد حديث ضعيف في أن ثوابه كذا وكذا جاز العمل بهذا الحديث الضعيف والحكم بترتب الثواب على ذلك الفعل وليس هذا الحكم أحد الاحكام الخمسة التى لا تثبت بالاحاديث الضعيفة، وقيل: معنى قولهم الاحكام لا تثبت بالاحاديث الضعيفة أنها لا تستقل بأثباتها لأنها لا تصير مقوية ومؤكدة لما تثبت تلك الاحكام به ومعنى تجويزهم العمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال انه اذا دل على استحباب عمل حديثان صحيح وضعيف مثلا جاز للمكلف حال العمل ملاحظة دلالة الضعيف أيضاً عليه فيكون عاملا به في الجملة و الشيخ (ره) رد هذه الاقوال الثلاثة أما أولها فبان خطر الحرمة في هذا الفعل الذى تضمن الحديث استحبابه

عمل فعمل ذلك العمل، إلتماس ذلك الثواب، اوتيه، وإن لم يكن الحديث كما بلغه.

(باب الصبر)

١ـ عدَّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن محبوب، عن عليِّ ابن رئاب، عن ابن أبي يعفور، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الصبر رأس الإيمان.

حاصل اذلايعتد شرعا بمافعله المكلف لرجاء الثواب ولايصير منشأ لاستحقاق الثواب الااذا فعله بقصدالقربة ولاحظ رجحان فعله شرعاً ، فان الاعمال بالنيات وفعله على هذا الوجه مردد بين كونه سنة وردالحديث بها فى الجملة و بين كونه تشريعا وادخالا لماليس من الدين فيه ولاريب ان ترك السنة اولى من الوقوع فى البدعة فليس الفعل المذكور دائراً فى وقت من الاوقات بين الاباحة والاستحباب ولابين الكراهة والاستحباب بل هودايما دائر بين الحرمة والاستحباب فتاركه متيقن للسلامة وفاعله متعرض للندامة ، وأماثانيها فبأنه مخالف منطوق عبارات القوم فانها صريحة فى استحباب الاتيان بالفعل اذا ورد فى استحبابه حديث ضعيف غير قابلة لهذا التأويل السخيف ، وأما ثالثهافبانه مع بعده وسماجته يقتضى عدم صحة التخصيص بفضائل الاعمال دون مسايل الحلال و الحرام فان العمل بالحديث الضعيف بهذاالمعنى لانزاع بين أهل الاسلام فى جوازه فى جميع الاحكام .

قوله (الصبر رأس الايمان) فى الخبر الاتى «الصبرمن الايمان بمنزلة الرأس من الجسد »وفيه تشبيه المعقول بالمحسوس للايضاح والوجه ماأشار اليه بقوله «فاذاذهب الرأس ذهب الجسد كذلك اذا ذهب الصبر ذهب الايمان» وذلك لماذكرنا سابقاً من أن الانسان مادام فى هذه النشأة كان مورداً للمصائب والافات ومحلا للنوائب والعاهات ، و متوجهاً اليه الاذى من بنى نوعه فى المعاملات ومكلفاً بفعل الطاعات وترك المنهيات والمشتهيات و كل ذلك ثقيل على النفس بشع فى مذاقها وهى تتنفر منه نفاراً وتتباعد منه فراراً فلابد من أن يكون فيه قوة ثابتة و ملكة راسخة بها يقتدرعلى حبس النفس على هذه الامور الشاقة والوقوف معها بحسن الادب و عدم الاعتراض على المقدر باظهار الشكوى وعدم مؤاخذة من أذاه والانتقام منه وتلك القوة أو ما يترتب عليها أعنى حبس النفس على تلك الامور و مقاومتها لهواها هى المسماة بالصبر و من البين أن الايمان الكامل بل نفس التصديق أيضاً يبقى ببقائه و يفنى بفنائه فلذلك هو من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد، وفى طرق العامة «الصبر نصف الايمان» قال ابن الاثير اراد بالصبر الورع لان العبادة قسمان نسك وورع فالنسك ما أمرت به الشريعة والورع ما نهت عنه وانما ينتهى بالصبر فكان الصبر نصف الايمان ، أقول الايمان الكامل نصفه متعلق بالباطن ونصفه متعلق بالظاهر وقوام الظاهر بالصبر فالصبر نصف الايمان.

٢ـ أبوعليّ الأشعري ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن محمّد بن سنان ، عن العلاء بن الفضيل ، عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال : الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فاذا ذهب الرأس ذهب الجسد ، كذلك إذاذهب الصبر ذهب الايمان.

٣ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، و عليّ بن محمّد القاساني ، جميعاً ، عن القاسم ابن محمّد الاصبهاني ، عن سليمان بن داود المنقري ، عن حفص بن غياث قال : قال أبوعبدالله عليه‌السلام : يا حفص إنّ من صبر صبر قليلاً و إنّ من جزع جزع قليلاً ، ثمّ قال : عليك بالصبر في جميع اُمورك ، فإنّ الله عزّوجلّ بعث محمّداً صلى‌الله‌عليه‌وآله فأمره بالصبر والرّفق ، فقال : « و اصبر على ما يقولون و اهجرهم هجراً جميلاً و ذرني والمكذّبين أولي النعمة » و قال تبارك وتعالى : «ادفع بالتي هي أحسن (السيّئة)

قوله (عن القاسم بن محمد الاصبهانى) قال عياض اصبهان سمعناه بفتح الهمزة وحكاه البكرى بالكسر لاغير (ان من صبر صبر قليلا و من جزع جزع قليلا) نصب قليلا اما على المصدرية او على الظرفية أى صبر صبراً قليلا أو صبر زماناً قليلا و هو زمان العمر أوزمان البلية فيه وفيه حث على الصبر لانه يوجب مع قلته راحة طويلة.

(ثم قال عليك بالصبر فى جميع امورك) الجمع المضاف يفيد العموم خصوصا مع لفظ الجميع فيدل على ان الانسان فى كل ما يصدر منه من الفعل والترك والعقد و كل ما يرد عليه من المصائب و النوائب من قبله تعالى أومن قبل غيره يحتاج الى الصبر اذ لا يمكنه تحمل ذلك بدون جهاده مع النفس والشيطان و ثباته فى مقام المجاهدة بالصبر وحبس النفس عليه قال أمير المؤمنين «ع» الصبر شجاعة.

(و اصبر على مايقولون و أهجرهم هجراً جميلا) أمره بالصبر على تكذيبهم وبالهجر عن ذواتهم او عن مخاصمتهم، وفيه ترغيب فى حمل النفس على الصبر والمجاهدة لتخلص من عداوة الخلق والغضب عليهم وشهوة الدنيا والاشتغال بغيره تعالى ، والهجر الجميل هو ان يجانبهم ويداريهم ولايكافيهم ويكل امرهم الى الله كماقال:

(و ذرنى والمكذبين اولى النعمة) أى دعنى و اياهم فانى اجازيهم فى الدنيا و الاخرة و اولى النعمة صناديد قريش وغيرهم .

(و قال تبارك تعالى ادفع بالتى هى احسن) قال عزوجل « ولا تستوى الحسنة ولاالسيئة ادفع بالتى هى أحسن قال بعض المفسرين صبرالله تعالى بهذه الاية رسوله «ص» على سفاهة الكفار وعلمه الادب الجميل فى باب الدعاء الى الدين بل فى مطلق امور ـ

فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليّ حميم وما يلقّيها إلاّ الذين صبروا وما يلقّيها إلاّ ذوحظّ عظيم» ، فصبر رسول الله صلى الله عليه وآله حتى نالوه بالعظائم و رموه بها ، فضاق صدره فأنزل الله عزّ وجلّ « ولقد نعلم أنّك يضيق صدرك بما يقولون فسبّح بحمد ربّك و كن من الساجدين » ثمّ كذّبوه ورموه ، فحزن لذلك ، فأنزل الله عزّ وجلّ «قد نعلم أنّه ليحزنك الذي يقولون فانّهم لايكذّبونك ولكن الظالمين

التمدن ، و«لا» زائدة لتأكيد نفى الاستواء والمعنى لامساواة بين الحسنة و السيئة أبداً يعنى يكسان نيست نيكى وبدى هر گز كالايمان والكفر والحلم والغضب والطاعة والمعصية واللطف والعنف والعفو والاخذ ولما كان هنا مظنة سؤال وهو أنه كيف يصنع بالخبيث الموذى قال «ادفع بالتى هى أحسن السيئة» أى ادفع السيئة بالخصلة التى هى احسن منها وهى العفو واسم التفضيل مجرد عن معناه أو أصل الفعل معتبر فى المفضل عليه على سبيل الفرض أو المعنى ادفع السيئة بالحسنة التى هى احسن من العفو والمكافاة و تلك الحسنة وهى الاحسان فى مقابل الاساءة و معنى التفضيل حينئذ بحاله لان كل واحد من العفو والمكافاة أيضاً حسنة الا أن الاحسان أحسن منهما و هذا قريب مما ذكره صاحب الكشاف من أن «لا» غير مزيدة والمعنى أن الحسنة و السيئة متفاوتان فى أنفسهما فخذ بالحسنة التى هى أحسن اذا اعترضك حسنتان فادفع بها السيئة ،مثاله رجل أساء اليك فالحسنة أن تعفو عنه والتى هى أحسن أن تحسن اليه مكان اساءته.

(فاذا الذى بينك و بينه عداوة كانه ولى حميم) أى اذا فعلت ذلك صار عدوك مثل الولى الشفيق ، ثم مدح هذه الخصلة الكريمة و صاحب هذه السيرة الشريفة بقوله:

(و ما يلقيها الا الذين صبروا) أى لايعمل بهذه السجية العظيمة و هى العفو عن الاساءة أو مقابلتها بالاحسان الاكل صبار على تجرع المكاره.

(ومايلقيها الاذو حظ عظيم) من قوة جوهر النفس الناطقة بحيث لاتتأثر من الواردات الخارجة وقيل الحظ العظيم وقيل الثواب الجزيل.

(و لقد نعلم انك يضيق صدرك) كناية عن الغم (بمايقولون) من الشرك والطعن فيك وفى القرآن والاستهزاء بك وبه .

(فسبح بحمد ربك) أى فنزه ربك عمايقولون ممالايليق به متلبسا بحمده فى توفيقك له أو فافزع الى الله فيما نابك من الغم بالتسبيح والتحميد فانهما يكشفان الغم عنك.

(و كن من الساجدين) للشكر فى توفيقك أورفع غمك أو كن من المصلين فان فى الصلاة قطع العلائق عن الغير.

(قد نعلم أنه ليحزنك الذى يقولون) قد للتحقيق و ضمير أنه للشأن (فانهم لا

بآيات الله يجحدون. ولقد كُذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كُذّبوا و اُوذوا حتّى أتيهم نصرنا» فألزم النبيّ صلى الله عليه وآله نفسه الصبر، فتعدّوا فذكروا الله تبارك و تعالى وكذّبوه، فقال: قدصبرت في نفسي و أهلي وعرضي ولاصبر لي على ذكر إلهي، فأنزل الله عزّوجلّ «ولقد خلقنا السموات والأرض و ما بينهما في ستّة أيّام وما مسّنا من لغوب، فاصبر على ما يقولون» فصبر النبيّ صلى الله عليه وآله في جميع أحواله ثمّ بُشّر في عترته بالأئمّة و وُصفوا بالصبر، فقال: جلّ ثناؤه: «وجعلنا منهم أئمّة يهدون بأمرنا لمّا صبروا و كانوا بآيتنا يوقنون» فعند ذلك قال صلى الله عليه وآله: الصبر من الايمان كالرأس من الجسد، فشكر الله عزّوجلّ ذلك له، فأنزل الله عزّوجلّ «و تمّت كلمة ربّك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا و دمّرنا ما كان يصنع فرعون

يكذبونك) فى الحقيقة. (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) قيل يجحدون مكذبين بآيات الله فى الحقيقة، فالباء لتضمين الجحود معنى التكذيب و وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على أن ظلمهم بسبب الجحود. (ولقد كذبت رسل) عظام أو كثير.

(من قبلك فصبروا على ما كذبوا و اوذوا) أى على تكذيبهم و ايذائهم، فما مصدرية و فيه تسلية له «ص» و ترغيب فى الصبر كما قال «فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل».

(حتى اتيهم نصرنا) بشارة بالنصر للصابرين كما قيل الصبر مفتاح الفرج (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام) فيه أيضاً ترغيب للخلق بالصبر فى جميع الامور (و ما مسنا من لغوب) أى تعب وأعياء.

(فاصبر على ما يقولون) أى على ما تقوله اليهود من الكفر والتشبيه أوعلى ما يقوله المشركون من انكارهم البعث فان من خلق العالم بلا أعياء يقدر على حشر الخلائق والانتقام منهم. (و جعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا) دل على أن الصبر للجعل المذكور و اليه أشار أرسطا طاليس بقوله بالصبر على مضض السياسة ينال شرف الرئاسة» (فشكر الله عزوجل ذلك له) شكر الله تعالى لعباده عبارة عن قبول العمل و مقابلته بالاحسان والانعام فى الدنيا والاخرة. (وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا) أى مضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصر والتمكين بسبب صبرهم على الشدائد وهى قوله «ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض و نرى فرعون وهامان و جنودهما منهم ما كانوا يحذرون».

(و دمرنا) أى أهلكنا دمره تدميراً، و دمر عليه بمعني (ما كان يصنع فرعون وقومه)

وقومه وما كان يعرشون» فقال صلى الله عليه وآله إنّه بشرى و انتقام ، فأباح الله عزّ وجلّ له قتال المشركين فأنزل الله «اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم و احصروهم و اقعدوا لهم كلّ مرصد» «و اقتلوهم حيث ثقفتموهم» فقتلهم الله على يدي رسول الله صلى الله عليه وآله و أحبّائه و جعل له ثواب صبره مع ما ادّخر له في الآخرة ، فمن صبر و احتسب لم يخرج من الدّنيا حتّى يقرّ [الله] له عينه في أعدائه ، مع ما يدّخر له في الآخرة .

٤- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن أبي محمّد عبدالله السرّاج، رفعه إلى عليّ بن الحسين عليهما السلام قال : الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ولا إيمان لمن لا صبر له.

٥- عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حمّاد بن عيسى ، عن ربعيّ بن عبدالله، عن فضيل بن يسار ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا ذهب الرّأس ذهب الجسد ، كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان.

٦- عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن أبيه ، عن عليّ بن

قيل هو القصور والعمارات و يحتمل الاعم (و ما كانوا يعرشون) قيل هو ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان أو ماكانوا يعرشون من الجنات و يحتمل الاعم، يقال عرش يعرش أى بنى بناء من خشب (و احصروهم) من الدخول فى المسجد الحرام أو الاعم منه ومن السير فى البلدان (واقعدوا لهم كل مرصد) أى كل ممر و طريق لئلاينبسطوا فى البلاد نصبه على الظرف من رصد رصداً و مرصداً أرقبه، والمرصاد الطريق والمكان يوجد فيه العدو.

(و جعل له ثواب صبره مع ماادخرله فى الاخرة) أى جعل له ثواب صبره فى الدنيا بنصره وقتل عدوه وفى الاخرة بمزيد الزلفى والكرامة و رفع الدرجات ، و هذا معنى شكره للصابرين، و من ثم روى «النصرة مع الصبر» وقيل: للصبر عاقبة محمودة الاثر.

(فمن صبر واحتسب) أى احتسب صبره على أذى الاعداء واعتده فيما يدخر عندالله و يثاب عليه ونوى به وجه الله تعالى لاغيره، والاحتساب بالعمل الاعتداد به وارتقاب الاجر من الله تعالى (لم يخرج من الدنيا حتى يقر الله له عينه فى أعدائه) أى يجعل الله عينه قارة باردة فى قتل أعدائه و خذلانهم ، و هذا كناية عن السرور لان دمعة السرور باردة (مع ما يدخرله فى الاخرة) من الاجر الجميل والثواب الجزيل كمافعل ذلك لرسوله «ص».

النعمان، عن عبدالله بن مسكان ، عن أبي بصير قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : إنّ الحرّ حرٌّ على جميع أحواله ، إن نابته نائبة صبرلها ، و إن تداكّت عليه المصائب لم تكسره وإن اُسر وقُهر واستبدل باليسر عسراً كما كان يوسف الصدّيق الأمين صلوات الله عليه لم يضرر حرّيته ان استعبد و قهر و اُسر ولم تضرّه ظلمة الجبّ ووحشته و ما ناله ان منّ الله عليه فجعل الجبّار العاتي له عبداً بعد إذ كان [له

قوله (قال سمعت أباعبدالله «ع» يقول ان الحر حر على جميع احواله) الحر نقيض العبد والمراد به هنا من نجى عن رق الشهوات النفسانية واللذات الجسمانية و عن سلاسل الزهرات الدنياوية و توجهت نفسه القدسية الى مشاهدة الانوار الالهية والاسرار الربوبية وهم الذين يذكرون الله قياماً و قعوداً وعلى جنوبهم الاية. ويتحملون فى نيران الصبر على فقدان المألوف والمرغوب ويصبرون على أذى القوم و عدم وجدان المطلوب ، وحالاتهم متفاوتة و يعود حال أعلاهم الى أن لوصار البحر مداداً و الاشجار أقلاماً و عاش الخلائق مخلدين يكتبون أشواقهم الى يوم التناد لايستطيعون احصاء مابهم من الاشواق المبرحة فى فؤادهم ومن ثم قيل: من صبرصبر الاحرار نال من فيض الجبار مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر. وقال الله سبحانه «انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب».

(ان نابته نائبة) نابه أمر ينوبه نوبة أصابه والنائبة النازلة والجمع نوائب (صبر لها) لتوجه قلبه اللطيف الى جمال الله تعالى و جلاله ولايخطر غير الحق بباله فضلا عن أن يكون مخالفاً لطبعه ولو خطر وقتاً ما وذاق مرارته تحمل طلبا لرضاه.

(و ان تداكت) الدك الدق و فى التفاعل مبالغة فى الشدة والصولة (و استبدل بالعسر يسرا) الظاهر أنه عطف على قهر ولايتم الا بتكلف لان ظاهره أن العسر مدفوع و اليسر مأخوذ فلايناسب الوصل و يمكن أن يكون عطفاً على قوله : « و ان تداكت» فيكون غاية للصبر واشارة الى مايترتب عليه. وفى بعض النسخ «واستبدل باليسرعسراً» وهو واضح (لم يضرر حريته ان استعبد و قهر واسر) يعنى هذه الصفات الشاقة الكريهة على النفوس البشرية لم تدفع حريته أى توجه قلبه الى الله و صبره فى الله على تحمل ثقلها.

(ولم تضره ظلمة الجب و وحشته و ما ناله أن من الله عليه) الظاهر أن قوله « و ما ناله» عطف على ظلمة الجب و لعل المراد به نوائب الزمان وجور الاخوان و أن قوله «ان من الله عليه» بتقدير اللام أى لان من الله عليه فيكون تعليلا لقوله لم يضرر فى الموضعين وانما قلنا الظاهر ذلك لاحتمال أن يكون مبتدأ وخبراً ، والجملة عطف على لم يضرر أو يكون قوله «وما ناله» عطفاً عليه وما بعده بياناً لما بتقدير من أو يكون الواو بمعنى مع و

مالكاً، فأرسله و رحم به أُمّة، و كذلك الصبر يعقّب خيراً ، فاصبروا ووطّنوا أنفسكم على الصبر توجروا.

٧- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم ، عن عبدالله ابن بكير، عن حمزة بن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الجنّة محفوفة بالمكاره و الصبر، فمن صبر على المكاره في الدّنيا دخل الجنّة ، و جهنّم محفوفة باللّذات و الشّهوات فمن أعطى نفسه لذّتها و شهوتها دخل النار.

٨- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن عبدالله بن مرحوم ، عن أبي سيّار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا دخل المؤمن في قبره ، كانت الصلاة عن يمينه

فاعل نال حينئذ يوسف «ع». والعاتى من العتو و هو التجبر والتكبر والتجاوز عن الحد و المراد بارساله ارساله الى الخلق نبياً و برحم الامة به نجاتهم عن العقوبة الابدية بايمانهم به او عن القحط والجوع لحفظه مازرعوا السنة القحط وادخاره لهم والله أعلم.

(و كذلك الصبر يعقب خيراً) أى كما ان صبر يوسف «ع» اعقب خيراً عظيما له كذلك صبر كل احد يعقب خيراً له و من ثم قيل اصبر تظفر و قيل

انى رأيت وللايام تجربة ... للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد فى امر يطالبه ... فاستصحب الصبر الافاز بالظفر

(فاصبروا و وطنوا أنفسكم على الصبر توجروا) توطين النفس على الصبر كناية عن لزومه فان لزومه توجب الاجر التام فى الاخرة و دفع المكروهات و اعقاب الخيرات فى الدنيا.

قوله (قال الجنة محفوفة بالمكاره والصبر- الخ) الحديث متفق عليه بين الخاصة و العامة روى مسلم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله «ص» « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» وهذا من بديع الكلام وجوامعه و من التمثيل الحسن و أحفاف الشىء جوانبه والمقصود انه لايوصل الى الجنة الا بتخطى المكاره و الصبر عليها ولا يوصل الى جهنم الا بتخطى الشهوات والمرور عليها والاطمينان بها و يدخل فى المكاره الجد فى العبادة والصبر على مشاقها و كظم الغيظ والصبر على الشهوات ويدخل فى الشهوات جميع المحرمات كالزناء و شرب الخمر والغيبة و أمثالها، و أما المباحات فلايدخل فيها ولكن يكره الاكثار منها لانها قدتقسى القلب و تجر الى الرغبة فى الدنيا بل قدتجر الى المحرمات.

قوله (اذا دخل المؤمن فى قبره كانت الصلاة عن يمينه- الخ) دل ظاهره على تجسم

والزكاة عن يساره والبرّ مظلّ عليه و يتنحّى الصبر ناحية، فإذا دخل عليه الملكان اللّذان يليان مسائلته قال الصّبر للصّلاة والزّكاة والبرّ: دونكم صاحبكم، فإن عجزتم عنه فأنا دونه.

٩ـ عليّ، عن أبيه، عن جعفر بن محمّد الأشعري، عن عبدالله بن ميمون، عن أبي عبدالله عليه السلام قال دخل أمير المؤمنين صلوات الله عليه المسجد، فإذا هو برجل على باب المسجد، كئيب حزين، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: مالك؟ قال: يا أمير المؤمنين اُصبت بأبي [واُمّي] وأخي وأخشي أن أكون قد وجلت، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: عليك بتقوى الله والصبر تقدم عليه غداً، و الصبر في الاُمور بمنزلة الرأس من الجسد

الاعمال و الاخلاق و الروايات الدالة عليه و على تجسم الاعتقادات أيضاً كثيرة فلا ينبغى انكاره و حمله على التمثيل(١) و لسان الحال وان أمكن.

(فان عجزتم عنه فأنا دونه) فالصبر كصاحبه صابر و كل شيء من الحسن حسن.

قوله (و أخشى أن أكون) قد وجلت الخشية الخوف والوجل الفزع و خلاف الصبر (عليك بتقوى الله والصبر) أمره بالصبر عند المصيبة والاجتناب عن الشكاية وغيرها مما يوجب نقص الايمان أوزواله وهما من أعظم الخصال و لذلك جمعهما الله تعالى فى قوله « و ان تصبروا و تتقوا فان ذلك من عزم الامور ».

(١) قوله «فلاينبغى انكاره وحمله على التمثيل» يعنى انكار أصل ورود الخبر لان الروايات الدالة عليه فوق حدالاحصاء و لعله متواتر معنى. و أما حمله على التمثيل ولسان الحال فمجاز بعيد لايذهب اليه بغيرقرينة ولو بنينا على التأويل لهدم أكثر الاصول والعجب ان المجلسى الثانى ـ رحمه الله ـ انكر تجسم الاعمال مطلقاً فى بعض كتبه مثل حق اليقين ولكن والده ـ رحمه الله ـ فى شرح من لايحضره الفقيه أثبته وحققه ولااستبعاد فى أن يكون لكل مهية فى كل عالم صورة كالعلم فى صورة اللبن على ماثبت فى موضعه، فان قيل ألاتحمل قوله تعالى « ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر» على التمثيل لان الصلاة لاتتكلم الا بلسان الحال وقوله «أن من الحجارة لمايتفجر منه الانهار وان منها لمايشقق فيخرج منها الماء وان منها لما يهبط من خشية الله » و قوله « يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله» كذلك تحملها على التمثيل لان الحجارة لاتتأثر بالوعظ وظل الاشياء لايسجد الان حالتهما تشبه السجدة والتأثر قلنا بينهما فرق لان الايات بيان حال الاجسام فى هذا العالم المحسوس وأما تجسم الاعمال ففى عالم آخر واختلاف الصور فى العوالم المختلفة غير بعيد نعم يتوقف ذلك على اثبات تجرد الخيال وهى حافظة الحس المشترك للنفس و بقائها بعد فساد البدن ولعلنا نبين ذلك ان شاء الله تعالى (ش)

فإذا فارق الرّأس الجسد فسد الجسد و إذا فارق الصبر الأُمور فسدت الأُمور.

١٠- محمّدُ بن يحيى، عن أحمدبن محمّدبن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن سماعة ابن مهران ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : قال لي: ما حبسك عن الحجّ؟ قال قلت: جعلت فداك وقع عليّ دين كثير وذهب مالي، و دَيني الّذي قدلزمني هو أعظم من ذهاب مالي، فلولا أنّ رجلاً من أصحابنا أخرجني ما قدرت أن أخرُج، فقال لي: إن تصبر تُغتبط و إلاّ تصبر يُنفذالله مقاديره ، راضياً كنت أم كارهاً.

١١- محمّدُ بن يحيى، عن أحمدبن محمّد، عن ابن سنان، عن أبي الجارود ، عن الأصبغ قال: قال أميرالمؤمنين صلوات الله عليه: الصبر صبران : صبر عندالمصيبة ،

(تقدم عليهغداً) بعد الموتاوالقيامة (والصبر فى الامور بمنزلة الرأسمنالجسد) المراد بالامور الامور المطلوبة شرعاً سواء كانت أفعالا أو تروكاً أو عقايد أوأخلاقاً و لو فارقها الصبر لفسدت بغلبة الشيطان على العقل اذ لو لم يكن للعقل صبر فى محاربتهلانهزم فى أول صولته و اذا انهزم فسدت تلك الامور كلها.

قوله (ان تصبرتغتبط و انلا تصبرينفذالله مقاديره راضياً كنت أم كارهاً)الاغتباط مطاوع غبط تقول غبطته ما نال أغبطه غبطاً و غبطةفاغتبط هو كقولك منعته فامتنع و الغبطة أن تتمنى حال المغبوط لكونها فى غاية الحسن والكمالمن غير أن تريد زوالها عنه وليس بحسد و حال الصابر فىغايةالكمال كما نقل عن بعض الاكابر قال «يقولالله تعالى «لو أن ابن آدم قصدنى فى أول المصائب لرأى منى العجائب ولو انقطع الى فى أول النوائب لشاهد منى الغرائب و لكنه انصرف الى أشكاله فرد فى أشغاله » ثم الغبطة اما فى الاخرة بجزيل الاجر أو فى الدنيا بتبديل الضراء بالسراء و ذلك لان شدة المصائب وتداخل بعضها فى بعض دليل على قرب الفرج كما قال أميرالمؤمنين «ع» «أضيق ما يكون الحرج أقرب مايكون الفرج » ثم ان الله تعالى ينفذ مقاديره على نحو ما أراد فان كنت راضياً صابراً كان لك أجر الراضى الشاكر ، و ان كنت كارهاً ازدادت مصيبتك فان فوات الاجرمصيبة أخرى والكراهة الموجبة لحزن القلب و تألمه مصيبة عظيمة و من ثم قيل المصيبة للصابر واحدة و للجازع اثنتان . أقول بل له مصيبات أربع الثلاثة المذكورة و شماتة الاعداء ، و من ثم قيل الصبر عندالمصيبة مصيبة على الشامت.

قوله (قال أميرالمؤمنين «ع» الصبر صبران صبر عند المصيبة حسن جميلوأحسن من ذلك الصبر عند ماحرم الله عزوجل عليك) سواء كان فعل القلب كالعجب والتكبر و

حسنٌ جميلٌ، وأحسن من ذلك الصبر عند ما حرّم الله عزّ وجلّ عليك، والذّكر ذكران: ذكر الله عزّ وجلّ عند المصيبة وأفضل من ذلك ذكر الله عند ما حرّم عليك، فيكون حاجزاً.

١٢ـ أبوعليّ الأشعري، عن الحسن بن عليّ الكوفي، عن العباس بن عامر، عن العزرمي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: سيأتي على الناس زمان لاينال الملك فيه إلاّ بالقتل والتجبّر ولا الغنى إلاّ بالغصب والبخل ولا المحبّة إلاّ باستخراج الدّين و اتّباع الهوى، فمن أدرك ذلك الزّمان فصبر على الفقر و هو يقدر على الغنى و صبر على البغضة وهو يقدر على المحبّة وصبر على الذّلّ و هو يقدر على العزّ آتاه الله ثواب خمسين صدّيقاً ممّن صدّق بي.

١٣ـ عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن إسماعيل بن مهران، عن درست بن أبي منصور، عن عيسى بن بشير، عن أبي حمزة قال: قال أبو جعفر عليه السلام: لمّا حضرت أبي عليّ بن الحسين عليهما السلام الوفاة ضمّني إلى صدره وقال: يا بنيّ اوصيك

غيرهما من الاخلاق الذميمة أو فعل الجوارح كالزناء والغيبة و أمثالهما والصبر باعتبار المتعلق أقسام متكثرة متفاوتة، منها الصبر على الفقر بان يربط نفسه على رضاه تعالى و يرضى به ولايقول ما يسخطه، ومنها الصبر على الغنى بأن يصبر على أداء الحقوق المالية و يترك البطر والفرح على انفاق الازواج والاولاد والخدم من غير اقتار ولااسراف، و منها الصبر على ما يأتى به باختياره من فعل الطاعات و ترك المنهيات بأن يذكر الله تعالى عند كل أمر و نهى فيأتى بما فيه رضاه. و منها الصبر على ما يرد عليه من غير اختياره أصلا كالمصائب والنوائب النازلة عليه من قبله تعالى بان يحبس نفسه عليه من غير اضطراب ولا شكاية و منها الصبر على ما يرد عليه من غير اختياره ولـه اختيار فى الاتيان بمثله مثل ضرب الغير و ظلمه عليه فان الاولى أن يصبر أو يعفو عنه ولا يعامله بمثله كما قال تعالى مخاطباً لنبيه «ص» «واصبر على مايقولون و اهجرهم هجراً جميلا».

قوله (ولا الغنى الا بالغصب والبخل) كان ذكر الغصب على سبيل التمثيل أواريد به الاكتساب من غير حل فيشمل الطرق الغير المشروعة كلها و فى ذكر البخل معه اشارة الى أن أكثر الغنى محفوف بالرذيلتين الجلب بالغصب و نحوه والحفظ بالبخل.

(و صبر على الذل و هو يقدر على العز) بنيل الملك بسبب القتل و التجبر فهو ناظر الى قوله «لاينال الملك».

بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة و بما ذكر أنّ أباه أوصاه به يا بنيّ إصبر على الحقّ وإن كان مرّاً.

١٤- عنه عن أبيه [عن يونس بن عبدالرّحمن] رفعه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الصبر صبران صبر على البلاء، حسنٌ جميل، وأفضل الصبرين الورع عن المحارم.

١٥- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى قال: أخبرني يحيى بن سليم الطائفي قال: أخبرني عمرو بن شمر اليماني، يرفع الحديث إلى عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الصبر ثلاثة صبر عند المصيبة و صبرٌ على الطاعة وصبر عن المعصية، فمن صبر على المصيبة حتّى يردّها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدّرجة إلى الدرّجة كما بين السماء إلى الارض، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستّمائة درجة ما بين الدّرجة إلى الدّرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش، ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدّرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش.

قوله (اصبر على الحق و ان كان مراً) و قد اشتهر أن الحق مر لكونه مما يستكرهه الطبع و يثقل عليه كالشىء المر، و سر ذلك أن الحق وكل ما هو من أعمال الجنة شاقة على النفوس و مرة فى مذاقها لما فيها من مخالفة أهوائها وكسر أغراضها و منع لذاتها و من ثم روى «أفضل الاعمال ما أكرهت عليه النفس» واشتهر تجرع مرارة الدنيا لحلاوة الاخرة بخلاف أعمال النار فانها سهلة على النفوس غير شاقة عليها لموافقة أهوائها وبلوغ مراداتها ولذاتها من التنعم بأسباب الدنيا و استعمال الدعة والرفاهية.

قوله (الصبر صبران صبر على البلاء حسن جميل وأفضل الصبرين الورع عن المحارم) كان الصبر على الطاعة داخل فى الصبر على البلاء لان الطاعات ابتلاء و يمكن ادراجه فى الورع عن المحارم لان ترك الطاعة حرام فى الجملة والمراد بالصبر على البلاء ترك الشكاية الى الناس ورفض الجزع و ضرب اليد على الفخذ وامثال ذلك.

قوله (كما بين السماء الى الارض) التشبيه لبيان المقدار فى نفس الامر أو لمجرد اظهار العلو والرفعة (كما بين تخوم الارض الى منتهى العرش) التخوم جمع التخم كالفلوس جمع فلس وهو منتهى الارض و فى المصباح، قال ابن الاعرابى: الواحد تخوم والجمع تخم مثل رسول ورسل، ولعل المراد بالعرش الفلك الاعظم.

١٦ـ عنه، عن عليّ بن الحكم، عن يونس بن يعقوب قال: أمرني أبو عبدالله عليه السلام أن آتي المفضّل و اُعزّيه باسماعيل و قال: اقرأ المفضّل السّلام وقل له: إنّا قد اُصبنا باسماعيل فصبرنا، فاصبر كما صبرنا، إنّا أردنا أمراً و أراد الله عزّ وجلّ أمراً، فسلّمنا لأمر الله عزّ وجلّ.

١٧ـ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن سيف بن عميرة، عن أبي حمزة الثمالي قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: من ابتلي من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد.

١٨ ـ محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن سنان، عن عمّار بن مروان، عن سماعة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ أنعم على قوم، فلم يشكروا، فصارت عليهم وبالاً، و ابتلى قوماً بالمصائب فصبروا، فصارت عليهم نعمة.

١٩ـ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، و محمّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، جميعاً عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبدالحميد، عن أبان بن أبي مسافر، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «يا أيّها الّذين آمنوا اصبروا و صابروا» قال: اصبروا على المصائب.

و في رواية ابن أبي يعفور، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: صابروا على المصائب.

٢٠ـ عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن محمّد بن عيسى، عن

قوله (قال أمرني أبوعبدالله «ع» أن آتي المفضل وأعزيه باسماعيل) قيل الحاصل ان اسماعيل بن أبي عبدالله «ع» مات والمفضل كان يحبه كثيراً و يقر بامامته بعد أبيه فأرسل «ع» يونس بن يعقوب اليه بأن يصبره ويعزيه على موته كما أنه «ع» صبر على موته فيندفع اعتقاده ويعتقد بامامة ابنه موسى «ع».

قوله (من ابتلي من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل اجر الف شهيد) البلاء مطلق و كانه اريد به الفرد العظيم بقرينة عظمة الاجر مع احتمال حمله على الاطلاق.

قوله (يا أيها الذين آمنوا اصبروا و صابروا) قد مر تفسيره في باب أداء الفرائض حيث قال « اصبروا على الفرائض و صابروا على المصائب و رابطوا على الائمة عليهم السلام » والكل صحيح.

عليّ بن محمّد بن أبي جميلة، عن جدّه أبي جميلة، عن بعض أصحابه قال: لولا أنّ الصبر خُلق قبل البلاء لتفطّر المؤمن كما تتفطّر البيضة على الصفا.

٢١- أبوعليّ الأشعري، عن محمّد بن عبدالجبّار، عن صفوان، عن إسحاق بن عمّار وعبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله عزّ وجلّ: إنّي جعلت الدّنيا بين عبادي قرضاً، فمن أقرضني منها قرضاً أعطيته بكلّ واحد عشرة إلى سبعمائة ضعف وماشئت من ذلك، و من لم يقرضني منها قرضاً فأخذت منه شيئاً قسراً [فصبر] أعطيته ثلاث خصال لو أعطيت واحدة منهنّ ملائكتي لرضوا بها منّي. قال: ثمّ تلا أبوعبدالله عليه السلام قول الله عزّ وجلّ: «الّذين إذا أصابتهم مصيبةٌ قالوا إنّا لله و إنّا إليه راجعون اُولئك عليهم صلوات من ربّهم (فهذه واحدة من ثلاث خصال) و رحمة (اثنتان) و اُولئك هم المهتدون» ثلاث، ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام: هذا لمن أخذ الله منه شيئاً قسراً.

٢٢- عليُّ بن إبراهيم، عن أبيه، وعليّ بن محمّد القاساني، عن القاسم بن محمّد، عن سليمان بن داود، عن يحيى بن آدم، عن شريك، عن جابر بن يزيد، عن أبي -

---

قوله (لولا أن الصبر خلق قبل البلاء لتفطر المؤمن كما تتفطر البيضة على الصفا) التفطر التشقق من الفطر وهو الشق و من لطف الله على المؤمن نزول البلاء عليه حين اتصافه بالصبر ليثاب بالثواب الجزيل والاجر الجميل ولو نزل عليه وهو عار عن الصبر لانكسر وفسد. وفيه ايماء الى أن المؤمن هو الصابر وغير الصابر ليس بمؤمن لان الصبر رأس الايمان، فاذا ذهب الصبر ذهب الايمان و يتحقق الصبر بمنع النفس عن الجزع عند ورود المكروه، ومنع الباطن من الاضطراب و منع اللسان من الشكاية و منع الجوارح عن الحركات الغير المعتادة ولو تحقق مع هذه الامور الالتذاذ بالمكروه لكونه تحفة من الحبيب كان أفضل أفراده و أكملها فى الجزاء، ويمكن حمل قوله تعالى «ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع و نقص من الاموال والانفس والثمرات و بشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم و رحمة و اولئك هم المهتدون» على هذه المرتبة الشريفة لانه أقر بالاسترجاع انه ملك له تعالى و نشأ منه وانه يهلك و يعود اليه، فالظاهر أنه رضى بتصرفاته فى نفسه أشد رضاء و التذ أكمل التذاذ، وجعل الرحمة خصلة ثانية، و عطفها على الصلوات يدلان على أنها غير الصلوة مع أن المشهور أن صلاته تعالى عبارة عن الرحمة ويمكن حملها على نوعين من جنس الرحمة، والله أعلم.

جعفر عليه السلام قال: مروّة الصبر في حال الحاجة و الفاقة والتعفّف والغنى أكثر من مروّة الإعطاء.

٢٣- أبوعليّ الأشعري، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: يرحمك الله ما الصبر الجميل؟ قال: ذلك صبرٌ ليس فيه شكوى إلى النّاس.

٢٤- حميدُ بن زياد، عن الحسن بن محمّد بن سماعة، عن بعض أصحابه، عن أبان، عن عبدالرَّحمن بن سيابة، عن أبي النعمان، عن أبي عبدالله أو أبي جعفر عليهما السلام قال: من لا يُعدّ الصبر لنوائب الدّهر يعجز.

قوله (مروة الصبر فى حال الحاجة، و الفاقة و التعفف والغنى أكثر من مروة الاعطاء) المروة كمال الرجولية والفاقة الحاجة والتعفف ترك السؤال عن الناس، والمراد بالغنى الغنى عنهم، و فى بعض النسخ «مرارة» بدل «مروة» فى الموضعين، و نقل عن بعض الافاضل أنه حك نقطة الغنى و هو المضبوط فى جميع النسخ و جعله العناء بالعين المهملة، و انما كانت مروة الصبر أو مرارته فى الحالات المذكورة أكثر وأزيد من مروة الاعطاء أو مرارته لانها على النفس أشق و أيضاً فيها انتظار الفرج منه تعالى، و فيه وجوه من العبادات الاول عبودية الرب بالاعراض عن الدنيا وزهراتها ، الثانى صدق التوحيد حيث يرى أنه لايفرج ما به من ضر الاهو ، الثالث تعلق أمله به لابغيره فانزل كشف ضره اليه لا الى غيره ، الرابع عدم الشكاية منه الى أحد ، و بالجملة أشرف الطاعات أن يوجه القلب همومه الى مولاه ولا يتعلق بأحد سواه لعلمه بأنه لا يقدر على العطاء والمنع و الضر و النفع الا هو .

قوله (ذلك صبر ليس فيه شكوى الى الناس) ظاهره عموم الناس و هو الاولى و الافضل، ويمكن أن يراد بهم أعداء الله تعالى لان الشكاية الى المؤمن جائز كما دل عليه قول أمير المؤمنين «ع» : «من شكى الحاجة الى المؤمن فكانما شكاها الى الله و من شكاها الى كافر فكأنما شكى الله » وذلك لان المؤمن حزب الله فالشكاية اليه شكاية الى الله و الكافر عدو الله فالشكاية اليه شكاية عن الله والاول محمود والثانى مذموم عقلا و نقلا .

قوله (من لايعد الصبر لنوائب الدهر يعجز) لان النائبة داء بدنى و مرض روحانى دواؤها الصبر فمن لم يهيأ الصبر لها يعجز طبعه عن دفعها و عن حملها فيهلك بالجزع و الهم ومن ثم قيل اذا وقع الانسان فى البلية دواؤها الصبر فان لم يصبر وجزع هلك.

٢٥- أبوعليّ الأشعري ، عن معلّى بن محمّد، عن الوشّاء ، عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّا صبّر و شيعتنا أصبر منّا ، قلت : جعلت فداك كيف صار شيعتكم أصبر منكم ؟ قال : لأنّا نصبر على ما نعلم و شيعتنا يصبرون على مالايعلمون .

(باب الشكر)

١- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الطاعم الشاكر له من الأجر كأجر الصائم المحتسب ،

قوله (أبوعلى الاشعرى) الظاهر أنه أحمدبن ادريس القمى الثقة، وفى بعض النسخ أبوعبدالله الاشعرى و هو حسين بن محمدبن عمران بن أبى بكر الاشعرى القمى الثقة.

قوله (انا صبر و شيعتنا اصبر منا) صبر- بالضم والتشديد - جمع صابر كطلب جمع طالب وفيه دلالة على أن الصبر على شيء لايعلم الصابر حقيقة ما يصل اليه من تحمله أعظم من الصبر عليه مع العلم بحقيقته ألايرى أن صبر من القى الى الجب على مالقيه من ظلمته و وحشته و غير هما مع عدم علمه بما يؤول اليه حاله أعظم من صبر من ألقى فيه مع علمه بسبب اخبار مخبر صادق كجبرئيل « ع » أو بغيره بانه سيخرج و يملك سلطنة العباد كيوسف الصديق «ع» و هذا مما لاينبغى انكاره ولكن كون الثواب المترتب على ذلك الصبر أعظم محل تأمل.

قوله (الطاعم الشاكر له من الاجر كاجر الصائم المحتسب) فى المصباح طعمته أطعمه طعماً بفتح الطاء و يقع على كل ما يساغ حتى الماء وذوق الشيء، و فى التنزيل «و من لم يطعمه فانه منى». وعلى هذا فالطاعم يصدق على الاكل والشارب، والاحتساب الاعتداد و فلان احتسب عمله اذانوى به وجه الله لان له حينئذ أن يعتده، و فيه دلالة على أن الشكر على الاكل والشرب مثل الصوم فى الاجر، و قال المحقق الطوسى الشكر أشرف الاعمال و أفضلها، و اعلم أن الشكر مقابلة النعمة بالقول والفعل والنية وله أركان ثلاثة الاول معرفة المنعم و صفاته اللايقة به ومعرفة النعمة من حيث أنها نعمة ولاتتم تلك المعرفة الابان يعرف أن النعم كلها جليها و خفيها من الله تعالى و أنه المنعم الحقيقى و أن الاوساط كلها منقادون لحكمه مسخرون لامره. الثانى الحال التى هى ثمرة تلك المعرفة وهى الخضوع و التواضع والسرور بالنعم لامن حيث أنها موافقة لغرض النفس فان فى ذلك متابعة لهواها و اقتصار همه فى رضاها، بل من حيث أنها هدية دالة على عناية المنعم بك وعلامة ذلك أن لا تفرح من الدنيا الا بما يوجب القرب منه ، الثالث العمل الذى هو ثمرة تلك الحال فان تلك الحال

والمعافي الشاكر له من الأجر كأجر المبتلى الصابر، و المعطي الشاكر له من الأجر كأجر المحروم القانع.

٢ـ وبهذا الإسناد قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ما فتح الله على عبد باب شكر فخزن عنه باب الزّيادة.

٣ـ محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن جعفر بن محمّد البغدادي، عن عبدالله بن إسحاق الجعفري، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: مكتوب في التوراة اُشكر مَن أنعم عليك وأنعم على من شكرك، فأنّه لازوال للنعماء إذا شكرت ولا بقاء لها

اذا حصلت فى القلب حصل فيه نشاط للعمل الموجب للقرب منه، وهذا العمل يتعلق بالقلب و اللسان والجوارح أما عمل القلب فالقصد الى تعظيمه وتحميده وتمجيده و التفكر فى صنائعه و أفعاله وآثار لطفه والعزم على ايصال الخير والاحسان الى كافة خلقه، وأما عمل اللسان فاظهار ذلك المقصود بالتحميد والتمجيد والتسبيح والتهليل والامر بالمعروف و النهى عن المنكر الى غير ذلك، وأما عمل الجوارح فاستعمال نعمه الظاهرة والباطنة فى طاعته وعبادته والتوقى من الاستعانة بها فى معصيته و مخالفته كاستعمال العين فى مطالعة مصنوعاته ومشاهدة كتابه و علاماته واستعمال الاذن فى سماع براهينه وآياته وقس عليهما سائر الجوارح و من ههنا ظهر أن الشكر من أشرف معارج السالكين و أعلى مدارج العارفين ولا يبلغ اليها الا مـن ترك الدنيا وراء ظهره وهم قليلون ولذلك قال الله سبحانه «وقليل من عبادى الشكور».

(والمعافى الشاكر له ـ الخ) المعافى اسم المفعول من عافاه الله اذا سلمه من الاسقام والبلايا والعافية اسم منه وهى أيضاً مصدر على فاعلة.

(والمعطى الشاكر له من الاجر كاجر المحروم القانع) المعطى أيضاً اسم مفعول وضمير «له» راجع الى الاعطاء سواء كان من الله تعالى أو من غيره والقانع من القناعة وهى الرضا بما آتاه الله تعالى لا من القنوع و هو السؤال قال فى المصباح قنع يقنع قنوعاً سأل و فى التنزيل «و أطعموا القانع والمعتر» والقانع السائل الذى يطيف ولا يسأل. و قنعت به قنعاً من باب تعب و قناعة رضيت به.

قوله (ما فتح الله على عبد باب شكر فخزن عنه باب الزيادة) مثله فى نهج البلاغة «ما كان الله ليفتح على عبد باب الشكر و يغلق عليه باب الزيادة» ودل عليه أيضاً الاية الكريمة «ولئن شكرتم لازيدنكم» وقال بعض الاكابر من شكر القليل استحق الجزيل.

قوله (اشكر من انعم عليك) اما المقابلة بالمثل أو الثناء باللسان أو غير ذلك من أنواع التعظيم قال بعض الاكابر أن قصرت يدك عن المكافاة فليطل لسانك بالشكر.

إذا كفرت، الشكر زيادة في النعم وأمان من الغير.

٤- عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن محمّد بن عليّ، عن عليّ بن أسباط، عن يعقوب بن سالم، عن رجل، عن [أبي جعفر أو] أبي عبدالله عليهما السلام قال: المعافي الشّاكر له من الأجر ما للمبتلى الصّابر، والمعطى الشاكر له من الأجر كالمحروم القانع.

٥- عنه، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر عن داود بن الحصين، عن فضل بن البقباق قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «وأمّا بنعمة ربّك فحدّث» قال: الّذي أنعم عليك بما فضّلك وأعطاك وأحسن إليك؛ ثمّ قال: فحدّث بدينه وما أعطاه

(فانه لازوال للنعماء اذا شكرت) بالاعطاء أو الاعتراف بها و معرفة قدرها أو المدح والثناء للمنعم أو الايتان بالافعال والامتناع من الاعمال الموافقة لاوامره و نواهيه و من ثم قال صاحب بن عباد: الشكر قيد النعمة ومفتاح الزيادة.

(ولا بقاء لها اذا كفرت) بانكارها أو استحقارها أو بترك الامور المذكورة، يدل على ذلك قوله تعالى «ولئن كفرتم ان عذابى لشديد» و زوال النعمة منه.

(الشكر زيادة فى النعم) لان الشكر مع كونه نعمة اخرى سبب لتواتر النعم على الشاكر، و من ثم قال أمير المؤمنين «ع» «اذا وصلت اليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر». (و أمان من الغير) أى من تبديل النعمة بالنقمة و تغيرها، وفى طرق العامة «من يكفر بالله يلقى الغير» و هو بكسر الغين المعجمة و فتح الياء اسم من غير الشىء فتغير أى يلقى تغير الحال و انتقالها عن الصلاح الى الفساد و غير الدهر أحداثه المغيرة و هذا لفظه خبر ومعناه نهى عن ارتكاب ما يزيل النعمة و يضادها من كفرانها و مقابلتها بسائر المعاصى الموجبة لتبدل النعمة وانكسار الحال.

قوله (قال الذى أنعم عليك بما فضلك) الظاهر أنه تفسير للنعمة للاشعار بأن المراد بها جميع ما أنعم الله على عبده من الدين والعلم والمال و غيرها والتحدث بها و افشاءها شكر والمظهر لها شاكر كما أنه تعالى شاكر باعتبار أنه يظهر ما أودعه العبد من العبادة والاعمال الصالحة على الملائكة وخلص خلقه. والتحدث بها مع كونه عبادة مطلوبة قد يورث اقتداء الغير به واذاعة الشكر بين الخلق، وهذا انما هو مع الامن و أما مع الخوف فالاقتصار على الشكر القلبى متعين.

(ثم قال فحدث بدينه وما أعطاه الله وما أنعم به عليه) الظاهر أن فاعل حدث رسول الله «ص» يعنى أنه حدث الناس بآثار الرسالة من الاحكام الدينية والاخلاق النفسية وغير ذلك مما

الله و ما أنعم به عليه .

٦ـ حميدُ بن زياد، عن الحسن بن محمّد بن سماعة، عن وهيب بن حفص، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله عند عائشة ليلتها، فقالت : يا رسول لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ماتقدَّم من ذنبك وما تأخّر ؟ فقال : يا عائشة ألا أكون عبداً شكوراً ، قال: و كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقوم على أطراف أصابع رجليه فأنزل الله سبحانه وتعالى «طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى» .

٧ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد ، عن ابن فضّال ، عن حسن بن جهم ، عن أبي اليقظان ، عن عبيدالله بن الوليد قـال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام

أعطاه الله من نعم الدنيا والاخرة .

قوله (قال كان رسول الله «ص» عند عائشة ليلتها فقالت يارسول الله لم تتعب نفسك) كان عائشه (توهمت أن ارتكاب الاشق انما يكون لدفع المولم وطلب المغفرة من الذنوب فأجابها «ص» بقوله ياعائشه الا أكون عبداً شكوراً) يعنى أن ارتكاب الاعمال الشاقة لايتعين أن يكون لذلك بل قد يكون من باب الشكر فى مقابلة النعمة الغير المحصورة والاعتراف بالاحسان واستحقاق التعظيم وابرام العتيد وطلب المزيد وجلب الخيرات ورفع الدرجات واستحلاء العبادات فان مايجد قائم الليل من اللذة فى العبادة لايوازنه بالدنيا وما فيها، وقال بعض أهل العرفان انا فى لذة لو علمها الملوك لجادلونا عليها بالسيوف ، و كأنه وجه ما يحكى عن كثير مـن السلف من الجد والاكثار فـى العمل مع أن ظاهر كثير من الاخبـار أن الراجح هو التوسط.

قوله (وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر) اشارة الى قوله تعالى «انا فتحنا لك فتحا مبيناً ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر» توجيهه على ما استفدناه من كلام أبى الحسن الرضا «ع» وكلام الشيخ فى الاربعين أنه «ص» كان أعظم ذنباً من كل أحد عند مشركى مكة باعتبار أنه كان يدعوهم الى اله واحد وهم كانوا يعبدون من دون الله ثلثمائة و ستين صنماً وكانوا يقولون ان مكنه الله من بيته و حكمه من حرمه بينا انه نبى حق فلما فتح الله له مكة دخلوا فى دين الله أفواجاً وأذعنوا بنبوته وتركوا عبادة الاصنام فنزلت الاية ومعناها انا فتحنا لك مكة ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك قبل الهجرة و ماتأخر بعدها الى أوان الفتح بزعم مشركى مكة، و هذا الجواب بالنظر الى الاية أحسن مما قيل من أن المراد ما تقدم من ذنب أبويك آدم وحوا وما تأخر من ذنب أمتك أو ما تقدم من ذنب امتك وما تأخر منه أيضاً لانه لايصح تعليل الفتح بغفران الذنب الا بتكلف بعيد كان يقال لما كان الفتح متضمناً لجهاد صح بهذا الاعتبار جعله سبباً لغفران الذنب المتقدم والمتأخر ، ولا يخفى بعده ، و أما الجواب

يقول : ثلاث لايضرّ معهنّ شيء : الدّعاء عند الكرب و الاستغفار عند الذّنب و الشكرعند النعمة .

٨- عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن يحيى بن المبارك، عن عبدالله بن جبلة، عن معاوية بن وهب، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من اُعطي الشكر اُعطي الزّيادة، يقول الله عزّوجلّ : «لئن شكرتم لأزيدنّكم».

٩ - أبو عليّ الأشعري ، عن محمّد بن عبد الجبّار ، عن صفوان ، عن إسحاق بن عمّار ، عن رجلين من أصحابنا ، سمعاه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما أنعم الله على عبد من نعمة فعرفها بقلبه و حمدالله ظاهراً بلسانه فتمّ كلامه حتّى يأمر له بالمزيد.

١٠ - عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن بعض أصحابنا ، عن محمّد بن هشام، عن ميسر ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: شكر النعمة اجتناب المحارم وتمام الشكر قول الرّجل: الحمدلله ربّ العالمين.

١١ - عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عليّ بن عيينة، عن عمر بن يزيد قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول :شكر كلّ نعمة وإن عظمت أن تحمد الله عزّوجلّ عليها.

المذكور فاستقامة التعليل ممالاريب فيه (طه ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى) أى لتتعب ، والشقاء شايع بمعنى التعب والشدة والعسر.

قوله (ثلاث لايضر معهن شيء الدعاء عندالكرب) لان الدعاء يدفع الكرب ويوجب زواله والاستغفار يوجب محو الذنوب والسيئات و تبدلها بالحسنات. والشكر على النعم يوجب عدم الاستدراج بها و عدم زوالها وتبدلها بالنقم بخلاف كفرانها و مقابلتها بالمعاصى فانه يوجب زوالها والنعمة تقع على ما يتمتع به فى الدنيا وعلى العلم و العمل والاخلاص والمجاهدات النفسانية وكسر القوة الشهوية والغضبية و غيرها .

قوله (فعرفها بقلبه و حمدالله ظاهراً بلسانه) أى تصورها وصدق بأنها من الله وفيه اشعار بان الزيادة وفوريتها تترتب على الشكر القلبى واللسانى معاً.

قوله (قال شكر النعمة اجتناب المحارم وتمام الشكر-الخ) دل على أن اجتناب المحارم شكر لنعمائه تعالى وأن الحمدلله رب العالمين فرد كامل من الشكر لانه شكر لله على جميع

١٢ـ عدَّةٌ من أصحابنا، عن أحمدبن محمّدبن خالد، عن إسماعيل بن مهران عن سيف بن عميرة، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: هل للشكر حدٌّ إذا فعله العبد كان شاكراً؟ قال: نعم قلت: ماهو؟ قال: يحمدالله على كلّ نعمة عليه في أهل ومال وإن كان فيما أنعم عليه في ماله حقٌّ أدّاه، ومنه قوله جلّ وعزّ: «سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين» و منه قوله تعالى: «ربِّ أنزلني منزلاً مباركا وأنت خير المنزلين» و قوله: «ربِّ أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً».

١٣ـ محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن معمر بن خلّاد قال: سمعت أباالحسن صلوات الله عليه يقول: من حمدالله على النعمة فقد شكره و كان الحمد أفضل [من] تلك النعمة.

١٤ـ محمّدُ بن يحيى، عن أحمد، عن عليّ بن الحكم، عن صفوان الجمّال، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال لي: ما أنعم الله على عبد بنعمة صغرت أو كبرت، فقال: الحمد لله إلّا أدّى شكرها.

١٥ـ أبوعليّ الأشعري، عن عيسى بن أيوب، عن عليّ مهزيار، عن القاسم بن-

---

كمالاته الذاتية والفعلية مثل التربية والاحسان والانعام وغيرها.

قوله (يحمد الله على كل نعمة عليه فى أهل و مال) يحتمل الاجمال والتفصيل وقوله «فى ماله» بدل عن قوله «فيما أنعم الله عليه» وهو يدل على أن أداء الواجبات المالية شكر لنعمة المال (ومنه) أى من الشكر.

(قوله تعالى «سبحان الذى سخرلنا هذا وماكنا له مقرنين») أى مطيقين يقال أقرنت الشىء اقراناً أطقته وقويت عليه ويقال هذا عند الاستواء على الدابة (و قوله «رب ادخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق») أى أدخلنى فى القبر أو فى مكان أو أمر أو الاعم ادخالا مرضياً و أخرجنى منه عند البعث أو الاعم منه و مما ذكر اخراجاً مقروناً بالكرامة.

(و اجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً) أى حجة تنصرنى على مخالفتى أو ملكاً ينصر الاسلام على الكفر. **قوله** (و كان الحمد أفضل من تلك النعمة) لعل المراد أن الحمد نعمة أفضل من تلك النعمة. ففيه تنبيه على أن العبد لا يقدر على شكر النعمة حق الشكر، أو المراد أن الحمد باعتبار أنه يوجب القرب منه تعالى و الوصول الى محل كرامته أفضل من تلك النعمة لنقصان أثرها بالنسبة الى أثر الحمد.

محمّد، عن إسماعيل بن أبي الحسن، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: من أنعم الله عليه بنعمة فعرفها بقلبه، فقد أدّى شكرها.

١٦- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن منصور بن يونس، عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الرّجل منكم ليشرب الشربة من الماء فيوجب الله له بها الجنّة، ثمّ قال: إنّه ليأخذ الإناء فيضعه على فيه فيسمّي ثمّ يشرب فينحّيه وهو يشتهيه فيحمد الله، ثمّ يعود فيشرب، ثمّ ينحّيه فيحمد الله، ثمّ يعود فيشرب، ثمّ ينحّيه فيحمد الله، فيوجب الله عزّ وجلّ بها له الجنّة.

١٧- ابن أبي عمير، عن الحسن بن عطيّة، عن عمر بن يزيد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي سألت الله عزّ وجلّ أن يرزقني مالاً فرزقني وإنّي سألت الله أن يرزقني ولداً فرزقني ولداً، وسألته أن يرزقني داراً فرزقني، وقد خفت أن يكون ذلك استدراجاً. فقال: أما -والله- مع الحمد فلا.

١٨- الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن الوشّاء، عن حمّاد بن عثمان قال خرج أبو عبد الله عليه السلام من المسجد، وقد ضاعت دابّته، فقال: لئن ردّها الله عليّ لأشكرنّ الله حقّ شكره، قال: فما لبث أن اُتي بها، فقال: الحمد لله، فقال له قائل:

قوله (من أنعم الله عليه بنعمة فعرفها بقلبه فقد أدى شكرها) المراد بمعرفتها معرفتها مضافة الى المنعم ومن عرفها كذلك وان كانت صغيرة وعرف قدرها فقد أدى شكرها، هذا شكر قلبى وهو فرد من الشكر، وقيل نظر العبد الى من دونه لا الى من فوقه شكر لما أنعم الله عليه وبالعكس كفران، وذلك لان الانسان اذا نظر الى من دونه عرف قدر نعمة الله عليه وهذا شكر لها مع أنه يفضى الى الشكر أيضاً واذا نظر الى من فوقه طلب اللحاق به فازدرى ما انعمه عليه واحتقرها وهو كفران.

قوله (انه ليأخذ الاناء فيضعه على فيه فيسمى) دل على أن الشرب ينبغى أن يكون ثلاث مرات وأن يكون التسمية فى أول مرة والحمد بعد كل مرة وبعض الروايات دل على أن التسمية فى أول كل مرة.

قوله (وقد خفت أن يكون ذلك استدراجاً) فى المصباح استدرجته أخذته قليلا قليلا وفى الصحاح استدرجه خدعه، واستدراج الله تعالى العبد أنه كلما جدد خطيئة جدد له نعمة وأنساه الاستغفار أو أن يأخذه قليلا قليلا و لا يباغته.

جعلت فداك أليس قلت: لأشكرنّ الله حقّ شكره ؟ فقال أبوعبدالله عليه السلام: ألم تسمعني قلت: الحمدلله؟.

١٩- محمّد بن يحيى، عن أحمدبن محمّدبن عيسى، عن القاسم بن يحيى، عن جدّه الحسن بن راشد، عن المثنّى الحنّاط، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ورد عليه أمر يسرّه قال: الحمد لله على هذه النعمة، و إذا ورد عليه أمر يغتمّ به قال: الحمدلله على كلّ حال.

٢٠- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي أيّوب الخزّاز، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: تقول ثلاث مرّات إذا نظرت إلى المبتلى من غير أن تسمعه: الحمدلله الّذي عافاني ممّا ابتلاك به، ولو شاء فعل، قال: من قال ذلك

قوله (كان رسول الله «ص» اذا ورد عليه أمر يسره قال الحمدلله على هذه النعمة و اذا ورد عليه أمر يغتم به قال الحمدلله على كل حال) أى على حال الصحة والبلية و النعمة لان كل ذلك مصلحة ينبغى الحمد عليها وفيه مع ذلك اشارة الى أنه لكونه كاملا فى ذاته و صفاته مستحق للحمد أحسن أولم يحسن، والى أن نظر الحامد ينبغى أن يكون اليه لا الى منافع نفسه فينبغى الشكر على البلاء كما ينبغى الشكر على النعماء لان كل بلاء غير الكفر والمعصية خير للعبد. قال الغزالى فى كل بلاء خمسة أنواع من الشكر الاول يمكن أن يكون دافعاً أشد منه كما أن موت دابته دافع لموت نفسه، فينبغى الشكر على عدم ابتلائه بالاشد، الثانى البلاء اما كفارة للذنوب أو سبب لرفع الدرجة فينبغى الشكر على ازالة تلك الذنوب ورفع الدرجة، الثالث أن البلاء مصيبة دنيوية فينبغى الشكر على أنه ليس مصيبة دينية، وقد نقل أن عيسى «ع» مر على رجل أعمى مجذوم مبروص مفلوج فسمع منه يشكر ربه ويقول الحمدلله الذى عافانى من بلاء ابتلى به أكثر الخلق، فقال «ع» ما بقى من بلاء لم يصبك. قال عافانى من بلاء هو أعظم البلايا وهو الكفر فمسه «ع» فشفاه الله من تلك الامراض، وحسن وجهه فصاحبه وهو يعبد معه، الرابع أن البلاء كان مكتوباً فى اللوح المحفوظ وكان فى طريقه لامحالة فينبغى الشكر على أنه مضى ووقع خلف ظهره. الخامس أن بلاء الدنيا سبب لثواب الاخرة وزوال حب الدنيا عن القلب فينبغى الشكر عليها.

قوله (اذا نظرت الى المبتلى من غير أن تسمعه) لئلا يكسر قلبه ولايحزنه والظاهر من المبتلى المبتلى بالبلاء المعروف ويمكن حمله على الاعم منه فيشمل المبتلى بالمعصية لان

لم يصبه ذلك البلاء أبداً.

٢١- حميدُ بن زياد، عن الحسن بن محمّد بن سماعة، عن غير واحد، عن أبان بن عثمان، عن حفص الكناسي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما من عبد يرى مبتلى فيقول: «الحمد لله الّذي عدل عنّي ما ابتلاك به و فضّلني عليك بالعافية، اللّهمّ عافني ممّا ابتليته به» إلاّ لم يبتل بذلك البلاء.

٢٢- عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن عثمان بن عيسى، عن خالد بن نجيح، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا رأيت الرّجل و قد ابتُلي و أنعم الله عليك فقل: أللّهمّ إنّي لا أسخر ولا أفخر ولكن أحمدك على عظيم نعمائك عليّ.

٢٣- عنهُ، عن أبيه، عن هارون بن الجهم، عن حفص بن عمر، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إذا رأيتم أهل البلاء فاحمدوا الله ولا تُسمعوهم، فإنّ ذلك يحزنهم.

٢٤- عنهُ، عن عثمان بن عيسى، عن عبدالله بن مسكان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان في سفر يسير على ناقة له، إذ نزل فسجد خمس سجدات فلمّا أن ركب قالوا: يا رسول الله إنّا رأيناك صنعت شيّاً لم تصنعه؟ فقال: نعم استقبلني جبرئيل عليه السلام فبشّرني ببشارات من الله عزّ وجلّ، فسجدت لله شكراً لكلّ بشرى سجدة.

٢٥- عنهُ، عن عثمان بن عيسى، عن يونس بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا ذكر أحدكم نعمة الله عزّ وجلّ فليضع خدّه على التراب، شكراً لله، فإن كان راكباً فلينزل فليضع خدّه على التراب و إن لم يكن يقدر على النزول للشهرة، فليضع خدّه على قربوسه وإن لم يقدر فليضع خدّه على كفّه، ثمّ ليحمد الله على ما أنعم الله عليه.

٢٦- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عليّ بن عطيّة، عن هشام ابن أحمر قال: كنت أسير مع أبي الحسن عليه السلام في بعض أطراف المدينة إذ ثنّى رجله

المعصية بلاء عظيم الاأن قوله «من غير أن تسمعه» لايلائمه.

قوله (اذا رأيت الرجل وقد ابتلى) أى قد ابتلى بالفقر أو السقم أو غيرها اللهم انى لاأسخر أى لااستهزىء، سخر منه وبه كفرح هزىء.

عن دابّته ، فخرّ ساجداً ، فأطال و أطال ، ثمّ رفع رأسه و ركب دابّته ، فقلت : جعلت فداك قد أطلت السجود ؟ فقال: إنّني ذكرت نعمة أنعم الله بها عليّ ،فأحببت أن أشكر ربّي.

٢٧- عليٌّ ، عن أبيه ، عن ابن أبي‌عمير ، عن أبي عبدالله صاحب السابري فيما أعلم أوغيره ، عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال : فيما أوحى الله عزّوجلّ إلى موسى عليه السلام يا موسى اُشكرني حقّ شكري، فقال: يا ربّ و كيف أشكرك حقّ شكرك و ليس من شكر أشكرك به إلّا و أنت أنعمت به‌عليّ ؟ قال: ياموسى الآن شكرتني حين‌علمت أنّ ذلك منّي.

٢٨- إبن أبي‌عمير ، عن ابن‌رئاب، عن إسماعيل‌بن الفضل قال: قال‌أبوعبدالله عليه السلام: إذا أصبحت وأمسيت فقل عشر مرّات:«اللّهمّ ماأصبحت بي من نعمة أوعافية من دين أودنيا فمنك وحدك، لاشريك لك، لك الحمد ولك الشكر بها عليّ يارب

(ياموسى اشكرنى حق شكرى فقال يا رب) تقول أديت حق فلان اذاقابلت احسانه باحسان مثله، والمراد هنا طلب أداء شكر نعمته على وجه التفصيل وهو لايمكن من وجوه الاول أن نعمه غير متناهية لايمكن احصائها تفصيلا فلايمكن مقابلتها بالشكر ، الثانى أن كل ما نتعاطاه مستنداً الى جوارحنا و قدرتنا من الافعال فهى فى الحقيقة فيه نعمة و موهبة من الله تعالى وكذلك الطاعات و غيرهما نعمة منه فتقابل نعمته بنعمته، الثالث أن الشكر أيضاً نعمةمنه فمقابلة كل نعمته بالشكر يوجب العجز والتسلسل و هو غيرمقدور للعبد وقول موسى «ع» «يا رب كيف أشكرك حق شكرك ـ الى آخره» يحتمل الوجهين الاخيرين وروى‌ان هذاالخاطر خطر لداود«ع» أيضاً فقال يارب كيف أشكرك وانالا استطيع ان اشكرك الابنعمة ثانية من نعمك فاوحى‌الله تعالى اليه اذا عرفت هذافقدشكرتنى. واما ما يقال فى العرف من ان فلانا مؤد لحق‌الله فمبنى على ان التكاليف تسمى حقوقا له و ذلك الاداء فى‌الحقيقةمن‌أعظم نعم‌الله تعالى على عبده قال‌الله‌عزوجل«يمنون‌عليك‌ان‌اسلموا قل لاتمنوا على اسلامكم بل‌الله يمن عليكم ان‌هديكم للايمان ان كنتم صادقين ».

قوله (اللهم‌ما أصبحت بى‌من نعمة) الاصباح الدخول فى‌الصبح وقد يرادبه‌الدخول فى الاوقات مطلقاً وما الموصولة مبتدأ والعائد اليه مستتر فى الظرف والظرف و هو «بى» مستقر حال عن الموصول أي متلبساً بي و «من نعمة» بيان له و«منك» خبر له والفاء لتضمن

حتّى ترضى وبعد الرّضا» فانّك إذا قلت ذلك كنت قد أدّيت شكر ما أنعم الله به عليك في ذلك اليوم وفي تلك اللّيلة.

٢٩- إبن أبي عمير، عن حفص بن البختري، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان نوح عليه السلام يقول ذلك إذا أصبح، فسمّي بذلك عبداً شكوراً، و قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من صدق الله نجا.

٣٠- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمّد، عن المنقري، عن سفيان ابن عيينة، عن عمّار الدّهني قال: سمعت عليّ بن الحسين عليهما السلام يقول: إنّ الله يحبّ كلّ قلب حزين و يحبّ كلّ عبد شكور، يقول الله تبارك و تعالى لعبد من عبيده يوم القيامة: أشكرت فلاناً؟ فيقول: بل شكرتك يا ربّ، فيقول: لم تشكرني إذ لم تشكره، ثمّ قال: أشكركم لله أشكركم للناس.

الموصول معنى الشرط بمعنى أن ما به من نعمة سبب للحكم بكونه منه تعالى. و فيه دلالة على أن الشكر الاجمالي يقوم مقام الشكر التفصيلي.

قوله (من صدق الله نجا) تصديقه في تكاليفه عبارة عن الاقرار بها والاتيان بمقتضاها و في نعمائه عبارة عن معرفتها بالقلب ومقابلتها بالشكر والثناء.

قوله (أشكرت فلاناً فيقول بل شكرتك يارب فيقول لم تشكرني اذلم تشكره) لعل معناه أن الله تعالى لايقبل شكر العبد على احسانه اليه اذا كان العبد لايشكر احسان الناس اليه ويكفر معروفهم لاتصال أحد الامرين بالاخر، والحاصل أن من لم يشكر الناس كان كمن لم يشكر الله وان شكره، وقيل معناه ان من كان في طبعه وعادته كفران نعمة الناس وترك الشكر لهم كان من عادته كفران نعمة الله وترك الشكر له ولاينافي هذا الخبر ماروى عن أمير المؤمنين «ع» قال «ولا يحمد حامد الا ربه» حيث قصر الحمد والثناء على الله لان المراد أنه مبدء كل نعمة يستحق بها الحمد و ان كل حمد يرجع اليه في الحقيقة كما صرح به جماعة من المحققين وقد يجاب بأن الغير يتحمل المشقة بحمل رزق الله اليك فالنهى عن الحمد لغير الله على أصل الرزق لان الرازق هو الله والترغيب في الحمد له على تكلف من حمل الرزق وكلفة ايصاله باذن الله ليعطيه أجر مشقة الحمل والايصال، وبالجملة هناك شكران شكر للرزق وهو لله وشكر للحمل وهو للغير ويؤيده ماروى في طرق العامة ولا تحمدن أحداً على رزق الله، وقيل النهى مختص بالخواص من أهل اليقين الذين شاهدوه رازقاً وشغلوا عن رؤية الوسائط فنهاهم عن الاقبال عليها لانه تعالى يتولى جزاء الوسائط عنهم بنفسه و الامر

(باب حسن الخلق)

١- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن جميل ابن صالح، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلقاً.

٢- الحسينُ بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن الوشّاء، عن عبدالله بن سنان، عن رجل من أهل المدينة، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما يوضع في ميزان امرىءٍ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق.

بالشكر مختص بغيرهم ممن لاحظ الاسباب والوسائط كالاكثر لان فيه قضاء حق السبب أيضاً والتعميم أولى لان الواسطة فى الخير أيضاً عزيز كصاحبه ومستحق للشكر مثله وقد شكر الله عبده مع كمال غناه عنه فقال «نعم العبد انه أواب» و قال «انه كان صديقاً نبياً».

قوله (ان أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً) فان الايمان الكامل لا يتحقق الا بتحقق شروق الباطن بالمعارف الالهية والعلوم الربانية والفضائل النفسانية واشتغال الظواهر بالاعمال الحسنة المرضية، و ذلك يتفاوت بحسب تفاوت الجذبات الربوبية فمن كان ذلك الشروق والعلوم والاشتغال والفضائل فيه أتم كان ايمانه أكمل وظاهر أن جملة تلك الفضائل هى حسن الخلق و هو انما يحصل من الاعتدال بين الافراط و التفريط فى القوة العقلية و الشهوية و القوة الغضبية و يعرف ذلك بمخالطة الناس بالجميل و التودد و الصلة والصدق واللطف والمبرة و حسن الصحبة والعشرة والمراعاة والمواساة والرفق والحلم و الصبر والاحتمال لهم والاشفاق عليهم ، و بالجملة حسن الخلق تابع لاستقامة جميع الاعضاء الظاهرة والباطنة و حالة نفسانية يتوقف حصولها على اشتباك الاخلاق النفسانية و اشتباك بعضها ببعض ، و من ثم قيل هو حسن الصورة الباطنة التى هي صورة الناطقة كما أن حسن الخلق حسن الصورة الظاهرة و تناسب الاجزاء من الانف والعين والحاجب و الفم و غيرها الا أن حسن هذه الصورة الظاهرة ليس بقدرتنا واختيارنا بخلاف حسن الصورة الباطنة فانه من فيض الحق و قد يكون مكتسباً ولهذا تكررت الاحاديث على الحث به و بتحصيله فى مواضع عديدة.

قوله (ما يوضع فى ميزان امرىء يوم القيامة أفضل من حسن الخلق) دل على أن الثواب والعقاب يتعلقان به كما يتعلقان بالاعمال الظاهرة بل قيل تعلقهما به أكثر من تعلقهما بهما و على أن الاخلاق توزن يوم القيامة، و لعل المراد انها توزن بعد تجسيمها فى تلك النشأة و هو المشهور بين أهل الاسلام و عليه الروايات المتكثرة و قيل وزنها كناية عن التسوية والعدل لان الاعراض لا يعقل وزنها ، و قال الشيخ : العرض في هذه النشأة قد يتجسم في

٣- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن أبي ولاّد الحنّاط، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أربع من كنّ فيه كمل إيمانه و إن كان من قرنه إلى قدمه ذنوباً لم ينقصه ذلك، [قال] وهو الصدق و أداء الأمانة والحياء و حسن الخلق.

٤- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن ابن محبوب، عن عنبسة العابد قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: ما يقدم المؤمن على الله عزّ وجلّ بعمل بعد الفرائض أحبّ إلى الله تعالى من أن يسع الناس بخُلقه.

٥- أبو عليّ الأشعري، عن محمّد بن عبدالجبّار، عن صفوان، عن ذريح، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّ صاحب الخُلق الحسن له مثل أجر الصائم القائم.

٦- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول صلّى الله عليه وآله: أكثر ما تلج به اُمّتي الجنّة تقوى الله وحسن الخلق.

٧- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حسين الأحمسي وعبدالله ابن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الخُلق الحسن يميث الخطيئة كما تميث

الاخرة و بسط الكلام فى توجيهه فى الاربعين.

قوله (أربع من كن فيه) أى خصال أربع فأربع خلف من موصوف وهو المصحح للابتداء بها وجملة الشرط بعده خبره (وان كان من قرنه الى قدمه ذنوباً) مبالغة فى كثرة ذنوبه أو كناية عن تجسمه منها أو عن صدورها من كل جارحة من جوارحها وحملها على الصغائر محتمل كحملها مطلقاً.

قوله (وهو الصدق و أداء الامانة) هذه الاربعة أعنى صدق اللسان أو جميع الاعضاء و أداء أمانة الخالق و الخلق والحياء المانع مما يذم وحسن الخلق معهم مانعة من ارتكاب الذنوب وماحية لما سبق منها كبيرة كانت أو صغيرة واحتمال تخصيصها بالصغيرة بعيد.

قوله (من أن يسع الناس بخلقه) و ان كان الناس يسيئونه، قيل لبعض الكرام قد اجترأ عليك خدمتك حتى أنهم ما يجيبون نداءك فقال: انى مثلت بين أن يفسدوا أو يفسد خلقى فوجدت فسادهم أهون على من فسادى.

قوله (أكثر ما تلج به امتى الجنة تقوى الله و حسن الخلق) لان بالتقوى يستقيم الامر مع الله و بحسن الخلق يستقيم النظام مع الناس وهما من أعظم الاسباب للدخول فى الجنة لان صاحبهما طيب والجنة للطيبين.

قوله (ان الخلق الحسن يميث الخطيئة كما تميث الشمس الجليد) الميث والموث

الشمس الجليد.

۸- عنهُ ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير، عن عبدالله بن سنان . عن أبي عبدالله عليه السلام قال : البرُّ و حسن الخلق يعمران الدِّيار و يزيدان في الأعمار.

الاذابة. مثت الشيء أميثه و اموثه - من بابى باع وقال - فانماث اذا ذقته و خلطته بالماء و أذبته و الجليد هو الماء الجامد من البرد ، و ذلك لان الحسن الخلق لكونه مستلزماً لكثير من الفضائل الظاهرة و الباطنة يطهر الظاهر والباطن من الاعمال القبيحة ، فانه يمنع اليد من الضرب و اللسان من الشتم و الفحش و القلب من الحقد والحسد و الكبر وقس على ذلك(۱).

قوله (البر و حسن الخلق يعمران الديار ويزيدان فى الاعمار) لانهما من أعظم

---

(۱) قوله فى ص۲۸۷ « بحسب تفاوت الجذبات الربوبية» الانسان لايجد بالادلة العقلية و البراهين العلمية أكثر من علم اجمالى بوجود الواجب تعالى وعرفان غيبى تعارضه الاوهام الكثيرة بخلاف ما اذا وجده بالكشف والشهود نظير مايجد فى نفسه من عشقه وشوقه وخوفه ورغبته و تقواه وفجوره ولذته وألمه الى غيرذلك من ملكاته وحالاته بحيث لايشك فى هذه الحالات من نفسه ولايعارضه معارض من أوهامه كذلك يمكن أن يجد فى نفسه ارتباطه مع مبدء قادر قيوم حكيم وتعلقه به ويعرف فى هذا التعلق صفاته تعالى وأسمائه وسائر مايمكن له معرفته من المبدء عزوجل وبه يتم ايمانه ويكمل ويصير بمنزلة من رآه بعينه ويكلمه فى خلواته ويونسه فى وحشته ولايشك فيه كما لايشك فى جوعه وشبعه ولايعارضه وهمه ولا يمكن الاتصال بالمبدء الابرفض الرغبة الى الدنيا فيترتب عليه ترك الحسد والبخل والحرص والسرقة والكذب و الخيانة فان ارتكاب هذه وأمثالها ليس الاللدنيا وتحصيل المال أوالجاه وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه حتى يحب باحدهما الدنيا وبالاخر الله تعالى ، كما أن المستغرق فى الدنيا يترك الله لامحالة والمستغرق فى حبه تعالى يترك الدنيا اذا تعارضا. (ش)

قوله أيضاً فى ص۲۸۷ « بل قيل تعلقها به أكثر» هو الظاهر من أحاديث هذا الباب و العجب ان الناس تركوا علم الاخلاق والعمل بمايقتضيه هذا العلم واقتصروا على الاعمال الظاهرة وظنوا انحصار السعادة الاخروية فيها ولايهتمون بتزكية النفوس من مهلكاتها عشر مايهتمون بازالة النجاسات عن أثوابهم وهو من مضلات الفتن وقال الله تعالى « يوم لاينفع مال ولا بنون الامن اتى الله بقلب سليم» وقال «لن ينال الله لحومها ولادمائها ولكن يناله التقوى منكم» وقال تعالى «و نفس ماسويها فالهمها فجورها وتقويها قد أفلح من زكيها و قد خاب من دسيها» ولكن اقبالهم على الفقه انما هو لقرب مسائله من المحسوسات وكونها أقرب الى الفهم والعمل، ويظهر العدالة والفسق بالاعمال الظاهرة دون الملكات. والحقوق المالية يحفظ بالفقه ويطلب باحكامه ولذلك ظنوا احتياجهم الى الفقه أشد من علم الاخلاق. (ش)

٩- عدَّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمَّد بن عبدالحميد قال: حدَّثني يحيى بن عمرو، عن عبدالله بن سنان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: أوحى الله تبارك و تعالى إلى بعض أنبيائه عليهم السلام الخلق الحسن يميث الخطيئة، كما تميث الشمس الجليد.

١٠- محمَّد بن يحيى، عن أحمد بن محمَّد بن عيسى، عن الحسن بن عليٍّ الوشاء عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: هلك رجلٌ على عهد النبيِّ صلى الله عليه وآله فأتي الحفَّارين فاذا بهم لم يحفروا شيئاً و شكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله ما يعمل حديدنا في الأرض، فكأنَّما نضرب به في الصفا، فقال: ولم إن كان صاحبكم لحسن الخلق، إيتوني بقدح من ماء، فأتوه به، فأدخل يده فيه، ثمَّ رشَّه على الأرض رشّاً ثمَّ قال: احفروا، قال: حفر الحفَّارون، فكأنَّما كان رملاً يتهايل عليهم.

١١- عنه، عن محمَّد بن سنان، عن إسحاق بن عمَّار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنَّ الخلق منيحة يمنحها الله عزَّ وجلَّ خلقه، فمنه سجيَّة ومنه نيَّة، فقلت: فأيَّتهما

أسباب العشرة و الخلطة و التعاون و ذلك يوجب تعمير الديار و البلاد، وأما أنهما يزيدان الاعمار فبالخاصية أو باعتبار(١) دعاء كل لكل أو باعتبار أنهما يوجبان رفع العدواة الموجبة للقتل والفساد.

قوله (ان كان صاحبكم لحسن الخلق) ان مخففة بدليل اللام فى خبر كان وليس للشرط و«ايتونى» جزاء بل هو ابتداء كلام. فكانما كان رملا يتهايل عليهم أى يصب عليهم من هلت الدقيق فى الجراب هيلا من باب ضرب صببته. وقال أبوزيد هلت من التراب صببة بلارفع اليدين. و يقرب منه قول الازهرى هلت التراب الرمل وغير ذلك اذا أرسلته فجرى، و بعضهم يقول هلت الرمل حركت أسفله فسال من أعلاه.

قوله (ان الخلق منيحة يمنحها الله عزوجل خلقه) المنيحة والمنحة العطية والمنح

---

(١) قوله «فبالخاصية اوباعتبار» والظاهر أن طول العمر بسبب أن شراسة الطبع وسوء الخلق يوجبان هيجان الروح وقلق النفس واضطراب القلب وامراض الاعصاب والدماغ و ربما يوجب شدة الغضب فجأة أوسكتة. (ش)

أفضل؟ فقال: صاحب السجيّة، هو مجبول لايستطيع غيره وصاحب النيّة يصبر على الطاعة تصبّراً، فهو أفضلهما.

١٢ـ و عنهُ ، عن بكر بن صالح، عن الحسن بن عليّ ، عن عبدالله بن إبراهيم عن عليّ بن أبي عليّ اللّهبي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الله تبارك وتعالى ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله، يغدو عليه ويروح.

الاعطاء فمنه سجية ومنه نية، السجية الخلق والطبيعة والنية المكتسبة بقرينة المقابلة يقال نويته أنويه أى قصدته ، والاسم النية مثقلة والتخفيف لغة. و هذا صريح فى أن الخلق منه طبيعى عزيزى خلقه الله فى بدء الفطرة و منه مكتسب بأن يتمرن عليه حتى يصير كالغريزة فبطل قول من قال أنه غريزه لامدخل للاكتساب فيه(١)وصاحب النية تصبر على الطاعة تصبراً فهو أفضلهما يشير اليه قول أميرالمؤمنين «ع» « و عود نفسك الصبر على المكروه فنعم الخلق التصبر» و فيه اشارة الى الصبر المكتسب والترغيب فيه ؛ و المراد بالتصبر مشقته بتكلف تحمل الصبر لكونه غيرخلقى و هو محمود عند الخالق و مشكور لدى الخلائق و ليس المراد به اظهار الصبر مع عدم اتصافه به اذلامحصل له.

قوله (قال ان الله تبارك و تعالى ليعطى العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطى المجاهد فى سبيل الله) لا شتراكهما فى حفظ نظام الخلق و رعاية حقوق أهل الايمان وأصل الجهاد مع النفس والعدو.

(يغدو عليه و يروح) حال عن المجاهد أى يغدو المجاهد على سبيل الله أى يذهب فيه أول النهار أو مطلقا و يروح و يرجع أو يذهب فى آخره أو مطلقاً ، و المقصود أن ثواب العبد فى حسن خلقه مثل ثواب هذا المجاهد الساعى فى الجهاد المستمر فيه، وفى المصباح غدا غدواً من باب قعد ذهب غدوة و هى ما بين صلاه الصبح و طلوع الشمس ثم كثر حتى استعمل فى الذهاب والانطلاق أى وقت كان وراح يروح رواحاً أى رجع كمافى قوله تعالى « غدوها شهر و رواحها شهر» أى ذهابها شهر و رجوعها شهر وقد يتوهم بعض الناس أن الرواح لايكون الا فى آخر النهار و ليس كذلك بل الرواح والغدو عند العرب يستعملان فى المسير أى وقت كان من ليل أو نهار قاله الازهرى وغيره، وعليه قوله «ع» «من راح الى الجمعة فى أول النهار فله كذا» أى ذهب .

---

(١) قوله «لامدخل للاكتساب فيه» والالزم الجبر والتكليف بمالايطاق اذ أمر بتحصيل الحسن و الفضائل و اوعد علي القبايح. (ش)

١٣ ـ عنه، عن عبدالله الحجّال، عن أبي عثمان القابوسي، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك و تعالى أعار أعداءه أخلاقاً من أخلاق أوليائه ليعيش أولياؤه مع أعدائه في دولاتهم.

وفي رواية اُخرى: لولا ذلك لماتركوا وليّاً لله إلّا قتلوه.

١٤ـ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن الحسين بن المختار، عن العلاء بن كامل قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إذا خالطت الناس فإن استطعت أن لا تخالط أحداً من الناس إلّا كانت يدك العليا عليه فافعل، فإنّ العبد يكون فيه بعض التقصير من العبادة ويكون له حسن خلق، فيبلغه الله بـ[حسن] خلقه درجة الصائم القائم.

١٥ ـ عدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن أبيه، عن حمّاد بن

قوله (ان الله تبارك و تعالى أعار أعداءه أخلاقاً) أشار بالاعارة الى أن أخلاقهم(١) الحسنة لاتبقى بعد موتهم ولاتنفعهم فيما بعد. وانما هى كالعارية فيهم لمصالح المؤمنين و حفظهم عن غايلتهم.

قوله (فان استطعت أن لاتخالط أحداً من الناس الا كانت يدك العليا عليه فافعل) كانه اريد باليد العليا المنفقة أو المعطية فان اليد العليا منفقة معطية واليد السفلى سائلة آخذة، أو اريد بها اليد اليمنى فان اليمنى أعلى من اليسرى فى القوة، وهى على التقديرين كناية عن حسن الخلق كما يشعر به التعليل.

---

(١) قوله «أشار بالاعارة الى أن أخلاقهم» انما يبقى الملكات الحسنة مع النفوس بعد الموت اذا كانت راسخة فمن عمل حسناً أو أظهر فضيلة من الفضائل وقتاً واعرض عنها فى سائر أوقاته لم ينفعه شيء، و اعلم أن الله تعالى هدى عقولنا الى أن سعادة الانسان فى تحصيل الملكات الفاضلة لانه تعالى لم يجعل شوقاً فى قلوب الانسان ولارغبة فى أوهام الحيوان ولاصفة من الصفات فى شيء الا لمصلحة فيها فجعل المحبة فى قلوب الامهات لحفظ الاولاد، والنفرة من العفونات للتجنب من الامراض و استحسان الماء والخضر لتعمير البلاد وازدياد الارزاق، و الشهوة لبقاء النسل وكذلك الهم الانسان استحسان الفضائل وتقبيح الرذائل فكل احد يميز بعقله العملى بين الحسن والقبح ويلوم الظالم والقاتل والسارق والزانى و يمدح المحسن السخى العفيف العادل وليس ذلك الخلق فى الانسان عبثاً بل لابد أن يكون هذا يفيده فائدة كسائر غرائزه و ملكاته قال تعالى «و نفس ماسويها فالهمها فجورها و تقويها» أى اعطاها معرفة الحسن والقبح بعقله ولذلك مصلحة البتة وهى ماذكره تعالى بقوله «قد أفلح من زكيها وقد خاب من دسيها». (ش)

عيسى، عن حريز بن عبدالله، عن بحر السقّا قال : قال لي أبو عبدالله عليه السلام: يا بحر حسن الخلق يسر، ثمّ قال : ألا اُخبرك بحديث ما هو في يدي أحد من أهل المدينة ؟ قلت: بلى ، قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم جالس في المسجد إذ جاءت جارية لبعض الأنصار و هو قائم، فأخذت بطرف ثوبه، فقام لها النبيّ صلى الله عليه وآله فلم تقل شيئاً ولم يقل لها النبيّ صلى الله عليه وآله شيئاً حتّى فعلت ذلك ثلاث مرّات ، فقام لها النبيّ في الرّابعة وهي خلفه، فأخذت هُدبة من ثوبه ثمّ رجعت فقال لها الناس: فعل الله بك و فعل حبست رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث مرّات ، لا تقولين له شيئاً ولا هو يقول لك شيئاً، ما كانت حاجتك إليه ؟ قالت: إنّ لنا مريضاً فأرسلني أهلي لآخذ هدبة من ثوبه، [ل] يستشفي بها ، فلمّا أردت أخذها رآني فقام فاستحييت منه أن آخذها و هو يراني و أكره أن أستأمره في أخذها، فأخذتها.

١٦- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير ، عن حبيب الخثعمي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أفاضلكم أحسنكم أخلاقاً الموطّؤون

قوله (حسن الخلق يسر) أى سبب لليسر لان الناس مجبولون بحب من يلاقيهم بحسن الخلق و رعايته.(ألا اخبرك بحديث ماهو فى يدى أحد من أهل المدينة) الجملة صفة الحديث و«ما» نافية.

قوله (فقام لها النبى «ص») حسن الخلق من صفات الانبياء والاولياء و افضلهم و اكملهم فى هذه الفضيلة هو نبينا «ص» ولذلك وصفه الله تعالى بقوله «انك لعلى خلق عظيم» فان تنكره مع وصفه بالعظيم يدل على أنه فى علو قدره بحيث لاتصل اليه عقول البشر ولا يحوم حوله طائر الفكر والنظر.

(فأخذت هدبة من ثوبه) هدبة الثوب مما يلى طرته و القطعة منه مثال غرفة و ضم الدال للاتباع لغة.

قوله (الموطؤون أكنافاً) هذا مثل لمن لان طبعه و حسن خلقه و حقيقته من التوطية والتمهيد والتذليل، و فراش وطىء أى مذلل ناعم لايؤذى جنب النائم . والاكناف جمع الكنف بالتحريك و هو الجانب والناحية ، أراد الذين جوانبهم و نواحيهم و طئة يتمكن منها من يصاحبهم ولايتأذى بخلاف سيىء الخلق والمتكبر.

(الذين يألفون و يؤلفون) أى يأنسون بالناس و يحبونهم و يجتمعون معهم ، فى

أكنافاً الّذين يألفون ويؤلفون وتُوطّأ رحالهم.

١٧- عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمّد الأشعري، عن عبدالله ابن ميمون القدّاح، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: المؤمن مألوف ولاخير فيمن لايألف ولايؤلف.

١٨- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ حسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم.

(باب حسن البشر)

١- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن الحسن بن الحسين قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بني عبد المطّلب إنّكم لن تسعوا الناس بأموالكم فالقوهم بطلاقة الوجه و حسن البشر.

ورواه عن القاسم بن يحيى، عن جدّه الحسن بن راشد، عن أبي عبدالله عليه السلام إلاّ أنّه قال: يا بني هاشم.

المصباح ألفته ألفاً من باب علم آنست به وأحببته والاسم الالفة بالضم والالفة أيضاً اسم من الايلاف و هو الالتيام والاجتماع واسم الفاعل آلف مثل عالم والجمع الاف مثل كفار، وتوطأ رحالهم للزيارة أو الضيافة أو لقضاء الحاجة، ورحل الرجل منزله و مأواه وأثاث بيته وفيه ترغيب فى حسن الخلق لانه موجب لذلك كمافى قول أميرالمؤمنين «ع» «أكرم الحسب حسن الخلق» و انما كان أكرم لانه أكثر فائدة وأوفر عائدة.

قوله (ولاخير فيمن لايألف ولايؤلف) لان عدم الالفة فى أهل الدين يوجب أذاهم و تبددهم و تقاطعهم و تفرقهم فيه وتدابرهم و عداوتهم و كل ذلك يوجب زوال الخير عنهم كما هو المعلوم بين المتقاطعين.

قوله (يا بنى عبدالمطلب انكم لن تسعوا الناس بأموالكم) الوسع والسعة والجدة الطاقة أى لايتسع أموالكم لعطائهم ورفع احتياجهم. فوسعوا أخلاقكم لصحبتهم كما أشار اليه بقوله (فالقوهم بطلاقة الوجه و حسن البشر) أى فالقوهم باستبشار الوجه و بشاشته و انبساطه و هو من لوازم التواضع وحسن الخلق.

٢- عنهُ، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة بن مهران، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ثلاث من أتى الله بواحدة منهنّ أوجب الله له الجنّة: الإنفاق من اقتار والبشر لجميع العالم والانصاف من نفسه.

٣- عليٌّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وآله رجلٌ فقال: يا رسول الله أوصني فكان فيما أوصاه أن قال: ألق أخاك بوجه منبسط.

٤- عنهُ، عن ابن محبوب، عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: ماحدٌّ حسن الخلق؟ قال: تلين جناحك و تطيب كلامك و تلقى أخاك ببشر حسن.

٥- عنهُ، عن أبيه، عن حمّاد، عن ربعي، عن فضيل قال: صنايع المعروف و حسن البشر يكسبان المحبّة و يدخلان الجنّة والبخل و عبوس الوجه يبعدان من الله و يدخلان النار.

قوله (الانفاق من اقتار) الاقتار والتقتير التضييق فى الرزق يقال اقتر الله رزقه و قتره ضيقه و قلله و ذلك بان ينقص من كفافه شيئاً و يعطيه من هو أحوج منه أو من لاشىء له أو بأن ينفق مع ضيقه فيكون ترغيباً فى الايثار كالاية، (والبشر لجميع العالم) البشر بالكسر طلاقة الوجه و بشاشته و هو مطلوب اما للمؤمنين فلعلامة الايمان و لزومه و اما لغيرهم فلحفظ النفس و دفع الضرر عنها وعن المؤمنين كما قيل ودارهم مادمت فى دارهم، (والانصاف من نفسه) أنصفت الرجل انصافاً عاملته بالعدل والقسط والاسم النصفة بفتحتين لانك أعطيته من الحق ما تستحقه لنفسك فالمراد به التسوية بين نفسه و بين غيره و عدم رجحان نفسه عليه فى شىء مأخوذ من النصف.

قوله (تلين جناحك) أى تواضع لخلق الله وقد امر الله به سيد المرسلين فقال «و اخفض جناحك للمؤمنين» و فيه استعارة تمثيلية (و تطيب كلامك) و منه أن تسمى أخاك بأحسن أسمائه ولا تغلظ فى نصحه.

قوله (يكسبان المحبة) أى محبته تعالى بمعنى افاضة الرحمة والاحسان أو محبة الخلق له و يؤيد الاول قوله «و يبعدان من الله» لان الظاهر أن يترتب على أحد الضدين نقيض ما يترتب على الضد الاخر.

٦- عدَّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حسن البشر يذهب بالسخيمة.

(باب الصدق وأداء الامانة)

١- محمّدُ بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن الحسين ابن أبي العلاء، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يبعث نبيّاً إلاَّ بصدق الحديث وأداء الأمانة إلى البرِّ والفاجر.

٢- عنه، عن عثمان بن عيسى، عن إسحاق بن عمّار وغيره، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا تغترُّوا بصلاتهم ولا بصيامهم، فإنَّ الرَّجل ربّما لهج بالصلاة والصوم حتّى لو تركه استوحش ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة.

٣- عدَّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن أبي نجران، عن مثنّى الحنّاط عن محمّد بن مسلم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من صدق لسانه زكى عمله.

قوله (حسن البشر يذهب بالسخيمة) أى بالضغينة والموجدة و الحقد قال أمير - المؤمنين «ع» «البشاشة حبالة المودة» أراد أن طلاقة الوجه و حسن البشر تصطاد القلوب بها ولاحظ مشابهة الطلاقة بالحبالة و مشابهة القلوب بالصيد.

قوله (ان الله عزوجل لم يبعث نبياً الا بصدق الحديث) صدق الحديث دائماً تابع لملكة استقامة اللسان التابعة لاستقامة القلب ومن ثم قيل: اذا استقام القلب استقام اللسان. واستقامة القلب تابعة لاستقامة الحقيقة الانسانية و تمام صورته المعنوية و هذا مستلزم لفيضان النفس القدسية على تفاوت مراتبها و أعلى مراتبها للانبياء و المرسلين و ما دونه لخواص المؤمنين و من هذا يتحقق التناسب بينهما.

(و أداء الامانة الى البر والفاجر) كما قال تعالى «ان الله يأمركم أن تؤدوا أمانات الى أهلها» وقد ابتلى به جم غفير من السالكين وليس لاختبار الناس أعظم منه.

قوله (من صدق لسانه زكى عمله) لان صدق اللسان تابع لطهارة القلب و هى مستلزمة لزكاة عمله و طهارته و نموه و بركته والمدح عليه وأيضاً اللسان مورد لجميع الاعضاء الظاهرة والباطنة و متناول لمدركات جميعها فصحته وهى صدقه فى الحديث توجب صحة جميع الاعضاء و صدور أعمال الاصحاء منها فلذلك يزكو عمله على الاطلاق كما أن مرضه وهو الكذب يوجب مرض جميع الاعضاء وصدور أفعال المرضى منها، فلذلك لا يزكو شيء من أعماله. وأيضاً علة

٤ - محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن موسى بن سعدان، عن عبدالله بن القاسم، عن عمرو بن أبي المقدام قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام في أوّل دخلة دخلت عليه: تعلّموا الصدق قبل الحديث.

٥- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن أبي كهمس قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: عبدالله بن أبي يعفور يقرئك السلام، قال عليك وعليه السلام إذا أتيت عبدالله فاقرأه السلام وقل له: إنّ جعفر بن محمّد يقول لك: انظر ما بلغ به عليّ عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله فالزمه، فإنّ عليّاً عليه السلام إنّما بلغ ما بلغ به عند رسول الله صلى الله عليه وآله بصدق الحديث وأداء الأمانة.

٦- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي إسماعيل البصري، عن الفضيل بن يسار قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: يا فضيل إنّ الصادق أوّل من يصدّقه الله عزّ وجلّ، يعلم أنّه صادق وتصدّقه نفسه تعلم أنّه صادق.

٧- ابن أبي عمير، عن منصور بن حازم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّما سمّي إسماعيل صادق الوعد لأنّه وعد رجلاً في مكان فانتظره في ذلك المكان سنة، فسمّاه الله عزّ وجلّ صادق الوعد، ثمّ [قال] إنّ الرّجل أتاه بعد ذلك فقال له إسماعيل:

صدقه و هى الخوف من الله والفرار من اللوم فى وقت ما وهو وقت أن يسأل عن أعماله الصالحة واضطراره الى الجواب عنها يبعثه على تزكية الاعمال.

قوله (قال قال لى أبو جعفر «ع» فى أول دخلة دخلت عليه تعلموا الصدق قبل الحديث) الظاهر أن القبل متعلق بتعلموا وفيه ترغيب فى التفكر فى الكلام لتعرف الصدق، ثم التكلم به و مثله قول أمير المؤمنين «ع» «لسان العاقل وراء قلبه، و قلب الاحمق وراء لسانه» يعنى أن العاقل يعلم الصدق والكذب أولا ويتفكر فيما يقول ثم يقول ما هو الحق والصدق و الاحمق يتكلم و يقول من غير تأمل و تفكر فيتكلم بالكذب والباطل كثيراً و انما قلنا الظاهر لاحتمال أن يكون بدلا عن قوله «فى أول دخلة» أو متعلقاً بقال، يعنى قال «ع» ابتداء قبل التكلم بكلام آخر تعلموا الصدق ولكنه بعيد لفظاً ومعنى.

قوله (ان الصادق أول من يصدقه الله) فالكاذب أول من يكذبه الله ثم نفسه وفيه ترغيب فى الصدق وتنفير عن الكذب لان العاقل يتنفر عن تكذيب المخاطب ويستنكف منه كما قال موسى «ع» «رب انى أخاف أن يكذبون» فكيف اذا كان المخاطب هو الله عزوجل.

مازلت منتظراً لك.

٨- أبوعليّ الأشعري، عن محمّد بن سالم، عن أحمد بن النضر الخزّاز، عن جدّه الرّبيع بن سعد قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا ربيع إنّ الرجل ليصدق حتّى يكتبه الله صدّيقاً.

٩- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن الوشّاء، عن عليّ بن أبي حمزة عن أبي بصير قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: إنّ العبد ليصدق حتى يُكتب عندالله من الصادقين ويكذب حتى يُكتب عندالله من الكاذبين، فإذا صدق قال الله عزّوجلّ صدق وبرّ؛ وإذا كذب قال الله عزّوجلّ: كذب وفجر.

١٠- عنه، عن ابن محبوب، عن العلاء بن رزين، عن عبدالله بن أبي يعفور، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كونوا دعاة للناس بالخير بغير ألسنتكم، ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع.

١١- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم قال: قال أبوالوليد حسن بن زياد الصيقل: قال أبوعبدالله عليه السلام: من صدق لسانه زكى عمله ومن حسنت نيّته زيد في رزقه، ومن حسن برّه بأهل بيته مُدّ له في عمره.

١٢- عنه، عن أبي طالب، رفعه قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: لاتنظروا إلى طول

قوله (ان الرجل ليصدق حتى يكتبه الله صديقاً) الصديق فعيل للمبالغة فى الصدق وهو يطلق على فعل اللسان اذا طابق الواقع فلوقال ضرب زيد و هو لم يضرب أوقال «وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض» و كان وجه قلبه الى غيره تعالى مثل الدنيا و غيرها فهو كاذب وعلى فعل القلب مثل النية وصدقها تجريدها عن غير وجه الله تعالى و هو الاخلاص والعزم على الخيرات مع عقد القلب عليها ان وجد ما لا فلو كان بدون العقد كان كاذباً و على التوافق بين الظاهر والباطن فلو كان لظاهره وقار فصدقه بأن يكون لباطنه أيضاً وقار و على كل مقام من مقامات الدين اذا حصلت حقيقته مثل الصوم والصلاة والحج والزهد والمحبة و التوكل والخوف والرجاء والرضا والشوق و غيرها فان هذه الامور صادقة اذا حصلت حقيقتها للمتصف بها و كاذبة اذا لم تحصل. و على الوعد اذا وفى بها كما قال سبحانه «رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه» و من بلغ فى هذه الامور و غيرها حد الكمال أوقريباً منه فهو صديق.

ركوع الرَّجل و سجوده ، فإنَّ ذلك شيء اعتاده، فلو تركه استوحش لذلك ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته.

(باب الحياء)

١ ـ عدَّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب ، عن عليِّ بن رئاب، عن أبي عبيدة الحذّاء، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الحياء من الإيمان والإيمان في الجنَّة.

٢ ـ محمَّدُ بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن سنان، عن ابن مسكان ، عن الحسن الصيقل قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : الحياء والعفاف والعيُّ ـ أعني عيَّ اللّسان لا عيَّ القلب ـ من الايمان.

قوله (لاتنظروا الى طول ركوع الرجل وسجوده) اريد بطولهما الحقيقة أوكثرة الصلاة وتخصيصهما بالذكر من بين الاعمال البدنية على سبيل التمثيل أوللتنبيه على أنهما مع زيادة الفضيلة اذا لم يعتدا فغيرهما أولى بعدم الاعتداد .

قوله (الحياء من الايمان) الحياء وصف للنفس يوجب انقباضها عن القبيح وانزجارها عن خلاف الاداب خوفا من اللوم وانما جعل كالبعض من الايمان لمناسبته له فى أنه يمنع من المعاصى كالايمان أولان المراد بالايمان الايمان الكامل المعتبر فيه الاعمال والحياء لكونه داعياً الى فعل المأمورات و ترك المنهيات جزء منه، وبعبارة اخرى الايمان تصديق و اقرار و ايتمار بالمأمور به وانتهاء عن المنهى عنه فاذا حصل الايتمار و الانتهاء بالحياء كان الحياء بعض الايمان و جزءاً منه أوالمراد أن الحياء من شيم أهل الايمان ومكارم أخلاقه ومحاسنه التى ينبغى التخلق بها.

قوله (أعنى عى اللسان لاعى القلب) العى بالكسر يطلق على معنيين أحدهما داء فى اللسان وهو لكنة وفهاهة توجب العجز عن البيان والافصاح بمراد الانسان ، وثانيهما داء فى القلب يوجب العجز عن ادراك الحق وابصار المعقولات فأشار «ع» الى أنه ليس المـراد به المعنى الثانى الذى ينقص الايمان به نقصاناً فاحشاً بل المراد به المعنى الاول الذى يوجب نقصان الدنيا و زيادة الاخرة والايمان والمعنى أن الحياء الذى يوجب مراقبته تعالـى و مراعاة اوامره ونواهيه وادابه والعفاف عن كثير الدنيا أوعن المعاصى أوعن السؤال و عى اللسان وهو قصوره عن البيان أوحفظه عن التكثر فيه والتناول للاقوال الباطلة والمباحـة، من الايمان أى من قبله فى المنع عن القبايح أومن أفراده أومن أجزائه أو من شيم أهله و محاسنه التى ينبغى التخلق بها.

٣ـ الحسين بن محمّد، عن محمّد بن أحمد النهدي، عن مصعب بن يزيد، عن العوّام ابن الزّبير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من رقّ وجهه رقّ علمه.

٤ـ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبدالله بن المغيرة، عن يحيى أخي دارم، عن معاذ بن كثير، عن أحدهما عليهما السلام قال الحياء والايمان مقرونان في قرن فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه.

٥ـ عدّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن عليّ بن يقطين، عن الفضل بن كثير، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا إيمان لمن لاحياء له.

٦ـ عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن بعض أصحابنا، رفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الحياء حياءان: حياء عقل وحياء حمق، فحياء العقل هو العلم وحياء الحمق هو الجهل.

قوله (من رق وجهه رق علمه) لعل المراد أن من ضعف حياؤه ضعف علمه لتوغله فى القبايح وهو يوجب نقصان العلم أو المراد أن من ضعف وجهه من السؤال فى العلم لحياء الحمق المانع منه ضعف علمه و فى هذا المعنى ما نقل من أنه قيل لبعض الحكماء: بم بلغت ما بلغت؟ قال بعدم الاستحياء من السؤال فى استكشاف الامور وحل الاشكال.

قوله (الحياء و الايمان مقرونان فى قرن) القرن بالتحريك الحبل الذى يشد به الاسيران والمعنى أن الحياء و الايمان مجموعان فى حبل واحد فاذا ذهب أحدهما ذهب الاخر وتبعه و فيه اشارة الى أن بينهما تلازماً و الى ان الحياء ليس جزء من الايمان ولا فرداً منه فلابد من القول به أو بحمل الايمان هنا على التصديق و القول بأنه لا يستقر فى القلب بدون الحياء.

قوله (لا ايمان لمن لاحياء له) لما عرفت من انهما مقرونان فى حبل واحد اذا ذهب أحدهما تبعه الاخر، وان اريد بالايمان الايمان الكامل و جعل الحياء جزءاً منه فالوجه ظاهر.

قوله (الحياء حياءان. الخ) قد ذكرنا فى أول الكتاب أن انقباض النفس عن فعل الخير حياء مجازاً كاستحياء المرأة عن تعلم مسائل الحيض و أحكام غسل الجنابة مثلا و ان تقسيم الحياء اليه و هو حياء الحمق والى حياء العقل الموجب للانقباض عن القبيح لا يدل على أنه حقيقة فى كلا القسمين.

٧- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن بكر بن صالح، عن الحسن بن عليّ، عن عبدالله بن إبراهيم، عن عليّ بن أبي عليّ اللّهبي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أربع من كنّ فيه وكان من قرنه إلى قدمه ذنوباً بدّلها الله حسنات: الصدق و الحياء وحسن الخلق والشكر.

(باب العفو)

١- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبته: ألا أُخبركم بخير خلائق الدّنيا والآخرة؟: العفو عمّن ظلمك، وتصل من قطعك، والإحسان إلى من أساء إليك، وإعطاء من حرمك.

٢- عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن عبد الحميد، عن يونس ابن يعقوب، عن غرّة بن دينار الرقّي، عن أبي إسحاق السبيعي، رفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أدلّكم على خير أخلاق الدّنيا والآخرة؟ تصل من قطعك وتعطي من حرمك و تعفو عمّن ظلمك.

٣- عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى بن عبيد، عن يونس بن عبدالرّحمن عى أبي عبدالله نشيب اللّفائفي؛ عن حمران بن أعين قال: قال: أبو عبدالله عليه السلام: ثلاث من مكارم الدّنيا والاخرة: تعفو عمّن ظلمك، و تصل من قطعك، و تحلم إذا جهل عليك.

قوله (العفو عمن ظلمك) من صفات الكرام العفو عن الظالم والتجاوز عن المسىء ومن صفات اللئام الانتقام وطلب التشفى والمعاقبة لدفع الغيظ وهو آفة نفسانية تغير الجهال والناقصين من أجل تأثر نفوسهم عن كل ما يخالف هواها.

قوله (و تصل من قطعك) باليد واللسان ومراقبة أحواله فى كل زمان والاحسان الى من أساء اليك وهو الاحسن من الاحسان الى من أحسن اليك.

(و اعطاء من حرمك) فاذا أحسنت الى أحد ولم يقابل احسانك باحسان أولم يشكرك أو أساء اليك لاترغب عن الاحسان اليه والى غيره بسبب الكفران فانه اذا لم يشكرك فقد يشكرك غيره و لو لم يشكرك أحد فان الله يحب المحسنين كما نطق بـه القرآن المبين وكفى به شرفاً و فضلا.

٤- عليٌّ، عن أبيه، و محمّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، جميعاً عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبدالحميد، عن أبي حمزة الثمالي، عن عليِّ بن الحسين عليهما السلام قال: سمعته يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك و تعالى الأوَّلين و الاخرين في صعيد واحد، ثمَّ ينادي مناد: أين أهل الفضل؟ قال: فيقوم عنق من الناس فتلقّاهم الملائكة فيقولون: و ما كان فضلكم؟ فيقولون: كنّا نصل من قطعنا و نعطي من حرمنا و نعفو عمّن ظلمنا، قال: فقال لهم: صدقتم اُدخلوا الجنّة،

٥- عدَّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن جهم بن الحكم المدائني، عن إسماعيل بن أبي زياد السكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عليكم بالعفو، فانَّ العفو لا يزيد العبد إلاّ عزّاً، فتعافوا يعزّكم الله.

٦- محمّدُ بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن سنان، عن أبي خالد القمّاط، عن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الندامة على العفو أفضل وأيسر من الندامة على العقوبة.

قوله (فان العفو لايزيد العبد الا عزاً فى الدنيا) لان من عرف بالعفو ساد و عظم فى القلوب فيزيده عزة، أو فى الاخرة لانه يوجب زيادة الاجر و رفع الدرجة.

قوله (الندامة على العفو أفضل و أيسر من الندامة على العقوبة) أما انها أيسر فلان الفعل الواقع اذا ندم عليه لايمكن عدم ايقاعه قطعاً بخلاف غير الواقع اذا ندم على عدم ايقاعه فانه يمكن ايقاعه غالباً فالتدارك فى الاول متعذر و فى الثانى ممكن، وقد تنبه بهذا بعض الملوك فقال ينبغى أن يكون عفو الملك أكثر من عقوبته لانه ان عفى فى مقام يقتضى العقوبة و أخطأ فندم عليه أمكنه أن يتدارك و يعاقب و ان عاقب فى مقام يقتضى العفو و أخطأ فندم عليها لايمكنه التدارك. و أما انها أفضل مع أن النفس فى الندامة على العفو راجعة الى هواها و مقتضاها فى القوة الشهوية والغضبية و فى الندامة على العقوبة راجعة الى الله و الى خلاف مقتضاها المطلوب شرعاً وعقلا، فأما لانها تابعة للعفو الذى هو أفضل وتابع الافضل أفضل ولاينافيه أفضلية الندامة على العقوبة نظراً الى ذاتها ففيه ترغيب فى العفو و تنفير عن العقوبة أو لان العفو اذا ندم دل ذلك على كمال استحقاق العقوبة بخلاف المعاقب اذا ندم فانه لايدل ذلك على كمال استحقاق العفو فللندامة على

٧- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن سعدان، عن معتب قال: كان أبوالحسن موسى عليه السلام في حائط له يصرم فنظرت إلى غلام له قد أخذ كارة من تمر فرمى بها وراء الحائط، فأتيته و أخذته و ذهبت به إليه، فقلت: جعلت فداك إنّي وجدت هذا و هذه الكارة، فقال للغلام: فلان! قال: لبيك، قال: أتجوع؟ قال: لا يا سيدي، قال: فتعرى؟ قال: لا ياسيدي، قال: فلأيّ شيء أخذت هذه؟ قال: اشتهيت ذلك، قال: اذهب فهي لك، وقال: خلّوا عنه.

٨- عنه، عن ابن فضّال قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: ما التقت فئتان قطّ إلاّ نصر أعظمهما عفواً.

٩- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن فضّال، عن ابن بكير، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أُتي باليهوديّة الّتي سمّت الشاة للنبيّ صلى الله عليه وآله فقال لها: ما حملك على ما صنعت؟ فقالت: قلت: إن كان نبيّاً لم يضرّه و إن كان ملكاً أرحت الناس منه، قال: فعفا رسول الله صلى الله عليه وآله عنها.

١٠- عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن عمرو بن شمر، عن

العفو زيادة فضل و رجحان و هذا الوجه فى غاية البعد، أو لانها أيسر و هذا أقرب الوجوه **قوله** (قد اخذ كارة) هى مقدار معلوم من الطعام وقدر ما يحمل على الظهر.

قوله (اذهب فهى لك) دل على ان العفو عن السارق و اعطاء المسروق اياه أفضل و هذا من صفات الكرام.

قوله (أتى باليهودية التى سمت الشاة) العفو عنها فى هذه الصنيعة العظيمة الشديدة على النفوس دل على عظمة قدر العفو و علو منزلته، و مثله رواه مسلم عن أنس «ان امرأة يهودية أتت رسول الله «ص» بشاة مسمومة فأكل منها فجىء بها الى رسول الله «ص» فسألها عن ذلك فقالت أردت أن أقتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك أو قال على، قالوا الا تقتلها قال لا» و روى غير مسلم «انها لما اعترفت قالت انما فعلت ذلك لانك ان كنت نبياً لم يضرك و ان كنت كاذباً أرحت الناس منك» قيل انه تعالى شفاه فى ذلك الوقت و لكن بقى فيه أثر ما فقتله بعد حين. و لذلك قال العلماء ان الله سبحانه قدجمع له بذلك بين كرم

جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ثلاث لايزيد الله بهنّ المرءالمسلم إلاّ عزّاً: الصفح عمّن ظلمه وإعطاء من حرمه والصّلة لمن قطعه.

(باب كظم الغيظ)

١ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن الحكم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان عليّ بن الحسين عليهما السلام يقول : ما أُحبّ أنّ لي بذُلّ نفسي حُمر النعم ، و ما تجرّعت جرعة أحبّ إليّ من جرعةغيظ لا اُكافي بها صاحبها.

النبوة و فضل الشهادة ولا ينافى ذلك قوله «ص» « ما كان الله ليسلطك على ذلك» لان المعنى ما كان الله ليسلطك على قتلى الان و قال ؛ و فى كفاية الله له «ص» أمر السم المهلك لغيره معجزة ، و قال محى الدين اختلف الرواية هل قتلها ففى هذه أنه لم يقتلها ،وفى رواية سلمة أنه قتلها وفى رواية ابن عباس انه دفعها الى أولياء بشر وقد كان أكل من الشاة فمات فقتلوها، و قال ابن سحنون : أجمع المحدثون على أنه قتلها، وقال عياض: وجه الجمع أنه لم يقتلها أولا حين أطلع على مافعلت من السم فلما مات بشر دفعها الى أوليائه فلم يقتلها فـى حين و قتلها فى آخر ، و قال أبوعبدالله الابى هذا الجمع يشكل بأن يقال كيف لم يقتلها أولا و قـد نقضت العهد و آذت ، و قال الداودى : انما لم يقتلها لئلا ينقص مـن عذابها و ليبقى أجره موفراً.

قوله (الصفح عمن ظلمه) أى العفو عن ذنوبه و الاعراض عن عقوبته ، و أصله الاعراض بصفحة وجهه.

قوله (ما احب ان لى بذل نفسى حمر النعم) ذل النفس بالكسر سهولتها و انقيادها و هى ذلول، وبالضم مذلتها وضعفها وهى ذليل، والنعم المال الراعى و هو جمع لاواحد له من لفظه، واكثر مايقع على الابل قال أبو عبيد: النعم الجمال فقط ويؤنث ويذكر وجمعه نعمان مثل حمل وحملان وانعام أيضاً، وقيل النعم الابل خاصة، والانعام ذوات الخف والظلف وهى الابل والبقر والغنم، وقيل تطلق الانعام على هذه الثلاثة فاذا انفردت الابل فهـى نعم و ان انفردت البقر والغنم لم تسم نعماً، والمعنى ان ذل نفسى و انقيادها أومذلتها بكظم الغيظ أو مطلقا أحب الى من حمر النعم أملكها أوأتصدق بها والاخير أظهر لان شأنه «ع» ارفع من أن يحب الدنيا وما فيها، وفيه حض بليغ على كظم الغيظ، وحمر النعم خيارها.

قوله (وما تجرعت جرعة أحب الي من جزعة غيظ لااكافى بهاصاحبها) الجرعة من

٢ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن سنان، وعليّ بن النعمان ، عن عمّار بن مروان ، عن زيد الشحّام ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : نعم الجرعة الغيظ لمن صبر عليها ، فإنّ عظيم الأجر لمن عظيم البلاء وما أحبّ الله قوماً إلّا ابتلاهم.

٣ ـ عنه، عن عليّ بن النعمان، و محمّد بن سنان ، عن عمّار بن مروان، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: إصبر على أعداء النعم، فإنّك لن تكافي من عصا الله فيك بأفضل من أن تطيع الله فيه.

٤ ـ عنه ، عن محمّد بن سنان ، عن ثابت مولى آل حريز ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كظم الغيظ عن العدوّ في دولاتهم تقيّـة حزمٌ لمن أخذ به و تحرّز

الماء كاللقمة من الطعام وهو مايجرع مرة واحدة والجمع جرع مثل غرفة وغرف، وتجرع الغصص مستعار منه وأصله الشرب من عجلة ، وقيل الشرب قليلا قليلا واضافة الجرعة الى الغيظ من باب لجين الماء، والغيظ صفة للنفس عند احتدادها موجبة لتحركها نحو الانتقام ، والكلام تمثيل. لايقال الغيظ امر جبلى لااختيار للعبد فى حصوله فكيف يكلف برفعه لانا نقول هو مكلف بتصفية النفس على وجه لا يحركها أسباب الغيظ بسهولة و ان اثرت تلك الاسباب فيها و حصل الغيظ له فهو مكلف بتأديب الغيظ بحيث لا يغلب على العقل والشرع و كلا الامرين مقدور له.

قوله (ما احب الله قوما الا ابتلاهم) من ذلك ابتلاؤهم باذى الناس لهم وامرهم بكظم الغيظ والصبر عليه ليزيد بذلك أجرهم.

قوله (اصبر على اعداء النعم) و هم الظلمة الذين يفترسون الناس لانهم اعداء نعم الله تعالى التى أفضلها وأشرفها الايمان ومقتضاه من الاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة فانك (لن تكافى من عصا الله فيك) بالاذى والاضرار والطغيان.

(بأفضل من ان تطيع الله فيه) بكظم الغيظ والعفو عنه كما قال عزوجل «والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس» وفى صيغة أفضل دلالة على جواز المكافاة بشرط أن لايتعدى كما دلت عليه الاية الكريمة ولكن العفو افضل.

قوله (كظم الغيظ عن العدو فى دولاتهم تقية حزم لمن أخذ به) الحزم ضبط الامر و اتقانه والحذر من فواته و اختلاله وذلك برعاية شرائط نظامه ورفع موانع دوامه ، و من جملة ذلك كظم الغيظ من العدو و عدم ارادة الانتقام منهم فى حال ظهور دولتهم لان مكافاتهم يوجب التعرض للبلاء وايقاع النفس فى الهلكة والعناء.

من التعرض للبلاء في الدّنيا و معاندة الأعداء في دولاتهم ومماظّتهم في غير تقيّة ترك أمر الله ، فجاملوا الناس يسمن ذلك لكم عندهم ولا تعادوهم فتحملوهم على رقابكم فتذلّوا .

٥- عليّ بن إبراهيم، عن بعض أصحابه، عن مالك بن حصين السكونيّ قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: ما من عبد كظم غيظاً إلاّ زاده الله عزّ وجلّ عزّاً في الدّنيا والاخرة وقد قال الله عزّ وجلّ: « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحبّ المحسنين» و أثابه الله مكان غيظه ذلك.

٦- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن إسماعيل بن مهران ، عن سيف بن عميرة قال: حدّثني من سمع أباعبدالله عليه السلام يقول: من كظم غيظاً و لوشاء أن يُمضيه أمضاه، أملأ الله قلبه يوم القيامة رضاه .

(ومماظتهم فى غير تقية ترك أمرالله) أى مشاردتهم و منازعتهم تقول ما ظظت الرجل مماظة و مظاظاً اذاشاردته و نازعته.

(فجاملوا الناس يسمن ذلك لكم عندهم) المجاملة بكظم الغيظ واظهار الوداد والبشاشة ونحوذلك. والسمن كثرة اللحم والشحم سمن فلان يسمن من باب تعب وفى لغة من باب قرب اذاكثر لحمه وشحمه، ولعل المراد بههنا الشرافة والعظمة وفى بعض النسخ «يسمن الله ذلك - الى آخره» ويسمن حينئذ من باب الافعال اوالتفعيل أى يجعل الله ذلك عندهم شريفاً عظيماً تورث المحبة لكم (ولاتعادوهم فتحملوهم على رقابكم فتذلوا) لان اظهار المعاداة واجراء أحكام الغيظ والغضب مع العجز عن المقاومة والانتقام يورث ضرراً عظيماً ومذلة فاحشة وأما مع القدرة على الانتقام فالعفو أحسن لانه من صفات الكرام.

قوله (أملاالله قلبه يوم القيامة رضاه) كناية عن كثرة افضاله واحسانه اليه فى ذلك اليوم فلايرهقه قتر ولاذلة (١) .

---

(١) قوله «فلايرهقه قترولاذلة » أرى ان ماذكره الامام «ع» يفيد معنى أدق وأعلى مما فسره به الشارح وبيان ذلك ان ملكات النفس و عقايدها و قواها تنقسم الى مايبقى بعد الموت لعدم تعلقها بالبدن بوجه، والى مالايبقى لتوقفها على الاعضاء الظاهرة فالاول كالايمان بالله العظيم واصول الدين والمعارف اذليس حاملها الحواس والجوارح وكملكة التقوى أو الفجور و أمثال ذلك، وأما الثانى فكالعلوم الجزئية من حيث هى جزئية و المعانى المدركة بالواهمة وأمثالها فلايبقى للنفس ماتدركه بهذا البصر من حيث هو مدرك بهذا البصر ولا المحبة والعداوة*

٧ـ أبوعليّ الأشعري، عن محمّد بن عبدالجبّار، عن ابن فضّال، عن غالب بن عثمان، عن عبدالله بن منذر، عن الوصافي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: من كظم غيظاً وهو يقدر على إمضائه حشا الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة.

٨ـ الحسينُ بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن الحسن بن عليّ الوشّاء، عن عبد الكريم بن عمرو، عن أبي أُسامة زيد الشحّام، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال لي: يا زيد اصبر على أعداء النعم، فإنّك لن تكافي من عصا الله فيك بأفضل من أن تطيع الله فيه، يا زيد إنّ الله اصطفى الإسلام و اختاره، فأحسنوا صحبته بالسخاء و حسن الخلق.

٩ـ عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن حفص بيّاع السابري

قوله (حشاالله قلبه أمناً وايماناً يوم القيمة) أى ايماناً بالله وأمناً من سخطه ويمكن أن يراد بالايمان النور الفائض بالتجليات الربانية الذى لايحتمله الاقلوب المقربين.

(فاحسنوا صحبته بالسخاء و حسن الخلق) السخاء هو بذل المقتنيات و صرفها فى أهل الحاجة و حسن الخلق مع خلق الله من أعظم أسباب كظم الغيظ فهما مجازان أو كنايتان عنه ولايبعد أن يكون السخاء شاملا لكظم الغيظ أيضاً لانه من جملة أفراده بوجه.

---

* والخوف الحاصلة بعد رؤية الولد والعدو كالانثى اذا شاهدت أولادها عرضت لها حالة تبعثها على العطف والتربية والارضاع ولايعرف الحيوان لها اسماً ولايتعقل مفهوماً وانما يحصل له مصداق المحبة فقط. وكذلك الغنم اذا شاهدت ذئباً عرضت لها حالة تقتضى الفرار والنفرة و نسميها نحن معاشر البشر خوفاً ولايتصور الحيوان له مفهوماً بل له المصداق وهو حالة بدنية متعلقة بالاعصاب والدماغ يفقدها كل موجود ليس له عصب ودماغ وكذلك يعرض للانسان نظير هذه الحالات بقوته الموسومة بالواهمة هى مصاديق مفاهيم كالحسد والغيظ والغضب وهى أى مصاديقها متعلقة بالبدن واعضائه وعصبه ودماغه ولكن للانسان عقلا يستطيع أن يعارض به هذه الحالة ويمنعها عن التأثير والحيوان مقهور بالجرى على مقتضاها ولامبدء منع فيه عن ذلك و لذلك كلف الانسان ولم يكلف سائر الحيوانات والعقل مبدء غير جسمانى قاهر على مقتضيات القوة الواهمة ولماكان مجرداً غير متعلق بالبدن بقى فى البرزخ وعاد فى الاخرة والغيظ مقتضى الواهمة وكظمه مقتضى العقل ويبعث يوم القيامة مع العقل ولوازمه من الرضا والامن والايمان دون الغيظ. واذا لم يكظم غيظه وجرى على مقتضاه كالحيوان أوجب ذلك له معاصى كثيرة اعقبت فى قلبه نفاقاً وقسوة وملكات يتأذى بها فى الاخرة و يتألم بها العقل المقهور فى الدنيا بلوازم الجهل والهوى. (ش)

عن أبي حمزة ، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أحبّ السبيل إلى الله عزّ و جلّ جرعتان : جرعة غيظ تردّها بحلم و جرعة مصيبة تردّها بصبر.

١٠- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد، عن ربعي، عمّن حدّثه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال لي أبي : يا بنيّ مامن شيء أقرّ لعين أبيك من جرعة غيظ عاقبتها صبر، وما من شيء يسرّني أنّ لي بذلّ نفسي حمر النعم.

١١- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير ، عن معاوية بن وهب ، عن معاذ بن مسلم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إصبروا على أعداء النعم فانّك لن تكافي من عصا الله فيك بأفضل من أن تطيع الله فيه.

١٢- عنه، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن خلّاد، عن الثمالي، عن عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما قال : قال: ما اُحبّ أنّ لي بذلّ نفسي حمر النعم و ما تجرّعت من جرعة أحبّ إليّ من جرعة غيظ لاأكافي بها صاحبها.

١٣- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن الوشّاء، عن مثنّى الحنّاط ، عن أبي حمزة قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: ما من جرعة يتجرّعها العبد أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من جرعة غيظ يتجرّعها عند تردّدها في قلبه، إمّا بصبر وإمّا بحلم.

(باب الحلم)

١- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر ،

قوله (من أحب السبيل الى الله جرعتان) أشار جل شأنه الى الجرعة الاولى بقوله « و الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس» والى الجرعة الثانية بقوله «و بشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انالله وانا اليه راجعون».

قوله (ما من جرعة يتجرعها العبد أحب الى الله عزوجل من جرعة غيظ يتجرعها عند ترددها فى قلبه اما بصبر واما بحلم) المراد بترددها فى قلبه اقدام القلب تارة الى تجرعها لما فيه من الاجر الجزيل والثواب الجميل واصلاح النفس و تارة الى ترك تجرعها وامضائه لما فيه من البشاعة والمرارة. والباء فى بصبر للسببية وهو والحلم متقاربان الا أن الصابر يصبر مع المشقة والحليم لا يرى فى نفسه مشقة و من ثم قيل العادى لا يأمن من الصابر كما يأمن من الحليم.

عن محمّد بن عبيدالله قال: سمعت الرّضا عليه السلام يقول : لا يكون الرّجل عابداً حتى يكون حليماً ، وإنّ الرّجل كان إذا تعبّد في بني إسرائيل لم يعدّ عابداً حتّى يصمت قبل ذلك عشر سنين.

٢ـ محمّدُ بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن النعمان، عن ابن مسكان، عن أبي حمزة قال : المؤمن خلط عمله بالحلم، يجلس ليعلم، و ينطق ليفهم، لا يحدّث أمانته الاصدقاء ولايكتم شهادته الأعداء ولايفعل شيئاً من الحقّ رياء ولا يتركه حياء ، إن زكّي خاف ممّا يقولون واستغفر الله ممّا لايعلمون، لايغرّه(١) قول من جهله

قوله (لايكون الرجل عابداً حتى يكون حليماً) الحلم الاناة والتثبت فى الامور وهو يحصل من الاعتدال فى القوة الغضبية ويمنع النفس من الانفعال عن الواردات المكروهة الموذية، ومن آثاره عدم جزع النفس عند الامور الهايلة و عدم طيشها فى المؤاخذة وعدم صدور حركات غير منتظمة منها و عدم اظهار المزية على الغير و عدم التهاون فى حفظ ما يجب حفظه شرعا و عقلا وهو من علو الهمة، والعبادة نفسانية كانت أو بدنية لاعبرة بها ولا تكمل ولايترتب عليها الاجر الكامل بدونه وقوله «وان الرجل كان اذا تعبد فى بنى اسرائيل لم يعد عابدا حتى يصمت قبل ذلك عشر سنين » السكوت عما لا يعنى باب من أبواب الحكمة و له مدخل عظيم فى اكتساب الحلم و لذلك قال النبى «ص» «تحملوا تسروا و اذا غضب أحدكم: فيسكت ثلاث مرات»، **قوله** (لايحدث امانته الاصدقاء) كتمان السر والامانة ووضعهما فى صندوق الجنان وعدم فتحه بمفتاح اللسان و عدم افشائهما لاوثق الاخوان من صفات المؤمن العاقل الكامل فى الايمان فانه يعلم بنور البصيرة أنه اذا لم يحفظ الامانة لم يأمن غيره الخيانة وان كان صديقاً له لان للصديق صديقاً ومن ثم قال أمير المؤمنين «ع» «حفظ مافى الوعاء بسد الوكاء » ومعناه أن حفظ مافى الجنان اذا اريد أن لايطلع غيره انما هو بحفظ اللسان فانه آلة تلف الانسان. ومفاسد الافشاء بعيدة عن الخفاء.

قوله(ولا يتركه حياء) قد عرفت ان انقباض النفس عن الحق و تركه لرقة الوجه يسمى حياء مجازاً (ان زكى خاف ممايقولون) اما لعدم وجوده فيه أو لعدم علمه بكونه مقبولا له تعالى اولامكان حصول العجب اولان الانسان و ان بالغ فهو فى حد النقص او لان التزكية تزكيته تعالى لا تزكية البشر «لاتزكوا أنفسكم ولكن الله يزكى من يشاء».

قوله (واستغفر الله مما لايعلمون) قال أمير المؤمنين «ع » « اذا زكى أحد منهم خاف مما يقال فيه فيقول أنا أعلم بنفسى من غيرى و ربى أعلم منى بنفسى، اللهم لاتؤاخذنى بما يقولون ، و اجعلنى أفضل مما يظنون، و اغفر لى مالايعلمون ».

(١) كذا فى جميع النسخ .

ويخشى إحصاء ماقد عمله.

٣- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن فضّال، عن ابن بكير، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان عليّ بن الحسين عليهما السلام يقول: إنّه ليعجبني الرّجل أن يدركه حلمه عند غضبه.

٤- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن عليّ بن الحكم، عن أبي جميلة، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام: قال: إنّ الله عزّ وجلّ يحبّ الحييّ الحليم.

٥- عنه، عن عليّ بن حفص العوسي الكوفي، رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أعزّ الله بجهل قطّ ولا أذلّ بحلم قطّ.

(لايغيره قول من جهله) فلايزعجه قول الزور والافتراء والبهتان و الغيبة والنميمة ولايضطرب به ولايحركه الى الانتقام والمكافاة بالمثل بل يتمسك بالصبر والحلم كما هو شأن أرباب الايمان وأصحاب الايقان.

قوله (انه ليعجبنى الرجل ان يدركه حلمه عند غضبه) فيمنع نفسه من التشفى و الانتقام والاقدام على العقوبة و يحملها على العفو مع القدرة على ذلك والعفو من صفات الله و صفات أوليائه و من شق عليه فليتفكر فى أمر الخالق جل شأنه فانه يشرك به و يجعل له ولد و يعتقد له صفات لاتليق به و هو منزه عنها ثم هو يعافيهم و يرزقهم ويعطيهم و يقضى حوائجهم.

قوله (ما اعزالله بجهل قط ولا اذل بحلم قط) لان الجهل صفة توجب الذل فى الدنيا والاخرة و منه السفه والاذى والمعاجلة فى العقوبة والحلم صفة توجب العزة فيهما أما فى الاخرة فظاهر لانه من جلايل الصفات الموجبة لرفع الدرجات، و أما فى الدنيا فظاهر أيضاً لان الحليم عزيز عند الخلايق كلهم ولذلك قال أميرالمؤمنين «ع» «الحلم عشيرة» (١) يعنى كما ان الرجل يتمتع بالعشيرة يتمتع بالحلم و يتوقر لاجله.

---

(١) قوله «الحلم عشيرة» يرى الجهلاء أن الحلم من الضعف والرجل القوى الغيور لايتحمل ايذاء الناس وقبول الظلم أفحش من الظلم وربما يتمسك بقول الله تعالى «من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» وقال تعالى «ولكم فى القصاص حيوة يا اولى الالباب» وقال تعالى «ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً» وأيضاً السكوت على الظلم والرضا به يوجب تجرى الظالم فاذا علم ان الناس مأمورون بالسكوت زادوا فى الظلم والجواب ان للحلم مقاماً ولطلب الحقوق مقاماً آخر والقدر المسلم ان الانسان لايجوز أن ينقاد لعواطفه المترتبة*

٦ـ عنه، عن بعض أصحابه ، رفعه قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : كفى بالحلم ناصراً، وقال: إذالم تكن حليماًفتحلّم.

٧ـ محمّدُ بن يحيى، عن أحمدبن محمّدبن عيسى، عن عبدالله الحجّال، عن حفص

قوله (كفى بالحلم ناصراً) المراد ان الحلم ناصر كاف للحليم لان الناس يحبونه و يميلون اليه ويعينونه فى المكاره وقال (اذالم تكن حليمافتحلم) (٢) أى اذالم تكن حليماً فى اصل الخلقة فاكتسب الحلم لان الحلم كساير الاخلاق قديكون خلقياً وقد يكون كسبياأوالمراد فتكلف الحلم و أظهره فان ذلك قديجر الى اكتساب الحلم والاتصاف به ويؤيده قول أميرالمؤمنين «ع» «ان لم تكن حليماً فتحلم فانه قل من تشبه بقوم الا أوشك أن يكون منهم» أراد «ع» ان الحلم أحسن وان لم يكن فالتشبه بالحليم حسن.

---

*على شهوته وغضبه بحيث يسلب عنه الاختيار ويجرى على مايقتضيه قوته الواهمة بل يجب أن يكون مالكاً لنفسه ولايكون قصاصه وانتقامه وقيامه على من اعتدى عليه الا بمقتضى عقله لالارضاء عواطفه ومتابعة هواه و شهواته فانه بهذا يمتاز عن الحيوان و تربية الحلم هى من وظائف الانسان لاتربية الهوى فان الحلم هوالذى يبقى له فى الاخرة و هومقتضى العقل والعقل يبقى بجميع مايقتضيه. (ش)

(١) قوله «اذالم يكن حليما فتحلم» استدل جماعة من الفلاسفة بوجود الاختيار للانسان على تجرده ذاتاً وبقائه بعدالموت قالوا كل حالة جسمانية لابدان تحصل جبراًقسراولايستطيع احدان يمتنع عنها ويدفعها عن نفسه بل هى أثر حاصل بتأثير مؤثر خارجى أوداخلى فى بعض الاعضاء ونحن مجبورون مقهورون فى قبوله كالرؤية بالعين فانها بتأثير النور فى الجليدية ولا نستطيع أن لانرى مع هذا التأثير أيضاً ونغض الابصار ونطبق الاجفان قهراً عند تحريك أحد اصبعه اليها ويحصل المحبة والخوف عندحصول أسبابها لدينا قهراً ويضطرب القلب عند الحزن ويجرى الدمع ويعرضنا العطاس عندالبرد وهكذا كل حالة تكون آلتها بعض أعضاء البدن فهى قهرية ولوكان النفس من عوارض البدن مطلقا وكان جميع حالاتها وعوارضها ناشئة من مزاجات فى البدن وتأثيرات خاصة لخصوص مواد وتراكيب فى خلاياه اوذراتها لزم كون جميعها قهرية ولايكون للنفس اختيار فى أى أمرمن أمورها ولكن ليس كذلك فان معارضة الحلم مثلا للغضب واختيار الانسان أن يكظم غيظه وقدرته على ذلك تدل على وجود مبدء مستقل له غير متوقف على آلية البدن ولايجوز أن يغتر بما يتوقف على الالة كالسمع والبصر و غيرهما من القوى الجسمانية فان لنا حالات غير متوقفة على الالات كادراك الكلى و الاختيار. (ش)

ابن أبي عائشة قال : بعث أبوعبدالله عليه السلام غلاماً له في حاجة فأبطأ ، فخرج أبوعبدالله عليه السلام على أثره لمّا أبطأ ، فوجده نائماً ، فجلس عند رأسه يروّحه حتى انتبه، فلمّا تنبّه قال له أبوعبدالله عليه السلام : يا فلان ! والله ما ذلك لك ، تنام اللّيل والنّهار، لك اللّيل ولنا منك النّهار.

٨- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن النعمان، عن عمرو بن شمر عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّ الله يحبّ الحيي الحليم العفيف المتعفّف.

٩- أبوعليّ الأشعري، عن محمّد بن عليّ بن محبوب ، عن أيّوب بن نوح ، عن عباس بن عامر، عن ربيع بن محمّد المسلى ، عن أبي محمّد ، عن عمران، عن سعيد بن يسار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إذا وقع بين رجلين منازعة نزل ملكان فيقولان للسّفيه منهما : قلت وقلت وأنت أهل لما قلت،ستجزى بما قلت: ويقولان للحليم منهما: صبرت وحلمت سيغفر الله لك إن أتممت ذلك ، قال : فإن ردّ الحليم عليه ارتفع الملكان .

قوله (ان الله يحب الحيى الحليم العفيف المتعفف) يعنى أن الله يحب من كان فيه حياء يمنعه عن القبايح و خلاف الاداب و حلم يمنعه من الاضطراب عن توارد المكروهات و ايذاء الخلق والاقدام على الانتقام وعفة فى دينه و نفسه تبعثه على تحصيل الكفاف من المآكل والمشارب والمناكح والمساكن والملابس و غيرها على الوجه المشروع وتعفف يبعثه على الاكتفاء بحرفته وصنعته وحفظ فقره وعدم السؤال من غيره من بنى نوعه كما روى عن النبى «ص» أنه قال «من طلب الدنيا استعفافاً عن المسئلة وسعياً على عياله وتعففا على جاره لقى الله تعالى يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر» .

يحتمل أن يراد بالتعفف التأكيد والمبالغة فى العفة وتحمل النفس على ذلك بنوع كلفة، وثمرة محبته تعالى آجلا هى الكرامة الابدية وعاجلا هى اعانته على تلك الفضائل و امداده وتوفيقه على زيادتها ودوامها كماروى عن النبى «ص» « من يستعفف يعفه الله الحديث».

قوله (قلت و قلت) بالقاف فيهما و بعض النسخ بالفاء فى الثانى يقال فال الرجل فى رأيه وفيل اذا لم يصب فيه و رجل فايل الرأى.(فان رد الحليم عليه ارتفع الملكان) الحليم قد لايخلو عن عثرة وخفة فى وقت مايسوم الطبع لعدم عصمته الا أنه بهذا النادر لايزول عنه اسم الحليم ولايسلب عنه مدحة الحلم.

(باب الصمت وحفظ اللسان)

١ـ محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر قال قال أبوالحسن الرّضا عليه السلام : من علامات الفقه الحلم والعلم والصمت، إنّ الصمت باب من أبواب الحكمة ، إنّ الصمت يكسب المحبّة إنّه دليل على كلّ خير.

٢ـ عنه، عن الحسن بن محبوب، عن عبدالله بن سنان ، عن أبي حمزة قال : سمعت أباجعفر عليه السلام يقول : إنّما شيعتنا الخُرس.

قوله (من علامات الفقه الحلم والعلم والصمت) الفقه العلم بالمنافع و المضار أو البصيرة فى أمور الدين، وكون الصمت أى السكوت عما لايعنى من علاماته ظاهر لانه دال عليه كدلالة الاثر على المؤثر ، و كذلك الحلم أى التثبت فى الامور. وأما العلم فلعل المراد به آثاره أعنى اثبات الحق و ابطال الباطل و ترويج الدين و حل المشكلات ، وهو بهذا الاعتبار من آثار الفقه و علاماته الدالة عليه . فلا يرد أن العلم هو الفقه ولا يصح ان يكون الشىء علامة لنفسه.

قوله (ان الصمت باب من أبواب الحكمة) لان الحكمة و هى معرفة الاحكام و أحوال الموجودات و الانقياد لله و فعل الخيرات لا تحصل الا بالتفكر و التفكر لا يحصل او لايتم الا بالصمت عن اللغو.

قوله(ان الصمت يكسب المحبة) أى محبة الله تعالى أومحبة الخلق وذلك لان أكثر أسباب الكلام و أعظم مقامات المجاورة هو المجادلة والمنازعة والمخاصمة والجرح والغيبة و التهمة و الفضول و التكذيب و المضحكة و الكذب و المزاح الكثير و ما لايعنى و كل ذلك يوجب البغض والعداوة و يبعد عن الخير فالصمت عن ذلك يورث المحبة و يقرب من الخير(انه دليل على كل خير) لان السكوت عن الشر لكونه شراً دليل على الخير الذى هو ضده و أيضاً السكوت عنه لاعن سهو ولاغفلة بل عن صفا فكرة فى عظمة الحق وآلائه وتواتر أياديه ونعمائه يوجب الارتقاء الى مقام العبودية و تحقيق ولائه حتى يصير الغيب به كالعيان و يبلغ العبد لاجله الى ذروة الاحسان و يتصف بالاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة، و اليه أشار أميرالمؤمنين بقوله: «اذا كان فى الرجل خلة رايعة فانتظر أخواتها » الخلة الخصلة و الرايعة المعجبة من راعنى الشىء أعجبنى حسنه ، يعنى اذا كان فى الرجل خصلة معجبة حسنة فانتظر أمثالها من الخصال الحسنة فان بعضها يجذب بعضاً ولا يبعد أن يكون الصمت من هذا القبيل .

٣- عنه، عن الحسن بن محبوب، عن أبي عليّ الجوّاني، قال : شهدت أباعبدالله عليه السلام وهو يقول لمولى له [يقال له] سالم- ووضع يده على شفتيه- و قال : يا سالم إحفظ لسانك تسلم، ولاتحمل الناس على رقابنا.

٤- عنه، عن عثمان بن عيسى قال : حضرت أباالحسن صلوات الله عليه وقال له رجل : أوصني، فقال له : إحفظ لسانك تعزّ، ولا تمكّن الناس من قيادك فتذلّ رقبتك.

٥- عنه عن الهيثم بن أبي مسروق، عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لرجل أتاه : ألاأدلّك على أمر يُدخلك الله به الجنّة ؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: أنل ممّا أنالك الله، قال : فإن كنت أحوج ممّن اُنيله؟

قوله (انماشيعتنا الخرس) لعلمهم بمفاسد اللسان فيجتنبون عنها و أيضاً لايتكلمون فى امور الدين الا ماسمعوه من أهله بخلاف العامة فانهم يتكلمون فيها بالقياس والاستحسان والوجوه العقلية فلهم طرق واسعة .

قوله (ياسالم احفظ لسانك تسلم) أى تسلم من آفات الدنيا و الاخرة و معاصى اللسان و ذل النفس فان من ارخى عنان اللسان جرى فى ميدان الطغيان ويتكلم كثيراً بما لايعنيه و مايضره ويضر غيره و يذله و يدل على سفهه.

قوله (و قال له رجل اوصنى) الايصاء طلب شىء من غيره ليفعله على غيب منه فقال (احفظ لسانك تعز) اذبالصمت تكون الهيبة والعزة لان من رآه يخيل اليه أن له شأناً فيهيب منه ويعزه بخلاف ارخاء اللسان فانه يشين القائل و يبدىء مساوى الجاهل ويصغره فى أعين الناس ويذهب بعزه وبهائه. والقياد ككتاب حبل تقادبه الدابة و هو كناية عن التسلط و الاضرار والاذلال. **قوله** (انل مما انالك الله) أى اعط المحتاجين ما أعطاك الله (فاصنع للاخرق) الاخرق الجاهل من الخرق بالضم وهو الجهل يعنى اشر عليه بما ينفعه وفيه حث على أرشاد كل من لم يعلم امرا من مصالح الدين والدنيا (فاصمت لسانك الامن خير) الظاهر ان المراد بالخير مايورث ثوابا فى الاخرة، أو نفعا فى الدنيا (بلامضرة أحد فيكون المباح مما ينبغى السكوت عنه ويكون الامر لمطلق الطلب الشامل للوجوب والرجحان، و بالجملة ينظر من يريد الكلام فان لم يرضررا تكلم وان رآه أوشك فيه سكت و اختلف فى المباح هل يكتب ام لا نقل عن ابن عباس انه لايكتب اذلايجازى عليه والحق انه يكتب لقوله تعالى « مايلفظ من قول الاية»

قال: فانصر المظلوم، قال : وإن كنت أضعف ممّن أنصره ؟ قال : فاصنع للاخرق يعني أشر عليه، قال: فان كنت أخرق ممّن أصنع له؟قال:فاصمت لسانك إلاّ من خير، أما يسرّك أن تكون فيك خصلة من هذه الخصال تجرّك إلى الجنّة.

٦- عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمّد الأشعري، عن ابن القدّاح ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال لقمان لابنه : يا بنيّ إن كنت زعمت أن الكلام من فضّة، فإنّ السكوت من ذهب.

٧- عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن الحلبي، رفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أمسك لسانك، فإنّها صدقة تصدّق بها على نفسك، ثمّ قال : ولا يعرف عبد حقيقة الايمان حتّى يخزن من لسانه.

«وكل صغير وكبير مستطر» و لدلالة بعض الروايات عليه أيضاً وعدم المجازات لايدل على عدم الكتابة اذلعل الكتابة لغرض آخر مثل التحسر والتأسف فى تضييع العمر فيما لاينفع ولايضر مع القدرة على فعل مايوجب الثواب بدلالة(اما يسرك أن تكون فيك خصلة من هذه الخصال تجرك الى الجنة)دل على ان خصلة واحدة اذا استحكمت فى مؤمن توجب الدخول فى الجنة و يمكن أن يراد أن الخصلة الواحدة تجر الى أسباب الدخول فى الجنة و هى الخصال الاخر فان الخير بعضه يفضى الى بعض كمامر.

قوله (يا بنى ان كنت زعمت أن الكلام من فضة فان السكوت من ذهب) دل على ان السكوت أفضل من النطق وهو كذلك لان مفاسد النطق كثيرة لايمكن التحرز عنها الا بالسكوت و فيه ترغيب فى السكوت وان زعم أن كلامه حسن، و من ثم قال بعض الاكابر من نطق فاحسن قادر على ان يصمت فيحسن و ليس من صمت فاحسن قادر على ان ينطق فيحسن و هو أيضاً يدل على ان السكوت أفضل من النطق.

قوله (امسك لسانك فانها صدقة) الضمير راجع الى الامساك والتأنيث باعتبار الخبر و تشبيه الامساك بالصدقة باعتبار أنه ينفع صاحبه فى الدنيا والاخرة و يدفع عنه البلايا و يوجب قربه من الحق كالصدقة(ثم قال ولايعرف عبد حقيقة الايمان حتى يخزن من لسانه) أشار بذلك الى ان الايمان لايتم الا باستقامة اللسان على الحق و خزنه عن الباطل مثل الغيبة و النميمة والقذف والشتم والكذب والزور و نحوها من الامور المضرة و ذلك لان الايمان عبارة عن التصديق بالله و رسوله والاعتقاد بحقية ما وردت به الشريعة من المأمورات و المنهيات و غيرها وهو يستلزم استقامة اللسان وهى اقراره بالشهادتين ولوازمها و امساكه عما لاينبغى. و من البين ان الملزوم لايستقيم بدون استقامة اللازم، وقد أشار اليه النبى «ص»

٨- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، جميعاً عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن عبيدالله بن عليّ الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «ألم تر إلى الذين قيل لهم كفّوا أيديكم» قال يعني كفّوا ألسنتكم.

٩- عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن الحلبي، رفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: نجاة المؤمن [في] حفظ لسانه.

١٠- يونس، عن مثنّى، عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كان أبوذرّ رحمه الله يقول: يا مبتغي العلم إنّ هذا اللّسان مفتاح خير ومفتاح شرّ، فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك وورقك.

بقوله « لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه » و أيضاً كل ما يتناوله اللسان من الاباطيل والاكاذيب تدخل مفهوماتها فى القلب وهو ينا فى دخول حقيقة الايمان فيه فلايعرف حقيقته.

قوله (الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم قال يعنى كفوا ألسنتكم) ظاهره أن المراد بالايدى الالسنة للتشابه بينهما فى القوة أو فى كونهما آلة مجادلة و يحتمل أن يكون كف الايدى مجازاً مرسلا فى كف الالسنة لان كف الالسنة سبب لكف الايدى من الضرب والقتل و نحوهما **قوله** (نجاة المؤمن حفظ لسانه) أى نجاته فى الدنيا و الاخرة لان فى كثرة الكلام و افشاء ماينبغى اخفاؤه وبال الدنيا ونكال الاخرة.

قوله (يا مبتغى العلم ان هذا اللسان مفتاح خير و مفتاح شر) فيه ترغيب فى التكلم بالخير و تنفير عن التكلم بالشر ولايتحقق ذلك الا بالتأمل والتفكر أولا فيما يقول كما هو شأن المؤمن العارف فانه يتأمل و يتفكر فيما يريد النطق به فان رآه خيراً أبداه وان رآه شراً أوأراه بخلاف الجاهل فانه يتكلم بما جرى على لسانه لايدرى ما ذا له وماذا عليه ثم حث على كتمان ما ينبغى كتمانه بقوله (فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك وورقك) الورق بكسر الراء والاسكان للتخفيف النقرة المضروبة ومنهم من يقول النقرة مضروبة كانت اوغير مضروبة، وقال الفارابى الورق المال من الدراهم و يجمع على أوراق، وروى مثل ذلك عن أمير المؤمنين «ع» قال «الكلام فى وثاقك مالم تتكلم به فاذا تكلمت به صرت فى وثاقه فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك فرب كلمة سلبت نعمة» و قال بعض الاكابر لاتتكلم بلسانك ماتكسر به أسنانك.

١١ـ حميدُ بن زياد، عن الخشّاب، عن ابن بقّاح، عن معاذ بن ثابت، عن عمرو بن جميع، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان المسيح عليه السلام يقول: لاتكثروا الكلام في غير ذكر الله، فإنّ الّذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسيةٌ قلوبهم و لكن لايعلمون.

١٢ـ عدّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن أبي نجران، عن أبي جميلة عمّن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: مامن يوم إلاّ و كلّ عضو من أعضاء الجسد يكفّر اللّسان يقول: نشدتك الله أن نعذّب فيك.

١٣ـ محمّدُ بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن إبراهيم بن مهزم الأسدي، عن أبي حمزة، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: إنّ لسان ابن آدم يُشرف على جميع جوارحه كلّ صباح فيقول: كيف أصبحتم؟ فيقولون: بخير إن تركتنا، ويقولون: الله الله فينا و يناشدونه و يقولون: إنّما نثاب و نعاقب بك.

قوله (فان الذين يكثرون الكلام فى غير ذكر الله قاسية قلوبهم ولكن لايعلمون) قساوة القلب شدته وصلابته بحيث يتأبى عن قبول الحق كالحجر الصلب يمر عليه الماء ولا يقف فيه، وفيه دلالة على أن كثرة الكلام فى الامور المباحة يوجب قساوة القلب، واما الكلام فى الامور الباطلة فقليله كالكثير فى النهى عنه وايجاب القساوة.

قوله (ما من يوم الا وكل عضو من اعضاء الجسد يكفر اللسان) أى يذل ويخضع له والتكفير هو أن ينحنى الانسان و يطأطأ رأسه قريباً من الركوع كما يفعل من يريد تعظيم صاحبه، ثم قال من باب الاستيناف يقول (نشدتك الله أن نعذب فيك) نشد من باب نصر أى سألتك بالله واحلفك به كان هذا القول بلسان المقال ويحتمل أن يكون بلسان الحال.

قوله (ان لسان ابن آدم يشرف على جميع جوارحه) أشرفت عليه اطلعت عليه (فيقول كيف أصبحتم فيقولون بخير ان تركتنا)

زبان گفت باسر كه چونى خوشى بگفتا خوشم گرتو دم دركشى

(ويقولون الله الله فينا) أى أحذر الله او أتق الله أو خف الله فى حقنا وأمرنا، و يناشدونه أى يحلفونه بالله، والمناشدة قسم دادن و يقولون (انما نثاب و نعاقب بك) الحصر اما حقيقى ادعائى أو اضافى بالنسبة الى بواقى الجوارح فكان كل جارحة تخص هذا باللسان بالنسبة الى جوارح آخر فلا يرد ان كل جارحة تثاب وتعاقب بعملها أيضاً.

١٤ - عليٌّ بن إبراهيم، عن أبيه، و محمّد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، جميعاً، عن ابن أبي عمير ، عن إبراهيم بن عبدالحميد، عن قيس أبي إسماعيل -وذكر أنّه لابأس به من أصحابنا- رفعه قال : جاء رجلٌ إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله أوصني، فقال: إحفظ لسانك، قال : يا رسول الله أوصني قال : إحفظ لسانك ، قال : يا رسول الله أوصني، قال: إحفظ لسانك، ويحك وهل يكبُّ الناس على مناخرهم في النّار إلاّ حصائد ألسنتهم.

١٥ - أبوعليٍّ الأشعري، عن محمّد بن عبدالجبّار، عن ابن فضّال، عمّن رواه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من لم يحسب كلامه من عمله كثرت خطاياه وحضر عذابه .

١٦ - عليٌّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفليِّ، عن السكونيِّ، عن أبي عبدالله عليه السلام

قوله (قال جاء رجل الى النبى «ص») كان الرجل كان معاذ بن جبل لتصريح العامة به فى روايتهم مثل هذا الحديث (و هل يكب الناس على مناخرهم فى النار الاحصائد ألسنتهم) الحصاد بالفتح والكسر قطع الزرع والحصائد جمع الحصيد وهى مايحصد من الزرع شبه اللسان ومايقطع به من الاقوال الباطله بحد المنجل وما يقطع به من النبات.

قوله (من لم يحسب كلامه من عمله كثرت خطاياه وحضر عذابه) لعل ذلك لان اللسان له تصرف فى كل موجود وموهوم ومعدوم وله يد فى العقليات والخياليات والمسموعات و والمشمومات والمبصرات والمذوقات والملموسات، فمن حسب أن الكلام ليس من عمله المترتب عليه الثواب والعقاب لم يبال بالكلام فى أباطيل هذه الامور و أكاذيبها، فيجتمع عليه من كل وجه خطيئة فتكثر خطاياه. وأما غير اللسان فخطاياه قليلة فان خطيئة السمع ليست الا المسموعات، وخطيئة البصر ليست الا المبصرات وقس عليهما سائر الجوارح و يقرب منه قول أمير المؤمنين «ع» « من كثر كلامه كثر خطاؤه، ومن كثر خطاؤه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه دخل النار» وهذا من باب القياس المفصول النتايج ينتج من كثر كلامه دخل النار، وروى فى هذا المعنى من طرق العامة أيضاً «من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه فالنار أولى به» ولعل المراد بحضور العذاب حضور أسبابه أو حضور نفسه لان حضور أسباب الشىء دليل على حضور ذلك الشىء، وقد صرح بعض أصحابنا بأن عذاب المستحق له واقع بالفعل وان جهنم لمحيطة به وأنه داخل فيها ولكن الحجاب مانع من رؤيتها لحكمة تقتضيه .

قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: يعذّب الله اللّسان بعذاب لا يعذّب به شيئاً من الجوارح فيقول: أي ربّ عذّبتني بعذاب لم تعذّب به شيئاً، فيقال له: خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الأرض و مغاربها، فسفك بها الدّم الحرام و انتهب بها المال الحرام و انتهك بها الفرج الحرام، و عزّتي [و جلالي] لأعذّبنّك بعذاب لا أُعذّب به شيئاً من جوارحك.

١٧- و بهذا الإسناد قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إن كان في شيء شؤم ففي اللّسان.

١٨- عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، والحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، جميعاً، عن الوشّاء قال: سمعت الرّضا عليه السلام يقول: كان الرجل من بني إسرائيل إذا أراد العبادة صمت قبل ذلك عشر سنين.

١٩- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن بكر بن صالح، عن الغفاري، عن جعفر بن إبراهيم قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من رأى موضع كلامه من عمله قلّ كلامه إلّا فيما يعنيه.

قوله (فيقول أى رب عذبتنى بعذاب لم تعذب به شيئاً) من الجوارح أى فيقول اللسان ذلك ولعل الاضافة فى قوله (من جوارحك) للمجاورة والملابسة أو للاشارة الى أن سائر الجوارح تابعة له و هو رئيسها (فيقال له خرجت منك كلمة) سواء كانت تلك الكلمة من باب الفتيا أو غيرها. **قوله** (ان كان فى شىء شؤم ففى اللسان) الشوم الشر وشىء مشوم أى غير مبارك، وفيه تنبيه على كثرة شومه لان له تعلقاً بكل خير وشر فميدان شره أوسع من ميدان شر جميع الجوارح، فمن أطلق عنانه فى ميدانه أورده فى مهاوى الهلاك، ولا شوم أعظم من ذلك **قوله** (صمت قبل ذلك عشر سنين) أى صمت عما لا ينبغى فى تلك المدة ليصير الصمت ملكة له ثم كان يشتغل بالعبادة والاجتهاد فيها لتقع العبادة صافية خالية عن المفاسد وفيه تنبيه على ان الصمت اصل عظيم فى العبادة و خلوصها و بقائها ومعرفة أحكامها و صيرورتها مرقاة للعابد فى الترقيات الى المقامات العالية.

قوله (من رأى موضع كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه) أى يهمه أو يقصده من عنيت به أى أهتممت واشتغلت به أو من عنيت فلاناً أى قصدته، وفيه تنبيه على أن المتكلم ينبغى أن يعد كلامه من عمله ويتدبر فى صحته وفساده وضره و نفعه، فان رآه صحيحاً لا يترتب عليه شىء من المفاسد آجلا وعاجلا تكلم به وان رآى خلاف ذلك أمسك عنه.

٢٠- أبوعليّ الأشعري، عن الحسن بن عليّ الكوفي، عن عثمان بن عيسى، عن سعيد بن يسار، عن منصور بن يونس، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: في حكمة آل داود على العاقل أن يكون عارفاً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه.

قوله (على العاقل أن يكون عارفاً بزمانه مقبلا على شأنه حافظاً للسانه) على العاقل أن يعرف حال أهل زمانه من الخير والشر والصلاح والفساد والحق والباطل ويميز بينهم ليصفو له معنى الصحبة والعشرة ويبدو له محل الفرقة والعزلة ويتمكن من اجراء السياسة المدنية على القوانين النبوية، ويحب لله ويبغض فى الله و يراعى الحزم والتقية فى موضعها وان يقبل على شأنه فيصلح حاله ظاهراً وباطنا بالسياسة البدنية ليتمكن من العروج فى المعارج الروحانية و ان يحفظ لسانه عن اللغو والمزخرفات الشيطانية قال أمير المؤمنين «ع» «اذا تم العقل نقص الكلام» (١) وذلك لان تفكره فى الله يمنعه من الاشتغال بمالايعنيه.

(١) «قوله «ع» «اذا تم العقل نقص الكلام» ان للانسان قوة تسمى بالمتخيلة اوالمتصرفة أوالمتفكرة أوالمتذكرة باعتبارات مختلفة وهى عند الحكماء قوة جسمانية يعنون ان النفس يحتاج فى استخدامها الى آلة جسمانية هى الروح المصبوب فى التجويف الاوسط من تجاويف الدماغ وعملها التركيب والتفصيل فى مخزونات الذهن أى فى القوة الحافظة و ممن يستعمل القوة المتخيلة كثيراً الشعراء اذ يتفحصون عن كل شى وما يناسبه ويشابهه و يتتبعون صفاته ومحاسنه ومقابحه وعما يؤثر فى نفوس السامعين من الشوق والنفرة وأمثال ذلك وهذا البحث البالغ عن مكنونات الخواطر لقوة من قوى الانسان يختلف فيها أفراد البشر ضعفاً و شدة . ويستعملها أيضاً المخترعون والمهندسون بجمع الاشكال وتفريقها ويستعملها العلماء و الحكماء عند الاستدلال والتفكر فى تهية المقدمات وتركيبها واستنباط المجهولات من المعلومات بتفحص مافى حافظتهم ليجدوا ماينفع فى مقصودهم ويستعملها الناس جميعاً لتذكر ماغاب عن ذهنهم بتتبع ماأرتكز فى خاطرهم حتى يتذكروا مالم ينسوه وقد يتسلسل بسببها مكنوناتهم باختيارهم أو بغير اختيارهم خدمة لقوتهم المسماة بالواهمة وقد اشرنا الى الواهمة. وعلى كل حال المتخيلة قوة جسمانية اذ يعرض بكثرة أعمالها الكلال والاعياء بل العجز وهذه من صفات الاجسام بخلاف العقل فانه لايكل بتكثر المعقولات ولايعجز عن حملها والعقل اذا تم وكمل منع بقاهريته جميع القوى عن الاسترسال فيما لايفيده و أجبرها على خدمته فلامجال لمتخيلة العاقل الافى التفكر الصحيح ولذلك قد تسمى متفكرة ولايبقى لها فرصة لتركيب الفضول والهذر و خدمة الواهمة في مالايعنيه ونعلم أن التكلم غير ممكن الا باعمال المتخيلة من تركيب المفاهيم *

٢١- محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن عليّ بن الحسن بن رباط، عن بعض رجاله، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لايزال العبد المؤمن يُكتب محسناً مادام ساكتاً، فإذا تكلّم كُتب محسناً أومسيئاً.

(باب المداراة)

١- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاث من لم يكنّ فيه لم يتمّ له عمل: ورع يحجزه عن معاصي الله وخُلق يداري به النّاس وحلم يردّ به جهل الجاهل.

٢- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن الحسين ابن الحسن قال: سمعت جعفراً عليه السلام يقول: جاء جبرئيل عليه السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال

قوله (لايزال العبد المؤمن يكتب محسناً مادام ساكتاً) لان سكوت المؤمن عمالا يعنى احسان عظيم على نفسه بل على غيره.

قوله (ثلاث من لم يكن فيه لم يتم له عمل) العمل التام هو العمل الخالص الغير المشوب بشيء يوجب فساده أونقصانه وهذه الثلاث أولها ورع يحجزه عن معاصى الله اذ من لم يكن له ورع يصدر منه المعاصى كثيراً فلايكون عمله تاماً بل مختلطاً وثانيها خلق يدارى به الناس أى يلاطفهم و يلاينهم و يحسن صحبتهم و يحتمل منهم كيلا يتنفروا عنه، ومن لم يكن له هذا الخلق لم يتم له عمل اذ كثيراً ما يصدر منها المكاشفة والخشونة والمناقشة والمجادلة والمقاولة و هذه الامور توجب فساد عمله أو نقصانه، و ثالثها حلم يرد به جهل الجاهل أى ملكة لاتنفعل بها النفس عما صدر من الجاهل من السفاهة و الايذاء و الاستخفاف والاضرار بل ترد بها جميع ذلك بالعفو عنه قال بعض الحكماء : موضعان لااعتذر من العى فيهما اذا خاطبت جاهلا و اذا سألت حاجة و من لم يكن له حلم يصدر منه مثل ما صدر من الجاهل فلايكون عمله تاماً أيضاً.

---

* والمعانى واحضار مكنونات الخواطر ممالايفيد فائدة أويفيد ولو صرف النظر عن هذه النقصية والعيب فالكلام بنفسه دليل على العقل وأن صاحبه مدرك للكليات لان الالفاظ غالباً كليات ولذلك سمى ادراك الكليات نطقاً ولايتكلم الحيوان اذلايدرك الكلى بل انما يتأثر حاسته من الموجودات الخارجية فقط و منّ الله تعالى على الانسان بتعليم البيان فمقصود الامام «ع» نقص الكلام فى الفضول و ما لايعنى ولا ينفع أو يضر، وخلق الكلام ليكون معيناً للعقل لاليمنعه عن وظائفه. (ش)

يا محمّد ربّك يقرئك السلام ويقول لك دار خلقي.

٣- عنه، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن حبيب السجستاني، عن أبي جعفر عليه السلام قال في التوراة مكتوب- فيما ناجى الله عزّ وجلّ به موسى بن عمران عليه السلام-: يا موسى اكتم مكتوم سرّي في سريرتك و أظهر في علانيتك المداراة عنّي لعدوّي و عدوّك من خلقي ولا تستسبّ لي عندهم باظهار مكتوم سرّي، فتشرك عدوّك وعدوّي في سبّي.

٤- أبوعليّ الأشعري، عن محمّد بن عبدالجبّار، عن محمّد بن إسماعيل بن بزيع، عن حمزة بن بزيع، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمرني ربّي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض.

قوله (دار خلقى) و ان كانوا كفارا كما دل عليه قوله تعالى «و قولا له قولا لينا» ومن جملة المداراة والملاطفة استجلاب طبايعهم الى الحق وتأنيسهم به بالحكمة والموعظة الحسنة قليلاقليلا على سبيل التلطف لادفعة لئلا تشمئز عنه قلوبهم ولايتنفر عنه طباعهم و لو لم يمكن تأنيسهم به اما لغموضه بالنسبة الى أفهامهم أو لقوة اعتقادهم الباطل ينبغى أن يحملهم عليه بالحيل و التدبير و المقدمات الخطابية حتى يرجعوا من الجهل المركب الى الجهل البسيط ثم يداويه.

قوله (اكتم مكتوم سرى فى سريرتك) لعل المراد بالسريرة القلب والسر واحد الاسرار و هو مايكتم، و اسرار الحديث اخفاءه والاضافة من باب جرد قطيفة للمبالغة ثم أشار الى بعض فوائد الكتمان وضرر نقيضه للترغيب فيه بقوله:

(ولا تستسب لى عندهم باظهار مكتوم سرى فتشرك عدوك وعدوى فى سبى) قال الله تعالى «ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم» وفيه ترغيب فى المداراة مع الاعداء والملاطفة والملاينة معهم سواء كانت العداوة فى الدين أو الدنيا مثل الحقد والحسد و غيرهما لان المداراة من جملة التدبيرات فى دفع العداوة، و من ثم قيل قمع الشر بالخير خير وبالشر شر ونهى عن المكاشفة بالسب والمخاصمة والمجادلة معهم فان ذلك كثيرا ما يفضى الى المعاملة بالمثل وسبهم لله تعالى أى لاوليائه كما دل عليه بعض الروايات وضياع الاموال وهلاك النفوس الى غير ذلك من المفاسد الكلية والجزئية فيتبدد به نظام العالم وصلاح بنى آدم خصوصاً صلاح أولياء الله تعالى. هذا بحسب الظاهر، وأما بحسب الباطن فينبغى أن يتفكر فيما يدفع به عداوته و كيده بقدر الامكان على ماتقتضيه الحكمة بحيث لايكون مهيجاً للشرو العداوة، وفيه دلالة على ان السبب للفعل كالفاعل له.

٥ ـ عليُّ بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مداراة النّاس نصف الإيمان و الرِّفق بهم نصف العيش ثمَّ قال أبوعبدالله عليه السلام: خالطوا الأبرار سرّاً و خالطوا الفجّار جهاراً ولا تميلوا عليهم فيظلموكم، فإنّه سيأتي عليكم زمانٌ لاينجو فيه من ذوي الدِّين إلّا من ظنّوا أنّه أبله وصبّر نفسه على أن يقال [له]: إنّه أبله لاعقل له.

٦ ـ عليُّ بن إبراهيم، عن بعض أصحابه، ذكره، عن محمّد بن سنان، عن حذيفة بن منصور قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: إنَّ قوماً من الناس قلّت مداراتهم للناس فاُنفوا(١) من قريش و أيم الله ما كان بأحسابهم بأسٌ وإنَّ قوماً من غير قريش حسنت مداراتهم

قوله (مداراة الناس نصف الايمان والرفق بهم نصف العيش) لعل الوجه أن الايمان عبارة عن توجه القلب الى الله تعالى وترك التعرض لما عداه فاذا تحقق الاول تحقق نصف الايمان واذا تحقق الثانى بالمداراة تحقق نصفه الاخر اذ لولا المداراة لاشتغل القلب بوجوه مجادلتهم و مناقشتهم و أيضاً الايمان هو العقد والعمل، والعمل يتم بالمداراة و العيش يتحقق بوجود أسبابه ورفع موانعه ورفع الموانع يتحقق بالرفق ولين الجانب ورفض العنف اذ لولا الرفق لتحقق موانع العيش من وجوه متكثرة وفسد نظامه فالرفق نصفه.

قوله (لاينجو من ذوى الدين الامن ظنوا انه ابله) لكون رسومه وعاداته خلاف رسومهم و عاداتهم من العنف والخشونة والمكر والغدر لزجر نفسه بالاداب الشرعية والاخلاق العقلية فظنوا أنه أبله لاعقل له ولايفهم شيئاً ومن عقله و دينه أيضاً انه صبر نفسه ان يقال له ابله لاعقل له ولايزعجه هذا القول عن شيمته ولايخرجه عن سجيته، وصبر اما مجرد أو مزيد بالتثقيل، قال فى المصباح صبرت صبرا من باب ضرب حبست النفس عن الجزع و صبرت زيداً يستعمل لازماً و متعديا و صبرته بالتثقيل حملته على الصبر بوعد الاجرا و قلت له اصبر به.

قوله (ان قوما من الناس قلت مداراتهم للناس فالقوا(١) من قريش) أى اخرجوا و اطرحوا منهم و لعل المراد بالناس قريش ويحتمل الاعم ثم أشار مؤكداً بالقسم الى ان ذلك الالقاء باعتبار فوات حسب انفسهم و ماثرها الا باعتبار فوات حسب آبائهم و ماثر أسلافهم بقوله (و أيم الله ما كان باحسابهم بأس) الحسب بفتحتين مايعده من مآثره وماثر آبائه والمراد به هنا مآثر الاباء وفيه تنبيه على ان المعتبر فى شرف كل رجل انما هو مآثر نفسه، ومن ثم قال الحكماء من فاته مآثر نفسه لم ينتفع بمآثر أبيه، وايمن اسم استعمل فى القسم والتزم رفعه كما التزم رفع لعمر والله وهمزته عند البصريين وصل واشتقاقه من اليمن وهو البركة و عند

(١) كذا ولعل الصحيح فنفوا.

فاُلحقوا بالبيت الرَّفيع ، قال: ثمَّ قال: من كفَّ يده عن الناس فإنّما يكفُّ عنهم يداً واحدة ويكفّون عنه أيدي كثيرة .

(باب الرفق)

١ـ عدَّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن أبيه، عمّن ذكره، عن

الكوفيين قطع لانه جمع يمين عندهم وقد يختصر منه فيقال و ايم الله بحذف النون و فيها لغات كثيرة وتفتح همزتها وتكسر ثم اختصر ثانياً فقيل م الله بضم الميم وكسرها وقيل ايم الله اسم برأسه موضوع للقسم. ولما ذكر حال هؤلاء اشار الى حال من اتصف بالمداراة بقوله (وان قوماً من قريش حسنت مداراتهم فالحقوا بالبيت الرفيع) وهو بيت الشرف والمجد والطاعة والتقوى ومنه قوله «ص» «سلمان منا أهل البيت» ومحال ان يريد به بيت النسب لانه منزه عن الكذب، و قوله اتبعونى تكونوا بيوتاً أى تشرفوا وذلك لان البيت فى عرف اللغة يعبر به عن الشرف و المجد كما يقال البيت فى بنى فلان أى الشرف والمجد فيهم، والى جميع ماذكر أشار أمير- المؤمنين «ع» بقوله «رب بعيد أقرب من قريب وقريب أبعد من بعيد» ثم قال (من كف يده عن الناس فانما يكف عنهم يد واحدة ويكفون عنه ايدى كثيرة) هذا مثل ماقال أمير المؤمنين «ع» «ومن يقبض يده عن عشيرته فانما تقبض منه عنهم يد واحدة وتقبض منهم عنه ايدى كثيرة ومن تلن حاشيته (يعنى جانبه) يستدم من قومه المودة» قال السيد رضى الدين رضى الله عنه وما أحسن هذا المعنى الذى اراده «ع» بقوله: «يقبض يده عن عشيرته- الى تمام الكلام- فان الممسك خيره عن عشيرته انما يمسك نفع يد واحدة فاذا احتاج الى نصرتهم واضطر الى مرافدتهم ومعاونتهم قعدوا عن نصره و تثاقلوا عن صوته واستغاثته فمنع ترافد الايدى الكثيرة وتناهض الاقدام الجمة. وقال بعض الافاضل تقريره ان الانسان لما كان انتفاعه بالايدى الكثيرة أتم وأولى بصلاح حاله من النفع الحاصل له بقبض يده عن النفع بهاوجب عليه أن يستجلب بمديده بالنفع مد الايدى الكثيرة الى نفعه و الا لكان بسبب طلبه لنفع مامن امساك يده الواحدة عنهم المستلزم لامساك أيديهم الكثيرة عنه مضيعاً على نفسه منافع عظيمة فيكون بحسب قصده لنفع ما مضيعاً لماهو أعظم فيكون مناقضا لغرضه، وذلك جهل وسفه، وقوله «ومن تلن» من تمام تأديب الاغنياء بمايعود اليهم نفعه من التواضع و لين الجانب للخلق فاستدرجهم الى التواضع بذكر ثمرته اللازمة عنه التى هى مطلوبة لكل عاقل وهى استدامة مودة الناس المستلزمة لنفعهم ولعدم مضرتهم المستلزمين لصلاح المتواضع فيمايقصده و بمثل ذلك أدب الله تعالى نبيه «ص» حيث قال: «و اخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين» وظاهر أن غايته المذكورة و ثمرته المطلوبة لاتحصل عند جفاوة الخلق والتكبر كما أشار اليه تعالى بقوله «ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك».

محمّد بن عبدالرّحمن بن أبي ليلى، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ لكلّ شيء قفلاً وقفل الإيمان الرّفق.

٢ ـ و بإسناده قال: قال أبو جعفر عليه السلام: من قُسم له الرّفق قسم له الإيمان.

٣ ـ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن صفوان بن يحيى، عن يحيي الأزرق، عن حمّاد بن بشير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك و تعالى رفيق يحبّ الرّفق فمن رفقه بعباده تسليله أضغانهم ومضادّتهم لهواهم و قلوبهم، و من رفقه بهم أنّه

قوله (ان لكل شيء قفلا) أى حافظاً له مانعاً من ورود أمر فاسد عليه و خروج أمر صالح عنه من باب الاستعارة وتشبيه المعقول بالمحسوس لقصد الايضاح.

(و قفل الايمان الرفق) وهو لين الجانب والرأفة وترك العنف والجفاوة فى الافعال والاقوال على الخلق فى جميع الاحوال سواء صدر منهم بالنسبة اليه خلاف الاداب اولم يصدر و فيه تشبيه الايمان بالجوهر والقلب بخزانته والرفق بالقفل لانه يحفظه عن زواله منه وخروجه عنه و طريان مفاسده عليه.

قوله (ان الله تعالى رفيق يحب الرفق) (١) ثبت اطلاق الرفيق على الله تعالى من طرق العامة أيضاً روى مسلم عن النبى «ص» أنه قال «الله رفيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف» قال القرطبى: الرفيق هو الكثير الرفق والرفق يجيء بمعنى التسهيل وهو ضد العنف والتشديد والتعصيب وبمعنى الارفاق وهو اعطاء ما يرتفق به وبمعنى التأنى وعدم العجلة وصحت نسبة هذه المعانى الى الله سبحانه لانه المسهل والمعطى وغير المعجل فى عقوبة العصاة.

اقول للرفق معنى آخر يصح له تعالى أيضاً وهو احكام العمل، قال فى المصباح رفقت العمل من باب قتل أحكمته ومعنى يحب الرفق انه يامر به ويحض عليه ويريد صدوره منهم ويثيبهم له ولما أشار اجمالا الى أنه تعالى رفيق أشار الى بعض جزئيات رفقه.

(فقال فمن رفقه بعباده تسليله اضغانهم) السل والتسليل اخراج الشيء برفق تقول

---

(١) قوله «ان الله تعالى رفيق يحب الرفق» يدل على أن ملاك حسن الاخلاق و فضائل الملكات وجودمثلها أو ما يناسبها فى صفات الله تعالى مثلا الله كريم يحب الكرم فالكرم من الملكات الفاضلة وحليم يحب الحلم، والجود حسن لان الله جواد. والسخاء حسنة وان لم يوصف الله تعالى بالسخاء لكن وصف بما يناسبها والشجاعة حسنة ولا يقال له تعالى شجاع لكن يتصف بعدم الخوف وهذا معنى ما قيل تخلقوا باخلاق الله تعالى وبالجملة هو الموجود الكامل الجامع لجميع الكمالات المنزه من جميع النقائص، وتحصيل كل كمال تشبه بالخالق تعالى وما يسلب عنه كالجسمية والمحسوسية والمكان والزمان والتركيب و أمثال ذلك من صفات النقص ويجب الترفع عنها على الانسان بقدر استطاعته وهو معنى التقرب الى الله وجعله غاية للعبادات.(ش)

يدعهم على الأمر يريد إزالتهم عنه رفقاً بهم لكيلا يلقي عليهم عرى الإيمان و مثاقلته جملة واحدة فيضعفوا فإذا أراد ذلك نسخ الأمر بالآخر فصار منسوخاً.

سللت السيف اذا أخرجته من غمده، والضغن الحقد والعداوة والبغضاء، تقول ضغن صدره ضغناً من باب تعب أى حقد، والاسم الضغن والجمع الاضغان مثل حمل وأحمال، ولعل المراد بتسليلها اخراجها بالرفق والتدريج عن قلوبهم و توفيقهم على دفعها باستعمال أسبابه و عدم تكليفهم بهدفعة فان دفعها دفعة صعب عليهم.

(و مضادتهم لهواهم و قلوبهم)(١) بين الاهواء النفسانية والاخلاق الرذيلة مثل الطمع و الحرص والاسف على فوات الدنيا والغضب والغيظ والغرة و غيرها و بين القلوب العاقلة المقتضية للاخلاق الفاضلة مضادة تريد كل واحدة الغلبة على الاخرى و الله سبحانه لرفقه بهم أمرهم برفعها و اخراجها على سبيل التدريج لادفعة لئلا يصعب ذلك عليهم.

(و من رفقه بهم انه يدعهم على الامر يريد ازالتهم عنه رفقا بهم لكيلا يلقى عليهم عرى الايمان و مثاقلته جملة واحدة فيضعفوا فاذا اراد ذلك نسخ امر بالاخر فصار منسوخاً) عروة الكوز اذنه والجمع عرى مثل مدية و مدى و عروة الايمان أحكامه وآثاره و خواصه على التشبيه بالعروة التى يتمسك بها ويستوثق فان العبد باحكام الايمان يحمله كما أن شارب الماء يحمل الكوز بعروته. ولعل المراد انه تعالى يعلم ان صلاح العباد فى أمرين و انه لو كلفهم بهما دفعة وفى زمان واحد ثقل ذلك عليهم وضعفوا عن تحملهما فمن رفقه بهم أن يأمرهم بأحدهما و يدعهم عليه حيناً، ثم اذا أراد ازالتهم عنه نسخ الامر الاول بالامر الاخر ليفوزوا بالمصلحتين و هذا وجه آخر للنسخ غير ما هو المعروف من اختصاص كل أمر بوقت دون آخر والله اعلم.

---

(١) قوله «ومضادتهم لهواهم وقلوبهم» الهوى هو القوة الواهمة وما يتفرع عليها كالشهوة والغضب والطيش، والقلب القوة العاقلة وما ينشعب منها كالحلم والرفق والتثبت و التؤدة ولم يجعل الواهمة فى الانسان الا لمصلحته ولو لم يكن الشهوة و حب المنافع لم يطلب الانسان الطعام والنكاح ولم يتحمل مشقة المكاسب وفسد العالم و خربت البلاد وزال العمران ولو لم يكن الغضب والتنفر عن المضار لم يدفع أحد عن عرضه وماله ونفسه وفسد العالم أيضاً ولو لم يكن العقل واسترسل الناس فى طلب شهواتهم واتبعوا عواطفهم مطلقاً لم يترتب الغرض المقصود من خلقة الانسان بل كانوا كسائر الحيوانات ونوعاً من أنواعها فرفق الله بهم وجعل فيهم الهوى والقلب و سلط القلب أى العقل والقوة الناطقة على الهوى أى الوهم ليصلحه بالرفق والمداراة ولم ينزع العقل ولا الوهم عنهم حتى يقهر هم على الخير او الشر رفقا بهم. (ش)

٤ـ محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن معاوية بن وهب عن معاذ بن مسلم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الرفق يُمن والخرق شوم.

٥ ـ عنه، عن ابن محبوب، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله عزّوجلّ رفيق يحبّ الرّفق ويعطي على الرّفق مالا يعطي على العنف.

٦ـ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أُذينة، عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الرّفق لم يوضع على شيء إلّا زانه

قوله (الرفق يمن والخرق شوم(١)) اليمن البركة يقال يمن الرجل على قومه و لقومه بالبناء للمفعول فهو ميمون و يمنه الله ييمنه يمناً من باب قتل اذا جعله مباركا، والخرق بالضم والسكون، اسم ضد الرفق يقال خرق خرقاً اذا عمل شيئاً فلم يرفق فيه فهو أخرق و الانثى خرقاء مثل أحمر و حمراء وقد يفسر الخرق بالجهل لانه ينشأ منه والشوم ضد اليمن ورجل مشوم أى شرير غير مبارك، وانما كان الرفق يمناً لانه منشأ لصحة النظام وسبب للخيرات وكل ذلك مبارك والخرق عكس ذلك فهو غير مبارك.

قوله (و يعطى على الرفق مالا يعطى على العنف) أى يعطى على الرفق فى الدنيا من الثناء الجميل وفى الاخرة من الثواب الجزيل(٢) ما لا يعطى على العنف الجاير فاذا كان أمر يسوغ الشرع أن يوصل اليه بالرفق والعنف فسلوك طريق الرفق أولى لما يحصل من الثناء على صاحبه وغير ذلك من منافعه التى لا تحصى.

قوله (أن الرفق لم يوضع على شىء الا زانه ولا نزع من شىء الا شأنه) زانه من باب

(١) «والخرق شوم» الخرق أيضاً طيش و غضب و تسرع الى الشر وهى من لوازم القوة الواهمة و ادراك مصاديق المعانى الجزئية وهى جسمانية بدليل أن غير العاقل يسترسل فيما يقتضيه هذه الحالات قهراً جبراً وقلنا أن الجسمانيات تترتب على أسبابها قهراً و لو كان العقل أيضاً جسمانياً كان ترتب مقتضاه أيضاً قهرياً. (ش)

(٢) قوله «وفى الاخرة من الثواب الجزيل» أصل الرفق ملكة تبقى مع بقاء النفس وهكذا كل ملكة لا يتوقف على آلة جسمانية مثلا ملكة الكتابة والنطق باليد واللسان لا تبقى عند زوال اليد واللسان وأما ملكة الايمان والتقوى من صفات النفس لا باعتبار تعلقها فتبقى معها لعدم توقفها على الالات البدنية وسيجىء ان شاء الله اثبات بقاء النفس المجردة بملكاتها فى موضع أليق. (ش)

ولا نُزع من شيء إلاّ شانه.

٧ - عليٌّ، عن أبيه، عن عبدالله بن المغيرة، عن عمرو بن أبي المقدام، رفعه إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله قال: إنّ في الرّفق الزّيادة و البركة و من يحرم الرفق يحرم الخير.

٨- عنه، عن عبدالله بن المغيرة، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما زوي الرّفق عن أهل بيت إلاّ زوي عنهم الخير.

٩- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن إبراهيم بن محمّد الثقفي، عن عليّ بن المعلّى، عن إسماعيل بن يسار، عن أحمد بن زياد بن أرقم الكوفي، عن رجل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أيّما أهل بيت اُعطوا حظّهم من الرّفق فقد وسّع الله عليهم في الرزق، والرّفق في تقدير المعيشة خير من السّعة في المال، و الرّفق لا يعجز عنه شيء و التبذير لا يبقى معه شيء، إنّ الله عزّ و جلّ رفيق يحبّ الرّفق.

١٠- عليّ بن إبراهيم رفعه، عن صالح بن عقبة، عن هشام بن أحمر، عن أبي -

سار وزينه بمعنى والاسم الزينة والزين نقيض الشين وشانه من باب باع شيناً عابه، و هذا الحديث رواه مسلم بعينه عنه «ص» فهو متفق عليه بين الامة.

قوله (أن فى الرفق الزيادة والبركة) أى زيادة الرزق والبركة فيه أو زيادة الخير لكونه ذريعة الى منافع الدنيا والاخرة ومستلزماً للخصال المرضية والكمالات السنية بخلاف الخرق فانه مع كونه نقصاً فى ذاته وتابعاً للجهالات جالب للشرور ومانع من الخيرات.

قوله (أيما أهل بيت اعطوا حظهم من الرفق) أى رفق بعضهم ببعض أو رفقهم بخلق الله (فقد وسع الله عليهم فى الرزق) لان الرفق أشد جاذب له وسبب لرفقه تعالى بهم فى ايصاله و تسهيل طرقه. وفيه ترغيب فى اكتساب الرفق كما أن قوله (والرفق فى تقدير المعيشة) أى التوسط بين التقتير والتبذير (خير من السعة فى المال) بلا تقدير المعيشة ترغيب فى اختيار التوسط فى المعيشة وهى مكسب الانسان الذى يعيش به وأشار الى وجه ذلك بقوله (والرفق لا يعجز عنه شىء) أى الرفق فى تقدير المعيشة لا يضعف ولا يقصر عنه شىء من المال لان القليل من المال يكفى مع التقدير والقدر الضرورى قد ضمنه العدل الحكيم ولا بد من حصوله (والتبذير لا يبقى معه شىء) من المال كما هو المشاهد المجرب، ثم حث على الرفق مطلقاً أو على الرفق فى تقدير المعيشة بقوله (ان الله عز وجل رفيق يحب الرفق) لانه أقوى سبب لبقاء نظام الكل والجزء المطلوب عقلا و شرعاً.

الحسن عَلَيهِ السَّلام قال: قال لي ـ و جرى بيني وبين رجل من القوم كلامٌ فقال لي ـ: ارفق بهم فإنّ كفر أحدهم في غضبه ولاخير فيمن كان كفره في غضبه.

١١ـ عدّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن عليّ بن حسّان، عن موسى بن بكر، عن أبي الحسن موسى عَلَيهِ السَّلام قال: الرّفق نصف العيش.

١٢ـ عليٌّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبدالله عَلَيهِ السَّلام قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِه: إنّ الله يحبّ الرّفق ويعين عليه، فإذا ركبتم الدّوابّ العجف فأنزلوها منازلها، فإن كانت الأرض مجدبة فانجوا عنها وإن كانت مخصبة فأنزلوها منازلها.

١٣ـ عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن عثمان بن عيسى، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عَلَيهِ السَّلام قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِه: لو كان الرّفق خَلقاً يُرى ماكان ممّا خلق الله شيءٌ أحسن منه.

١٤ـ أبو عليّ الأشعري، عن محمّد بن عبدالجبّار، عن ابن فضّال، عن ثعلبة بن ـ

قوله (فان كفر أحدهم فى غضبه) الغضب كثيراً مايفضي الى الكفر بمعنى الارتداد و الجحود وأما الكفر بمعنى ترك المأمور به فهو لازم له قطعاً.

قوله (الرفق نصف العيش) العيش الطيب يحصل بالكفاف والرفق الموجب للتودد و التآلف فالرفق نصف العيش خصوصاً مع الخدمة والعبيد والاهل، ومن الرفق بهم أن يصفح عن زلاتهم وأن يكلفهم دون طاقتهم وان يطعمهم ويلبسهم ما يطعمه ويلبسه.

قوله (فاذا ركبتم الدواب العجف) الفرس الاعجف الضعيف المهزول والانثى العجفاء وتجمع على عجف كصماء على صم وعلى عجاف بالكسر على غير قياس لان أفعل فعلاء لايجمع على فعال، وانما خص العجف بالذكر لان رعاية حالها أهم والافالحكم ـ وهو قوله (فانزلوها منازلها) أى منازلها اللائقة بحالها من حيث الماء والكلاء ـ غير مختص بها لجريانه فى غير المهزولة أيضاً (فان كانت الارض مجدبة فانجوا عنها) أجدب الارض وجدها مجدبة لاعشب فيها ولاكلاء من الجدب وهو القحط، ونجا ينجو بالجيم اذا أسرع فى السير ونجا من الامر اذا خلص وأنجاه غيره. وفى طرق العامة عنه «ص» «اذا سافرتم فى الجدب فاستنجوا أى أسرعوا فى السير لتخلصوا منه». وفى رواية اخرى لهم «فانجوا» كمافيما نحن فيه (وان كانت مخصبة فانزلوها منازلها) الخصب بالكسر النماء والبركة خلاف الجدب وهو اسم من أخصب المكان بالالف فهو مخصب وأخصب الله الموضع اذا انبت فيه العشب والكلاء.

ميمون، عمّن حدّثه، عن أحدهما عليهما السلام قال: إنّ الله رفيق يحبّ الرّفق ومن رفقه بكم تسليل أضغانكم ومضادّة قلوبكم وإنّه ليريد تحويل العبد عن الأمر فيتركه عليه حتّى يحوّله بالناسخ كراهية تثاقل الحقّ عليه.

١٥- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مااصطحب اثنان إلاّ كان أعظمهما أجراً وأحبّهما إلى الله عزّ وجلّ أرفقهما بصاحبه.

١٦- أبوعليّ الأشعري. عن محمّد بن حسّان، عن الحسن بن الحسين، عن الفضيل ابن عثمان قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: من كان رفيقاً في أمره نال مايريد من النّاس.

(باب التواضع)

١- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أرسل النجاشيّ إلى جعفر بن أبي طالب و أصحابه فدخلوا عليه وهو في بيت له جالس على التّراب وعليه خلقان الثياب قال عليه السلام: فقال جعفر فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال، فلمّا رأى ما بنا و تغيّر وجوهنا قال: الحمد

قوله (و من رفقه تسليل اضغانكم و مضادة قلوبكم) لعل المراد بمضادة القلوب ما يضاد الحكمة و الاخلاق الفاضلة. و بالرفق فى تسليلها الامر بازالتها تدريجا بالحكمة العملية والاداب الشرعية لادفعة فان ازالتها دفعة صعب والله سبحانه لرفقه بعباده لم يكلفهم بها.

قوله (و انه ليريد تحويل العبد عن الامر فيتركه عليه حتى يحوله بالناسخ كراهية تثاقل الحق عليه) لعل الكراهية علة لتحويله بالناسخ والحق الامر المنسوخ ووجه التثاقل ان النفس يثقل عليها الامر المكرر و تنشط بالامر الجديد، او علة لتحويله بالناسخ دون جمعه معه مع ان فى كلا الامرين صلاح العبد الا ان الرفق يقتضى النسخ لئلا يتثاقل الحق عليه. والله اعلم.

قوله (من كان رفيقا فى أمره نال مايريدمن الناس) لان رفقه بهم يوجب ميل القلوب اليه والتألف والتودد بينهم وله مدخل عظيم لنيل المقصودمنهم.

قوله (قال ارسل النجاشى) النجاشى ملك الحبشة مخفف عندالاكثر (و عليه الخلقان الثوب) خلق الثوب بالضم اذا بلى وهو خلق بفتحتين والجمع خلقان وفى بعض النسخ «الثياب» والاضافة من باب جرد قطيفة (فاشفقنامنه) أى خفنا يقال اشفق منه اذاخاف و اشفق عليه اذا

لله الّذي نصر محمّداً وأقرّ عينه ، ألا اُبشّركم ؟ فقلت : بلى أيّها الملك، فقال : إنّه جاءني الساعة من نحو أرضكم عينٌ من عيوني هناك فأخبرني أنّ الله عزّوجلّ قد نصر نبيّه محمّداً صلّى الله عليه وآله و أهلك عدوّه وأُسر فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ التقوا بوادٍ يقال له: بدر كثير الاراك لكأنّي أنظر إليه حيث كنت أرعى لسيدي هناك وهو رجل من بني ضمرة فقال له جعفر: أيّها الملك فمالي أراك جالساً على التّراب و عليك هذه الخلقان ؟ فقال له : يا جعفر إنّما نجد فيما أنزل الله على عيسى عليه السلام أنّ من حقّ الله على عباده أن يحدثوا له تواضعاً عند ما يحدث لهم من نعمة فلمّا أحدث الله عزّوجلّ لي نعمة بمحمّد صلّى الله عليه وآله أحدثت لله هذا التواضع فلمّا بلغ النبيّ صلّى الله عليه وآله قال لأصحابه: إنّ الصدقة تزيد صاحبها كثرة فتصدّقوا يرحمكم الله ، و إنّ التواضع يزيد صاحبه رفعة ، فتواضعوا يرفعكم الله ، و إنّ العفوا يزيد صاحبه عزّاً ، فاعفوا يعزّكم الله.

عطف عليه (عين من عيونى) العين الديدبان و الجاسوس (التقوا بواد يقال له بدر كثير الاراك) بدر موضع بين مكة والمدينة و هو الى المدينة أقرب، و يقال هو منها على ثمانية وعشرين فرسخاً ، وعن الشعبى انه اسم بئر هناك قال و سميت بدراً لان الماء كان لرجل من جهينة اسمه بدر. و الاراك شجر يستاك بقصبانه ، الواحدة الاراكة و يقال هى شجرة طويلة ناعمة كثيرة الورق والاغصان خوارة العود ولها ثمر فى عناقيد يسمى البرير يملاء العنقود الكف (لكانى انظر اليه حيث كنت ارعى لسيدى هناك) أى لكانى حاضر هناك انظر اليه و حيث تعليل لكانى أنظر اليه (أن من حق الله على عباده أن يحدثوا له تواضعا عند ما يحدث لهم من نعمة) كما ينبغى التواضع لله وهو اظهار الخشوع والخضوع والذل والافتقار عند ملاحظة عظمته وجلاله كذلك ينبغى التواضع له عند التشرف بنعمة من نعمه الدنيوية والاخروية جسمانية كانت أو روحانية والاول أفضل من الثانى لانه تعالى استحق الاول بالذات والثانى بالغير. (ان الصدقة تزيد صاحبها كثرة) أى كثرة أموال وأعوان فى الدنيا وكثرة الاجر فى الاخرة ، و من ثم قيل الصدقة ثمن نعيم الجنان واجر خدم الخلد من الولدان (وان التواضع يزيد صاحبه رفعة) أى التواضع لله وللمؤمنين يوجب رفع قدر صاحبه فى الدنيا لميل القلوب الى محبته وتعظيمه وتوقيره وشغل الالسنة بحسن ذكره و ثنائه وتشهيره فى الاخرة بعلو المرتبة و الاجر الجميل وسمو المنزلة و الثواب الجزيل (و ان العفو يزيد صاحبه عزاً) لان من عرف بالعفو ساد و

٢- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ في السّماء ملكين موكّلين بالعباد، فمن تواضع لله رفعاه ومَن تكبّر وضعاه.

٣ - ابن أبي عمير، عن عبدالرّحمن بن الحجّاج، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أفطر رسول الله صلى الله عليه وآله عشيّة خميس في مسجد قبا، فقال: هل مِن شراب؟ فأتاه اُوس بن خولي الأنصاري بعُس مخيض بعسل فلمّا وضعه على فيه نحّاه، ثمّ قال: شرابان يكتفى بأحدهما من صاحبه، لا أشربه ولا اُحرّمه ولكن أتواضع لله، فإنّ من تواضع لله رفعه الله ومن تكبّر خفضه الله ومَن اقتصد في معيشته رزقه الله ومن بذّر حرمه الله ومن أكثر ذكر الموت أحبّه الله.

٤ - الحسينُ بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن الحسن بن عليّ الوشّاء، عن داود الحمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام، مثله. و قال: مَن أكثر ذكر الله أظلّه الله في جنّته.

عظم و عز فى الدنيا والاخرة. وقد روى نظيره من طرق العامة عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال «ما نقصت صدقة من مال، و ما زاد الله عبداً بعفو الاعزاً، وما تواضع أحد لله الا رفعه الله».

قوله (فمن تواضع لله رفعاه ومن تكبر وضعاه) دخل فى التواضع لله الامتثال بأوامره ونواهيه و آدابه وأخلاقه والخشوع له عند ملاحظة عظمته واظهار ذل النفس والعجز عند مشاهدة نعمته، ولعل المراد برفعهما ووضعهما الدعاء بالرفع والوضع أو اعلام سائر الملائكة بأن فلاناً رفيع القدر وفلاناً وضيع القدر. أورفع روح المتواضع ووضع روح المتكبر عند الموت.

قوله (بعس مخيض بعسل) أى ممزوج بعسل والعس بالضم القدح الكبير والجمع عساس ككتاب، والمخيض فعيل بمعنى مفعول من مخضت اللبن مخضا من باب قتل وفى لغة من بابى ضرب ونفع اذا استخرجت زبده بوضع الماء فيه وتحريكه (لا اشربه ولا احرمه) دل على أن الاكتفاء بطعام واحد أولى من تناول الاطعمة الكثيرة الممزوجة وغيرها (ومن أكثر ذكر الموت أحبه الله) لان ذكر الموت يوجب ترك الدنيا و الميل الى الاخرة و القيام بوظائف الطاعات و تطهير الظاهر و الباطن عن الاعمال و الاخلاق الرذيلة و كل ذلك يثمر محبته تعالى.

قوله (من أكثر ذكر الله أظله الله فى جنته) أى من أكثر ذكر الله باللسان والجنان

٥ ـ عدَّة من أصحابنا ، عن أحمدبن محمّد بن خالد ، عن ابن فضّال ، عن العلاءبن زرين، عن محمّدبن مسلم قال: سمعت أباجعفر عليه السلام يذكر أنّه أتى رسول الله صلى الله عليه وآله ملك فقال: إنَّ الله عزّوجلّ يخيّرك أن تكون عبداً رسولاً متواضعاًأوملكاً رسولاً ، قال: فنظر إلى جبرئيل وأومأبيده أن تواضع. فقال: عبداً متواضعاً،رسولاً فقال الرَّسول : مع أنّه لاينقصك ممّاعندربّك شيئاً ، قال ومعه مفاتيح خزائن الأرض.

٦ـ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفليّ ، عن السكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من التواضع أن ترضى بالمجلس دون المجلس وأن تسلّم على من تلقى و أن تترك المراء وإن كنت محقّاً وأن لاتحبّ أن تحمد على التقوى.

عند الطاعة والمعصية والبلية أدخله الله فى جنته و أظله باشجارها أو أوقع عليه ظل رحمته فى جنته أو أدخله فى كنفه و حمايته فان الظل قد يكنى به عن الكنف و الحماية كمايقال فلان فى ظل فلان أوأقبل الله عليه حتى كأنه ألقى ظله عليه على سبيل التمثيل والظل يطلق على الاقبال كما يقال أظلك شهر رمضان.

قوله (قال ومعه مفاتيح خزائن الارض) ضمير قال راجع الى أبى جعفر «ع» و ضمير معه الى الملك الرسول، و المفتاح الذى يفتح به المغلاق و المفتح مثله و جمع الاول مفاتيح، و جمع الثانى مفاتح بغير ياء، ويمكن حمل مفاتيح خزائن الارض على الحقيقة و على استعارة لطيفة وذلك أن العجز وعدم التمكن والقدرة على استيلاء أهل الارض بخزائنها لماكان مانعاً من ذلك شبهه بغلق المانع من الدخول فى الدار بتناول مافيها والقدرة والتمكن لماكان رافعا لذلك المانع شبهه بالمفتاح.

قوله (من التواضع أن ترضى بالمجلس دون المجلس) و ان اقتضى شرفك صدره كما روى ذلك فى وصف النبى «ص» (وان تسلم على من تلقى) أى على كل من تلقى وان لم يكن من معارفك الاما استثنى مثل الكتابى والشابة الاان تأمن من نفسك أن يدخل فيها شىء ومع ذلك فترك السلام عليها راجح لما يأتى فى باب التسليم على النساء (وان تترك المراء وان كنت محقاً) أى وان تترك المجادلة والمنازعه مع الخلق والطعن فى قولهم ولوكانت فى الدرس و المسائل العلمية وان كنت محقاً الاان تريد الهداية والارشاد مع لين القول فانه أقوى فى التأثير، وفى المصباح ماريته اماريه مماراة و مراء جادلته و يقال ماريته أيضا اذا طعنت فى قوله تزييفا للقول وتصغيراً للقايل ولايكون المراء الا اعتراضاً بخلاف الجدال فانه يكون ابتداء واعتراضاً (وأن لاتحب ان تحمد على التقوى) لان حب ذلك من آثار العجب والادلال والاعتقاد بخروج النفس عن حد التقصير، وكل ذلك مذموم مهلك وقد ذكر أمير المؤمنين «ع» فى وصف المتقين

٧- عليُّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عليِّ بن يقطين، عمّن رواه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى موسى عليه السلام أن يا موسى تدري لم اصطفيتك بكلامي دون خلقي؟ قال: يا ربِّ ولم ذاك؟ قال: فأوحى الله تبارك وتعالى إليه يا موسى إنّي قلبت عبادي ظهراً لبطن، فلم أجد فيهم أحداً أذلَّ لي نفساً منك، يا موسى إنّك إذا صلّيت وضعت خدَّك على التّراب -أو قال: على الأرض-.

٨- عليُّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام: قال: مرَّ عليُّ بن الحسين صلوات الله عليهما على المجذمين وهو راكب حماره وهم يتغدّون فدعوه إلى الغداء، فقال: أما إنّي لولا أنّي صائم لفعلت، فلمّا صار إلى منزله أمر بطعام فصُنع، وأمر أن يتنوّقوا فيه، ثمَّ دعاهم فتغدّوا عنده و

المتواضعين أنهم «لا يرضون من أعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير فهم لانفسهم متهمون و من أعمالهم مشفقون، اذا زكى أحد منهم خاف ممايقال له فيقول أنا أعلم بنفسي من غيرى وربى أعلم منى بنفسى اللهم لا تؤاخذنى بمايقولون واجعلنى أفضل ممايظنون اغفرلى مالايعلمون»

قوله (انى قلبت عبادى ظهراً لبطن) فى المصباح قلبته قلباً من باب ضرب حولته عن وجهه و قلبت الرداء حولته و جعلت أعلاه أسفله و قلبت الشىء للابتياع قلباً أيضاً تصفحته فرأيت داخله و باطنه وقلبت الامر ظهر البطن اختبرته».

قوله (مر على بن الحسين عليهما السلام على المجذمين) وفى بعض النسخ «المجذومين» يقال رجل أجذم ومجذوم و مجذم اذا تهافتت أطرافه بالجذام و هو داء يحدث من غلبة السوداء فيفسد مزاج الاعضاء و ربما انتهى الى ان يأكلها ويأكل مايوضع فيها والغرض من هذا الحديث هو اظهار تواضعه «ع» لله تعالى كما يفهم من قوله (وهو راكب حماره) أو للخلق المجذومين فكيف غيرهم كما يفهم من قوله فى الاخر (وتغدى معهم) والتنوق نيك در نگريستن دركارى و نيكوساختن، أويقال شىء انيق أى حسن معجب والظاهر انه «ع» أكل معهم فى اناء واحد و فيه دلالة على جواز مصاحبة المجذوم و معاشرته ومواكلته و يؤيده ما رواه المصنف فى كتاب الروضة عن أبى عبدالله «ع» قال «ان اعرابياً اتى رسول الله «ص» فقال يا رسول الله انى اصيب الشاة والبقرة والناقة بالثمن اليسير وبها جرب فاكره شراءها مخافة ان يعدى ذلك الجرب ابلى و غنمى، فقال له رسول الله «ص» ياأعرابى فمن أعدى الاول ثم قال رسول الله «ص» لاعدوى ولا طيرة - الحديث» يعني لاتجاوز العلة صاحبها الى غيره

تغدّى معهم.

۹- عدّةٌ من أصحابنا ، عن أحمدبن أبي عبدالله ، عن عثمان بن عيسى ،

و مثل هذه الرواية بعينها موجود من طرق العامة أيضاً و هو لاينافى الرواية المشهورة عندنا و عندهم وهى« فر من المجذوم فرارك من الاسد»فقيل للجمع بينهما أن حديث الفرار ليس للوجوب بل للجواز أو الندب احتياطاً خوف ما يقع فى النفس من أمر العدو و السراية و حديث الاكل والمجالسة للدلالة على الجواز سيما اذا لم يوجس فى النفس خوف العدو. ومما يؤيد ذلك ما روى من طرق العامة عن جابر أنه (ص) أكل مع المجذوم فقال« آكل ثقة بالله و توكلا عليه» و من طرقهم أيضاً ان امرأة سألت بعض أزواجه «ص»عن الفرار من المجذوم فقال كلا والله وقد قال رسول الله«ص»لاعدوى، وقدكان لنامولى اصابه ذلك فكان يأكل فى صحافى و يشرب من قداحى و ينام على فراشي . و قال بعض العامة حديث الاكل ناسخ لحديث الفرار، ورده بعضهم بأن الاصل عدم النسخ على أن الحكم بالنسخ يتوقف على العلم بتأخر حديث الاكل و هو غير معلوم وقال بعضهم للجمع ان حديث الفرار على تقدير وجوبه انما كان لخوف أن يقع فى العلة بمشية الله فيعتقد ان العدوى حق. أقول بقى احتمال آخر لم يذكره أحد و هو تخصيص حديث لاعدوى بحديث الفرار مع حمل الفرار على الوجوب و أكل المعصوم معه لايدل على جواز ذلك لغيره لعلمه بأن الله تعالى يحفظه عن تعدى العلة اليه، ثم لوقيل بوجوب الفرار فمنعه من المسجد والاختلاط بالناس والدخول على الحمامات غير بعيد ، و قال عياض : اذا كثر المجذومون فقال الاكثر يؤمرون ان ينفردوا فى موضع (۱) عن الناس ولايمنعون من التصرف فى حوائجهم، و قيل لا يلزمهم الانفراد و لم يختلف فى القليل أنهم لايمنعون ولا يمنعون من صلوة الجمعة مع الناس

(۱) قوله «يؤمرون ان ينفردوا فى موضع » هذا طريقة يسلكها أهل هذا الزمان و الجذام مرض لم يهتد الاطباء بعد الى علاجه و ينسبه اطباء عصرنا الى جرثومة يسمونها «دهانسن» و لها قرابة مع جرثومة السل أعاذنا الله منها و من غيرها ولما أثبت التجربة سراية كثير من الامراض ووردت أحاديث تدل على السراية تكلفوا لتأويل ماورد فى نفيها مثل قوله «ص» «لاعدوى» بان ليس المراد من العدوى السراية مطلقاً بل نحو منها كان يعتقده الناس فى الجاهلية، أو انها العلة التامة لايجاد المرض بحيث لوتجنب المرضى كان مصوناً ولولاقاهم ابتلى حتماً و كان هذا سبباً لاهمال المرضى و ترك تمريضهم و رعايتم و عيادتهم و أما ان اعتقد السراية بمشية الله وتأثيرها فى الجملة أن أراد الله فلامحذور فيه ولا يوجب ترك المرضى و اهمالهم، لان احتمال التضرر بنجاة الواقع فى المهلكة لايحمل النفوس الخيرة على أن يدعوا المرضى بل يخطرون بنفسهم لنجاتهم واعانتهم. (ش)

عن هارون بن خارجة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ من التواضع أن يجلس الرّجل دون شرفه.

١٠- عنه، عن ابن فضّال ومحسن بن أحمد، عن يونس بن يعقوب قال: نظر أبو عبدالله عليه السلام إلى رجل من أهل المدينة قد اشترى لعياله شيئاً و هو يحمله، فلمّا رآه الرّجل استحيى منه، فقال أبو عبدالله عليه السلام: اشتريته لعيالك وحملته إليهم أما والله لولا أهل المدينة لأحببت أن أشتري لعيالي الشيء ثمّ أحمله إليهم.

١١- عنه، عن أبيه، عن عبدالله بن القاسم، عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: فيما أوحى الله عزّ وجلّ إلي داود عليه السلام يا داود كما أنّ أقرب النّاس من الله المتواضعون كذلك أبعد النّاس من الله المتكبّرون.

١٢- عنه، عن أبيه، عن عليّ بن الحكم رفعه إلى أبي بصير قال: دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام في السّنة الّتي قُبض فيها أبوعبدالله عليه السلام فقلت: جعلت فداك مالك ذبحت كبشاً ونحر فلان بدنة؟ فقال: يا أبا محمّد إنّ نوحاً عليه السلام كان في السفينة

و يمنعون من غيرها، ولو تضرر أهل قرية من جذماء يشاركونهم فى الماء فان قدروا على أن يستنبطوا ماءلانفسهم فعلوا والااستنبط لهم الاخرون أويقيمون من يسقى لهم والافهم أحق بنصيبهم.

قوله (اما والله لولا أهل المدينة لاحببت) دل على أن من التواضع قيام الرجل بنفسه على حوائج الاهل والعيال و ان أمكن بغيره وانه اذالامه أهل المدينة بذلك كان الاولى تركه والحوالة على غيره مع الامكان.

قوله (كما ان اقرب الناس من الله المتواضعون) أى المتواضعون لله ولرسوله ولاولى الامر وللمؤمنين الصالحين ولمن لايعلم فسقه الموجب لاهانة الدين مع قصد وجه الله تعالى فلو تواضع أحد لغرض اشتهاره بهذه الفضيلة أولا مر دنيوى كان يتواضع أبناء الدنيا لدنياهم و ان لم يكونوا ظالمين فهو من المرائين، ومن ثم قال بعض الاكابر من التواضع أن يرى الرجل نفسه أدنى ممن دنياه أقل ليظهر أن الدنيا لاقدر لها عنده وأرفع ممن دنياه أكثر ليظهر أن لاقدر له عنده بسبب كثرة الدنيا والمراد بقوله ارفع ترك التواضع دون التكبر لان التكبر مذموم مطلقاً ثم الفرق بين المتواضع والمتكبر ظاهر لان المتواضع فى مقام الذل والخشوع و العبودية والمتكبر فى مقام العلو والعتو والمضادة ومن البين أن قرب أحد المتقابلين بشىء يستلزم بعد الاخر عنه.

و كان فيها ماشاءالله و كانت السفينة مأمورة فطافت بالبيت و هو طواف النساءوخلّى سبيلها نوح عليه السلام، فأوحى الله عزّوجلّ إلى الجبال أنّي واضع سفينة نوح عبدي على جبل منكنّ ، فتطاولت و شمخت و تواضع الجوديّ و هو جبل عند كم فضربت

قوله (فطافت بالبيت وهو طواف النساء) ذكر أولا طواف البيت وذكر آخراً الجزء الاخير منه للدلالة على أنهاأتت بجميع الافعال حتى الجزء الاخير. (فتطاولت وشمخت) التطاول غلبه كردن بر يكديگر بدرازى، والشموخ بلندكردن و تكبر كردن و فعله من باب منع و الجبل الشامخ المرتفع، ومنه قيل شمخ بأنفه اذاتكبر و تعظم وذلك لظن كل واحدمن تلك الجبال نظراًالى عظمة حجمه وزيادة عرضه وطول مقداره أنه ذلك الجبل الموعود.

(و تواضع الجودى) نظراًالى صغر حجمه وقلةعرضه وقصر مقداره وقطع الطمع من أن يكون هوذلك الجبل الموعود مع وجود الجبال الشامخات. قيل هوجبل صغير كان فى نجف أمير المؤمنين «ع» وقال صاحب القاموس هو جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح «ع» وفيه دلالة على ان للجبال نفوساً (١) والحمل على نحو من التخييل ونوع من التمثيل، أوعلى أنه

---

(١) قوله «على ان للجبال نفوساً» الذى هدى الناس الى وجود النفوس ودعاهم الى القول به فى النبات والحيوان مشاهدة امور فيها لايمكن أن ينسب الى الطبيعة أى الصورة النوعية التى وجدوا مثلها فى الجمادات لعدم كونها على نهج واحد فالشجر ينمو ويتفرع من أصله الاغصان والاوراق وفى كل واحد عروق كثيرة دقيقة وغليظة وله خشب وجلد وأزهار وثمار وبالجملة له آلات مختلفة متشتتة لا على نهج واحد لافعال ووظائف مختلفة متجهة الى مقصد واحد هو مصلحة الجملة والجمادات يترتب عليها آثار على نهج واحد ولوضم جماد الى جماد لم يتوجها الى مقصد واحد فى آثارهما ولم يعمل كل لمصلحة الاخر كما نرى فى أعضاء النبات وآلاتها ، بل يعمل كل لمصلحة أفراد أخر كالات التناسل فى الزهر والبذر لحفظ النوع قالوا فيوجد فى النبات شىء هو مبدء لامور لايوجد مثلها فى الجماد وسموه نفساً وكذلك الحيوان والانسان، وأما الافلاك فرأوا فيها حركة مستديرة وان لم يروا فيها مافى النبات والحيوان من الالات المختلفة فأثبتوا لهاأيضاً نفوساً اذلايمكن نسبة حركة مستديرة الى طبيعة جمادية مثل من يرى رحى يدور بنفسه من غير أن يرى له مديراً من ماء وهواء وغيرهما ينسب دورانه قهراً الى جن أوملك أى الى موجود حى غائب له ارادة، وأما الجبال فلم يروا فيها مايستدل به على وجود النفس اذا رأوها كساير الجمادات. ولكن عدم الاثار والشواهد لايدل على عدم النفس. وانما الدلالة فى الوجود فقط، مثلا وجود الدخان دليل وجود النار أما عدم الدخان فلايدل*

السفينة بجؤ جؤها الجبل ، قال : فقال نوح عليه السلام عند ذلك : يا ماري اتقن ، وهو بالسريانية [يا] رب أصلح ، قال : فظننت أن أبا الحسن عليه السلام عرّض بنفسه.

١٣ ـ عنه ، عن عدة من أصحابه ، عن علي بن أسباط ، عن الحسن بن الجهم ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قال : التواضع أن تعطي الناس ما تحب أن تعطاه.

وفي حديث آخر قال: قلت: ما حد التواضع الذي إذا فعله العبد كان متواضعاً؟ فقال: التواضع درجات منها أن يعرف المرء قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم . لا

تعالى أوجد فيها نفوساً مدركة حين الخطاب بعيد على ان الثانى لاينافى القول بوجود النفوس لها والله اعلم، (فضربت السفينة بجؤجؤها الجبل) «اللام» فى الجبل للعهد اشارة الى الجبل الذى هو الجودى. والجؤ جؤ كهدهد الصدر (قال فظننت أن أبا الحسن «ع» عرض بنفسه) التعريض توجيه كلام الى جانب وارادة جانب آخر تقول عرضت له وبه اذا قلت قولا و أنت تعنيه فكأنك أشرت به الى جانب و تريد جانباً آخر لم تذكره فالتعريض خلاف التصريح وهو «ع» أشار الى تواضع الجودى، وما بلغه من تواضعه و أراد به تواضع نفسه المقدسة باحتقارها فى ذبح الشاة فان فى ذبحها من اظهار العجز والافتقار ماليس فى ذبح البدنة.

قوله (قال التواضع أن تعطى الناس ما تحب أن تعطاه) أى تحب لهم ما تحب لنفسك و تكره لهم ما تكره لنفسك وتجعل نفسك ميزاناً بينك وبين غيرك فتريد لغيرك كل ما تريده لنفسك من الخيرات الدنيوية والاخروية ولاتريد لغيرك كل مالاتريد لنفسك من القبائح والشرور وذلك من أعظم أفراد التواضع وذل النفس وصرفها عن هواها.

قوله (فقال التواضع درجات) التواضع لله و للخلق درجات باعتبار كمال النفس و نقصها وتوسطها فمنها أن يعرف المرء قدر نفسه بالنسبة الى ربه وخالقه ورازقه و مدبره

---

*على عدم النار، وعدم مشاهدة آثار النفس فى الجبال لايدل على عدم وجود موجود حى مدبر للجبال نظير تدبير نفس الشجر للشجر. نعم يمكن ان يضايق فى اطلاق اسم النفس عليه ولكنه أمر اصطلاحى أو لغوى يمكن أن يتخلص عنه بان يسمى شيئاً آخر حتى لايكون غلطاً لغوياً و العمدة اثبات وجود مدبر قاهر حى مريد لتدبير كل شىء، واصطلح الحكماء على أن يسموا مثله عقلا ولعل الملائكة الموكلين بالجبال والرياح والامطار والرعد والبرق وغيرهما على ما أشير اليه فى قوله تعالى «و المدبرات أمراً» هذه الموجودات الحية العاقلة المدبرة المسماة بالعقول والله اعلم بالحقيقة والغرض رفع الاستبعاد عن كلام الشارح واثباته النفس للجبال. (ش)

يحبّ أن يأتي إلى أحد إلاّ مثل ما يؤتى إليه، إن رأى سيّئة درأها بالحسنة، كاظم الغيظ عاف عن النّاس، والله يحبّ المحسنين.

(باب)

(الحب فى الله والبغض فى الله)

١ـ عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، و أحمد بن محمّد بن خالد، و عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، و سهل بن زياد جميعاً، عن ابن محبوب، عن عليّ بن رئاب، عن أبي عبيدة الحذّاء، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من أحبّ لله و أبغض لله و أعطى لله فهو ممّن كمل إيمانه.

٢ـ ابن محبوب، عن مالك بن عطيّة، عن سعيد الأعرج، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من أوثق عرى الإيمان أن تحبّ في الله وتبغض في الله وتعطي في الله وتمنع في الله.

فيقيمها فى مقام طاعته و يبعدها عن مقام معصيته ويذكره فى جميع الحالات بقلب سليم ذليل نقى منقاد، راضياً بجميع ما فعله فيه من البلاء والآلاء و بالنسبة الى الخلق يجعلها ميزاناً بينه و بينهم فلا يحب أن يأتى الى أحد الا مثل ما يؤتى اليه فان رأى سيئة منهم بالنسبة اليه دفعها بالحسنة وهى العفو أو الاحسان و بالنسبة الى الرب بالموعظة البالغة والامر بالمعروف و النهى عن المنكر على الوجه المقرر.

قوله (من أحب لله و أبغض لله و أعطى لله فهو ممن كمل ايمانه) حث على محبة الاخيار وبغض الاشرار واعطاء المستحق من المال المكتسب من طريق الحلال، والاخيار منهم من تقدست أنفسهم بالطهارة الاصلية والنزاهة الخلقية عن الملكات الردية وهم الانبياء والاوصياء عليهم السلام ومنهم من يطهر نفوسهم عنها بالعلم بقبحها والوعيدات الالهية وهم التابعون لهم بالعلم والعمل ومحبة هؤلاء من توابع العلم والمعرفة ومحبته تعالى وكمال الايمان والمحب من أولياء الله و من ادعى المحبة بدون علم ومعرفة فهو جاهل مغرور يكذبه ما روى «ما اتخذ الله ولياً جاهلا» وينبغى لمن أبغض فى الله أن يجتنب عن الغيبة كما صرح به الشهيد الثانى رحمه الله حيث قال ان البغض فى الله قد يؤدى الى الغيبة وهو حرام وذلك بأن يبغض على منكر قارفه انسان فيظهر بغضه ويذكر اسمه على غير وجه النهى و كان الواجب أن يظهر بغضه عليه على ذلك الوجه و هذا مما يقع فيه الخواص أيضاً فانهم يظنون أن البغض اذا كان لله كان حسناً كيف كان، وليس كذلك.

٣ـ ابن محبوب، عن أبي جعفر محمّد بن النعمان الأحول صاحب الطاق ، عن سلام بن المستنير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ودّ المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الإيمان، ألا ومن أحبّ في الله و أبغض في الله و أعطى في الله و منع في الله فهو من أصفياء الله.

٤ ـ الحسينُ بن محمّد ، عن معلّى بن محمّد ، عن الحسن بن عليّ الوشّاء ، عن عليّ بن أبي حمزة ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول:

قوله (قال من اوثق عرى الايمان) العروة عروة الكوز ونحوه و المراد بها هنا الاحكام والاخلاق والاداب اللازمة للايمان على سبيل المكنية والتخييلية أى كل عروة يتمسك بها متمسك رجاء نجاة من مهلكة أوظفر بغنيمة ونعمة ومنزلة فأوثقها الحب فى الله والبغض فى الله والاعطاء فى الله والمنع فى الله لان من تمسك بها تكامل ايمانه و استقام لسانه و استقر جنانه وبه يتحقق التودد والتآلف بين المؤمنين ويتم ويكمل نظام الدنيا والدين، وأما الحب لاجل المنفعة والاحسان فهو وان كان فى غاية النقصان لتعلقه بالاخيار والاشرار و لكونه سريع الزوال و سقوط رتبته عن الحب فى الله بهذا الاعتبار لكنه مستحسن عقلا ومطلوب شرعاً لان له مدخلا أيضاً فى تحقق التآلف والتمدن.

قوله (ود المؤمن للمؤمن فى الله من أعظم شعب الايمان) و ددته اوده من باب تعب وداً بفتح الواو وضمها أحببته والاسم المودة. فسرت الشعبة بالخصلة وأصلها الطائفة والقطعة من الشيء وفى المصباح انشعبت أغصان الشجرة تفرعت عن أصلها و تفرقت ويقال هذه المسئلة كثيرة الشعب أى التفاريع، والشعبة من الشجرة الغصن المتفرع منها و الجمع الشعب مثل غرف والشعبة من الشيء الطائفة منه والشعب بالكسر الطريق وقيل الطريق فى الجبل. وفى الفائق الشعبة من الشيء ما تشعب منه أى تفرع كغصن الشجرة وشعب الجبل ما تفرق من رؤسها وعندى شعبة من كذا أى طائفة منه. اذا عرفت هذا فنقول للايمان شعب كثيرة كالصلاة و الزكاة والصوم والعقائد العقلية الى غير ذلك من الاعمال والاخلاق والاداب الشرعية ومن أعظم ذلك ود المؤمن للمؤمن لحسن صورته الظاهرة بالاعمال الشرعية وصورته الباطنة بالاخلاق المرضية وكلما كانت تلك الصور أحسن وأتم وجب أن يكون المودة أكمل وأعظم و لذلك وجب أن يكون المحبة للرسول وأئمة الدين والاوصياء الراشدين صلوات الله عليهم أجمعين فى غاية الكمال ومن لوازم محبتهم متابعة أقوالهم وأعمالهم وعقائدهم و قوانينهم بقدر الامكان ثم بعد ذلك المحبة لاخوان الدين وخلص المؤمنين والعلماء والمتعلمين ومن آثارهم رعاية حالهم

إنّ المتحابّين في الله يوم القيامة على منابر من نور، قد أضاء نور وجوههم، ونور أجسادهم و نور منابرهم كلّ شيء حتّى يُعرفوا به، فيقال: هؤلاء المتحابّون في الله.

٥ ـ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد، عن حريز، عن فضيل بن يسار قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الحبّ و البغض، أمن الإيمان هو؟ فقال: و هل الإيمان إلّا الحبّ و البغض؟، ثمّ تلا هذه الآية «حبّب إليكم الإيمان

وتفقد أحوالهم و اصلاح بالهم وقضاء حوائجهم والاهتمام بامورهم ومن ادعى المحبة وليست له هذه الاثار فهو معدود من المنافقين والاشرار.

قوله (على منابر من نور) النور الضوء وهو خلاف الظلمة والظاهر أن المراد بالمنابر معناها المعروف (١) و يحتمل أن يراد بها الدرجات العالية لانها كالمنابر بالنسبة الى الدرجات السافلة وأن المراد بالنور الحقيقة اذ التحابب من الاعمال الصالحة وهى على تفاوت مراتبها نور يوم القيامة، و قوله (حتى يعرفوا) غاية لكونهم على منابر واضاءة نور وجوههم.

قوله (قال سألت أباعبدالله «ع» عن الحب والبغض أمن الايمان هو) أى عن حب على «ع» وبغض عدوه، أو عن حب المؤمنين وبغض عدوهم، أو عن حب الخير و الطاعة و بغض الشر والمعصية. والحصر فى قوله (وهل الايمان الا الحب والبغض) للمبالغة لان الايمان بالشيء لايتحقق بدون حب ذلك الشيء وبغض ضده و لعل المراد بالايمان فى الاية على الاحتمال الاول على «ع» أو الايمان به. وبالكفر والفسوق و العصيان الثلاثة الغاصبون للخلافة، أو المراد بالكفر الانكار و الجحود ظاهراً و باطناً و بالفسوق الانكار باطناً فقط و بالعصيان ترك متابعة السنة و عدم الامتثال بالاوامر والنواهى مع احتمال أن يراد بالايمان الايمان

---

(١) قوله «المنابر معناها المعروف» ان قيل كيف يتعقل تشكيل النور فى شكل مدرج وكيف يمكن أن يحبس جسم على نور ولا يسقط؟ قلنا هذا سؤال راجع الى عالم آخر وهو عالم القيامة ولايقاس أحكام ذلك العالم على عالمنا هذا ولايجب أن يثبت جميع أحكام الدنيا على الاخرة فلعل النور فى ذلك العالم يتشكل كما أن العمل يتجسم والنية يتصور ويحشر الناس على صور نياتهم و لعل أجسام الاخرة لايسقط و يتمكن على النور لانها ليست ثقيلة، و انما يضل الناس بقياس عالم على عالم واثبات أحكام الدنيا على جميع العوالم ولو بنينا على ذلك لزم والعياذ بالله انكار أكثر الروايات والاخبار الواردة فى تفاصيل المعاد فانها لاتنطبق على أجسام عالمنا هذا ولا يقدم عليه مسلم و أما تأويل المنبر بالدرجات المعنوية فلاينافى ذلك. (ش)

و زيّنه في قلوبكم و كرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان واُولئك هم الرّاشدون».

٦ ـ عدّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي عبدالله ، عن محمّد بن عيسى ، عن أبي الحسن عليّ بن يحيى ـ فيما أعلم ـ عن عمرو بن مدرك الطائي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه : أيُّ عُرى الإيمان أوثق ؟ فقالوا : الله و رسوله أعلم ، و قال بعضهم : الصلاة ، وقال بعضهم: الزّكاة وقال بعضهم : الصيّام . و قال بعضهم : الحجّ والعمرة ، وقال بعضهم : الجهاد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله :لكلّ ماقلتم فضلٌ وليس به ولكن أوثق عُرى الإيمان الحبُّ في الله و البغض في الله و

بالله و برسوله و حججه عليهم السلام.

قوله (فقال رسول الله «ص» لكل ماقلتم فضل وليس به ولكن أوثق عرى الايمان الحب فى الله) الاعمال الظاهرة بمنزلة الصورة والاعمال القلبية بمنزلة الروح ونظر الصحابة تعلق بحسن الصورة وكمالها ونظر النبى «ص» تعلق بحسن الروح وكماله ولاشك فى أن الحب فى الله والبغض فى الله والتولى لاولياء الله والتبرى من أعداء الله من صفات القلب (١) و أصل الايمان وأوثق عراه ومنشاء جميع الخيرات والكمالات وبه يتحقق العروج (٢) الى مقام

---

(١) قوله « من صفات القلب» القلب فى اصطلاح كثير من علماء الاخلاق هو النفس الناطقة و صفات انسان و ملكاته بماهو انسان تنقسم الى ماهى له باعتبار أعضائه وجوارحه الجسمانية و ليست هى من الكمالات للنفس الناطقة التى توجب سعادتها فى الاخرة وبعبارة اخرى ليست من صفات القلب، والى ماهى لها مع قطع النظر عن هذه الالات وهى التى تبقى وتوجب سعادتها ويهم علماء الاخلاق ان ينظروا فى ذلك ويميزوا بينهما بعلامات حتى لايصرفوا عمرهم فى تربية صفات وتكميل ملكات لاتفيد فى الاخرة شيئاً وهذه العلامات اما شرعية و هى ماورد من أهل بيت العصمة عليهم السلام فى المنجيات والمهلكات و أما عقلية اهتدى الناس اليها بعقلهم العملى على ما هو مذهبنا من اثبات الحسن والقبح العقليين ويتطابق الشرع و العقل فى ذلك. (ش)

(٢) قوله «به يتحقق العروج» الايمان أصله اعتقاد و تصديق و لكن لايمكن انفكاك التصديق بالحقائق والاعتقاد بها عن بهجة للنفس واستحسان لها ولعل معنى الحب و البغض على مايتبادر الى ذهن العامة حالة جسمانية مادية توجب ضربان القلب وشحوب اللون و اختلاط الذهن و أمثال ذلك و لذلك التزموا بكون اطلاقهما على الله مجازاً كقوله تعالى «ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله» ولكن المراد هنا مطلق البهجة الذى لايتوقف على هذه*

توالي أولياءالله والتبرّي من أعداءالله.

٧ـ عنه ، عن محمّد بن عليّ ، عن عمر بن جبلة الأحمسي ، عن أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المتحابّون في الله يوم القيامة على أرض زبرجدة خضراء ، في ظلّ عرشه عن يمينه ـ و كلتا يديه يمينٌ ـ وجوههم أشدُّ بياضاً و أضوء من الشمس الطالعة ، يغبطهم بمنزلتهم كلُّ ملك مقرَّب و كلُّ نبيّ مرسل، يقول الناس: من هؤلاء؟ فيقال: هؤلاء المتحابّون في الله.

٨ـ عنه، عن أبيه ، عن النضر بن سويد ، عن هشام بن سالم ، عن أبي حمزة

القرب لان الموصوف به لايترك شيئاً من الخير غالباً لئلايقع فيمايفر منه ويبغضه، و بالجملة الاعمال القلبية هى المصححة للاعمال الظاهرة(١)والاعمال الظاهرة امارات ظنية على كمال فاعلها ومن ثم ورد فى الروايات أن الثواب والعقاب على قدر العقول لاعلى الاعمال الظاهرة فلا ينبغى الغلو فى تعظيم من حسنت أعماله الظاهرة اذ لعل الله تعالى يعلم من قلبه وصفاً مذموماً لاتصح معه تلك الاعمال ولا فى تحقير من ضعف فيه بعض تلك الاعمال اذ لعل الله تعالى يعلم من قلبه وصفاً محموداً يغفر له بسببه.

قوله (فى ظل عرشه عن يمينه وكلتا يديه يمين) ظاهره أن له عرشاً جسمانياً و ان أشرف طرفيه يمين والاخر يسار يستقر فى الاول أفضل الخلايق وفى الاخر أدونهم فضلا و كلا الطرفين يمين مبارك يأمن من استقر فيها ولا بعد فيه كما أن له بيتا والاضافة للتشريف و التعظيم ويحتمل أن يراد به الرحمة ولها أفراد متفاوتة فاقواها يمين وأدونها يسار وكلاهما مبارك ينجو من أهوال القيامة ومثل هذا الحديث رواه العامة عن النبى «ص» وقال عياض ظاهره أنه سبحانه يظلهم حقيقة من حر الشمس ووهج الموقف و أنفاس الخلائق وهو تأويل أكثرهم قال بعضهم هو كناية عن كنهم و جعلهم فى كنفه و ستره، و منه قولهم السلطان ظل الله وقولهم

---

*التغييرات الجسمية فانها نواقص لاتناسب أجسام الاخرة ولايطرى عليها شىء منها ، و أما أصل البهجة وهى الحب الحقيقى فتبقى للمؤمن مع اعتقاده الحق. (ش)

(١) قوله «هى المصححة للاعمال الظاهرة » ولكن من الاسف أن كثيراً من الناس تركوا الاهم واشتغلوا بالمهم و اعتمدوا على الامارات الظنية وتركوا الحقائق اليقينية مثل من يعتنى فى طلب العلم بتحصيل ورقة تدل على مقامه فى العلم لاعلى العلم نفسه فربما تكون فى يد من ليس له من العلم نصيب و ربما لايكون فى يد العالم ورقة تصدق علمه ، كذلك الاعمال الظاهرة أمارات ظنية على كمال نفسانى ربما تتخلف. والعلم المتعلق بالاخلاق أشرف العلوم العملية. (ش)

الثمالي ، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال : إذا جمع الله عزّ وجلّ الأوّلين و الآخرين قام مناد فنادى يسمع النّاس فيقول : أين المتحابّون في الله ، قال : فيقوم عنق من النّاس فيقال لهم : اذهبوا إلى الجنّة بغير حساب ، قال: فتلقّاهم الملائكة فيقولون : إلى أين؟ فيقولون : إلى الجنّة بغير حساب ، قال: فيقولون: فأيّ ضرب أنتم من النّاس ؟ فيقولون : نحن المتحابّون في الله ، قال : فيقولون : و أيّ شيء كانت أعمالكم؟ قالوا : كنّا نحبّ في الله و نبغض في الله قال: فيقولون: نعم أجر العاملين.

٩- عنه، عن عليّ بن حسّان، عمّن ذكره، عن داود بن فرقد ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ثلاثٌ من علامات المؤمن: علمه بالله ومن يحبّ ومن يبغض.

١٠- عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم و حفص بن البختري، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الرّجل ليحبّكم وما يعرف ما أنتم

فلان فى ظل فلان أى فى كنفه وعزته، و يمكن أن يكون الظل هنا كناية عن التنعم والراحة من قولهم عيش ظليل(يغبطهم بمنزلتهم كل ملك مقرب وكل نبى مرسل) الغبطة حسن الحال وهى اسم من غبطته غبطاً من باب ضرب اذا تمنيت مثل ما ناله من غير أن تريد زواله عنه لما أعجبك منه و عظم عندك وهذا جائز فانه ليس بحسد فاذا تمنيت زواله فهو الحسد و غبط الرسول ذلك لايوجب أن يكون منزله دون منزلهم فان ذا المنزل الشريف قد يعجبه منزل آخر دون منزله فى الشرافة.

قوله (قام مناد فنادى يسمع الناس فيقول أين المتحابون فى الله قال فيقوم عنق من الناس) العنق الجماعة والظاهر أن المنادى غيره تعالى ويفهم من طريق العامة ان المنادى هو الله سبحانه روى مسلم عن النبى «ص» قال: «ان الله جل وعلا يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لاظل الاظلى» وقوله بجلالى أى بسبب تعظيم حقى وطاعتى و طلب رضاى لالغرض آخر دنيوى وهذا النداء نداء تنويه واكرام.

قوله (ثلاث من علامات المؤمن علمه بالله ومن يحب و من يبغض) أى علمه بمن ينبغى أن يحبه و من ينبغى أن يبغضه فان المؤمن يكمل ايمانه بهذه العلوم و يهتدى الى خيره وشره و نفعه وضره.

عليه فيدخله الله الجنّة بحبّكم وإنّ الرّجل ليبغضكم وما يعرف ماأنتم عليه فيدخله الله ببغضكم النّار.

١١ـ عدّة، من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن ابن العرزمي، عن أبيه عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا أردت أن تعلم أنّ فيك خيراً فانظر

قوله (ان الرجل ليحبكم و ما يعرف ما أنتم عليه فيدخله الله الجنة بحبكم) دل على أن الشيعة يدخل الجنة وكذا من أحبه وان لم تكن من أهل المعرفة لكن بشرط أن لايكون من أهل الانكار (١) على الظاهر، واما دخول غير العارف المبغض فى النار قطعاً بسبب البغض فلا ينافى دخوله فيها بسبب عدم المعرفة أيضاً لانه قد يكون للدخول فيها أسباب متعددة على ان عدم المعرفة المقرون بعدم الانكار لايوجب الدخول فيها كما فى المستضعف لانه فى المشية.

---

(١) قوله «لكن بشرط ان لايكون من أهل الانكار» قال المحقق الطوسى (ره) فى التجريد محاربوا على كفرة و مخالفوه فسقة، و قال العلامة ـ رحمه الله ـ فى شرحه المحارب لعلى كافر لقول النبى «ص» «يا على حربك حربى» ولاشك فى كفر من حارب النبى «ص» وأما مخالفوه فى الامامة فقد اختلف قول علمائنا فمنهم من حكم بكفرهم .... و ذهب آخرون الى أنهم فسقة وهو الاقوى ثم اختلف هؤلاء على أقوال ثلاثة أحدها أنهم مخلدون فى النار لعدم استحقاقهم الجنة. الثانى قال بعضهم أنهم يخرجون من النار الى الجنة، الثالث، ارتضاه ابن نوبخت و جماعة من علمائنا أنهم يخرجون من النار لعدم الكفر الموجب للخلود ولايدخلون الجنة لعدم الايمان المقتضى لاستحقاق الثواب انتهى.

و هنا سؤالان: الاول أن قول النبى «ص» «يا على حربك حربى» رواية ربما يكون محاربه «ع» غير عالم بصحتها فكيف يحكم بكفر من أنكر رواية لايعلم صحتها، والجواب أن محاربى على «ع» كانوا معاصرين له «ع» وكانوا ممن أدركوا النبى «ص» ورأوا عنايته به و محبته له و اعتماده عليه ولم يكن عداوتهم لعلى «ع» الا لعدم ايمانهم بنبوته باطناً ولا يحتمل فى حقهم الجهل بمقام على عند رسول الله «ص». الثانى ان المستضعف الجاهل الذى لم يكن مقصراً كيف يحكم بفسقه، والجواب أن مقصود المحقق ـ رحمه الله ـ بيان الاعتقاد الذى يوجب الفسق من حيث هو اعتقاد و معذورية القاصر الجاهل أمر آخر كما أن قول الله تعالى «الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة» لبيان اقتضاء هذا العمل ولا ينافى معذورية الزانى جهلا بالموضوع والمستضعف ان فرض وجوده بحيث يعذر العقلاء فى مثله مجرميهم اذا جهلوا فالله تعالى أولى بأن يعذره. (ش)

إلى قلبك، فإن كان يحبّ أهل طاعة الله و يبغض أهل معصيته ففيك خير والله يحبّك وإن كان يبغض أهل طاعة الله و يحبّ أهل معصيته فليس فيك خير والله يبغضك، والمرء مع من أحبّ.

١٢- عنه، عن أبي عليّ الواسطي، عن الحسين بن أبان، عمّن ذكره، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لو أنّ رجلاً أحبّ رجلاً لله لأثابه الله على حبّه إيّاه و إن كان المحبوب في علم الله من أهل النّار، ولو أنّ رجلاً أبغض رجلاً لله لأثابه الله على بغضه إيّاه وإن كان المبغض في علم الله من أهل الجنّة.

١٣- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن النضر ابن سويد، عن يحيى الحلبيّ، عن بشير الكناسي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قد يكون حبٌّ في الله و رسوله و حبٌّ في الدّنيا فما كان في الله ورسوله فثوابه على الله و ما كان

قوله (والله يحبك) قيل أصل المحبة الميل وهو على الله سبحانه محال فمحبته للعبد رحمته وهدايته الى بساط قربه ورضاه عنه، وارادته ايصال الخير اليه، وفعله له فعل المحب و بغضه سلب رحمته عنه وطرده عن مقام قربه ووكوله الى نفسه ونظير قوله «والمرء مع من أحب» موجود من طرق العامة أيضاً روى مسلم «أن أعرابياً قال لرسول الله «ص» متى الساعة؟ فقال ما اعددت لها قال حب الله ورسوله قال أنت مع من أحببت» وفيه أيضاً فضل حب الله وحب رسوله و حب الصالحين وأن محبهم معهم ولا يلزم من كونه معهم أن يكون مثلهم فى الدرجات واستحقاق الكرامات يظهر ذلك من قولنا لعبد زيد ادخل أنت مع سيدك فى هذا المجلس فان لزيد مكاناً فيه ولعبده مكاناً آخر والظاهر أن مجرد المحبة يقتضى ذلك وان لم يقرن مع العمل، يدل على ذلك حديث شاب كان يحب رسول الله «ص» كثيراً فلما فقده النبى «ص» أياماً سأل عنه فقال بعض الحاضرين أنه مات وطعنه بأنه كان مراهقاً يتبع ادبار النساء فرحمه «ص» وقال «والله لقد كان يحبنى حباً لو كان نخاساً غفر الله له (١)».

قوله (لو أن رجلا أحب رجلا لله لاثابه الله) وذلك لان حبه وبغضه اياه لله راجعان الى حب طاعة الله وبغض معصيته وهما من جملة الاعمال القلبية الصالحة المقتضية للثواب الجزيل.

---

(١) قوله «لو كان نخاساً غفر الله له» النخاس بايع العبيد والاماء ليس نفس عمله حراماً ولا التمتع بالجوارى ان كن ملكاً له ولكن كثيراً منهم كانوا دلالين يبيعون اماء غيرهم و يتمتعون بها من غير وجه محلل. (ش)

في الدُّنيا فليس بشيء.

١٤ ـ عدَّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة بن مهران، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنَّ المسلمين يلتقيان، فأفضلهما أشدُّهما حبّاً لصاحبه.

١٥ ـ عنه، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر وابن فضّال، عن صفوان الجمّال، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما التقى مؤمنان قطّ إلّا كان أفضلهما أشدَّهما حبّاً لأخيه.

١٦ ـ الحسينُ بن محمّد، عن محمّد بن عمران السبيعي، عن عبدالله بن جبلة، عن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كلّ من لم يحبَّ على الدِّين ولم يبغض على الدِّين فلا دين له.

(باب ذم الدنيا والزهد فيها)

١ ـ محمّدُ بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن الهيثم ابن واقد الحريري، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من زهد في الدُّنيا أثبت الله الحكمة في

قوله (قد يكون حب في الله ورسوله وحب في الدنيا الخ) والاول كحب الاخيار والعلماء والعباد والزهاد والصلحاء لاجل ارشادهم وهدايتهم وعبادتهم وصلاحهم وزهادتهم فانه لمحض التقرب من الله و طلب رضاه، والثانى كحب رجل لنيل الاحسان والجاه و المال منه فانه لاغراض دنيوية داثرة مثل الدنيا فليس بشىء يعتدبه.

قوله (ان المسلمين يلتقيان فافضلهما اشدهما حباً لصاحبه) أى أفضلهما ثواباً و قربة و منزلة عند الله تعالى اشدهما حباً لصاحبه فى الله لا فى الدنيا فانه ليس بشىء يعتدبه كمامر.

قوله (فلادين له) أى على وجه الكمال، أو على نفى الحقيقة ان كان مستخفاً والامر بالمعروف والنهى عن المنكر من المحبة على الدين.

قوله (من زهد فى الدنيا) زهد فى الشىء وعن الشىء زهداً وزهادة اذا رغب عنه ولم يرده ومن فرق بين زهد فيه وعنه فقد أخطأ كذا فى المغرب، وقال صاحب العدة ان النبى «ص» سأل جبرئيل «ع» عن تفسير الزهد فقال جبرئيل «ع» الزاهد يحب من يحب خالقه ويبغض من يبغض خالقه ويتحرج من حلال الدنيا ولا يلتفت الى حرامها فان حلالها حساب وحرامها عقاب ويرحم جميع المسلمين كما يرحم نفسه ويتحرج من الكلام فيما لا يعنيه كما يتحرج من الحرام

. . . .

ويتحرج من كثرة الاكل كما يتحرج من الميتة التى قد اشتد نتنها ويتحرج من حطام الدنيا و زينتها كما يتجنب النار أن يغشاها وأن يقصر أمله وكان بين عينيه أجله. وروى عن أمير المؤمنين «ع» أن الزهد قصر الامل وتنقية القلب وأن لا يفرح بالثناء ولا يغتم بالذم ولا يأكل طعاماً ولا يشرب شرابا ولا يلبس ثوباً حتى يعلم أن أصله طيب وأن لا يلتزم الكلام فيما لا يعنيه و أن لا يحسد على الدنيا وان يحب العلم والعلماء وأن لا يطلب الرفعة والشرف، وقال بعض العلماء أصل الزهد اربعة أشياء الحلم فى الغضب، والجود فى القلة، والورع فى الخلوة، وصدق القول عند من يخاف منه اويرجو. وقال بعض الاكابر ان الزهد ثلاثة أحرف زاى وهاء ودال فالزاى ترك الزينة، والهاء ترك الهواء، والدال ترك الدنيا وينبغى أن يعلم أن الزهد فى الدنيا و الصبر والشكر والتوبة والخوف والرجاء والمحبة والتوكل والرضا و غيرها من الفضائل النفسانية والخصائل الروحانية صفات للنفس وحالات لها حصولها تابع لحصول الحكمة أعنى العلم بالدين ثم ان حصول هذه الامور ورسوخها سبب لبقاء الحكمة واستقرارها و ثباتها و زيادتها كما قال «ع» «من زهد فى الدنيا أثبت الله الحكمة فى قلبه» من الاثبات بالثاء المثلثة أو بالنون فمن أعظم مكارم الصالحين وأجل صفات العارفين الزهد فى الدنيا والرغبة فيما عند الله كما أن من اشنع صفات المنافقين وأقبح سمات الغافلين الرغبة فى الدنيا والاعراض عما عند الله و عن أحوال الاخرة. والاصل فى الاول العلم بأن الدنيا ولذاتها أمتعة باطلة زائلة. والاصل فى الثانى الجهل بذهابها وفنائها وبثبات الاخرة و بقائها، قال الله تعالى فى وصف الفريقين « فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ما اوتى قارون أنه لذو حظ عظيم* وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها الا الصابرون » فانظر كيف نسب الرغبة فى الدنيا الى الجهال والزهد الى العلماء وذم الاولين غاية الذم وأثنى الاخرين نهاية الثناء، وقال لنبيه «ص» «ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى» وقال فى وصف الكفار «والذين يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة» و يفهم منه وصف المؤمنين وهو أنهم يستحبون الحياة الاخرة على الحيوة الدنيا وقال فى وصف المؤمنين «فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام» وقد سئل رسول الله «ص» عن معنى هذا الشرح فقال «ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفتح ، فقيل يارسول الله هل لذلك علامة ؟ قال نعم(١) التجافى عن دار الغرور والانابة

(١) قوله « هل لذلك علامة قال نعم » أهل الدنيا لا يهتمون الا بها وهم غافلون عن الاخرة و جميع أفعالهم و حركاتهم و علومهم و هممهم و كل شىء منهم مصروفة الى الدنيا فيعتنون بسلامة بدنهم و لذات أجسامهم أكثر من الاعتناء بأخلاقهم وملكاتهم و يختارون*

. . . .

الى دارالخلودوالاستعداد للموت قبل نزوله» فانظر كيف جعل الزهدوهو (التجافى عن دارالغرور شرط الاسلام وعلامة نورالقلب وانشراح الصدر.

ثم الكلام هنا فى نفس الزهد وفيمايرغب عنه وفيما يرغب فيه أما الاول فدرجاته ثلاثة: الدرجة السفلى أن يزهد فى الدنيا و يتركها وهو لهمشقة ونفسه اليها مائلة ولكن يجاهدها و يمنعها عن التوجه اليها وهذا شبيه بالمتزهد بل سماه بعض أهل التحقيق به، والدرجة الوسطى أن يتركها طوعاً بلامشقة لاستحقاره اياها بالاضافة الى ماطمع فيه كمن يترك درهماً لدراهم كثيرة فانه لايشق عليه ذلك وان احتاج الى انتظار ماولكن يرى هذا زهده ويظن أنه ترك شيئاً له قدر لاجل ماهو أعظم منه والدرجة العليا أن يتركها طوعاً ويزهد فى زهده ولايظن انه ترك شيئاً لعلمه بان الدنيا لاشىء كمن ترك قذرة لاجل جوهر ثمين فانه لايرى أن ذلك معاوضة ولايرى أنه ترك شيئاً، فان الدنيا بالقياس الى الاخرة أخس من قذرة بالقياس الى جوهر ثمين وهذا هوالزهد الحقيقى وسببه كمال المعرفة بخسة الدنيا و كمال الاخرة، و أما الثانى

* من العلوم ما يستفاد منها فى الحياة الدنيا كما يتعلق بالطب والزراعة والتجارة والصنائع الدنيوية لاالفقه والاخلاق والاعتقادات فى المبدء والمعاد والسعيد عندهم من تهيأ له وسائل العيش لامن تخلق بالاخلاق الفاضلة ومن حصل على جاه عريض و شهرة فائقة أشرف عندهم من الخامل المستريح من الناس المأمونين من أذاه والرجل الخير من سهل للناس وسائل عيشهم الدنيوى كمخترعى الصنائع و علامة أهل الاخرة كما قال رسول الله «ص» «التجافى عن دارالغرور» والتباعد عما يهتم أهل الدنيا به ولما كان الحس من النعم التى أعطاها الله الانسان لمصلحة دنياه وهومتعلق بجوارحه البدنية كان أهم عند هؤلاء من العقل مع أن الحواس كلها وما يتعلق بها من دارالغرور: أما الحواس الظاهرة فمعلوم أنها قوى فى جسم تتفرق و تتلاشى وأما الحواس الباطنة فمنها الحس المشترك وهو تابع للحواس الخمس الظاهرة، وأما الواهمة فهى قوة تحصل بها للحيوان مصاديق معان غير محسوسة بالحواس الظاهرة فيحب أولاده ويتنفر من عدوه، ومثل ذلك من حالات تعرض فى بدن الحيوان الذى له عصب ودماغ، و أما الحافظة فاعتياد حاصل للاعصاب بكثرة الممارسة كاعتياد اللسان قراءة قصيدة. أوآية حفظها اذا شرع فيها جرى على لسانه الى آخرها و كاعتياد الكتابة فانها ملكة فى اعصاب اليد تحصل بالتمرين فيكتب الخط الحسن بأنواعه و كذلك تحصل مثل هذا الاعتياد فى الدماغ فيجدد صورة سبقت له مرة أومرات و هو معنى التذكر. والمتخيلة كذلك جسمانية اذ يعرض لها بكثرة استعمالها لها الكلال وليس عروض الكلال الاللجسم وانما يبقى العقل لعدم تعلقه بجسم وهو متجاف عن دارالغرور مع كل مايتفرع عليه. (ش)

قلبه و أنطق بهالسانه وبصّرة عيوب الدُّنيـا داءها ودواءها وأخرجه من الدُّنياسالماً

فدرجاته أيضاً ثلاثة الدرجة السفلى أن يترك المحرمات الشرعية والاعمال القبيحة، والدرجة الوسطى أن يترك مع ذلك الرذائل النفسانية مثل الشهوة والغضب والكبر وحب الرئاسة و أمثالها، والدرجة العليا أن يترك جميع ماسوى الله جل شأنه وهو في هذه الدرجة يزهد في نفسه أيضاً ولاترى في الوجود الاهو وهو معنى الوحدة. وأما الثالث فدرجاته أيضاً ثلاثة الدرجة السفلى أن يكون الغرض من زهده هو النجاة من النار و من سائر الالام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطرات الصراط و بواقى الاهوال المتعلقة بالقيامة ، والـدرجة الوسطى أن يكون الغرض مع ذلك الرغبة في ثواب الله ونعيم الجنة واللذات الموعودة مثـل الحور والقصور و غيرها، والدرجة العليا أن لاتكون له رغبة الا وجه الله ولقاه ولايلتفت الى سواه وهذا زهد المحبين ورغبة العاشقين (١) واذا ضربت الثلاثة الاولى في الثلاثة الوسطى ثم الحاصل في الثلاثة الاخيرة حصل سبعة وعشرون نوعاً متفاوت المراتب والدرجات ويندرج تحت كل نوع أشخاص وجزئيات غير محصورة والله ولى التوفيق، وقد أشار «ع» الى بعض آثار الزهد ولوازمه بقوله (اثبت الله الحكمة في قلبه) حتى يصير قلبه نوراً الهياً وضوءاً ربانياً ينقلع عـن التعلقات الناسوتية لمشاهدة جمال اسرار الغيبية اللاهوتية.

(و انطق بهالسانه) حتى يقول الحق ويرشد اليه ويصمت عن الباطل ويخوف عليه.

(و بصره عيوب الدنيا داءها و دواءها) أما عيوبها فهي انها دار بالبلاء محفوفة وبالغدر معروفة وبالفناء موصوفة لاتدوم أحوالها ولايسلم من الافات نزالها أحوالهـا مختلفة وأوضاعها مبتدلة ونعمها منصرمة، العيش فيها مذموم والامان فيها معدوم والطالب لها مغموم و أهلهـا اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتفنيهم بحمامها، وأما داءها فهو الغفلة عن الحضرة الربوبية

(١) قوله «ولا يلتفت الى سواه وهذا زهد المحبين» ربما يختلج في اذهان سفلة الناس أن المحروم من لذة الاكل والنكاح محروم من السعادة ويلزم من ذلك أن تكون الملائكـة المقربون والارواح المقدسة القدسية أنقص من الحيوان في اللذات والسعادات بل ربما يتوهم بعض المتفلسفين ان علم هؤلاء المقربين أنقص من علوم الحيوانات العجم في الكيفية لان المحسوسات انما تدرك بآلات مادية مركبة من هذه العناصر الاربعة وليس لهم حواس بـهذه الصفة فلايدركون النور والالوان و جمال الطبيعة و زينتها و الاصوات و غير ذلك وفـاق عليهم الحيوان والانسان بهذه المزية ولو كان صحيحاً لكان الواجب تعالى أيضاً مثلهم في ذلك و كيف يتوهم عاقل أن من خلق طبقات العين و شكل الجليدية و لون العنبية و ركب عليها الاشفار والحواجب لايكون عالماً بالنور وخواصه وهكذا ساير الاعضاء. والصحيح أن ادراك*

إلى دارالسّلام.

والاستحقاق للعقوبة الدنيوية والاخروية، وأما دواؤها فهو تنزيه النفس عن الميل الى زهراتها والرغبة فى قنياتها والعبرة بأحوال الماضين والاتعاظ بأوضاع السابقين حيث كانوا أطول أعماراً وأعمر دياراً و أبعد آثاراً وأشد قوة وأكثر أعواناً فقد صارت أصواتهم هامدة ورياحهم راكدة و أجسادهم بالية وديارهم خالية و آثارهم عافية فاستبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة والقبور اللاصقة اللاطئة والعجب ان المؤمن يعلم أن الامراض الروحانية ليست بأهون من الامراض الجسدانية وهو يسعى فى دفع هذه الامراض بقدر الامكان و يغفل عن دفع الاولى و يضعها فى زاوية النسيان ، و من الله التوفيق والتكلان (وأخرجه من الدنيا سالماً) (١) من الافات فى الدين والنواقص فى اليقين (الى دار السلام) وهى الجنة التى اعدت للمتقين.

---

*الاشياء لايتوقف على وجود جسم و مادة تتأثر بل هى مانعة عن الادراك ذاتاً ولكن الله تعالى لماقدر ترقى الوجود من أسفل مراتبه و هو المادة الى أعلى درجاته و هو العقل فلم يكن بد من أن يمر فى طريقه على مادة يأخذ طرفاً من الادراك فصار حيواناً وانساناً وهو منزل بين عدم الادراك المادى والادراك الكامل العقلى فيترقى تدريجا فى الادراك و يضعف فى المادية فيصير ادراكا صرفاً يجتمع فيه جميع السعادات اذ مامن كمال ولذة وبهجة الا وسببها الادراك ولا يعقل أن يكون الزاهد المعرض عن الدنيا السافلة المقبل بكليته الى أشرف الموجودات وأعزها وأكملها وادرك عين الكمال أدون فى السعادة والبهجة من المنهمك فى الشهوات خصوصا مع مشاهدة أمارات الخلود والبقاء والامن من الموت الذى هو اشد المخاوف على الاحياء والانسان اذا ارتقى الى مقام التحقق بالعقل ليس كمن كان فى بيت له شبابيك من الحواس يطلع منها على الاشياء ثم حبس وسد عليه تلك الشبابيك و منع من ادراك الموجودات بل بمنزلة من يخرق حواجب المكان والزمان و يحضر عند كل شىء وفق لادراكه والاتصال به وبالجملة يوجد للنفوس الناطقة بدلا عن الحواس المادية ما يدرك به الاشياء أكمل مما كانت تدركه كما يفتح للنائم عين ينظر بها بعد سلب العين الظاهرة وليس هذا ممتنعا فى قدرته تعالى و ليس ادراك الانسان بعد الموت منحصراً فى مطالعة خيالاته المحفوظة فى ذهنه . (ش)

(١) قوله « و اخرجه من الدنيا سالماً » يدل الحديث بسياقه على ان السلامة عند الخروج من الدنيا انماهى بسبب بصيرة الرجل على عيوب الدنيا وثبات الحكمة فى عقله وان العقل لايكمل الا بالزهد والحكمة لاتثبت الا بالعقل و ليس خلق العقل لعمران الدنيا و الا لم يكن يكمل بالزهد، بل كان يكمل بالحرص كما يكمل الجزبزة والمكر به. ويهمنا هنا*

٢- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، و عليّ بن محمّد القاساني، جميعاً، عن القاسم بن محمّد، عن سليمان بن داود المنقري، عن حفص بن غياث، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : جُعل الخير كلّه في بيت و جُعل مفتاحه الزّهد في الدّنيا ثمّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لايجد الرّجل حلاوة الإيمان في قلبه حتّى لايبالي من أكل الدّنيا

قوله (جعل الخير كله فى بيت و جعل مفتاحه الزهد فى الدنيا) وبحكم المقابلة جعل الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه الرغبة فى الدنيا وهذا التمثيل لقصد الايضاح والتحقيق دون المبالغة لان كل ماينبغى أن يتصف به الانسان من العقائد والاخلاق والاداب والاعمال التى بينها الصادقون ورغبوا فيها فهو الخير والمندرج فى ترك الدنيا ورفض الميل اليها والتعلق بها وكل ماينبغى أن يتنزه عنها فهو الشر والمندرج فى حب الدنيا والرغبة فيها يحكم بذلك صريح العقل بعد التأمل فيما يصدر عن الانسان فان كل مايصدر عنه فالغرض منه اما حب الدنيا كالبخل والحرص والحسد والكبر وترك الزكاة لجمع المال و ترك الصلاة لحب الراحة و أمثال ذلك أوحب الله وحب الاخرة و رفض الدنيا كاضداد الامور المذكورة ومن ثم قيل القلب بقدر تعلقه بالدنيا ينقطع تعلقه بالله و باليوم الاخر ويبعد تعلقه بالخير.

(ثم قال قال رسول الله «ص» لايجد الرجل حلاوة الايمان حتى لايبالى من أكل الدنيا) شبه الايمان بحلو فى ميل الطبع و اثبت له الحلاوة من باب المكنية والتخييلية أوشبه أثراً

بيان شيئين الاول أن العقل أو القلب أو النفس الناطقة - وكل ماشئت فسمه - موجود جوهرى مستقل عن البدن بنفسه و ليس من اجزاء هذا الدنيا و اعراضها بل هو من عالم آخر ومن سنخ الملائكة المدبرة والعقول القدسية العالمة بجميع الاشياء والمطلعة على الغيوب التى ترتبط نفوس الانسان معها فى الرؤيا الصادقة على ماسبق. والثانى أن الموجود الجوهرى باق ببقاء علته ولايفنى أبداً الاأن يفنى علته وليس كالاعراض والتركيبات التى تفنى مع بقاء علتها الفاعلة بتلاشى اجزائها وتفكك عناصرها- قال المحقق الطوسى فى التجريد: والسمع دل عليه يعنى على العدم. و قال العلامة -رحمه الله- فى شرحه يدل على وقوع العدم السمع وهو قوله تعالى «هو الاول والاخر» وقوله تعالى «كل شىء هالك الاوجهه» وقال تعالى «كل من عليها فان» وقد وقع الاجماع على الفناء وانما الخلاف فى كيفيته على ماسيأتى، وقال المحقق الطوسى -رحمه الله- ويتأول فى المكلف بالتفريق كما فى قصة ابراهيم «ع»، وقال العلامة المحققون على امتناع اعادة المعدوم وسيأتى البرهان على وجوب المعاد وههنا قد بين ان الله تعالى يعدم العالم وذلك ظاهر المناقضة ثم قال عليه الرحمة: تأول المصنف معنى الاعدام بتفريق أجزائه والامتناع

ثمّ قال أبو عبدالله عليه‌السلام : حرام على قلوبكم أن تعرف حلاوة الإيمان حتّى تزهد في الدّنيا.

٣ ــ عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن أبي أيّوب الخزّاز، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه‌السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه‌السلام : إنّ من أعون الأخلاق على الدّين الزّهد في الدّنيا.

٤ ـ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، وعليّ بن محمّد، عن القاسم بن محمّد، عن سليمان بن داود المنقري، عن عليّ بن هاشم بن البريد، عن أبيه أنّ رجلاً سأل عليّ بن الحسين عليهما‌السلام، عن الزّهد فقال: عشرة أشياء، فأعلى درجة الزّهد أدنى درجة الورع، وأعلى

من آثار الايمان وهو محبة الرب وقربه بالحلاوة فى اللذة واستعار له لفظ الحلاوة والمراد ان الرجل لايجد محبة الرب و قربه حتى لايبالى من أكل الدنيا أى لايهتم به ولا يكثرت له ولا يعبأ ولايرى له قدرا و هذه الخصلة لاتحصل الا بتنزيه النفس عن محبة الدنيا والزهد فيها و قطع التعلق عنها بالكلية.

قوله (ان من أعون الاخلاق على الدين الزهد فى الدنيا) لظهور أن الاشتغال بالدنيا و صرف الفكر فى طرق تحصيلها و وجه ضبطها و رفع موانعها مانع عظيم من تفرغ القلب للامور الدينية وتفكره فيها وطلب أمر الاخرة ولذلك روى ان الدنيا والاخرة ضرتان اذا الميل باحديهما يضر بالاخر فترك الدنيا معين تام على طلب الدين.

قوله (ان رجلا سأل على بن الحسين عليهما السلام عن الزهد فقال عشرة أشياء فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع) قال «ع» فى باب الرضا بالقضاء أعلى درجة الزهد ادنى درجة الورع كما فى اللواحق وقد مر شرحه بقدر الوسع (١) فى ذلك الباب فلا نعيده ثم أشار الى أن أكمل

* فى ذلك فان المكلف بعد تفريق أجزائه يصدق عليه أنه هالك بمعنى أنه غير منتفع به أو يقال أنه هالك بالنظر الى ذاته اذ هو ممكن وكل ممكن بالنظر الى ذاته لايجب له الوجود اذ لا وجود الا للواجب بذاته أو بغيره فهو هالك انتهى، ونقل هو عن الكرامية وهم طائفة من المسلمين والجاحظ وهو من رؤساء المعتزلة القول باستحالة عدم العالم بعد وجوده فلا تفنى بذاتها ولا بالفاعل لان شأنه الايجاد لا الاعدام و هذا لايثبت مطلوبهم لانهم اعترفوا بامكان الوجود للعالم ذاتا و الامكان لايجتمع مع استحالة العدم و بالجملة فالاعدام عند العلامة و غيره من المحققين انما هو بمعنى التفريق فى المركبات ولا يتحقق فى البسائط الجوهرية والنفس الناطقة تبقى بعد ثبوت تجردها وعدم توقف وجودها على تركيب العناصر فى البدن. (ش)

(١) قوله « وقد مر شرحه بقدر الوسع » في الصفحة ١٩٥ من هذا المجلد وهو من *

درجة الورع أدنى درجة اليقين؛ و أعلى درجة اليقين أدنى درجة الرّضا. ألا و إنّ الزّهد في آية مـن كتاب الله عزّ وجلّ «لكيلا تأسوا على مافاتكم ولاتفرحوا بما آتيكم».

٥- و بهذا الإسناد ، عن المنقري، عن سفيان بن عيينة قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام وهو يقول : كلّ قلب فيه شكّ أو شرك فهو ساقط ، و إنّما أرادوا بالزّهد

أفراد الزهد ماذكرالله تعالى بقوله: الاوان الزهد فى آية من كتاب الله عزوجل «لكيلا تأسوا على مافاتكم ولاتفرحوا بما آتيكم» فيه تنفيرعن تمنى الدنيا والرضا بحصولها و عن الهم بفواتها ودلالة على أن الزهد ليس فقدها بل عدم تعلق القلب بها بحيث لايفرح بحصولها، و لايحزن بفواتها، وبعبارة اخرى يتركها ويغتم بوجودها لعلمه بانها من أعظم أسباب الغفلة، ونقل السيد رضى الدين عن أمير المؤمنين «ع» أنه قال «الزهد بين كلمتين قال الله تعالى «لكيلا تأسوا (أى تحزنوا) على مافاتكم (من عروض الدنيا) ولا تفرحوا بما آتيكم» ومن لم يأس على الماضى ولم يفرح بما اتى فقد اخذ الزهد بطرفيه، وقيل الزهد تحويل القلب من الاسباب الى رب الاسباب ومن اتصف بهذين الوصفين فقد حول قلبه اذا الميلان فرع الفرح والمحبة. ومن كلامه «ع»

لئن ساءنى دهر عزمت بصيرة ... فكل بلاء لايدوم يسير
وان سرنى لم ابتهج بسروره ... فكل سرور لايدوم حقير

و من رأى بعين اليقين هذا المعنى فقد جذب اليه اهدابه وقد عرفت أن للزهد شعباً كثيرة فمراده «ع» أن هذين الوصفين يصيران المتصف بها متصفاً باوصاف اخر.

قوله (كل قلب فيه شك أوشرك فهو ساقط) كان المراد أن كل قلب متعلق بالدنيا و ان فاتته فيه شك فى أمر الاخرة اذ اليقين يقتضى رفض الدنيا، أوشرك بالله لمتابعة الهوى، والترديد على سبيل منع الخلو فهو ساقط عن درجة المحبة والسعادة والزهد و بين ذلك بقوله (وانما أرادوا بالزهد فى الدنيا لتفرغ قلوبهم للاخرة) يعنى ان الغرض من الزهد فى الدنيا و رفضها تخليص القلب وتطهيره عن حب الدنيا و عن ميله اليها و جعله متوجهاً الى أمر الاخرة و ما

---

*نفائس هذا الكتاب. قوله «أو شرك فهو ساقط» والمراد بالشرك الرياء ، و سفيان بن عيينة من أئمة أهل السنة والجماعة و كان فيهم من يتظاهر بالزهد للتقرب الى الخلفاء والوجاهة عند العامة، ونبه الامام «ع» سفيان على ماعند ذويه ليعلمهم ويبصرهم عيوبهم، ومراد الشارع من الامر بالزهد فراغ القلب عن الدنيا ، و طلب الوجاهة والتقرب الى السلاطين لا يدع فى القلب فراغاً حتى يفكر فى امور الاخرة. و أما الشك فى الاخرة فامره أعظم من ذلك. (ش)

في الدّنيا لتفرغ قلوبهم للاخرة.

٦ ـ عليٌّ، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن العلاء بن رزين، عن محمّد بن مسلم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ علامة الرّاغب في ثواب الاخرة زهده في عاجل زهرة الدّنيا، أما إنّ زهد الزّاهد في هذه الدّنيا لا ينقصه ممّا قسم الله عزّ وجلّ له فيها و إن زهد، و إنّ حرص الحريص على عاجل زهرة [الحياة]

ينفع فيها خالصاً له بدوام الذكر والطاعة فمن لم يتحقق فيه هذا الغرض وان فاتته الدنيا فهو ليس بزاهد فيها وتارك لها بل هو من أهلها فيه شك فى أمر الاخرة أوشرك. وأعلم ان تفرغ القلب لامر الاخرة يبذر السعادة والذكر فيه والطاعة فى جميع الجوارح و هى تزيد و تنمو حتى يصير القلب نوراً الهيا يشاهد جلال الله و عظمته و أسراره الغيبية التى قلما يقدر على تحملها ثم يتشرف بمقام الانس ثم بمقام المحبة ثم بمقام الرضا ثم بمقام الفناء فى الله وهو هذا المقام لا يرى فى الوجود الا هو والى هذه المراتب أشار جل شأنه بقوله « ومن يرد ثواب الاخرة نزد له فى حرثه » بخلاف القلب الملوث بشهوات الدنيا فان الذكر والطاعة لو تحققا لا يؤثران فيه بل يفسدان كالبذر فى أرض السبخة والطعام فى المعدة الممتلية بالاخلاط الفاسدة ولذلك ترى كثيراً من الذاكرين والعابدين لا يجدون من السعادة الا اسماً ولا يعلمون من المعرفة الا رسماً وهم عن قرب الحق محرومون و عن ساحة أسراره مطرودون.

قوله (علامة الراغب فى ثواب الاخرة زهده فى عاجل زهرة الدنيا) لكل حق علامة دالة عليه و علامة من رغب فى ثواب الاخرة الذى أعظمه قرب الحق زهده فى زهرة الدنيا لانها ينافيه و من رغب فى شىء يترك ما ينافيه بالضرورة و يطلب ما يحقق حصوله فمن ادعى الرغبة فى ثواب الاخرة و هو راغب فى الدنيا فهو كاذب و انما اقحم لفظ العاجل لان زهرة الدنيا المتعلقة بالاجل والاخرة كقدر ما يحتاج اليه الانسان فى تحصيل ما ينفع فى الاخرة لا ينافى الرغبة فى ثوابها بل معين لحصوله والمراد بزهرة الدنيا متاعها تشبيها له بزهرة النبات لحسنها فى أعين الناس، ثم حث على الزهد و ترك الحرص والاجتهاد والرغبة فى الدنيا على وجه المبالغة للتنبيه والتأكيد بالتكرير و غيره بقوله (أما ان زهد الزاهد فى هذه الدنيا) الاشارة للتحقير (لا ينقصه مما قسم الله عزوجل له فيها وان زهد) كيف وقد قال الله تعالى « و من يتق الله يجعل له مخرجاً و يرزقه من حيث لا يحتسب و من يتوكل على الله فهو حسبه » فالزهد باعث لوصول القسم والرزق لا مانع له(وان حرص الحريص على عاجل زهرة الدنيا لا يزيده فيها و ان حرص) لان قسمه من الدنيا ما يحتاج اليه فى بقائه و الزائد عليه على تقدير حصوله بالحرص ليس قسماً له بل لغيره والحاصل أن وصول القسم و

الدُّنيا لايزيده فيها و إن حرص، فالمغبون من حرم حظّه من الاخرة.

٧- محمّدُ بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن يحيى الخثعمي، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما أعجب رسول الله صلى الله عليه وآله شيءٌ من الدُّنيا إلّا أن يكون فيها جائعاً خائفاً.

عدم وصوله منوط بالتقدير والمشية فما قدر قسماً له ياتيه و ان زهد و مالم يقدر قسماً له لايأتيه و ان حرص، ولاينافى هذا قوله تعالى « و من يرد ثواب الدنيا نؤته منها و ماله فى الاخرة من نصيب » اذ لادلالة فيه على أن جميع ما أتاه قسم و رزق (فالمغبون من حرم حظه من الاخرة) هذا كالنتيجة للسابق و تعريف المبتداء باللام دل على انحصار الغبن فيه لما عرفت من ان قسم كل أحد يأتيه زهد أوحرص فلاغبن فيه، وانما الغبن فى فقد النصيب فى الاخرة بترك العمل له.

قوله (ما أعجب رسول الله (ص) شىء من الدنيا الا أن يكون جايعاً خائفاً) خوفه كان فوق خوف الخائفين وجوعه مشهور و فى كتب الاحاديث مذكور وقد روى أنه لم يشبع من خبز الحنطة ثلاثة أيام متوالية ولا من اللحم قط و انه اهضم أهل الدنيا كشحاً وأخمصهم بطناً و انه اذا اشتد جوعه كان يربط حجراً على بطنه و يسميه المشبع و أنه كان يأكل على الارض و يجلس جلسة العبد، و يخصف بيده نعله و يرقع بيده ثوبه و يركب الحمار العارى و يردف خلفه و انه رأى ستراً نصبته بعض ازواجه على باب داره فقال لها غيبيه عنى فانه يذكرنى الدنيا وزخارفها فاعرض عن الدنيا بقلبه وأمات ذكرها من نفسه وأحب أن تغيب زينتها من عينه وما ذلك الالخسة الدنيا و متاعها فى نظره فليكن لك اسوة حسنة به «ص» واعلم أن فى الجوع فوائد منها صفاء القلب(١) وتنوره. وكثرة الاكل تظلمه وتميته، ومنها رقة

---

(١) قوله « ان فى الجوع فوائد منها صفاء القلب » اعلم أن النفس الانسانية مع تعلقها بالبدن و اتحادها مع القوى لها مقام شامخ بنفسه غير متعلق وكلما ازداد جهة تعلقها شدة ازداد جهة تجردها ضعفاً وكلما نقص جهة تعلقها قوى جهة تجردها ، و هذا أمارة كونها شيئاً مستقلا بنفسه مجرداً عن البدن ولايمكن أن يعترف أحد بان فى الجوع صفاء القلب الا اذا اعترف بأن القلب أى النفس الناطقة غير البدن والا كان كمال البدن بالشبع و كمال النفس كذلك وقد مر فى الصفحة ٣١١ استدلال بعضهم على تجرد النفس بوجود الاختيار لها وأنها لوكانت مادية كان جميع أفعالها قهرية اجبارية كضربان القلب والنبض ، وقال بعض العلماء أن الادراك من خواص الموجود المجرد لان المادة و الجسم ليس من شأنهما الادراك و ليس انطباع صورة فى جسم مقتضياً لان يحس به والا لكان كل جسم مدركاً للعوارض الحالة فيه *

٨- عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن القاسم بن يحيى ، عن

القلب والالتذاذ بذكر الرب ومناجاته والبطنة تغلظه و تمنع استقرار الذكر فيه ، و منها العجز والانكسار والشبع يوجب الغرة والافتخار، و منها قرب الحق والشبع يوجب البعد عنه قال الصادق «ع» «ان البطن ليطغى من أكله أقرب مايكون العبد من ربه عزوجل اذا خف بطنه، و أبغض مايكون العبد الى الله عزوجل اذا امتلاء بطنه»، ومنها تذكر الجائعين و تذكر جوع يوم القيامة فيزداد سعيه له و كثرة الاكل توجب الغفلة، عنهما، ومنها التسلط على كسر النفس و كثرة الاكل توجب تسلط النفس، ومنها قلة النوم والاقتدار على العبادة و الاكول فى غفلة النوم و تضييع العمر، و منها كثرة الحفظ و قلة النسيان و الاكول على عكس ذلك ، و منها صحة البدن والاكل الكثير يوجب أمراضاً شديدة، ومنها قلة الاحتياج الى الاموال و أسباب الدنيا و صرف العمر فى جمعها و حفظها، ومنها الاقتدار على الصدقة والايثار لعدم الحاجة الى الزائد.

---

*فالادراك من عالم آخر غير عالم الماديات الأن بعض الادراكات يحتاج فيها الى آلة كالسمع والبصر وبعضها لايحتاج كالعقل والالة ليست بمدركة قطعاً وانما المدرك من استعمل تلك الالة ولاينعدم مستعمل الالة بفقدان الالة وان عجز عما كان يفعله بوساطة الالة، كما أن الاعمى لايقل وجوده بفقد البصر ولاالاصم بفقد السمع ولاالمغمى عليه بفقد الحواس كلها فقد يعرض الاغماء فيفيق و يدرك انه هوالذى كان قبل الاغماء مع علومه وملكاته وليس موجوداً جديداً ومايدرك بالالات كل مرة محسوس جديد غير ما ادرك أولا، و أيضاً يتبدل الجسم و أجزائه ولايبقى بعد نحو سبع سنين مماكان شيء مع أن علمه بذاته وبغير ذاته هوالذى كان ولوكان النفس عين البدن أومعلولا له لم يبق له بعد سبع سنين شيء من معلوماته السابقة فثبت أن الاعضاء آلات ولا يتغير مستعمل الالة بتبدل الالة .

وقالوا لوكانت العلوم الكثيرة الحاصلة للانسان خصوصاً للعلماء والحكماء فى الفنون المختلفة حالات وعوارض طارية على دماغهم لتشوشت الصور وتداخلت وامتزجت و ارتفع الامتياز بينها كما أن الاصوات المختلفة لوتواردت على السمع لم يتمايز واذا تحركت الاشياء المختلفة سريعاً مقابل البصر لم يميز البصر بينها مع أن الصور العقلية متمايزة جداً مع اجتماعها دفعة وجميع علوم ابن سينا المكتوبة فى تصانيفه لوكانت حالات عارضة على دماغه وهى مجتمعة لم يكن عالماً بشيء فثبت ان العلوم كلها عند النفس و الدماغ آلة تنطبع فيها الصور الجزئية شيئاً بعد شيء تمحو صورة وتتجدد صورة، وقالوا ان النفس لادراك الصور الكلية لايحتاج الى آلة أيضاً لانها زمان الشيخوخة لايضعف ادراكه لها كما يضعف حواسه الالية وأيضاً لايكل بادراك*

جدّه الحسن بن راشد، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: خرج النبيّ صلّى الله عليه وآله و هو محزون فأتاه ملك و معه مفاتيح خزائن الأرض، فقال: يا محمّد هذه مفاتيح خزائن الأرض يقول لك ربّك: إفتح و خذ منها ماشئت من غير أن تنقص شيئاً عندي، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: الدّنيا دار من لادار له ولها يجمع من لاعقل له، فقال الملك: والّذي بعثك بالحقّ نبيّاً لقد سمعت هذا الكلام من ملك يقوله في السّماء الرّابعة، حين اُعطيت المفاتيح.

٩- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن درّاج، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: مرّ رسول الله صلّى الله عليه وآله بجدي أسكّ ملقى على مزبلة ميتاً، فقال

قوله (خرج النبى «ص» و هو محزون) لعل حزنه كان لضعف المسلمين و قوة المشركين والاهتمام بتجهيز أسباب الجهاد.

قوله (الدنيادار من لادار له) أى فى الاخرة لان من له دارفى الاخرة وهى الجنة لايسكن قلبه الى الدنيا ولايتخذها داراً وموضع اقامة لنفسه ويحتمل أن يكون المراد أن الدنيا دار من ليست له حقيقة الداراصلاالافى الاخرةوهوظاهر لظهور ان بناها على العمل لها و ترك الدنيا، ولافى الدنيا لظهور أن الدنيا ليست دار اقامة فهىليست بدار حقيقة، ثم قبح الدنيا والجمع لهابقوله (ولها يجمع من لاعقل له) لان العاقل يعلم بنور بصيرته ان الدنيا و مافيها منصرمة مؤذية بأهلها مضرة بأمر الاخرة فلايسكن اليها ولايشغل بالجمع لهابل يفر منها الى الله و أما الجاهل فلخمود عقله يغفل عن أمر الاخرة ولايعلم الا ظاهراً من الحياة الدنيا وليس له هم الاالجمع لها، فانظر أيهاالاخ فى الله الى علو همة رسول الله «ص» كيف ترك الدنيا ورفضها وهى فى يده من غيرتعب ولاضرر فى شىء من أمر آخرته و ماله عندالله من المقامات العالية لظهور عيوبها وكثرة مقابحها و مساويها و ليكن لك اسوة حسنة بنبيك الاطهر بل أنت أولى بتركها وأجدر لانك لاتخلو من التعب فى تحصيلها و من الحرمان فى عدم حصولها ومن الضرر فى أمرالاخرة والدنيا.

قوله (مر رسول الله «ص» بجدى أسك ملقى على مزبلة ميتاً) الاسك مقطوع الاذنين أو صغيرهما مطلقاً أومع لصوقهما بالرأس وقلة اشرافهما والمزبلة بفتح الباء والضم لغة موضع يلقى فيه الزبل بالكسر وهو السرقين ثم استفهم عن قيمته (فقال لاصحابه كم يساوى هذا) و

---

* الكليات ولايعجز عن ادراك ضعيف بعد قوى كمايعجز البصر عن ادراك النور الضعيف أثر القوى لكلاله، وأيضاً العقل يدرك ذاته والحس لايحس ذاته لان الالة لاتؤثر فى نفسها و العقل ليس بآلة ويجىء ان شاء الله لهذا تتمة. (ش)

لأصحابه : كم يساوي هذا ؟ فقالوا : لعلّه لوكان حيّاً لم يساو درهماً، فقال النبيُّ صلّى الله عليه وآله : والّذي نفسي بيده للدُّنيا أهون على الله من هذا الجدي على أهله.

الغرض من هذا السؤال تقريرهم على أنه خبيث لاقيمة له فهم أقروا بذلك (فقالوا لعله لوكان حياً لم يساو درهما) فهو على هذه الحالة الكريهة غير مرغوب لاحد فلاقيمه له، و الغرض من هذا التقرير تنفيرهم عن الدنيا بتشبيهها به وتفضليها عليه فى الهون والخبث لانه لاينفع ولايضر بخلاف الدنيا فانها تضر كثيراً (فقال النبى «ص» والذى نفسى بيده للدنيا أهون على الله من هذا الجدى على أهله) نظيره قول أمير المؤمنين «ع» «والله لدنياكم هذه أهون فى عينى من عراق خنزير فى يد مجذوم» العراق بضم العين وتخفيف الراء العظم وأيضاً نظيره ما رواه مسلم عن جابر بن عبدالله الانصارى «أن رسول الله «ص» مر بالسوق فمر بجدى اسك ميت فتناوله فأخذ باذنه ثم قال أيكم يحب ان هذا له بدرهم؟ فقالوا ما نحب أنه لنا بشىء وما نصنع به قال تحبون أنه لكم؟ قالوا والله لوكان حياً كان عيباً فيه لانه اسك فكيف و هو ميت فقال فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم» و روى « أن الدنيا يوم القيامة تقول(١) يا رب اجعلنى لادنى أوليائك نصيباً اليوم فيقول الله جل جلاله اسكتى يالاشىء انى لم ارضك لهم فى الدنيا كيف أرضاك لهم اليوم»

(١) قوله «ان الدنيا يوم القيامة تقول» لايخفى أن هذا الخبر لايوافق ما فى أذهان بعض الناس من أن الفرق بين الدنيا والاخرة بتقدم الاولى زماناً وتأخر الاخرى كذلك والاخرة عندهم هى الدنيا بعينها لكن فى زمان متأخر نظير تأخر امة ابراهيم عن امة نوح عليهما السلام وكما لايمكن ان يطلب رجل من عهد ابراهيم «ع» ان يجعله الله تعالى فى زمان نوح «ع» كذلك لايمكن ان يطلب أحد من الله بعد مضى الدنيا وانقضائها ان يجعله من أهل الدنيا والحق أن الفرق بين العالمين ليس بالتأخر والتقدم الزمانيين فقط بل بينهما فرق فى امور كثيرة كما يظهر لمن تتبع الايات الكريمة والروايات الكثيرة و ليس هنا موضع ذكرها و لذلك لم يجب الله تعالى السائلين عن وقت الساعة وزمانها ولم يقررهم على جهلهم والمعنى أن الدنيا طلبت من الله تعالى أن يجعل الصالحين من أهل الدنيا لاالدنيا المتقدمة زماناً بل الدنيا الجامعة لهذه الصفات المختصة بها من التغير والكون والفساد وأمثالها ولو فى زمان متأخر بالنسبة الى الدنيا السابقة لابالنسبة الى الاخرة اذليس بعد الاخرة شىء وقد سبق فى الصفحة ٣١٨ من هذا الجزء قول الشارح قدصرح بعض أصحابنا بأن عذاب المستحق له واقع بالفعل وان جهنم لمحيطة به وانه داخل فيها ولكن الحجاب مانع من رؤيتها لحكمة تقتضيه . انتهى، وهذا يدل على عدم تأخر العذاب عن الدنيا تأخراً زمانياً.(ش)

١٠- عليّ بن إبراهيم ، عن عليّ بن محمّد القاساني ، عمّن ذكره ، عن عبدالله ابن القاسم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إذا أراد الله بعبد خيراً زهّده في الدُّنيا و فقّهه في الدِّين و بصّره عيوبها و من اُوتيهنّ فقد اُوتي خير الدُّنيا والاخرة ، و قال : لم يطلب أحدٌ الحقَّ بباب أفضل من الزُّهد في الدُّنيا و هو ضدٌّ لما طلب أعداء الحقّ ، قلت : جعلت فداك ممّا ذا ؟ قال : من الرَّغبة فيها ، و قال : إلاّ من صبّار كريم ، فإنّما هي أيّام قلائل، ألا إنّه حرام عليكم أن تجدوا طعم الإيمان حتّى تزهدوا في الدُّنيا ، قال : وسمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : إذا تخلّى المؤمن من الدُّنيا سما و وجد حلاوة حبّ الله و كان عند أهل الدُّنيا كأنّه قد خولط و إنّما خالط القوم حلاوة حبّ الله ، فلم يشتغلوا بغيره. قال : و سمعته يقول : إنّ

قوله (لم يطلب أحدالحق بباب أفضل من الزهد فى الدنيا) للحق أبواب لايمكن الوصول اليه الابالدخول فيها منها الطاعات و ترك المنهيات على أنواعهما ومنها الاخلاق الفاضلة ومنها ترك الاخلاق الباطلة والزهد فى الدنيا أعظم هذه الابواب لانه مفتاح لجميعها ثم أشار الى ضده على وجه يفيد أن الزهد يوجب محبة الحق و أنه عبارة عن تطهير القلب من الرغبة فى الدنيا وميله اليها لاعن ترك الدنيا مع تعلق القلب بها فقال (وهو ضد لما طلب أعداء الحق) وقول السائل (مماذا) سؤال عما طلب أعداء الحق وقوله «ع» (من الرغبة فيها) بيان للموصول يعنى أن ماطلبه أعداء الحق هو الرغبة فى الدنيا والميل اليها و هى من أعظم البعد عن الحق والبغض له والمعاندة معه، والظاهر أن قوله (الامن صبار كريم) أى خير شريف النفس استثناء من الرغبة فيها أى الا أن يكون الرغبة فيها من صبار كريم يطلبها من طرق الحلال ويصبر عن الحرام، واخراج الحقوق المالية واعانة الفقراء و ذوى الحاجات فان الرغبة فى هذه الدنيا من الصالحات ثم حث على الزهد والصبر عليه و نفر عن الدنيا بقوله: (فانما هى) أى الدنيا (أيام قلائل) وهى أيام العمر والعمر ينقضى حثيثاً و ينتهى سريعاً الى الاخرة والصبر على المشاق المنقضية سهل على النفوس العاقلة سيما اذاكان مستلزماً للراحة الدايمة ثم أشار الى بعض آثار الزهد و أشرف مقاماته بقوله(اذا تخلى المؤمن من الدنياسما- الخ) أى اذاتخلى المؤمن من الدنيا بأن قطع تعلقه بها و أخرج حبها عن قلبه ارتفع من حضيض النقص الى أوج الكمال ومن مقام الكثرة الى ساحة القدس والجلال (ووجد) فى قلبه (حلاوة حب الله وكان عند أهل الدنيا) الراغبين فيها (كانه قد خولط) واختل عقله، (وانما خالط القوم) ودخل فى قلوبهم (حلاوة حب الله فلم يشتغلوا بغيره).

القلب إذا صفا ضاقت به الأرض حتّى يسمو .

وفيه اشارة الى أعلى درجات الزاهدوهو أن يفرغ قلبه عن غيرالله تعالى حتى الخوف من النار والطمع فى الجنة لسكره بحلاوة المحبة والقرب منه فلايرى لغيره وجوداً فضلاعن أن يشتغل به وهو مقام الفناء فى الله و انماقلنا هذا أعلى درجات الزاهد لان أدنى درجاته أن يترك الدنيا ويصبر على الترك مع الميل اليها. وأوسطها أن يترك الميل اليها أيضاًوهو بعد فى مقام الكثرة واذاداوم عليه وصار ذلك ملكةله وطهر ظاهره و باطنه عن جميع المقابح لان كلها ناشية من حب الدنيا يرتقى من هذاالمقام الى مقام التوحيد المطلق وعالم القدس فيتجلى فيه أنوار الحق و أسراره و يشاهد بنور البصيرة جماله و كماله و عظمته و قدرته فيستغرق فى بحر محبته و يغفل عن نفسه فضلا عن غيره بذوق حلاوة حبه و يصير حينئذ أطواره و أوضاعه وأقواله وأفعاله وحركاته وسكناته غير أطوار أهل الدنيا و أوضاعهم و أقوالهم و أفعالهم و حركاتهم و سكناتهم فيظنون أنه خولطواختل عقله حيث لم يجدوا عقله كعقلهم و فعله كفعلهم ولذلك نسب كفرة قريش الجنون الى النبى المبارك «ص» و يقرب منه قوله (ان القلب اذاصفا ضاقت به الارض حتى يسمو) القلب من عالم القدس النورانى (١) و عالم الاعلى الروحانى و سكونه الى هذاالعالم الجسمانى واستقراره فى عالم البدن الانسانى انماهو بقدر تعلقه به وغفوله عن ذلك العالم الاصلى فاذا صفا عن الخبائث النفسانية والرذائل الشيطانية والقيودات الدنيوية والتعلقات البشرية والطبيعية واتصف بالكمالات الروحانية و الصفات الشريفة الربانية تذكر مكانه الاصلى وقطع يده عن الاسباب و تعلق برب الارباب فينكشف عنه الحجاب فضاقت به الارض فيضطرب و يستوحش منها ولا يستقر حتى يسمو و يرتفع من هذاالعالم الى العالم الاعلى ويتشرف بقرب المولى، وان شئت زيادة توضيح فنقول لماكانت الارض أعظم أجزاء الانسان وكانت قواه الظاهرة والباطنة مائلة اليها بالطبع لكمال النسبة بينهما كانت الدواعى الى زهراتها حاضرة والبواعث الى لذاتها ظاهرة فربما يشتغل بها و يكتسب الاخلاق والاعمال الفاسدة لتحصيل المقاصد حتى تصير النفس تابعة لها راضية بأثرها مشعوفة بعملها منكدرة بالشهوات منغمسة فى اللذات فتحب الاستقرار فى الارض و تركن اليها، وأما اذامنعت تلك القوى عن مقتضاها و صرفتها عن هواها و روضتها بمقامع الشريعة و ادبتها بأداب الطريقة حتى غلبت عليها وصفت عن كدوراتها وظهرت عن خبائث لذاتها و تخلصت من قيوداتها و تحلت بالاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة والاداب الرفيعة والاطوار المرضية ضاقت بها الارض حتى تسمو الى عالم النور والروحانية فتشاهد عالم الاعلى بالعيان و تنظر الى الحق بعين العرفان و يزداد لها نور الايمان و الايقان فتعاف جملة الدنيا و الاستقرار فى الارض فبدنها فى هذه الدنيا وهى فى عالم الاعلى. وفيه ترغيب للعقلاء فى

(١) فى ذلك كلام ياتى انشاءالله تعالى .

١١- عليٌّ [عن أبيه]، عن عليِّ بن محمّد القاساني، عن القاسم بن محمّد، عن سليمان بن داود المنقري، عن عبد الرّزّاق بن همّام، عن معمر بن راشد، عن الزُّهري، عن محمّد بن مسلم بن شهاب قال: سئل عليٌّ بن الحسين عليهما السلام أيّ الأعمال أفضل عند الله عزّ وجلّ؟ فقال: ما من عمل بعد معرفة الله جلّ و عزّ و معرفة رسوله صلّى الله عليه وآله أفضل من بغض الدُّنيا و إنّ لذلك لشعباً كثيرة و للمعاصي شعباً، فأوّل ما عُصي الله به الكبر و هي معصية إبليس حين أبى و استكبر و كان من الكافرين، و الحرص و هي معصية آدم و حوّاء حين قال الله عزّ وجلّ لهما: «كلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشّجرة فتكونا من الظالمين» فأخذا مالا حاجة بهما إليه فدخل ذلك على ذرّيّتهما إلى يوم القيامة و ذلك أنّ أكثر ما يطلب ابن آدم مالا حاجة به إليه، ثمّ الحسد و هي معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله، فتشعّب من ذلك حبُّ النساء و حبُّ الدُّنيا و حبّ الرّئاسة و حبُّ الرّاحة و حبُّ الكلام و حبُّ

ترك الد نيا و تحريك لهم الى ترك الطباع و رسوم العادات و زجر لنفوسهم عن الفضول والمنهيات لتصفو بذلك عن الرذائل الناسوتية وتتصل بالحق و تشاهد الاسرار اللاهوتية وهو غاية مقصد الانسان و نهاية مطلب أهل العرفان.

قوله (و ان لذلك لشعباً كثيرة و للمعاصى شعباً) شعب الزهد اضداد شعب المعصية اعنى التواضع و هو ضد الكبر والقنوع و هو ضد الحرص والرضا بما آتاه الله و هو ضد الحسد والمذكورات من باب التمثيل والا فجنود العقل كلها شعب الزهد و جنود الجهل كلها شعب المعصية (والحرص و هى معصية آدم) قال الله تعالى «وعصى آدم ربه فغوى» قال من نزه الانبياء عن الذنوب: ان النهى عن تناول الشجرة نهى تنزيه لا تحريم فيكون التناول ترك أولى و أفضل. وأورد عليهم بأن اطلاق اسم العاصى على آدم بهذا الاعتبار يوجب أن يوصف الانبياء عليهم السلام بانهم عصاة اذ لايكاد انفكاكهم عن ارتكاب مثل هذا المعنى. واجيب بان اسم العاصى على آدم بهذا المعنى مجاز والمجاز لايقاس عليه ولايتعدى عن موضعه و على تقدير جواز القياس عليه بطلان الثانى ممنوع اذ لامحذور فى اطلاق اسم العاصى عليهم بهذا الاعتبار (فدخل ذلك) أى الحرص و أخذ مالاحاجة به (وذلك أن أكثر ما يطلب ابن آدم) انما قال أكثر لان قدر الكفاف لابد منه و تحصيله عبادة لاحتياج قوام البدن و فعل الطاعات عليه (فتشعب من ذلك) أى من ذلك المذكور وهو الكبر والحرص والحسد و تخصيص

العلوّ و الثروة ، فصرن سبع خصال ، فاجتمعن كلّهنّ في حبّ الدُّنيا ، فقال الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك : حبّ الدُّنيا رأس كلّ خطيئة، والدُّنيادنياءان دنيا بلاغ ودنيا ملعونة.

١٢ ـ عليٌّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن بكير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ في طلب الدُّنيا إضراراً بالاخرة و في طلب الاخرة إضراراً بالدُّنيا ، فأضرّوا بالدّنيا فإنّها أولى بالإضرار.

الاشارة بالحسد بعيد بحسب المعنى وان كان قريباً بحسب اللفظ (فصرن سبع خصال) أى فصارت شعب المعاصى المذكورة سبع خصال وهى حب النساء الى آخره (فاجتمعن) أى سبع خصال ، أوهى مع المعاصى المذكورة وهى الكبر والحرص والحسد (كلهن فى حب الدنيا) والظرفية باعتبار الاكثر والافحب الدنيا ليس فى حب الدنيا (فقال الانبياء والعلماء) المراد بهم الاوصياء أو الاعم (بعد معرفة ذلك) وهو أن المعاصي والخصال الذميمة كلها فى حب الدنيا و(حب الدنيا رأس كل خطيئة) هذا الكلام على سبيل الحقيقة دون المجاز والمبالغة لان كل خطيئة تابعة لحب الدنيا منبعثة منها لان الدنيا طريق الهوى وسبيل المنى الى الشهوات الحاضرة الخيالية واللذات العاجلة الاعتبارية التى منها الكبر والحرص والحسد و حب النساء و غيرها من الخصال المذكورة و غير المذكورة من متعلقات الهوى والمنى رسماً وعادة ، وهذه الامور لاتتحصل الا باستعمال القوة الشهوية الجالبة والقوة الغضبية الدافعة للموانع منها و يتولد منهما مفاسد كثيرة غير محصورة و من ههنا علم ان كل خطيئة تنبعث من حب الدنيا و تتفاوت باعتبار التفاوت فى حبها فمن ترك حبها صار خالصاً لمولاه و من احبها صار عبداً لدنياه ثم أشار الى أن الدنيا مطلقاً ليست بمذمومة بقوله (والدنيا دنياءان دنيا بلاغ) و هو قدر الكفاف من طريق الحلال و هذا القدر لابد لكل احد حتى الانبياء والاوصياء الذين غاية هممهم ترك الدنيا و التوجه الى المولى و هو المعين للبقاء و العبادة (و دنيا ملعونة) و هى الزائدة عن قدر الحاجة أو الحاصلة من طريق الحرام أو الداعية للنفس الى الطغيان و القلب الى العصيان و أهلها الى الخذلان و تعلق اللعن بها باعتبار تعلقه بأهلها او باعتبار انها بعيدة عن الخير.

قوله (ان فى طلب الدنيا اضراراً بالاخرة) لان توجه الظاهر والباطن اليها وصرف الفكر فيها وفى كيفية تحصيلها وحفظها وارسال القوة الشهوية والغضبية الى الجلب والدفع ينافى طلب الاخرة والتوجه اليها و يفهم منه أن المذموم من الدنيا مايضر بأمر الاخرة، و أما مالايضر به كقدر الحاجة فى البقاء والتعيش فليس بمذموم بل ممدوح .

١٣- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن أبي أيّوب الخزّاز، عن أبي عبيدة الحذّاء قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: حدّثني بما أنتفع به فقال: يا أباعبيدة أكثر ذكر الموت، فإنّه لم يكثر إنسانٌ ذكر الموت إلّا زهد في الدّنيا.

١٤ - عنه، عن عليّ بن الحكم، عن الحكم بن أيمن، عن داود الأبزاري قال: قال أبوجعفر عليه السلام: ملك ينادي كلّ يوم: إبن آدم! لد للموت، واجمع للفناء، وابن للخراب.

١٥- عنه، عن عليّ بن الحكم، عن عمر بن أبان، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما: إنّ الدّنيا قد ارتحلت مدبرة

قوله (أكثر ذكر الموت فانه لم يكثر انسان ذكر الموت الازهد فى الدنيا) لان اكثار ذكر الموت وما يلحق الانسان بعده مع قلب حاضر من أشد الجواذب عن الدنيا الى الله، وفيه تنفير عن محبة الدنيا للاشتغال بالعمل للاخرة وانما قلنا مع قلب حاضر لان أكثر أهل الدنيا يذكرون الموت ويمشون خلف الجنائز و يشاهدون مسكن الموتى ولا تتأثر قلوبهم لاشتغالها بامور الدنيا وتكدرها بفكر زهراتها حتى صارت مظلمة لايستقر فيها الحق و حقيقة الموت وما بعده وهكذا حال جميع العبادات فانها مالم تقترن بحضور القلب لايحصل منها الاثر المقصود وهو قرب الحق ومشاهدة جلاله والوصول الى حقيقة كمال الانسان.

قوله (قال أبوجعفر «ع» ملك ينادى كل يوم ابن آدم لد للموت و اجمع للفناء وابن للخراب) فى نهج البلاغة قال أمير المؤمنين «ع» «ان لله ملكاً ينادى فى كل يوم لدوا للموت واجمعوا للفنا وابنوا للخراب» قال شارحه ليست اللام فيها للغرض وانما هى للعاقبة نحو قوله تعالى «فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً».

قوله (قال على بن الحسين عليهما السلام: ان الدنيا قد ارتحلت مدبرة) رحل عن البلد وارتحل شخص وسار والمراد بادبار الدنيا تقضيها و انصرامها ففيه اشارة الى تقضى الاحوال الدنيوية الحاضرة بالنسبة الى كل احد من صحة وشباب وجاه ومال وكل ما هو سبب لصلاح حاله فى الدنيا فان كل ذلك اجزاء الدنيا لدنوها من الانسان ولما كانت هذه الامور دائماً فى التغير والتقضى المقتضى لمفارقة الانسان لها و بعدها عنه حسن اطلاق اسم الادبار على تقضيها و بعدها، و تشبيهها بالحيوان فى الادبار مكنية و اثبات الارتحال لها تخييلية، و نسبة الادبار اليها ترشيح، و أشار الى أن الاخرة على عكس ذلك بقوله (و أن الاخرة قد

و إنّ الاخرة قد ارتحلت مقبلة و لكلٍّ واحدة منهما بنونٌ فكونوا من أبناء الاخرة ولا تكونوا من أبناء الدّنيا [ألا] و كونوا من الزّاهدين في الدّنيا، الرّاغبين في الاخرة ، ألا إنّ الزّاهدين في الدّنيا اتّخذوا الأرض بساطاً والتراب فراشاً و الماء طيباً و قرّضوا من الدّنيا تقريضاً ، ألا ومن اشتاق إلى الجنّة سلا عن الشّهوات و

ارتحلت مقبلة) الاخرة عبارة عن دار جامعة لاحوال يعود اليها الناس بعد الموت من طاعة ومعصية و سعادة و شقاوة و غيرها ولما كان تقضى العمر شيئاً فشيئاً باعثاً للوصول الى تلك الدار والورود على مافيها من خير أوشر كان كل أحد متوجهاً اليها و اعتبر توجهها اليه أيضاً فشبهها بحيوان حامل لاثاث تلك الاحوال مقبلا اليه فعن قريب يتلاقيان « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» والى مضمون الفقرتين أشار أمير ـ المؤمنين «ع» بقوله «كل ماض فكان لم وكل آت فكان قد» أى كان لم يكن وكان قداتى حذف الفعلان لظهورهما (ولكل واحدة منهما بنون) استعار لفظ البنين للخلق بالنسبة الى الدنيا و الاخرة ولفظ الاب لهما ووجه الاستعارة ان الابن لماكان من شأنه الميل الى الاب بحسب الطبع أو بحسب توقع النفع ومن شأن أبيه ايصال المتوقع وكان الخلق منهم من يميل الى الدنيا لتوقع النفع وهى يوصله اليه ومنهم من يميل الى الاخرة لذلك شبه الخلق بالابن و الدنيا و الاخرة بالاب و استعار لفظ الابن لهم ولفظ الاب لهما لتلك المشابهة المذكورة ولما كان غرضه حث الخلق على الاخرة والميل اليها والاعراض عن الدنيا قال (فكونوا من أبناء الاخرة ولاتكونوا من أبناء الدنيا) لان منافع الدنيا خيالية باطلة و سموم قاتلة و منافع الاخرة حقائق دائمة و فوائد باقية أبداً فينبغى أن تكونوا والهين اليها و راغبين فيها و عاملين لها و أشار الى أن المقصود ليس مجرد رفض الدنيا و ترك العمل لها بل هو مع ازالة حبها عن القلب بقوله:

(و كونوا من الزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الاخرة) لان الزهد هو رفض الدنيا ظاهرا و باطناً ولايتحقق الرغبة فى الاخرة الا به فأشار الى بعض آثار الزهد و علاماته بقوله (ألا ان الزاهدين فى الدنيا اتخذوا الارض بساطاً والتراب فراشاً والماء طيباً و قرضوا من الدنيا تقريضاً) البساط فعال بمعنى مفعول كالكتاب بمعنى المكتوب و الفراش بمعنى المفروش والطيب اللذيذ أوالعطر والتقريض بمعنى التقطيع و ازالة الاتصال من قرضت الثوب اذا قطعته بالمقراض، أو بمعنى التجاوز من قرضت الوادى اذاجزته أو بمعنى العدول من قرضت المكان اذاعدلت عنه ، وبعض أطوار الزاهد ماأشار اليه أمير المؤمنين «ع» فى وصف عيسي على نبينا و عليه الصلوة والسلام بقوله «فلقد كان يتوسد الحجر و يلبس الخشن ، و

من أشفق من النّار رجع عن المحرّمات، ومن زهد في الدّنيا هانت عليه المصائب، ألا إنّ لله عباداً كمن رأى أهل الجنّة في الجنّة مخلّدين و كمن رأى أهل النّار في النّار معذّبين ، شرورهم مأمونة و قلوبهم محزونة ، أنفسهم عفيفة ، حوائجهم خفيفة ، صبروا أيّاماً قليلة فصاروا بعقبى راحة طويلة ، أمّا اللّيل فصافّون أقدامهم

كان ادامه الجوع، و سراجه بالليل القمر، و ظلاله فى الشتاء مشارق الارض، و فاكهته و ريحانه ما تنبت الارض للبهائم ، و لم تكن له زوجة تفتنه، ولا ولد يحزنه، ولا مال يلفته، ولاطمع يذله، دابته رجلاه، وخادمه يداه» قوله «وكان ادامه الجوع» وجهه قيام بدنه بالجوع كقيامه بالادام. وقوله «ظلاله ـ الى آخره» وجهه استتاره عن البرد بها كاستتاره بالظلال (ألا و من اشتاق الى الجنة سلاعن الشهوات) أى نسيها و منع نفسه منها (و من أشفق من النار رجع عن الحرمات) جمع الحرمة كالغرفات جمع الغرفة، و ذلك لان الاشتياق الى الشىء يستلزم التوسل بسببه والاشفاق من الشىء يستلزم التحرز من سببه (ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصائب) لان المصائب الدنيوية كلها راجعة الى فوات الدنيا و من زهد فيها سهل فواتها عنده ولايحزن به .

(ألا ان لله عباداً كمن رأى أهل الجنة فى الجنة مخلدين و كمن رأى أهل النار فى النار معذبين) اشار به الى أن العارف و ان كان فى الدنيا بجسده فهو فى مشاهدة بعين بصيرته لاحوال الجنة و سعادتها و أحوال النار و شقاوتها كالذين شاهدوا الجنة بعين حسهم و تنعموا فيها و كالذين شاهدوا النار و عذبوا فيها كمامر فى حديث حارثة وهى مرتبة عين اليقين وبحسب هذه المرتبة كانت شدة شوقهم الى الجنة وشدة خوفهم من النار.

و أشار الى بعض أحوال هؤلاء بقوله (شرورهم مأمونة) لان علمهم بقبح عاقبة الشر يمنعهم عن القصد له والتوجه اليه ولان مبدأ الشر محبة الدنيا وهم بمعزل عنها.

(و قلوبهم محزونة) من احتمال تقصيرهم فيما مضى أوفيما يأتى و عدم علمهم بعاقبة امورهم و بما يفعل بهم فى الدنيا والاخرة، وخوفهم من ألم الفراق و العقبات المستقبلة ولا يسكن حزنهم ولاتطمئن قلوبهم حتى يخرجوا من الدنيا.

(أنفسهم عفيفة) لاعتدال قوتهم الشهوية ووقوعها على الوسط بين رذيلتى الخمود و الفجور فلايعجزون عن الحق ولايميلون الى الفجور (حوائجهم خفيفة) لاقتصارهم فى الدنيا على القدر الضرورى منها (صبروا أياماً قليلة فصاروا بعقبى راحة طويلة) اريد بأيام قليلة مدة عمرهم وهم صبروا فيها على المكاره والشدائد و ترك الدنيا و احتمال أذى الخلق و القيام بالتكاليف، وفى ذكر قلة مدة الصبر و استعقابه للراحة الطويلة ترغيب فى الصبر لان

تجري دموعهم على خدودهم وهم يجأرون إلى ربّهم ، يسعون في فكاك رقابهم. وأمّا النّهار فحلماء ، علماء ، بررة ، أتقياء ، كأنّهم القداح قد براهم الخوف من العبادة ينظر إليهم الناظر فيقول : مرضى - و ما بالقوم من مرض - أم خولطوا فقد خالط القوم أمرٌ عظيم، من ذكر النار وما فيها.

تحمل مشقة كثيرة فى مدة قليلة لمنفعة جزيلة وراحة طويلة أبدية سهل وتلك الراحة هى السعادة فى الجنة كما قال جل و عز « وجزاهم بماصبروا جنة وحريراً » .

(أما الليل فصافون أقدامهم تجرى دموعهم على خدودهم وهم يجأرون الى ربهم يسعون فى فكاك رقابهم) جأر كمنع رفع صوته بالدعاء و تضرع و استغاث، و فيه اشارة الى كمالهم فى القوة العملية بارتكاب العبادات والتضرع والاستغاثة الى الله والخوف منه والترقب بماعنده من الكرامة والعفو عن التقصير، و ذكر الليل لان العبادة فيه أشق و أقرب الى القربة والقلب فيه أفزع. (و أما النهار فحلماء علماء بررة أتقياء كأنهم القداح، قد براهم الخوف من العبادة) أما النهار عطف على أما الليل و كلاهما يجوز فيه الرفع على الابتداء والنصب على الظرفية. والحلم فضيلة تحت ملكة الشجاعة وهى الوسط بين رذيلتى المهابة والافراط فى الغضب. والعلم اشارة الى كمالهم فى القوة النظرية بالعلم النظرى و الشرعى و هو معرفة الصانع وصفاته وأحكامه الشرعية. والبر بالفتح والبار الصادق أوالتقى وهو خلاف الفاجر و جمع الاول أبرار وجمع الثانى بررة مثل كافر وكفرة وفاسق وفسقة والمعنى أنهم خائفون من الله تعالى وتاركون جميع القبايح البدنية والنفسانية، وأشار الى ثمرة خوفهم بقوله: «كانهم القداح» وهى بالكسر جمع القدح بالكسر والتسكين وهو السهم قبل أن يراش ويركب عليه نصله وأشار الى وجه الشبه بقوله «قدبراهم الخوف من العبادة» و براهم بفتح الباء وتخفيف الراء مثل هداهم من البرى «وهو تراشيدن تير» يعنى قدبراهم الخوف كبرى القداح فى النحافة والدقة وانما يفعل الخوف ذلك لاشتغال النفس المدبرة للبدن بسبب الخوف عن النظر فى صلاح البدن ووقوف القوة الشهوية والغاذية عن أداء بدل مايتحلل.

(ينظر اليهم الناظر) من أهل الدنيا الذى طوره غير طورهم (فيقول مرضى) أى هم مرضى نظراً الى نحافة أجسامهم (وما بالقوم من مرض أم خولطوا) أى اختلت عقولهم نظراً الى تكلمهم بكلام خارج عن دركه (فقد خالط القوم أمر عظيم) وهو الخوف من ذكر النار و مافيها وفيه اشارة الى مايعرض لبعض العارفين عند ذكر النار وما فيها واتصال نفسه بالملاء الاعلى، واشتغاله عن تدبير البدن وضبط حركاته وسكناته على نحو حركات أهل الدنيا و سكناتهم من نحول جسمه وتغير هيئته وتكلمه بكلام خارج عن طور كلامهم مستبشع عندهم فينبسه

١٦- عنه، عن عليّ بن الحكم، عن أبي عبدالله المؤمن، عن جابر قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقال: يا جابر والله إنّي لمحزون و إنّي لمشغول القلب، قلت: جعلت فداك وما شغلك؟ و ما حزن قلبك؟ فقال: ياجابر إنّه من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغل قلبه عمّا سواه، ياجابر ما الدّنيا وما عسى أن تكون الدّنيا هل هي إلاّ طعامٌ أكلته أوثوبٌ لبسته أو امرأة أصبتها؟! يا جابر إنّ المؤمنين لم يطمئنّوا إلى الدّنيا ببقائهم فيها، و لم يأمنوا قدومهم الآخرة، يا جابر الآخرة

الناظر منهم تارة الى المرض الجسمانى و تارة الى المرض الروحانى وهو اختلاط العقل و اختلاله بالجنون فقال «ع» امـا المرض فممتنف، و أما المخالطة فمتحققة لكن لا بالجنون و نقصان العقل كما توهموا، بل الخوف و الذكر والاتصال. و هىدواء للنفس يشفيها من جميع الامراض المهلكة.

قوله (انه من دخل قلبه صافى خالص دين الله شغل قلبه عماسواه) لعل المراد بالخالص الايمان الحقيقى واليقين بالله واضافة الصافى اليه اما بيانية أو لامية بأن يراد بالصافى التقرب منه تعالى وحب لقائه ولقاء الاخرة، هذا وجه لشغل قلبه الشريف عما سواه، و أماوجه حزنه فلعله أن الانسان و ان طى مقامات السير ووصل الى الحق وقرب منه لكـنه مادام فى هذه الدار لايخلو من بعد فى الجملة، وانما يحصل القرب التام والوصول الكامل بعد المفارقة منها فالعارف فى هذه الدار دائماً فى شغل عماذكر و حزن لفقد هذا الكمال الذى لايتأتى الا بالموت و لذلك قال على «ع» حين ضرب «فزت برب الكعبة» ثم أشار الى ذم الدنيا وترك محبتها على وجه يشعر بتحقيرها بقوله:

(يا جابر ماالدنيا وما عسى أن تكون الدنيا هل هى الا طعام اكلته، أو ثوب لبسته. أو امرأة أصبتها) للتنبيه على ان جل منافع الدنيا هذه الامور وهى منصرمة منقضية لابقـاء لها. والعاقل لايحب ولايركن الى ماهوفى معرض الفناء والزوال سريعاً، ثم أشار الى أن المؤمنين السابقين لم يركنوا الى الدنيا ولم يطمئنوا ببقائهم فيها خوفاً من أمر الاخـرة و قدومهم اليها بقوله (يا جابران المؤمنين لم يطمئنوا الى الدنيا ببقائهم فيها و لم يأمنـوا قدومهم الاخرة) بل تركوا الدنيا و خافوا قدومهم الاخرة و المراد بالمؤمنين المؤمنون الكاملون وهم الكرمـاء والمتورعون فى مكاسبهم الملازمون فيها للاعمال الجميلة الصـالحة والاخلاق الفضيلة الكاملة وأداء الحقوق النفسية و البدنية البالغون بذلك الى أعلى مراتب

دار قرار والدّنيا دار فناء وزوال ولكن أهل الدّنيا أهل غفلة و كأنّ المؤمنين هم الفقهاءأهل فكرة وعبرة ، لم يُصمّهم عن ذكرالله جلّ اسمه ماسمعوا بآذانهم و لم يُعمهم عن ذكرالله مارأوا من الزّينة بأعينهم ففازوا بثواب الاخرة، كما فازوابذلك العلم، واعلم ياجابر أنّ أهل التقوى أيسر أهل الدّنيا مؤونة و أكثرهم لك معونة، تذكر فيعينونك وإن نسيت ذكّروك، قوّالون بأمرالله قوّامون على أمرالله ، قطعوا

المحبة وأقصى معارج اليقين ، ثم بالغ فى الحث على الزهد فى الدنيا بقوله:

(يا جابر الاخرة دار قرار والدنيا دار فناء وزوال و لكن أهل الدنيا أهل غفلة) للتنبيه على أنه لاينبغى ايثار الفانى على الباقى ولكن أهل الدنيا لماكانوا جاهلين بقبائح الدنيا غافلين عن امر الاخرة و اختاروا الزائل ترجيحاً للشاهد على الغائب و هو محل التعجب ولذلك قال أميرالمؤمنين «ع» «عجبت لعامردار الفناء و تارك دارالبقاء» ثم أشار الى أن كمال الايمان والزهد فى الدنيا يتحققان بالفقه والفكرة والعبرة بقوله:

(وكأن المؤمنين هم الفقهاء أهل فكرة و عبرة لم يصمهم عن ذكرالله جل اسمه ما سمعوا بآذانهم) من اخبار بسطة أيدى السابقين والقاصين وكثرة أموالهم وشدة تمكنهم من الدنيا (ولم يعمهم عن ذكرالله ما رأوا) فى أهل الدنيا ـ

(من الزينة بأعينهم ففازوا) لترك الدنيا (بثواب الاخرة كما فازوا بذلك العلم) اذ بتفقههم يعرفون الخير والشر ويميزون بين الحق والباطل وبين الباقى والزائل و بفكرتهم يتفكرون فى أحوال ما بعدالموت الى أن يدخل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار، وفى أهوال مايرد عليه الانسان بعده من المقامات و صعوبة التخلص منها و بالعبرة يعتبرون بأنفسهم فى كيفية وصول الرزق اليهم حين كونهم أجنة فى بطون امهاتهم من غير اختيار ولا عمل لهم، و بأحوال الماضين و ما كانوا فيه من نعيم الدنيا ولذاتها و المباهات بكثرة الاموال و الاعوان ، ثم المفارقة لذلك كله بالموت أو الاخذ ، وبقاء الحسرة والندامة والاعمال وعلائق الدنيا حجباً حائلة بينهم و بين الرحمة و حضرة جلال الله و ذلك يبعثهم على الزهد فى الدنيا والاقبال ظاهراً و باطناً الى الله تعالى والسعى للاخرة رحم الله من تفقه وتفكر واعتبر فابصر، ثم أشار الى جملة من حالات الزاهدين و صفات المتقين بقوله :

(يا جابر ان أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة) أى ثقلا لانهم لايتحملون من الدنيا الا القدر الضرورى فى التعيش و البقاء (و أكثرهم لك معونة) لانهم مستعدون لاعانة المحتاجين فى امور الدنيا والدين سألوا أم لا كما أشار اليه بقوله (تذكر) أى حاجتك ، (فيعينونك) فيها (وان نسيت ذكروك) و أرشدوك اليها والي طريق قضائها ، ثم يعينونك مع

محبّتهم بمحبّة ربّهم ووحشوا الدّنيا لطاعة مليكهم و نظروا إلى الله عزّوجلّ و إلى محبّته بقلوبهم و علموا أنّ ذلك هوالمنظور إليه، لعظيم شأنه. فانزل الدّنيا كمنزل نزلته ثمّ ارتحلت عنه، أو كمال وجدته في منامك فاستيقظت و ليس معك

الحاجة الى الاعانة (قوالون بأمرالله) لان شأنهم ارشادهم و هدايتهم للخلق الى ما فيه صلاحهم و زجرهم عمافيه فسادهم (قوامون على أمرالله) يحفظونه من الزيادة والنقصان و يمنعون عنه تصرف أهل الجهل والطغيان فهو بعنايتهم ينتظم و يقوم و بحمايتهم يستقيم و يدوم (قطعوا محبتهم بمحبة ربهم) أى قطعوا محبتهم عن جميع الاشياء و اختاروا محبة ربهم ، أو تركوا ما يحبونه و عملوا بما يحبه ربهم.

(و وحشوا الدنيا لطاعة مليكهم) أى انقطعوا عن الدنيا و فروامنها ولم يستأنسوا بها لان يطيعوا مالكهم فيما أراد منهم من ترك الدنيا أو الاعم منه ومن ترك جميع الشرور و فعل جميع الخيرات بقلب فارغ عن غيره (و نظروا الى الله عزوجل والى محبته بقلوبهم) بقلوبهم متعلق بنظروا وانما أخرها مع أن النظر مسندإليها فى الحقيقة اما للاهتمام بالمقدم أو لقصد الحصر أى نظروا ببصيرة قلوبهم الى الله والى محبته لا الى غيرهما والاخير أنسب بقوله (و علموا أن ذلك) أى ذلك المذكور و هوالله و محبته والاشارة للتعظيم .

(هو المنظور اليه لعظيم شأنه) أى هو الذى ينبغى أن ينظر اليه لاالى غيره لعظمة شأنه و حقارة ماسواه ، ثم خاطب جابراً وكل من يصلح للخطاب وزهده فى الدنيا بتمثيل بليغ بقبح حال الدنيا و صاحبها فقال (فأنزل الدنيا كمنزل نزلته) فى سفرك (ثم ارتحلت عنه، أوكمال وجدته فى منامك) مثل مال وجاه وامرأة جميلة(١).

(فاستيقظت وليس معك منه شيء) شبه الدنيا بذلك المنزل فى قلة زمان الكون فيه و شبه متاعها بذلك الكمال (١) فى عدم الاعتناء به وعدم كونه كما لا فى الحقيقة لسرعة زواله بنفسه أو بالموت الشبيه بالاستيقاظ فلا يكون معك منه شيء كما لا يكون مع المستقيظ من ذلك الكمال شيء. ويظهر منه سر قول أميرالمؤمنين « ع » «الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا » و العاقل اللبيب اذا نظر الى الدنيا بعين البصيرة و وجدها متصفة بالصفات المذكورة زال عنه حبها. قال الشاعر موافقاً لهذا التمثيل:

نزلنا ههنا ثم ارتحلنا ... كذا الدنيا نزول و ارتحال
أردنا أن نقيم بها ولكن ... مقام المرء فى الدنيا محال

و قال بعض أكابر الشيعة : «والله لوكانت الدنيا بأجمعها تبقى علينا و يأتى رزقها رغداً ماكان من حق حر أن يذل لها فكيف وهى متاع يضمحل غداً» ثم أشار الى تمثيل آخر

---

(١) كمال حرف الجر دخلت على كلمة مال لامن كمل كما توهمه (ش).

منه شيء، إنّي [إنّما] ضربت لك هذا مثلاً ، لأنّها عند أهل اللّبّ و العلم بالله كفيء الظلال، يا جابر ! فاحفظ ما استرعاك الله جلّ و عزّ من دينه و حكمته ولا تسألنّ عمّا لك عنده إلّا ماله عند نفسك، فإن تكن الدّنيا على غير ما وصفت لك فتحوّل

أبلغ وأظهر بقوله (انى انما ضربت لك هذا مثلا لانها عند أهل اللب والعلم بالله كفىء الظلال) فى سرعة الزوال، أو فى أنه ليس بشىء حقيقة، أو فى الاستظلال به قليلا ثم الارتحال عنه ، أوفى أنه يرى ساكناً وهو يزول بالتدريج آناً فآناً والدنيا كذلك «والظلال» جمع الظل و هو والفىء بمعنى واحد عند كثير من الناس، و قال ابن قتيبة و ليس كذلك بل الظل يكون غدوة و عشية والفىء لايكون الا بعد الزوال فلايقال لما قبل الزوال فىء و انما سمى بعد الزوال فيئاً لانه ظل فاء عن جانب المغرب الى جانب المشرق، والفىء الرجوع. وقال ابن السكيت الظل من الطلوع الى الزوال والفىء من الزوال الى الغروب، وقال ثعلب الظل للشجرة وغيرها للغداة والفىء بالعشاء ، و قال رؤبة بن العجاج كلما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو ظل وفىء و مالم تكن عليه الشمس فهو ظل و من هنا قيل الشمس تنسخ الظل والفىء ينسخ الشمس.

(يا جابر فاحفظ ما استرعاك الله عزوجل من دينه و حكمته) وهى العلم بالشرائع والمراد بحفظه حفظه عن الضياع والعمل به وتعليمه لمن هو أهل له .

(ولا تسألن عمالك عنده) من الحقوق مثل الرزق و غيره لانه لايترك ما للعبد عليه و ما ورد من الحث على الدعاء لطلب الرزق فهو لكون الدعاء عبادة ، أو للتوسعة ، أو لغير ذلك مما يجىء تفصيله فى كتاب الدعاء ان شاء الله تعالى.

(الا ماله عند نفسك) من الطاعة والتسليم والزهد فى الدنيا فانك تحتاج الى السؤال عنه وطلب المدد والاعانة والتوفيق منه تعالى والاستثناء من الموصول و ظاهره الانقطاع لان الحقين متغايران لايصدق أحدهما على الاخر و يمكن ارجاعه الى الاتصال لان ماله عند نفسك فهو لك فى الحقيقة و ثمرته راجعة اليك لانه أجل من أن يحتاج الى شىء و يعود اليه فوائد من العباد والله أعلم.

(فان تكن الدنيا على غير ما وصفت لك فتحول الى دار المستعتب) هذا من الغريب و حقيقته غير معلومة لنا ، ولكن نقول على سبيل الاحتمال : لاريب فى اتصاف الدنيا بالاوصاف المذكورة والناس فيه ثلاثة أقسام لان من اعتقد باتصافها بها وجب عليه الزهد فيها عملا بمقتضى علمه ومن اعتقد بعدم الاتصاف أولم يعتقد بالاتصاف ولا بعدمه فليتحول اليها ليعلم شدائدها و انقلابها على أهلها و اتصافها بما ذكر بالتجربة والامتحان والشرط المذكور شامل للاخيرين والمستعتب بالكسر من يطلب الرضا بازالة ما عوتب عليه و خوطب بالسخط،

إلى دار المستعتب ، فلعمري لربّ حريص على أمر قدشقى به حين أتاه ولرُبّ كاره لأمر قد سعد به حين أتاه ، و ذلك قول الله عزّ وجلّ : « وليمحّص الله الّذين آمنوا و يمحق الكافرين ».

١٧- عنه ، عن عليّ بن الحكم ، عن موسى بن بكر ، عن أبي إبراهيم عليه السلام قال : قال أبوذرّ رحمه الله جزى الله الدّنيا عنّي مذمّة بعد رغيفين من الشعير أتغذّي بأحدهما و أتعشّي بالاخر و بعد شملتي الصوف أتّزر بإحديهما و أتردّى بالاُخرى.

١٨ - و عنه ، عن عليّ بن الحكم ، عن المثنّي ، عن أبي بصير ، عن أبي-

---

و انما قال « فتحول الى دار المستعتب » و لم يقل فتحول اليها للاشعار بأن كل أهل الدنيا والمائل اليهامستعتب يوم القيمة و نادم على ماكان عليه و طالب للعفو والرضاولكن لاينفعه ذلك كما ورد « مابعدالموت من مستعتب »

(فلعمرى لرب حريص على أمر قدشقى به حين أتاه و لرب كاره لامر قدسعد بهحين أتاه) كما قال جل شأنه « و عسى أن تكرهوا شيئاً و هو خير لكم و عسى أن تحبوا شيئاً و هوشر لكم » اذ ما من شيء الاوله جهات متعددة فربما يدرك أحد حسن جهة فيطلبه و هو غافل عن قبح جهات اخر ، أوعنقبح عاقبةتلك الجهة وربما يدرك قبح جهة فيكرهه و هو غافل عن حسن جهات اخر ، أو عن حسن عاقبة تلك الجهة.

(و ذلكقول اللهعزوجلوليمحص الله الذين آمنواويمحق الكافرين) أى كونمكروهالدنيا سعادة و مرغوبها شقاوة أو حصول السعادة بالمكروهات و حصول الشقاوة بالمرغوبات مضمون هذا القول الكريم، فان تمحيص المؤمن انما يكون بورود مكاره النفوس و مايثقل عليها ليخرج من بوتقة الامتحان خالصاً صافياً سعيداً وترك التمحيص فى الحريص يوجب محقه و فساده و امتداده فى الغى والطغيان فالتمحيص فى المؤمن لطف و احسانوتركهفى الحريص محق و خذلان.

قوله (قال أبوذر-ره- جزى الله الدنيا عنى مذمة بعد رغيفين من الشعير) أشار الى أن غير ماذكره من الدنيا عنده مذموم وأحال ذمه الىالله تعالى نيابة عنه للدلالة على كمال ذمهلان كل فعل من الفاعل القوىقوى بالغ حدالكمال ، وأماماذكره فغيرمذموملان كل شخص يحتاج فىبقائهالى الغذاء واللباس ليكون بدلا عما يتحلل و يحفظه عن الحر والبرد و ما ذكره و ارتضاه لنفسه هو أقل المراتب منهما وبالجملة حث به على ترك الدنيا الا الضرورة منها.

عبدالله عليه السلام قال : كان أبوذرّ رضي الله عنه يقول في خطبته : يا مبتغي العلم كأنّ شيئاً من الدّنيا لم يكن شيئاً الا ما ينفع خيره و يضرّ شرّه إلاّ من رحم الله ، يا مبتغي العلم لايشغلك أهلٌ ولامالٌ عن نفسك ، أنت يوم تفارقهم كضيف بتّ فيهم ثمّ غدوت عنهم إلى غيرهم ، و الدّنيا و الاخرة كمنزل تحوّلت منه إلى غيره و ما بين الموت و البعث إلاّ كنومة نمتها ثمّ استيقظت منها ، يا مبتغي العلم قدّم لمقامك بين يدي الله عزّوجلّ ، فإنّك مثاب بعملك كما تدين تدان يامبتغي العلم.

١٩ ـ عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن القاسم بن يحيى ، عن جدّه الحسن بن راشد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مالي و للدّنيا

قوله (يا مبتغى العلم كان شيئاً من الدنيا لم يكن شيئاً) خاطب طالب العلم و علمه ماهو خيرله و هو الزهد فى الدنيا ورغبه فيه بقوله (الا ماينفع خيره ويضر شره الا من رحم الله) الظاهر أن «الا» حرف تنبيه ومانافية والضمير البارز راجع الى شيئاً والجملة بيان لما قبلها يعنى أن شيئاً من الدنيا ليس شيئاً يعتد به ويركن اليه العاقل لانه اما خير أو شر و خيره لاينفع لانه فى معرض الفناء والزوال و شره يضر الا من رحم الله و هو الذى عصمه من الشر وفيه زجر عن التعرض لشىء منها وانما قال من الدنيا ولم يقل فى الدنيا لان فى الدنيا شىء يعتدبه اذاكان متعلقاً بالاخرة فخيره يطلب وشره يترك ولما كان سبب الغفلة فى الاكثر هو الاشتغال بالاهل والمال وصرف العمر فى رعايتهما وحفظهما نهى عن ذلك بقوله (يا مبتغى العلم لايشغلك أهل ولامال عن نفسك) أى عن تحصيل ماينفعك فى يوم لاينفع مال ولابنون كما قال جل شأنه «يا أيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولاأولادكم عن ذكرالله و من يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون» ثم رغب فى تركها وحكم بأنه سهل لقلة زمانها بقوله (أنت يوم تفارقهم كضيف بت فيهم ثم غدوت عنهم الى غيرهم) التشبيه بالضيف فى قلة الاقامة وقرب الرحيل وفيه مع مايليه تنبيه على سرعة الانتقال والنزول فى الاخرة ومشاهدة أهوالها وكراماتها وتحريض على تحمل المشاق فيها وتحصيل زادالاخرة.

(يا مبتغى العلم قدم لمقامك بين يدى الله عزوجل) أى قدم العمل والعمل متوقف على العلم و لذلك خاطب مبتغيه بذلك ، و فى قوله « كما تدين تدان» تنبيه على وجوب حسن المعاملة مع الرب اذاكان حسن جزائه بقدر حسن المعاملة معه وقبحه بقدر قبحها. ويؤيده ماروى «وكما تزرع تحصد» لفظ الزرع مستعار لمايفعله الانسان من خير أوشر ، ولفظ الحصد لمايثمر ذلك الفعل من ثواب أوعقاب، ووجه الاستعارتين ظاهر.

قوله (قال رسول الله «ص» مالى وللدنيا وما أنا والدنيا) ومن طريق العامة روى

وما أنا والدّنيا إنّما مثلي ومثلها كمثل الرّاكب رُفعت له شجرة في يوم صائف فقال تحتها ثمّ راح و تركها.

٢٠- عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يحيى بن عقبة الأزدي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أبوجعفر عليه السلام : مثل الحريص على الدّنيا كمثل دودة القزّ، كلّما ازدادت على نفسها لفّاً كان أبعد لها من الخروج حتّى تموت غمّاً، قال: وقال أبوعبدالله عليه السلام : كان فيما وعظ به لقمان ابنه : يا بنيّ إنّ النّاس قد جمعوا قبلك لأولادهم فلم يبق ما جمعوا ولم يبق من جمعوا له، و إنّما أنت عبد مستأجر قد اُمرت بعمل و وُعدت عليه أجراً فأوف عملك و استوف أجرك ولا تكن في هذه الدنيا

عن ابن مسعود أن رسول الله «ص» نام على حصير فقام وقد أثر فى جسده فقالوا لو أمرتنا أن نبسط لك و نعمل فقال «مالى وللدنيا وما أنا والدنيا الاكراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها» وهذا من التشبيه التمثيلى ووجه التشبيه سرعة الرحيل وقلة المكث و عدم الرضا به فقد أشار «ع» الى انه على بصيرة من نفسه ويقين من سرعة النزول فى الاخرة و مشتاق الى لقاء الله و حسن ثوابه والكرامة الابدية المعدة للزاهدين لا الى الدنيا وزهراتها . والصائف الحار . والقيلولة النوم قبل الزوال .

قوله (مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز) هذا تشبيه تمثيلى فى غاية الحسن واللطف و وجه التشبيه هو أن الدودة تفعل فعلا فيه هلاكها و نفع غيرها وهى لا تعلم و كذلك الحريص على الدنيا.

قوله (كان فيما وعظ به لقمان ابنه يا بنى ان الناس قد جمعوا قبلك لاولادهم فلم يبق ما جمعوا ولم يبق من جمعوا له) فيه تزهيد فى صرف العمر فى الفانى للفانى كما أن فى قوله (و انما أنت عبد مستأجر- الى آخره) ترغيب فى صرفه فى الباقى للباقى والتشبيه بالمستأجر تمثيل للمعقول بالمحسوس فكما أن الاجير لا يستحق الاجرة بدون العمل كذلك أنت لا تستحق الثواب بدون العمل له ، ويقرب منه ماروى عن أمير المؤمنين «ع» أنه قال «الناس فى الدنيا عاملان عامل للدنيا فى الدنيا قد شغلته دنياه عن آخرته. يخشى على من يخاف الفقر و يأمنه على نفسه فيفنى عمره فى منفعة غيره ، وعامل عمل فى الدنيا لما بعدها فجاءه الذى له من الدنيا بغير عمل فأحرز الحظين معاً وملك الدارين جميعاً ، فأصبح وجيها عند الله لا يسأل الله حاجة شيئاً ثم أشار الى ان الحرص فى الدنيا مهلك بقوله :

(ولا تكن فى هذه الدنيا بمنزلة شاة) هذا أيضاً تشبيه تميثلى وفيه تزهيد فى تناول زهرات الدنيا و مطعوماتها الشهية و كثرة الاكل منها فان ذلك موجب لقوة النفس الامارة وطغيانها

بمنزلة شاة وقعت في زرع أخضر فأكلت حتّى سمنت فكان حتفها عند سمنها و لكن اجعل الدّنيا بمنزلة قنطرة على نهر جُزت عليها و تركتها ولم ترجع إليها آخر الدّهر، أخربها ولاتعمرها . فإنّك لم تؤمر بعمارتها، واعلم أنّك ستُسأل غداً إذا وقفت بين يدي الله عزّوجلّ عن أربع : شبابك فيما أبليته و عمرك فيما أفنيته و مالك ممّا اكتسبته و فيما أنفقته ، فتأهّب لذلك و أعدّ له جواباً ، ولا تأس على مافاتك من الدّنيا ، فإنّ قليل الدّنيا لايدوم بقاؤه و كثيرها لايؤمن بلاؤه ، فخذ حذرك ، وجدّ في أمرك و اكشف الغطاء عن وجهك و تعرّض لمعروف ربّك وجدّد

و سبب لهلاكها ثم أمر بعدم الركون الى الدنيا والاستقرار فيها للجمع والادخار بقوله:

(ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر) هذا أيضاً تمثيل ووجهه ظاهر اذ كل عاقل يعلم أن الدنيا محل العبور لامحل النزول كالقنطرة فانظر هل ترى فيها من السابقين أحداً، ثم أمر برفض كل مالايحتاج اليه بقوله:

(اخربها ولاتعمرها فانك لم تؤمر بعمارتها) لعل المراد باخرابها ترك مالايحتاج اليه من المطاعم والمشارب والملابس والمساكن والمناكح والاقتصار على القدر الضرورى فى كل منها. اذلابد للسالك من زاد للدنيا و زاد للاخرة فزاد الدنيا القدر الضرورى مما ذكر وكلما كان أقل فهوأحسن وأفضل وزاد الاخرة العلم والعمل وتهذيب الظاهر و الباطن وهو كلماكان اتم وأكثر كان أحسن وأجدر. وفى قوله:

(و اعلم انك ستسال غداً) ترغيب فى صرف قوة الشباب و العمر فى طلب الدين و العمل به واكتساب المال من طرق الحلال وانفاقه فى الوجوه المشروعة وارشاد الى التأهب والاستعداد للجواب ومراقبة النفس ومحاسبتها فى كل آن لئلايقع فى هاوية النقصان والخذلان.

(ولاتأس على ما فاتك من الدنيا - الى آخره) و فيه ترغيب فى تطهير القلب عن حب الدنيا أى لاتحزن على مافاتك من قليل الدنيا وكثيرها.

(فان قليل الدنيا لايدوم بقاؤه) والعاقل لايتأسف بفوات قليل لا بقاء له (و كثيرها لا يؤمن بلاؤه)والعاقل لايتأسف أيضاً بفوات مايوقعه فى الضرر والبلية (فخذحذرك) الحذر «تهيئة كار» ولعل المراد به تجهيز أمر الاخرة بتطهير الظاهر والباطن (وجد فى أمرك) لعل المراد به تحلية الظاهر والباطن بالاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة.

(و اكشف الغطاء عن وجهك) أى عن وجه قلبك. وغطاؤه ما يحجبه عن مشاهدة المعبود و ملاحظة المقصود و يمنعه من الوصول اليه والتقرب منه من مفاسد العقائد و مقابح الاعمال والاخلاق، وكشفه رفعه الموجب لمشاهدة جلاله وكماله والاتصال به اتصالا روحانياً.

التوبة في قلبك و اكمش في فراغك قبل أن يُقصد قصدك و يقضى قضاؤك و يحال بينك و بين ماتريد.

٢١- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن بعض أصحابه، عن ابن أبي يعفور قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: فيما ناجى الله عزّ وجلّ به موسى عليه السلام ياموسى لاتركن إلى الدّنيا ركون الظالمين وركون من اتّخذها أباً و اُمّاً يا موسى لو وكلتك إلى نفسك لتنظر لها إذاً لغلب عليك حبّ الدُّنيا و زهرتها ، يا موسى نافس في الخير أهله و استبقهم إليه ، فإنّ الخير كاسمه و اترك من الدُّنيا مابك الغنى عنه ولاتنظرّ

(و تعرض لمعروف ربك) وهو ماأراد منك، أوأجره فى الاخره، او مايفضيه علىأهل العرفان (و جدد التوبة فىقلبك) اشارة الى أن التوبة أمر قلبى وهى الندامة عما مضى و العزم على عدم الاتيان بمثله، و الى رجحان تجديدالتوبة بعدالتوبةلان السالك لابدأن يكون فى ندامة بعد ندامة دائماً (و اكمش فى فراغك) أى عجل و أسرع ، أو تشمر وجد فى فراغك عما يوجب الغر والخذلان لمايوجب العز والاحسان.

(قبل ان يقصد قصدك) أى نحوك يقال قصدت قصده أى نحوه (و يقضى قضاؤك) أى موتك ، أوسوء خاتمتك.

(و يحال بينك و بين ما تريد) من التوبة والطاعات والاخلاق النافعة بعد الموتأو الرجعة الى الدنيا و تمنيها بعده لتحصيل ماينفع فى الاخرة عند مشاهدة كرامة الاولياءو شقاوة الاشقياء، أو تأخير الاجل عندالاحتضار فتقول «رب لولا أخرتنى الى أجل قريب و فاصدق وأكن من الصالحين » والعاقل ينبغى أن يتصور أنه طلب الرجعة فرجع و يسعى فى طلب الخيراتفى كل زمان بقدر الامكان و يحفظ نفسهعن الغفلةوالنسيانوالله هو المستعان.

قوله (يا موسى لاتركن الى الدنيا ركون الظالمين) اريد بالظالمين أهل الدنيا مثل سلاطين الجور و اتباعهم و من يحذو حذوهم فى الركون اليها.

(و ركون من اتخذها أباً واماً)، شبه الدنيا بالاب والام و أهلها بالاطفال فى الركون اليها والانس بها (يا موسى لووكلتك الى نفسك لتنظر لها) أراد بالنظر لها نظر ميل و ارادة واما النظر اليها نظرتفكر وعبرة فهو يوجب الاعراض عنها.

(يا موسى نافس فىالخير أهله) نافست فىالشىء منافسة ونفاساً اذارغبت فيه على وجه المبارات والمغالبة (و اترك من الدنيا مابك الغنىعنه) اماما لاغنى عنه من الضروريات اللائقة شرعاً وعقلا فلاينبغى تركه (ولا تغبطن أحداً برضىالناس عنه حتى تعلم أنالله راض عنه) دل على عدم جواز الغبطة فى أمر الدنيا الغير الضرورى و على جوازها فىأمرالدين

عينك إلى كلّ مفتون بها و موكّل إلى نفسه، و اعلم أنّ كلّ فتنة بدؤها حبّ الدنيا ولا تغبط أحداً بكثرة المال فانّ مع كثرة المال تكثر الذّنوب لواجب الحقوق ولا تغبطن أحداً برضى الناس عنه، حتّى تعلم أنّ الله راض عنه ولاتغبطنّ مخلوقاً بطاعة النّاس له ، فإنّ طاعة النّاس له، و اتّباعهم إيّاه على غير الحقّ هلاك له و لمن اتّبعه.

٢٢- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبدالله بن المغيرة ، عن غياث بن إبراهيم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ في كتاب عليّ صلوات الله عليه : إنّما مثل الدّنيا كمثل الحيّة ما أليَن مسّها و في جوفها السمّ الناقع، يحذرها الرّجل العاقل و يهوى إليها الصبيّ الجاهل.

٢٣- عليّ بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس، عن أبي جميلة قال :قال أبوعبدالله عليه السلام: كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى بعض أصحابه يعظه اوصيك ونفسي بتقوى

والغبطة أن تتمنى حال المغبوط من غير أن تريد زوالها عنه.

قوله (انما مثل الدنيا كمثل الحية ماألين مسها و فى جوفها السم الناقع) أى القاتل وهو من صيغ التعجب وفيه اشارة الى وجه التشبيه وهو اما متعدد أو مركب من متعدد و على التقديرين فى المشبه به حسى وفى المشبه عقلى والغرض من هذا التشبيه اما بيان حال المشبه و صفته أو تقبيحه فى نظر السامع ليتنفر طبعه عنها وهما انما يقتضيان ان يكون المشبه به اعرف واشهر فى وجه التشبيه من المشبه ولاينافى ذلك ان يكون الامر بالعكس فى الاتمية فعلى هذا يمكن ان يكون تأثير سم الدنيا أقوى وأتم لانه يؤثر فى النفس الناطقة و يوجب الهلاك الابدى، ومس الدنيا كناية عن جمع زهراتها الفانية والالتذاذ بها، و سمها عبارة عما يترتب عليه فى المآل (يحذرها الرجل العاقل) لعلمه بأن القرب منها و تناولها يوجب هلاكه فيكون انسه و سروره بالحذر عنها والفرار منها والاتصال بالمولى.

(ويهوى اليها الصبى الجاهل) اطلق على طالب الدنيا لفظ الصبى على سبيل الاستعارة لعدم علمه بما يضره و ينفعه اذ ليس له بصيرة باطنية ليدرك بها بواطن الامور، ولذلك نظره مقصور على ظواهرها وهمه مصروف الى التمسك بها و الركون اليها حتى لو منعه مانع لعارضه أشد المعارضة وقاتله أقبح المقاتلة فربما يحبسه الحرص فى سجن المهالك وهو مشعوف بذلك فيأتيه الموت ويفسد عليه وهو فى الاخرة من الخاسرين.

من لاتحلّ معصيته ولايرجى غيره ولاالغنى إلاّ به ، فإنّ من اتّقى الله عزّ و قوي و شبع و روي و رُفع عقله عن أهل الدُّنيا ، فبدنه مع أهل الدُّنيا و قلبه وعقله معاين الاخرة، فأطفأ بضوء قلبه ماأبصرت عيناه من حبّ الدُّنيا فقذّر حرامها و جانب شبهاتها وأضرّ والله بالحلال الصافي إلاّ مالابدّ له [منه] من كسرة يشدّ بها صلبه و ثوب

قوله (كتب أمير المؤمنين «ع» الى بعض أصحابه يعظه اوصيك و نفسى بتقوى [الله]) الوعظ الامر بالطاعة وعليه قوله تعالى «قل انما أعظكم بواحدة» أى آمركم و قيل الوعظ تذكير مشتمل على زجر وتخويف وحمل على طاعة الله بلفظ يرق له القلب والاسم الموعظة. والوصية بالشىء الامر به وعليه قوله تعالى «يوصيكم الله فى أولادكم» أى يأمركم وقوله «من لاتحل معصيته» بدل أو وصف للجلالة (فان من اتقى) الظاهر أنه علة لقوله «اوصيك» يعنى أمرتك بالتقوى فان من اتقى الله و اجتنب عن معصيته وتنزه عما يشغل عنه (عز) بعزة ربانية لاذل معها. (و قوى) بقوة روحانية لاضعف فيها (و شبع) بحكمة الهية لاجهل معها،

(و روى) بزلال أسرار غيبية وألطاف لاهوتية لايحتاج معها الى غيرها (و) لذلك (رفع عقله عن أهل الدنيا) حيث أن عقولهم عكفت كالذباب على ميتة الدنيا وعقله سائر فى الملاء الاعلى (فبدنه مع أهل الدنيا) لكونه من جنس أبدانهم فى الصورة الجسدانية.

(و قلبه وعقله معاين الاخرة) لتجرده عن العلائق الجسمانية. (فاطفأ بضوء قلبه ما أبصرت عيناه) من حب الدنيا، الاطفاء اخماد النار حتى لايبقى منها شىء وضوء القلب عبارة عن صوره العلمية المايزة بين الحق والباطل والحسن والقبح ، و فى عد حب الدنيا مبصراً مسامحة، وتشبيهه بالنار فى الاحراق والاهلاك استعارة مكنية و نسبة الاطفاء اليه تخييلية.

(فقذر حرامها) القذر الوسخ وهو مصدر قذر الشىء فهو قذر من باب تعب اذا لم يكن نظيفاً، وقذرته من باب تعب أيضاً و استقذرته و تقذرته كرهته لوسخه فأقذرته بالالف وجدته كذلك وكثيراً ما يطلق على النجس وهو المراد هنا.

(و جانب شبهاتها) و هى المشتبهات بالحرام مع عدم العلم بأنها حرام كأموال الظلمة الاخذين لاموال الناس ظلماً (و أضر والله بالحلال الصافى) و هو الحلال الخالص من الحرام قطعاً (الا ما لابد له) وهو أقل المعيشة الذى لايمكن الوجود والبقاء والطاعة بدونه (من كسرة يشد بها) صلبه الكسرة بالكسرة القطعة من الشىء المكسور ومنه الكسر من الخبز المتخذ من دقيق الحنطة والشعير أو غيرهما والجمع كسر مثل سدرة وسدر.

(و ثوب يوارى به عورته من أغلظ ما يجد وأخشنه) خص العورة بالذكر لانها أهم بالمواراة و الا فلابد من ثوب يوارى به سائر البدن عند الاحتياج اليه لحفظ الحر و

يواري به عورته من أغلظ ما يجد و أخشنه ولم يكن له فيما لابدّ له منه ثقة ولا رجاء، فوقعت ثقته ورجاؤه على خالق الأشياء، فجدّ واجتهد و أتعب بدنه حتّى بدت الأضلاع و غارت العينان فأبدل الله له من ذلك قوّة في بدنه و شدّة في عقله وما ذخر له في الآخرة أكثر، فارفض الدّنيا فإنّ حبّ الدّنيا يُعمي و يُصمّ ويبكم ويذلّ الرّقاب فتدارك مابقي من عمرك ولاتقُل غداً [أ] و بعد غد، فإنّما هلك من كان قبلك بإقامتهم على الأماني والتسويف حتّى أتاهم أمرالله بغتة وهم غافلون، فنُقلوا على

البرد (و لم يكن له فيما لابد له منه ثقة ولا رجاء) نفى الثقة والاعتماد فيما لابد منه عند كونه حاصلا و نفى الرجاء عند عدم كونه حاصلا.

(فوقعت ثقته) عند الحصول (ورجاؤه) عند عدمه (على خالق الاشياء) هذا غاية الزهد والتوكل حيث قطع تعلقه بالوسائط والاسباب وخص تعلقه برب الارباب.

(فجد واجتهد) أى فجد فى السير اليه والعمل له واجتهد فى تهذيب الظاهر والباطن مما يمنع القرب منه (و اتعب بدنه) بأنحاء العبادات والرياضات.

(حتى بدت الاضلاع) لشدة هزاله بكثرة التعب و قلة الغذاء (و غارت العينان) لكثرة السهر و قلة النوم (فابدل الله له من ذلك قوة فى بدنه) يتحمل بها الاعمال الشاقة مع ضعف البنية (و شدة فى عقله) يدرك بها الاسرار اللاهوتية و يتحمل الانوار الملكوتية (و ما ذخر له فى الاخرة) من الاجر الجميل والثواب الجزيل و المقامات العالية والدرجات الرفيعة (أكثر) مما آتاه فى الدنيا (فارفض الدنيا فان حب الدنيا) وهو ميل النفس اليها بحيث يفرح بحصولها و يحزن بفواتها.

(يعمى و يصم ويبكم ويذل الرقاب) المراد بالعمى عمى البصيرة فان حب الدنيا حاجز بينها وبين الحق و أسراره، مانع من ادراكهما. و يحتمل عمى البصر فان حبها مانع من ادراك البصر تقلبها على أهلها و ادراك نوائبها الدالة على هوانها كما أنه مانع من سماع نداء الداعى الى فراقها و آيات الحق على زوالها وفنائها و من التكلم بالاوامر و النواهى وتقبيح المنكرات لان كل ذلك مناف لما ارتكبه من الميل الى الدنيا وحب الشهوات وهو مع ذلك موجب لذل الرقاب اذ فى حبها وتحصيلها وضبطها و حفظها من أهل الجور مذلة ظاهرة لاولى الالباب (فتدارك مابقى من عمرك) و اصرفه فى عبادة ربك و تدارك مافات و انصرف عن حب الدنيا الى المقتنيات (ولاتقل غداً وبعدغد فانما هلك من كان قبلك باقامتهم على الامانى والتسويف) هذا قول أهل الامانى والامال و مناطه حب الدنيا فان حبها يبعثه على صرف العمر فى تحصيلها و جمعها وضبطها وصرف الفكر فى كيفية تحصيل ما يأمل و يرجو منها و تدبير

أعوادهم إلى قبورهم المظلمة الضيّقة وقد أسلمهم الأولاد والأهلون، فانقطع إلى الله بقلب منيب من رفض الدّنيا وعزم ليس فيه انكسار ولا انخزال، أعاننا الله وإيّاك على طاعته ووفّقنا الله وإيّاك لمرضاته.

٢٤ـ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبدالله بن المغيرة وغيره، عن طلحة بن زيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : مثل الدّنيا كمثل ماء البحر كلّما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتّى يقتله.

٢٥ ـ الحسينُ بن محمّد ، عن معلّى بن محمّد ، عن الوشّاء قال : سمعت الرّضا عليه السلام يقول : قال : عيسى بن مريم صلوات الله عليه للحواريّين: يا بني إسرائيل لا تأسوا على ما فاتكم من الدّنيا كما لا يأسى أهل الدّنيا على ما فاتهم من دينهم إذا أصابوا دنياهم.

(باب)

١ـ الحسينُ بن محمّد الأشعري عن معلّى بن محمّد ، عن الحسن بن عليّ الوشّاء ، عن عاصم بن حميد ، عن أبي عبيدة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ الله عزّ وجلّ

ازالة المانع منه وهو بذلك يغفل عن أمر الاخرة و ماينفعه فيها، ولو خطر بباله يسوفه ويقول أفعله غداً وبعد غد وبعد تعمير هذه العمارة و انقضاء هذه التجارة و احصاد هذه الزراعة، و هكذا بعد اشغاله المتولدة بعضها عقب بعض الى أن يأتيه الموت بغتة وهو فى خسران مبين و فيه ردع عن تسويف التوبة والعبادات والقيام على الامانى وحب الشهوات فان كل ذلك مع قطع النظر عن كونه مانعاً بالفعل قدلايتحصل له باتيان الموت بغتة و خروج الامر من يده ووصوله الى الغد ليس باختياره على أن الرجوع من الذنوب فى الغد ليس بأسهل من اليوم بل هو أصعب لان المعصية باستمرارها تشتد و تقوى حتى تصير ملكة فازالتها حينئذ أشد و أصعب، فاذا عجز عن ازالة الاضعف فهو عن ازالة الاصعب أعجز.

(فانقطع الى الله بقلب منيب من رفض الدنيا) الظاهر أن فانقطع أمر معطوف على فارفض الدنيا. والانابة الرجوع الى الله تعالى و«من» تعليل لها و عزم عطف على قلب و هو عقد الضمير والانخزال الانقطاع .

قوله (مثل الدنيا كمثل ماء البحر) هذا التمثيل فى غاية الحسن و الوجه هو ازدياد الحرص فى الجمع والشرب المفضى الى الهلاك بالاخرة، و من البين أن طالب الدنيا

يقول : و عزّتي و جلالي و عظمتي وعلوّي و ارتفاع مكاني لايؤثر عبدٌ هواي على هوى نفسه إلاّ كففت عليه ضيعته و ضمّنت السماوات والأرض رزقه ، و كنت له من وراءِ تجارة كلّ تاجر.

اذا توجه الى أمر واحد منها يتولد منه امور كثيرة وتشتبك فيه اشغال غير محصورة بعضها عقب بعض وصرف العمر فيها والحرص في تحصيلها يوجب هلاكه.

قوله (و عزتي وجلالي وعظمتي وعلوي وارتفاع مكاني) العزة القوة والشدة و الغلبة قيل وعزته عبارة عن كونه منزهاً عن سمات الامكان وذل النقصان و رجوع كل شيء اليه وخضوعه بين يديه والعظمة في صفة الاجسام كبر الطول والعرض والعمق و في وصفه تعالى عبارة عن تجاوز قدره عن حدود العقول والاوهام حتى لايتصور الاحاطة بكنه حقيقته وصفاته عند ذوي الافهام وعلوه علو عقلي على الاطلاق بمعنى أنه لارتبة فوق رتبته وذلك لان أعلى مراتب الكمال العقلي هو مرتبة العلية ولما كانت ذاته المقدسة مبدأ كل موجود حسي وعقلي لاجرم كانت مرتبته أعلى المراتب العقلية مطلقاً وله العلو المطلق في الوجود العاري عن الاضافة الى شيء، و عن امكان أن يكون فوقه ماهو أعلى منه، وهذا معنى قول أمير المؤمنين «ع» «سبق في العلو فلا أعلى منه» وارتفاع مكانه كناية عن عدم امكان الاشارة اليه بالعقول و الحواس.

(لايؤثر عبد هواي على هوى نفسه) المراد بهوى النفس ميلها الى ما هو مقتضى طباعها من اللذات الحاضرة الدنيوية والخروج عن الحدود الشرعية وبهواه تعالى اعراضها عن هذا الميل ورجوعها الى مايوجب القرب الى الحضرة الاحدية.

(الا كففت عليه ضيعته وضمنت السموات والارض رزقه) يجوز في ضمنت تشديد الميم وتخفيفها، والسموات منصوبة على الاول و مرفوعة على الثاني وضيعة الرجل ما يكون منه معاشه كالصنعة و التجارة و الزراعة و غير ذلك ، و لعل المراد بها المعيشة، و يؤيده ما روى من طرق العامة « المؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته » قال ابن الاثير أي يجمع عليه معيشته و يضمها اليه.

(و كنت له من وراء تجارة كل تاجر) الوراء فعال ولامه همزة عند سيبويه وأبي علي الفارسي وياء عند العامة وهو من ظروف المكان بمعنى قدام وخلف ، والتجارة مصدر بمعنى البيع والشراء للنفع وقد يراد بها مايتاجر فيه من الامتعة و نحوها على تسمية المفعول باسم المصدر، ولعل المراد أن كل تاجر في الدنيا للاخرة يجد نفع تجارته فيها من الجنة ونعيمها و حورها و قصورها، والله سبحانه بذاته المقدسة والتجليات اللائقة وراء هذا لهذا العبد الذي آثر هواه على هوى نفسه. وفيه دلالة على أن للزاهدين في الجنة نعمة روحانية أيضاً، و يحتمل

٢- محمّدُ بن يحيى، عن أحمدبن محمّد، عن ابن محبوب، عن العلاءبن رزين، عن ابن سنان، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال الله عزّ وجل: وعزّتي وجلالي وعظمتي وبهائي وعلوّ ارتفاعي لايؤثر عبدٌ مؤمنٌ هواي على هواه في شيء من أمر الدُّنيا إلاّ جعلت غناه في نفسه وهمّته في آخرته وضمّنت السماوات والأرض رزقه وكنت له من وراء تجارة كلّ تاجر.

(باب القناعة)

١- محمّدُ بن يحيى، عن أحمدبن محمّدبن عيسى، عن محمّدبن سنان، عن عمّار بن مروان، عن زيدالشحّام، عن عمرو بن هلال قال: قال أبوجعفر عليه السلام: إيّاك أن تطمح بصرك إلى مَن هو فوقك، فكفى بما قال الله عزّوجلّ لنبيّه صلى الله عليه وآله: «ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم» وقال: «ولا تمدّنّ عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم زهرة الحيوة الدُّنيا» فإن دخلك من ذلك شيء فاذكر عيش رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّما كان قوته الشعير وحلواه التمر وقوده السعف إذا وجده.

احتمالا بعيداً أن يكون كنت له كلاماً تاماً دالا على أنه تعالى هو الغاية لعمله ويكون ما بعده حالا لفاعل كنت دالا على أنه تعالى هو الرقيب على عمل كل عامل، والمراد بجعل غناه فى نفسه و همته فى آخرته كما فى الخبر الاخر جعله غنياً فى نفسه بايصال رزقه اليه عن غيره تعالى وجعل همته وهى الارادة والعزم القوى فى أمر آخرته وهما أعظم المراتب الانسانية اذ الانسان بذلك الغنى لايشاهد الا ربه وبتلك الهمة يبلغ من حضيض النقص الى أوج الكمال ويخرج من مذلة البعد الى مقام الوصال.

قوله (اياك أن تطمح بصرك الى من هو فوقك) طمح بصره اليه كمنع ارتفع لينظر اليه، و أطمح بصره رفعه وهو تحذير من النظر الى الفوق فانه يوجب ميل النفس الى الدنيا و ترك القناعة والصبر والشكر و عدم الرضا بقضاء الله و تقديره بخلاف النظر الى الادون و هذا بالنظر الى أهل الدنيا، و أما بالنظر الى أهل الاخرة فالامر بالعكس ثم رغب فى القناعة و عدم النظر الى أهل الدنيا وما فى أيديهم من زهراتها بقوله:

(فان دخلك من ذلك شىء فاذكر عيش رسول الله «ص» فانما كان قوته الشمير) أى غالباً (و حلواه التمر وقوده السعف اذا وجده) الوقود بالفتح الحطب والسعف بالتحريك أغصان النخل مادامت بالخوص وهو ورقة فان زال الخوص عنها قيل جريدة، والضمير فى

٢- الحسينُ بن محمّد بن عامر ، عن معلّى بن محمّد ، و عليٌّ بن محمّد، عن صالح ابن أبي حمّاد ، جميعاً ، عن الوشّاء ، عن أحمد بن عائذ ، عن أبي خديجة سالم بن مكرم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَن سألنا أعطيناه ومَن استغنى أغناه الله.

٣- محمّدُ بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن الهيثم ابن واقد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من رضي من الله باليسير من المعاش رضي الله منه باليسير من العمل.

وجده راجع الى كل واحد من الامور المذكورة يعنى ان دخلك من ذلك شيء ينفخ الشيطان بانك لم تقنع وتحمل على نفسك المشقة وابناء نوعك فى نعمة جزيلة وراحة طويلة وطلب سعة المعيشة من أى طريق يمكن فادفعه بذكر ضيق عيش رسول الله «ص» من أن الدنيا و ما فيها خلقت له و ما كان ذلك الا لحقارة الدنيا عنده و طلب رضا الله تعالى وتأس به بخرج الموجود والصبر على المفقود و استيقن أن الرزق مع الحياة و محال على الحكيم القادر العدل أن يقطع الرزق مع بقاء الحياة.

قوله (قال رسول الله «ص» من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله) أى من استغنى عن السؤال أغناه الله عنه باعطاه مايحتاج اليه ويفهم منه أن من سأل الناس و كله الله اليهم حيث صرف وجهه عنه واعتمد بهم ويدل على ذلك قوله تعالى «ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه» والتفصيل أن ماتعلق به قلب أحد من مهمات الدنيا اما أن يكون قد قسم له أولم يقسم فان قسم فالله تعالى يكفيه مؤونته و يوصله اليه قطعاً اما بغير كلفة و مشقة، أو بتهيئة أسبابه، أو بتوفيقه اليها وان لم يقسم كفاه عن مؤونة الاهتمام به، وأغنى قلبه عن التعلق به فهو الكافى لمن استكفاه اما بغنى يده، أو بغنى قلبه و منه يظهر سر الكلية فى قوله «و من استغنى أغناه الله » ونقل عن بعض المتوكلين أنه قال كنت فى بعض البوادى وحدى فجعت ولا زاد معى فرفعت حاجتى الى مولاى فهتف بى هاتف أتريد غذاء أم غنا فقلت بل غنا فزال جوعى و وجدت قوة و غنا عن الطعام نحواً من عشرين يوماً.

قوله (من رضى من الله باليسير من المعاش رضى الله منه باليسير من العمل) لان من رضى عما على الله باليسير رضى الله عما عليه باليسير كما يقتضيه حسن المعاملة وأيضاً النعمة توجب شكراً والعمل منه فكلما كانت النعمة أقل كان العمل أيضاً أقل، وفيه ترغيب فى الرضا بالقليل من الرزق لانه يستلزم خفة المؤونة وزوال المشقة من العمل وأيضاً من رضى بالقليل

٤- عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن أبيه، عن عبدالله بن القاسم عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبي عبدالله قال: مكتوب في التّوراة: ابن آدم! كن كيف شئت كما تدين تُدان، من رضي من الله بالقليل من الرّزق قبل الله منه اليسير من العمل ومن رضي باليسير من الحلال خفّت مؤونته وزكت مكسبته وخرج من حدّ الفُجور.

٥- عليُّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن عرفة، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام قال: من لم يقنعه من الرّزق إلّا الكثير لم يكفه من العمل إلّا الكثير ومن كفاه من الرّزق القليل فإنّه يكفيه من العمل القليل.

٦- عليُّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول: ابن آدم إن كنت تريد

من المعاش فقد زهد فى الدنيا وطهر ظاهره و باطنه من الاعمال والاخلاق القبيحة التى يقتضيها الدنيا وفرغ من المجاهدات التى يحتاج اليها السالك المبتدى و جعلها وراء ظهره فلم يبق عليه الافعل ما ينبغى فعله و هذا يسير بالنسبة الى تلك المجاهدات وهذا الاحتمال ذكره بعض علماء العامة فى شرح ما رووه عن النبى صلى الله عليه و آله «أخلص قلبك يكفيك القليل من العمل».

قوله (كن كيف شئت) هذا مثل قوله تعالى «اعملوا ما شئتم» وفيه وعد بالخير و وعيد على الشر كما أن فى قوله:

(كما تدين تدان) اشارة الى أن جزاء الخير خير و جزاء الشر شر، و ترغيب فى حسن المعاملة معه تعالى. ثم ذكر للرضا باليسير ثلاثة أوجه للترغيب فيه فقال:

(ومن رضى باليسير من الحلال خفت مؤونته وزكت مكسبته وخرج من حد الفجور) الوجه الاول خفة المؤونة أعنى الثقل والمشقة فان المشقة فى طلب اليسير وحفظه يسير خفيف، والثانى زكاء مكسبه فان المكسب المشروع لليسير كثير والمكسب المشروع زكى. والثالث الخروج من حد الفجور لما عرفت من زكاء مكسبه مع تنزهه عن الحقوق المالية والميل الى الدنيا المستلزمة للفجور بخلاف طالب الكثير فان المكسب الغير المشروع الكثير قليل جداً مع ما يلزمه من الحقوق المالية التى قلما يقوم بها طالبه و الركون الى الدنيا المستلزمة لجميع الفجور والمفاسد.

من الدُّنيا مايكفيك فإنَّ أيسر مافيها يكفيك و إن كنت إنّما تريد ما لايكفيك فإنَّ كلَّ مافيها لايكفيك.

٧- محمّدُ بن يحيى، عن محمّدبن الحسين، عن عبدالرَّحمن بن محمّد الأسدي، عن سالم بن مكرم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: اشتدَّت حال رجل من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله: فقالت له: امرأته لوأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فسألته فجاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فلمّا رآه النبيّ صلى الله عليه وآله قال: من سألنا أعطيناه و من استغنى أغناه الله، فقال الرَّجل: ما يعني غيري، فرجع إلى امرأته فأعلمها، فقالت: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله بشرٌ فأعلمه فأتاه فلمّا رآه رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من سألنا أعطيناه و من استغنى أغناه الله، حتّى فعل الرَّجل ذلك ثلاثاً، ثمَّ ذهب الرَّجل فاستعار معولاً ثمَّ أتى الجبل، فصعده فقطع حطباً، ثمَّ جاء به فباعه بنصف مدٍّ من دقيق فرجع به فأكله، ثمَّ ذهب من الغد، فجاء بأكثر من ذلك فباعه، فلم يزل يعمل ويجمع حتّى اشترى معولاً، ثمَّ جمع حتّى اشترى بكرين و غلاماً ثمَّ أثرى حتى أيسر فجاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فأعلمه كيف جاء يسأله و كيف سمع النبيَّ صلى الله عليه وآله، فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: قلت لك: مَن سألنا أعطيناه و من استغنى أغناه الله.

٨- عدَّةٌ من أصحابنا، عن أحمدبن محمّدبن خالد، عن عليِّ بن الحكم، عن الحسين بن الفرات، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَن أراد أن يكون أغنى النّاس فليكن بما في يدالله أوثق منه بما في يد غيره.

قوله (قال كان أميرالمؤمنين «ع» يقول ابن آدم ان كنت تريد من الدنيامايكفيك) أى أن كنت تريد من الدنيا ما يغنيك عن غيره فان أيسر مافيها يغنيك وهو القدر الضرورى الذى يتوقف عليه حياتك و قوتك على الطاعة وهذا القدر يأتيك قطعاً وتحصيله هين، وان كنت تريد مالايغنيك فان كل مافيها لايغنيك فانك حريص فى جمع الدنيا مالايحتاج اليه. ومراتب الحرص غير محصورة فلو فرض أنه جمع لك الدنيا وما فيها تطلب الزائد عليها. ومثل هذا الحديث قول أميرالمؤمنين «ع» «كل مقتصر عليه كاف» يعنى كاف فى مطلوب المقتصر من بقائه و قوته على الطاعة كتقليل القوت وغير ذلك.

قوله (من أراد أن يكون أغنى الناس فليكن بمافى يدالله أوثق منه بمافى يد غيره)

٩- عنه ، عن ابن فضّال ، عن عاصم بن حميد ، عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام قال : من قنع بما رزقه الله فهو من أغنى النّاس. [أ]

١٠ - عنه ، عن ابن فضّال ، عن ابن بكير ، عن حمزة بن حمران قال : شكا رجلٌ إلى أبي عبدالله عليه السلام أنّه يطلب فيصيب ولايقنع و تنازعه نفسه إلى ما هو أكثر منه و قال : علّمني شيئاً أنتفع به ، فقال أبوعبدالله عليه السلام : إن كان ما يكفيك يغنيك ، فأدنى ما فيها يغنيك، وإن كان ما يكفيك لا يغنيك فكلُّ ما فيها لا يغنيك .

١١- عنه ، عن عدّة من أصحابنا ، عن حنان بن سدير ، رفعه قال : قال أمير- المؤمنين عليه السلام من رضى من الدّنيا بما يجزيه كان أيسر مافيها يكفيه ومن لم يرض

لان من اتصف بهذه الفضيلة يصرف الله تعالى وجه قلبه عن جميع ماسواه اليه ويفيض بركاته و زلال فيضه عليه ويسد باب حاجاته الى غيره ولاغنى أعظم منه ومن المحرك الى تلك الفضيلة هو التفكر فى أن الله تعالى كريم لايضره الاعطاء وخزائنه واسعة لاتنفد وقد رغب فى السؤال عنه ووعد فى الاجابة فلايخلف وعده بخلاف غيره فانه مثل السائل فى الاحتياج و تخيل الفقر فى وقت ما و حصول الضرر وكل ذلك يبعثه على رد السائل و ان اعطاه اعطاه قليلا وذمه طويلا وعده ذليلا ومنه كثيراً والموت خير منه ولذلك قال أمير المؤمنين «ع» «المنية ولا الدنية» روى بضمهما ورفعهما فالنصب بتقدير الفعل أى احتمل المنية وهى الموت ولاتحتمل الدينة و هى السؤال والرفع بتقدير الخبر أى المنية ملتزمة والدنية غير ملتزمة.

قوله (من قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الناس) لان الغنى من لايحتاج الى غيره والقانع أولى بذلك من غيره لان غيره كثيراً ماتضطره الحاجة الى التوسل بالغير بخلاف القانع فان قناعته بأدنى مايكفيه رافعة للاضطرار، ومما يبعث على تلك الفضيلة هو العلم بأن غير القانع يطلب الدنيا لثلاثة أشياء الغنى والعز والراحة والعلم بأن كل ذلك فى تركها لان من تركها عز ومن قنع بما لا بد استغنى ومن قل سعيه استراح.

قوله (ان كان مايكفيك يغنيك فأدنى مافيها يغنيك وان كان مايكفيك لايغنيك فكل مافيها لايغنيك) مفهوم الشرطيتين ظاهر أما الاولى فلان أدنى مافى الدنيا يكفيه فى قوام أمره والمفروض أن مايكفيه يغنيه فأدنى مافيها يغنيه ، وأما الثانية فلانه اذا كان مايكفيه لايغنيه كان ذلك لكمال الحرص ومراتب الحرص غير محصورة فكل مافى الدنيا لوحصل له لايغنيه لوحصلت بل له الدنيا مرة طلبها مرتين وهكذا .

من الدّنيا بما يجزيه لم يكن فيها شيء يكفيه .

(باب الكفاف)

١ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن غير واحد . عن عاصم بن حميد ، عن أبي عبيدة الحذّاء قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله عزّ وجلّ : إنّ من أغبط أوليائي عندي رجلاً خفيف الحال، ذاحظّ من صلاة، أحسن عبادة ربّه بالغيب وكان غامضاً في النّاس جعل رزقه كفافاً، فصبر عليه، عجّلت منيّته فقلّ تراثه وقلّت بواكيه .

٢ ـ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: طوبى لمن أسلم وكان عيشه كفافاً.

٣ ـ النوفليّ ، عن السكونيّ ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله

قوله (قال الله عزوجل ان من اغبط أوليائى عندى) وجه التفضيل أنه جمع بين الدين و الدنيا وأخرج حبها عن قلبه فأكرمه الله بقربه وفضله وخيره . وهذه الامور من أعظم أسباب الغبطة (رجلا حفيف الحال) بالحاء المهملة أى ضيق الحال وقليل المعيشة من حفت الارض اذا يبس نباتها، أو بالخاء المعجمة أى قليل والحظ من الدنيا و لله در من قال :

أخص النـاس بالايمان عبد ... حفيف الحال مسكنه القفار
له فى الليل حظ من صلـوة ... و من صوم اذا طلع النهار
و قوت النفس يأتى من كفاف ... وكان له على ذاك اصطبـار
و فيه عفـة و به خمـول ... اليه بـالاصابع لا يشار
وقل الباكيات عليه لما ... قضى نحباً و ليس لـه يـار
فذاك قد نجا من كل شر ... و لم تمسسه يوم البعث نار

(ذا حظ من صلاة، أحسن عبادة ربه بالغيب) أى بالغيب عن الرب ، أوعن الخلق و المراد باحسان العبادة اتيانها فى أوقاتها بشرائطها وأركانها مع نية خالصة و قلـب حاضر عالم بأن الرب يشاهده بل هو يشاهد الرب.

(وكان غامضاً فى الناس) أى مغموراً غير مشهور (جعل رزقه كفافاً فصبر عليه) الكفاف بالفتح مالايحتاج معه ولايفضل عن الحاجة فهو متوسط بين الفقر والغنى وخير الامور أوسطها وانما سمي بذلك لانه يكف عن الناس ويغني عنهم.

أللّهمّ ارزق محمّداً وآل محمّد و من أحبّ محمّداً و آل محمّد العفاف والكفاف، و ارزق من أبغض محمّداً وآل محمّد المال والولد.

قوله (قال رسول الله اللهم ارزق محمداً وآل محمد.... العفاف والكفاف) العفاف بالفتح عفة البطن والفرج عن الطغيان، أو العفة من السؤال عن الانسان، أو الجميع (و ارزق من أبغض محمداً وآل محمد المال والولد) لماكان شيء من المال ضرورياً فى البقاء والعبادة و هو الكفاف الواقع بين الطرفين طرف الفقر الذى فيه رائحة الكفر والعصيان، و طرف الغنى الذى فيه شائبة التكبر والطغيان طلبه لنفسه ولمحبيه وطلب لمن أبغضهم طرف الغنى والكثرة لان مفاسده أكثر وأعظم وفتنته أشد وأفخم من مفاسد الفقر وفتنته كما قال عزوجل «انما أمواكم وأولادكم فتنة» وقال: «ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى» وقال أمير المؤمنين «ع» «المال مادة الشهوات» وبالجملة لماكان حصول الكفاف مانعاً من دواعى طرفى التفريط والافراط و كان العبد معه مستقيم الاحوال على سواء الصراط طلبه لنفسه ولمحبيه ومضمون الحديث متفق عليه بين الخاصة والعامة. ففى مسلم عن النبى «ص» أنه قال «اللهم اجعل رزق محمد قوتاً» والمراد بالقوت الكفاف وعنه أيضاً «اللهم اجعل رزق محمد كفافاً» وعنه أيضاً «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً» قال عياض لاخلاف فى فضيلة ذلك لقلة الحساب عليه فانما اختلف أيهما أفضل: الفقر أو الغنى، واحتج كل لمذهبه، واحتج من فضل الفقر بدخول الفقراء الجنة قبل الاغنياء، وقال القرطبى القوت مايقوت الابدان ويكف عن الحاجة وهذا الحديث حجة لمن قال ان الكفاف أفضل لانه «ص» انما يدعو بالارجح و أيضاً فان الكفاف حالة متوسطة بين الفقر والغنى، وخير الامور أوسطها، وأيضاً فانه حالة يسلم معها من آفات الفقر و آفات الغنى، وقال الابى فى كتاب اكمال الاكمال: فى المسئلة خلاف والمتحصل فيها أربعة أقوال قيل الغنى أفضل، وقيل الفقر أفضل. وقيل الكفاف أفضل، وقيل الوقف. وقال ابن رشد والذى أقول به أن الغنى أفضل من الفقر والفقر أفضل من الكفاف وأطال الاحتجاج عليه فى جامع المقدمات والمراد بالرزق المذكور ماينتفع به «ص» فى نفسه وفى أهل بيته وليس المراد به الكسب لانه كسب من خيبر ومن غيرها فوق القوت انتهى كلامه. واعلم أن الاحاديث مختلفة ففى بعضها طلب الغنى واليسار، وفى بعضها طلب الكفاف، وفى بعضها طلب الفقر، و فى بعضها الاستعاذة من الفقر ويمكن أن يقال المراد بطلب الغنى طلب الكفاف لان الكفاف هو الغنى المطلوب عند أهل العصمة عليهم السلام وليس المراد به ما هو المتعارف عند أبناء الدنيا من جمع المال وادخاره والاتساع فيه فوق الحاجة، وبطلب الفقر أيضاً طلب الكفاف لان الكفاف فقر عند أهل الدنيا وان كان غناً عندهم عليهم السلام، وبالاستعاذة من الفقر الاستعاذة مما دون الكفاف و هو الفقر عندهم عليهم السلام وأقوى أفراده عند أهل الدنيا، وعلى هذا لاتنافى

٤- عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن يعقوب بن يزيد ، عن إبراهيم بن محمّد النوفليّ ، رفعه إلى عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما قال : مرّ رسول الله صلّى الله عليه وآله براعي إبل فبعث يستسقيه ، فقال : أمّا ما في ضروعها فصبوح الحيّ و أمّا في آنيتنا فغبوقهم، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : اللّهمّ أكثر ماله وولده ، ثمّ مرّ براعي غنم فبعث إليه يستسقيه فحلب له ما في ضروعها وأكفأ ما في إنائه في إناء رسول الله صلّى الله عليه وآله و بعث إليه بشاة وقال : هذا ما عندنا وإن أحببت أن نزيدك زدناك، قال : فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : اللّهمّ ارزقه الكفاف، فقال له بعض أصحابه يا رسول الله دعوت للّذي ردّك بدعاء عامّتنا نحبّه ودعوت للّذي أسعفك بحاجتك بدعاء كلّنا نكرهه ؟ ! فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّ ما قلّ و كفى خير ممّا كثر و ألهى : أللّهمّ ارزق محمّداً و آل محمّد الكفاف.

٥- عنه، عن أبيه، عن أبي البختري، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الله عزّ و جلّ يقول: يحزن عبدي المؤمن إن قتّرت عليه وذلك أقرب له منّي و يفرح عبدي المؤمن إن وسّعت عليه وذلك أبعد له منّي .

٦- الحسينُ بن محمّد، عن أحمد بن إسحاق، عن بكر بن محمّد الأزدي ، عن أبي- عبدالله صلّى الله عليه وآله قال : [قال رسول الله صلّى الله عليه وآله :] قال الله عزّ وجلّ : إنّ من أغبط أوليائي عندي عبداً مؤمناً ذا حظّ من صلاح، أحسن عبادة ربّه و عبد الله في السريرة و كان

بين الاخبار والله أعلم .

قوله (فقال اما مافى ضروعها فصبوح الحى واما فى آنيتنا فغبوقهم) الصبوح بالفتح شرب الغداة والغبوق بالفتح شرب العشاء فأصلهما الشرب ثم استعمل فى المأكل والحى القبيلة من العرب. **قوله** (و ذلك أقرب له منى) أى تقتير رزقه وتضييقه أقرب له منى لان قلبه يفرغ عن غيره تعالى من علاقة المال ويتوجه اليه بالتضرع والابتهال ويطلب ماعنده من الفضل و ولقد سمعت من بعض صلحاء أهل الدنيا قال ماصليت بفراغ البال مذ اشتغلت بالدنيا و تحصيل المال. بخلاف توسيع الرزق فانه يبعد من الله لانه يشغل القلب عنه الى الدنيا . وجمع زهراتها وحفظها وترك الحقوق .

و **قوله** (ان وسعت) بالتخفيف أو التشديد يقال وسع الله عليه رزقه يوسع وسعاً من باب نفع ووسعه توسيعا أى بسطه و كثره و أوسع بالالف مثلهما .

غامضاً في النّاس فلم يُشر إليه بالأصابع. فكان رزقه كفافاً، فصبر عليه فعُجّلت به المنيّة، فقلّ تراثه وقلّت بواكيه.

(باب تعجيل فعل الخير)

١ـ محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن النعمان قال: حدّثني حمزة بن حمران قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إذا همّ أحدكم بخير فلا يؤخّره فإنّ العبد ربّما صلّى الصلاة أو صام اليوم فيقال له: إعمل ما شئت بعدها فقد غفر [الله] لك.

٢ـ عنه، عن عليّ بن الحكم، عن أبي جميلة قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إفتتحوا نهاركم بخير وأملوا على حفظتكم في أوّله خيراً وفي آخره خيراً، يُغفر لكم ما بين ذلك إن شاء الله.

قوله (اذاهم أحدكم بخير فلايؤخره فان العبد ربما صلى الصلاة أوصام اليوم فيقال له اعمل ماشئت بعدها فقدغفر [الله] لك) من الله للعبد نفحات فى بعض الاوقات، وللعبد مع الله مقام فى بعض الساعات، وللعبادة كمال فى بعض الانات موجب لرفع الدرجات فلعل زمان قصد الخير والعبادة أحد هذه الاوقات التى يحصل للعابد فيها مزيد قرب و اختصاص لايضر معهما شىء من موجبات البعد ولايدفع شرف القرب ومثل هذا الحديث رواه العامة قال القرطبى الامر فى قوله «اعمل ما شئت» أمر اكرام كما فى قوله تعالى «ادخلوها بسلام آمنين» و اخبار عن الرجل بأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه و محفوظ فى الاتى، و قال الابى يريد بالامر الاكرام ليس أنه اباحة لان يفعل ما يشاء.

قوله (افتتحوا نهاركم بخير وأملوا على حفظتكم فى أوله خيراً و فى آخره خيراً يغفر لكم ما بين ذلك انشاء الله) اذا كان عمل أول كل يوم وآخره خيراً يندر أن لا يكون وسطه خيراً لان المداومة على الخير تورث ملكة مانعة من الشر ومن ثم قيل الخير يسرى بعضه الى بعض كالشر. ولوفرض وقوع الشر فى وسطه فهو مغفور له كما قال عزوجل «ان الحسنات يذهبن السيئات» لان الله تعالى يستحى من العبد أن يقبل أول عمله و آخره ويرد وسطه أو يعذبه به، وأيضاً يبعد من كرمه أن يرضى بالعبد أولا و آخراً و يعذبه بيادرة فى الوسط، و أيضاً أعمال العبد بالنسبة اليه تعالى كخطاب أحدنا مع بنى نوعه وقد صرحوا بأن الخطاب لابد أن يكون أوله حسنا وآخره حسنا لان أوله أول ما يقرع السمع وآخره آخر ما يقرع السمع فيستحسنه السمع ويعده حسنا وكذلك الاعمال.

٣ - عنه، عن ابن أبي عمير ، عن مرازم بن الحكيم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان أبي يقول : إذا هممت بخير فبادر ، فانّك لاتدري مايحدث.

٤ - عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن اُذينة ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ الله يحبّ من الخير ما يعجّل.

٥ - عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن عليّ بن الحكم ، عن أبان بن عثمان ، عن بشير بن يسار ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إذا أردت شيئاً من الخير فلاتؤخّره، فإنّ العبد يصوم اليوم الحارّ يريد ما عندالله فيعتقه الله به من النّار، ولاتستقلّ ما يتقرّب به إلى الله عزّوجلّ ولو شقّ تمرة.

قوله (اذا هممت بخير فبادر فانك لاتدرى مايحدث) هذا كلام جامع لوجوه المبادرة الى الخيرات منها الرجوع الى الحالة المنافية للتكليف كالهرم المستلزم لضعف العقل والبنية ونقصانهما، ومنها المرض المانع من الاتيان بها ، و منها فجأة الموت، ومنها وسوسة الشيطان و ازالة القصد بها، ومنها طريان السهو والنسيان، و منها تزلزل النفس بخوف الفقر، ومنها فوات المال. ونظير هذا الحديث مانقل عن أميرالمؤمنين «ع»:

اذاهبت رياحك فاغتنمها ... فان لكل حادثة سكون
ولاتغفل عن الاحسان فيها ... فلاتدرى السكون متى تكون

و فيه ترغيب بليغ فى المبادرة الى الخيرات .

قوله (ان الله يحب من الخير مايعجل) دل على طلب التعجيل أيضاً قوله تعالى «و سارعوا الى مغفرة من ربكم» أى على سبب مغفرة وهو الخيرات ومدحهم به فى قوله «اولئك يسارعون فى الخيرات» ورغب فيه أميرالمؤمنين «ع» بقوله «لاخير فى الدنيا الا لرجلين رجل أذنب ذنباً فهو يتداركه و رجل يسارع فى الخيرات.

قوله (ولاتستقل مايتقرب به الى الله عزوجل ولوشق تمرة) أى نصفها فان نصفها قد يحفظ النفس عن الجوع المهلك ولان الانصاف الحاصلة من المتعدد قد يبلغ قوت الاخذ. و فيه حث على التصدق وعدم تركه لقلته ويحتمل أن يراد به ولوكان يسيراً من أى نوع كان ومثله قوله «ص» «لاتحقرن شيئاً من المعروف» و قول أميرالمؤمنين «ع» «افعلوا الخير ولاتحقروا شيئا فان صغيره كبير وقليله كثير» فسر الخير فى كلامه «ع» بالاحسان الى الضعفاء و الانعام عليهم ويمكن حمله على كل مايتقرب به الى الله تعالى.

٦- عنه، عن ابن فضّال، عن ابن بكير، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من همّ بخير فليعجّله ولا يؤخّره، فإنّ العبد ربما عمل العمل فيقول الله تبارك و تعالى: قد غفرت لك ولا أكتب عليك شيئاً أبداً، و مَن همّ بسيّئة فلا يعملها، فإنّه ربما عمل العبد السيّئة فيراه الله سبحانه فيقول: لا وعزّتي وجلالي لاأغفر لك بعدها أبداً.

٧- عليّ عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذاهممت بشيء من الخير فلاتؤخّره، فإنّ الله عزّوجلّ ربما أطلع على العبد وهو على شيء من الطاعة فيقول: و عزّتي وجلالي لاأُعذّبك بعدها أبداً، وإذاهممت بسيّئة فلاتعملها، فإنّه ربما أطلع الله على العبد وهو على شيء من المعصية فيقول: وعزّتي وجلالي لاأغفر لك بعدها أبداً.

٨- أبوعليّ الأشعري، عن محمّد بن عبدالجبّار، عن ابن فضّال، عن أبي جميلة عن محمّد بن حمران، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا همّ أحدكم بخير أوصلة فإنّ عن

قوله (فيقول الله تعالى قدغفرت لك ولاأكتب عليك شيئاً أبداً) غفران ذنوبه امامن باب التفضل، أو مستند الى ذلك العمل لقوله تعالى «ان الحسنات يذهبن السيئات» فدل على التكفير والمحو بعد الاثبات واما قوله «ولا أكتب» فيحتمل أن يكون المراد أنه لايكتب الذنوب التى يفعلها بعد فى مدة عمره اماتفضلا واما لذلك العمل بأن يكون لذلك مدخل فى محو ما بعده من الذنوب كماأن له مدخلا فى محوماقبله، ويحتمل أن يكون المراد أنه محفوظ فى الاتى من فعل الذنوب ففيه اخبار بانه قدغفر له ماتقدم من ذنبه و محفوظ فيمايأتى و بسعة رحمته وشدة سخطه، وبعث على الخوف والرجاء والاعمال الصالحة كلها فان كل عمل يصلح ان يكون كذلك، ثم قوله (لاوعزتى وجلالى لاغفر لك بعدها ابداً) لعل المراد به أنه اذا وقع القسم و كله الى نفسه فيسلط عليه شيطانه ويفتح له باب المعاصى فيخوض فى الشرور كلها حتى يخرج من الدنيا بلا ايمان فيستحق بذلك الشقاوة الابدية او المراد انه لا يغفر ذنوبه ابدا بل يؤاخذ بها و هذا لا يدل على عقوبته ابدا فلا يرد انه اذا خرج مع ايمان كيف يستحق العقوبة أبدا.

قوله (اذاهم أحدكم بخيرأوصلة فان عن يمينه وشماله شيطانين فليبادر لايكفاه عن ذلك) النفوس البشرية نافرة عن العبادات لمافيها من المشقة الثقيلة عليها، وعن صلة الارحام

يمينه وشماله شيطانين، فليبادر لا يكفّاه عن ذلك.

٩ـ محمّدُ بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن سنان، عن أبي الجارود قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: من همّ بشيء من الخير فليعجّله، فأنّ كلّ شيء فيه تأخير فإنّ للشيطان فيه نظرة.

١٠ـ محمّدُ بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن عليّ بن أسباط، عن العلاء، عن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ الله ثقّل الخير على أهل الدّنيا كثقله في موازينهم يوم القيامة، وإنّ الله عزّ وجلّ خفّف الشرّ على أهل الدُّنيا كخفّته في موازينهم يوم القيامة.

(باب الانصاف والعدل)

١ـ محمّدُ بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن الحسن ابن حمزة، عن جدّه [عن] أبي حمزة الثمالي، عن عليّ الحسين صلوات الله عليهما

والمبرات لما فيها من صرف المال المحبوب لها فاذاهم احدكم بشيء من ذلك مما يوجب وصوله الى مقام الزلفى و تشرفه بالسعادة العظمى فليبادر الى امضائه و ليعجل الى اقتنائه فان الشيطان ابدا فى مكمن ينتهض الفرصة لنفثه فى نفسه الامارة بالسوء ويتحرى الحيلة مرة بعد اخرى فى منعها عن الارادات الصحيحة الموجبة لسعادتها و امرها بالقبايح المورثة لشقاوتها ويجلب عليها خيله من جميع الجهات ليسد عليها طرق الوصول الى الخيرات وهى مع ذلك قابلة لتلك الوساوس و مايلة بالطبع الى هذه الخسايس فربما يتمكن منها الشيطان غاية التمكن حتى يصرفها عن تلك الارادة و يكفها عن هذه السعادة و هذه الحالة مجربة مشاهدة فى أكثر الناس.

قوله (فان للشيطان فيه نظرة) فى المصباح نظرت فى الامر تدبرت و انظرت الدين بالالف اخرته و النظرة مثل كلمة بالكسر اسم منه و فى التنزيل « فنظرة الى ميسرة» أى فتأخير .

قوله (ان الله ثقل الخير على أهل الدنيا كثقله فى موازينهم يوم القيامة وان الله عز وجل خفف الشر على أهل الدنيا كخفته فى موازينهم يوم القيامة) المراد بأهل الدنيا كل من هو فيها لا من هو طالب لها ومالك لزهراتها فقط ولكون الخير ثقيلا والشر خفيفا عليهم قل صدور الخير وكثر صدور الشر منهم و كان المراد بثقل الخير فى الميزان ان له قدراً و اعتباراً و عظمة بالذات والمضاعفة يوجب عظمة صاحبه وعلو قدره بخلاف الشر اذ له خفة و حقارة

قال: كان رسول‌الله يقول في آخر خطبته: طوبى لمن طاب خُلقه وطهرت سجيّته و صلحت سريرته وحسنت علانيته و أنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله و أنصف الناس من نفسه.

٢- عنه، عن محمّدبن سنان، عن معاويةبن وهب، عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: من يضمن لي أربعة بأربعة أبيات في الجنّة؟ أنفق ولاتخف فقراً وأفش السلام في العالم و اترك المراء وإن كنت محقّاً وأنصف الناس من نفسك.

يوجب خفة صاحبه و تحقيره.

قوله (طوبى لمن طاب خلقه) أى الجنة أوطيب العيش فى الدنيا والاخرة لمن طاب وحسن خلقه باتصافه بالاخلاق الحسنة (وطهرت سجيته) أى طبيعته‌عن الاخلاق القبيحة (و صلحت سريرته) أى قلبه بالعقايد الصالحة والنية الخالصة والمعارف الالهية (وحسنت علانيته) بالاعمال الصحيحة والافعال الحسنة (و انفق الفضل من ماله) باخراج الحقوق الواجبة والمندوبة او الاعم منهما اومما فضل من‌الكفاف.

(و امسك الفضل من قوله) بحفظ لسانه عما لايعنيه من فضول‌الكلام (و انصف الناس من نفسه) أى‌كان حكما على‌نفسه فيماكان بينه وبين الناس ورضى لهم مارضى لنفسه و كره لهم ماكره لنفسه. وفى‌المصباح نصفت‌المال بين الرجلين انصفه من باب قتل قسمته نصفين و انصفت الرجل انصافا عاملته بالعدل و القسط و الاسم النصفة بفتحين لانك اعطيته من الحق ما تستحقه لنفسك .

قوله (من يضمن‌لى‌أربعة‌بأربعة‌ابيات‌فى‌الجنة) الابيات‌جمع‌البيت‌وهو‌المسكن كالبيوت والضمان الالتزام يقال ضمنت المال وبه ضمانا فانا ضامن وضمين التزمته ويتعدى بالتضعيف يقال ضمنته المال تضمينا أى الزمته اياه و المعنى من يلتزم لى أربعة من الاعمال بسبب أربعة ابيات‌التزمتها له فى‌الجنة، ثم اشار الى‌الاعمال الاربعة على سبيل‌الاستيناف‌بقوله :

(انفق ولاتخف فقراً) فانه لمارغب فى الاربعة بذكر ثمرتها وهى انها سبب لبناء بيت لصاحبها فى‌الجنة صار محلاللسؤال فكان السايل قال ماهى حتى أفعلها فقال‌أنفق يعنى انفق فضل مالك فى ذوى الحاجات ولا تخف فقراً فان الانفاق سبب للخلف و الزيادة و أيضاً الفضل لادخل له فى‌الغنى‌فلا يوجب فواته فقراً.

(و افش السلام فى‌العالم) افشاء السلام، وهو الابتداء به على جميع الانام الا ما أخرجه‌الدليل، سبب للالفة والالتيام وموجب لحسن المعاشرة وتكميل النظام، مع أنه‌عبادة فى نفسه مطلوب فى‌دين الاسلام (و اترك المراء) أى الجدال والمنازعة.

(و ان كنت محقاً) وان كان فى المسائل‌العلمية بل هى‌أحق بترك المجادلة الابالتى

٣ـ عنه، عن الحسن بن عليّ بن فضّال، عن عليّ بن عقبة، عن جارود أبي المنذر قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : سيّد الأعمال ثلاثة : إنصاف النّاس من نفسك حتّى لاترضى بشيء إلّا رضيت لهم مثله و مؤاساتك الأخ في المال و ذكر الله على كلّ حال ،ليس «سبحان الله والحمد لله ولاإله إلّا الله والله أكبر »فقط ولكن إذا ورد عليك شيء أمر الله عزّوجلّ به أخذت به،أوإذا ورد عليك شيء نهى الله عزّوجلّ عنه تركته.

هى أحسن كما قال تعالى «و جادلهم بالتى هى أحسن» و للنفس فيها مكائد عظيمة فالاولى تركها بالكلية الا من شرفه الله تعالى بالنفس القدسية والكمالات العلمية والعملية فيمكن له التخلص من الاخلاق الرذيلة التى تحصل من المجادلة مثل التكبر والرياء والغضب والحسد والبغض والعجب و غيرها مما لايخفى على المزاول لها و لهذا وردت الاخبار بالنهى عنها مطلقاً رعاية للاكثر . (و انصف الناس من نفسك) وهو التزام العدل فى المخالطة و المعاملة حتى يحكم بنفسه على نفسه و هو من أخص الصفات العدلية والفضائل البشرية، وبه يتم نظام العالم و يرتفع الجور فى بنى آدم.

قوله (انصاف الناس من نفسك حتى لاترضى بشىء لنفسك الارضيت لهم مثله) من اتصف به لايريد للناس الا خيراً ويطلبه لهم بقدر الامكان و يدفع عنهم شراً ويحكم لهم على نفسه لوكان الحق لهم ولايأخذ منهم من المنافع الا مثل مايعطيهم ولا ينيلهم من المضار الا مثل ماينا له منهم (و مواساتك الاخ فى المال) أى تشريكه و تسويته فيه يقال آسيته بمالى أى جعلته اسوة أقتدى أنا به ويقتدى هو بى وهو ينشأ من ملكة السخاء.

(و ذكر الله على كل حال) وفى كل مكان سواء كانت الاحوال و الامكنة شريفة أم لا (ليس) أى ذكر الله (سبحان الله والحمدلله ولااله الا الله والله اكبر فقط) و ان كان مجموع ذلك من حيث المجموع وكل واحد من أجزائه ذكراً أيضاً .

(ولكن اذا ورد عليك شىء أمرالله عزوجل بهأخذت به أواذاورد عليك شىء نهى الله عزوجل عنه تركته) الذكر ثلاثة أنواع ذكر باللسان وذكر بالقلب والثانى نوعان أحدهما التفكر فى عظمة الله و آياته والثانى ذكره عندأمره ونهيه والثالث أفضل من الاول، والثانى أفضل منهما، ومن العامة من فضل الاول على الثالث مستنداً بأن فى الاول زيادة عمل الجوارح وزيادة العمل يقتضى زيادة الاجر، و فيه أن الزيادة ممنوعة و على تقدير التسليم فليست الضابطة كلية لظهور أن الذكر القلبى أشرف الاذكار وأعرق فيها، و من ثم روى «نية المؤمن

٤- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن إبراهيم بن محمّد الثقفي عن عليّ بن المعلّى، عن يحيى بن أحمد، عن أبي محمّد الميثمي، عن رومي بن زرارة عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له: ألا إنّه من يُنصف النّاس من نفسه لم يزده الله إلّا عزّاً.

٥- عنه، عن عثمان بن عيسى، عن عبدالله بن مسكان، عن محمّد بن مسلم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ثلاثة هم أقرب الخلق إلى الله عزّ وجلّ يوم القيامة حتّى يفرغ من الحساب: رجل لم تدعه قدرة في حال غضبه إلى أن يحيف على مَن تحت يده، و رجل مشى بين اثنين فلم يمل مع أحدهما على الاخر بشعيرة، ورجل قال بالحقّ فيما له وعليه.

٦- عنه، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن هشام بن سالم، عن زرارة، عن الحسن البزّاز، عن أبي عبدالله عليه السلام قال في حديث له: ألا اُخبركم بأشدّ ما فرض الله على خلقه، فذكر ثلاثة أشياء أوّلها إنصاف النّاس من نفسك.

خير من عمله» و اختلفوا فى أن الذكر القلبى هل تعرفه الملائكة وتكتبه أم لا فقيل بالاول لان الله تعالى يجعل له علامة يعرفه الملائكة بها وقيل بالثانى لانهم لايطلعون عليها.

قوله (ثلاثة هم اقرب الخلق الى الله عزوجل يوم القيامة حتى يفرغ من الحساب) ليس «حتى» هنا لانقطاع قربه بعد الحساب بل للمبالغة فى دوام قربه لانه اذا كان عند حساب الخلائق فى ظل قربه واحسانه وضيافة اكرامه وانعامه كان بعده فى ذلك بطريق أولى.

(رجل لم تدعه قدرة فى حال غضبه الى أن يحيف على من تحت يده) ظاهره عدم الجور والتعدى فى التأديب ويمكن أن يراد به العفو فى حقه والعفو أنسب.

(و رجل مشى بين اثنين فلم يمل مع احدهما على الاخر بشعيرة) أى مشى بينهما فى أداء رسالة أو قصد اصلاح أو مصاحبة، و قوله «بشعيرة» مبالغة فى ترك الميل بالكلية و أقل الميل أن يقول ما يوافق طبع أحدهما ويخالف طبع الاخر.

(و رجل قال بالحق فيماله و عليه) هذا هو المراد فى هذا الباب لانه الانصاف والعدل فى القول وهو أن يرضى لغيره مايرضى لنفسه ويكره له مايكره لنفسه.

قوله (فذكر ثلاثة أشياء أولها انصاف الناس من نفسك) هذا أشد لانه أشق على النفس و لعل الاخرين المواساة و ذكر الله فى كل حال كما يظهر من الاخبار الاتية أو عدم الميل و عدم الحيف بقرينة السابق.

٧- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: سيّد الأعمال إنصاف النّاس من نفسك، ومؤاساة الأخ في الله، وذكر الله عزّ وجلّ على كلّ حال.

٨- عليّ، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن زرارة، عن الحسن البزّاز قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ألا اُخبرك بأشدّ ما فرض الله على خلقه قلت: بلى قال: إنصاف الناس من نفسك، ومؤاساتك أخاك، و ذكر الله في كلّ موطن، أما إنّي لا أقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر. وإن كان هذا من ذاك ولكن ذكر الله جلّ وعزّ في كلّ موطن، إذا هجمت على طاعة أو على معصية.

٩- ابن محبوب، عن أبي اُسامة قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: ما ابتلي المؤمن بشيء أشدّ عليه من خصال ثلاث يحرمها، قيل: و ماهنّ؟ قال: المؤاساة في ذات يده، والانصاف من نفسه، وذكر الله كثيراً، أما إنّي لا أقول: سبحان الله والحمد لله [ولا إله إلاّ الله] ولكن ذكر الله عند ما أحلّ له و ذكر الله عند ما حرّم عليه.

١٠- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن يحيى بن إبراهيم بن أبي البلاد، عن أبيه، عن جدّه أبي البلاد رفعه قال: جاء أعرابي إلى النبيّ صلى الله عليه وآله و هو يريد بعض غزواته، فأخذ بغرز راحلته فقال: يا رسول الله علّمني عملاً أدخل به

قوله (اذا هجمت على طاعة أو على معصية) أى دخلت فيهما ووردت عليهما مع القدرة على امضاء هوى النفس كما يشعر لفظ الهجوم.

قوله (ما ابتلى المؤمن بشىء أشد عليه من خصال ثلاث يحرمها) أى يمتنع منها و يتركها ولا يتصف بشىء منها، تقول: حرمته حراماً من باب شرف وعلم اذا امتنعت فعله و فيه ترغيب للمؤمن فى الاتصاف بها وفى قوله (ولكن ذكر الله عند ما احل له وذكر الله عند ماحرم عليه) حث على ذكره تعالى فى جميع الاحوال لان القلب يميل مرة الى الحق ومرة الى الباطل وتارة الى الخير وتارة الى الشر والجوارح تابعة له فى جميع ذلك فلابد للمؤمن من أن يكون ذاكراً لله تعالى فى جميع حركاته و سكناته و تقلب قلبه ونظراته وناظراً الى جميع أعماله القلبية والبدنية فان كان خيراً أمسكه بحبل التذكر والايقان و مال اليه بنور القوة والايمان، وان كان شراً يدعه من خوف العقوبة و الخذلان كما روى «اذا عرض لك أمر فتدبر عاقبته فان كان خيراً فامضه و ان كان شراً فانته».

الجنّة، فقال ما أحببت أن يأتيه النّاس إليك فأته إليهم و ما كرهت أن يأتيه النّاس إليك فلاتأته إليهم، خلّ سبيل الرّاحلة .

١١- أبوعليّ الأشعري، عن الحسن بن عليّ الكوفي، عن عبيس بن هشام ، عن عبدالكريم، عن الحلبيّ ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: العدل أحلى من الماء يصيبه الظمآن، ماأوسع العدل إذا عُدل فيه وإنّ قلّ.

١٢- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب ، عن بعض أصحابه، عن أبي- عبدالله عليه السلام قال: من أنصف النّاس من نفسه رُضي به حكماً لغيره.

١٣- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن سنان، عن يوسف بن

قوله (فاخذ بغرز راحلته) الغرز بالفتح والسكون ركاب الراحلة من جلد واذا كان من خشب أوحديد فركاب.

قوله (العدل احلى من الماء يصيبه الظمآن) العدل ملكة للنفس تمنعها من الباطل و تحفظها فى جميع حركاتها و سكناتها الظاهرة والباطنة من الميل الى الجور و هو فى مذاق العادل بل الناس كلهم أحلى من الماء البارد فى مذاق العطشان و يتضمن هذا تشبيهه بالماء فى ميل الطبع والالتذاذ والوجه فى الماء أجلى و أظهر وفى العدل أتم وأكمل كما يشعر به اسم التفضيل (ما اوسع العدل) كانه تعجب فى سعته باعتبار تعلقه بكل أمر من الامور الظاهرة والباطنة غير مختص ببعض دون بعض كالعقائد أو الاقوال مثلا أو فى شرفه وسعة نفعه لانه اذا وقع العدل فى الناس تنزل السماء رزقها وتخرج الارض بركتها و يتم نظام العالم، و ذلك (اذا عدل فيه) أى فى العدل اذلو جار فيه بتعلقه بافعال بعض الجوارح و الاعضاء دون بعض لم تتحقق سعته بأحد المعنيين المذكورين (و ان قل) أى العدل ووجه قلته أنه يتوقف على كمال النفس الناطقة بالعلم والحكمة وكمال القوة الغضبية بالشجاعة وكمال القوة الشهوية بالعفة و بالجملة على استقامة القوى الظاهرة و الباطنة حتى يكون جميع الافعال والاعمال على وفق العقل والشرع، و من البين أن الاتصاف بهذه الخصال على وجه الكمال لكونه فى غاية الصعوبة والاشكال ليس الا لواحد بعد واحد هذا الذى ذكرنا فى شرح هذا الحديث من باب الاحتمال والله أعلم بحقيقة الحال.

قوله (من أنصف الناس من نفسه رضى به حكماً لغيره) الظاهر أن رضى على صيغة المجهول أى رضى الله تعالى أوكل عاقل أن يكون هو حاكما لغيره يحكم بين الخلق لان بناء الحكم على الانصاف والعدل ، و فيه حث على الاتصاف به لان السياسة البدنية و الرئاسة المدنية متوقفة عليه ومفهومه أن غير المتصف به لايصلح للحكومة .

عمران بن ميثم، عن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أوحى الله عزّ وجلّ إلى آدم عليه السلام إنّي سأجمع لك الكلام في أربع كلمات ، قال: يا ربّ وما هنّ؟ قال: واحدة لي وواحدة لك وواحدة فيما بيني و بينك وواحدة فيما بينك وبين الناس قال: يا ربِّ بيّنهنَّ لي حتّى أعلمهنّ ، قال : أمّا الّتي لي فتعبدني ، لاتشرك بي شيئاً، وأمّا الّتي لك فأُجزيك بعملك أحوج ماتكون إليه وأمّا الّتي بيني و بينك فعليك الدّعاء و عليّ الاجابة ، و أما الّتي بينك وبين الناس فترضى للناس ما ترضى لنفسك وتكره لهم ماتكره لنفسك.

١٤ـ أبوعليّ الأشعري، عن محمّد بن عبدالجبّار، عن ابن فضّال ، عن غالب بن عثمان، عن روح ابن أُخت المعلّى، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : اتّقوا الله و أعدلوا . فإنّكم تعيبون على قوم لايعدلون.

١٥ـ عنه، عن ابن محبوب، عن معاوية بن وهب، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : العدل أحلى من الشهد و ألين من الزّبد وأطيب ريحاً من المسك .

قوله (انى سأجمع لك الكلام فى أربع كلمات) دل على أن هذه الكلمات جامعة لكل دال على الخيرات و هو كذلك لان العارف بالله والسائر الى الله قصده امور أربعة الاول هو الله تعالى وحده لاشريك له والكلمة الاولى اشارة اليه، والثانى تحصيل المثوبات الاخروية عند كمال الحاجة اليها ، والكلمة الثانية ايماء اليه، والثالث اصلاح حاله فى الدنيا وتقويم شأنه وقت السير بتحصيل ماينبغى و ترك ما لاينبغى بعون الله و توفيقه، والكلمة الثالثة رمز اليه ، والرابع العدل بين رفقائه والانصاف فيما بينهم ليتمكن لهم السير الى الله و تكمل نظامهم، وله مدخل عظيم فى بقاء النوع والوصول الى المقصود، والكلمة الرابعة اشارة اليه، و اذا تأملت فى هذه الكلمات وجدت الحكمة العملية والنظرية مندرجة فيها وقد قسم ارسطاطاليس العدل على ثلاثة أقسام الاول رعاية العبودية، والثانى رعاية حقوق المشاركة ، والثالث رعاية حقوق الاسلاف ، و الكلمة الاولى فى هذا الحديث اشارة الى الاول ، و الكلمة الاخيرة الى الاخيرين.

قوله (اتقوا الله و اعدلوا) أى أطيعوا الله فى أوامره و نواهيه و اعدلوا فيما بينكم ولاتجوروا (فانكم تعيبون على قوم لايعدلون) بين الناس فينبغى أن تعدلوا حتى لا يعيب عليكم غيركم ولئلا يتوجه عليكم اللوم والانكار فى قوله تعالى «لم تقولون مالا تفعلون».

١٦- عدَّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن إسماعيل بن مهران، عن عثمان بن جبلة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاث خصال من كنَّ فيه أو واحدة منهنَّ كان في ظلِّ عرش الله يوم لا ظلَّ إلاَّ ظلّه: رجلٌ أعطى النّاس من نفسه ما هو سائلهم، ورجلٌ لم يقدِّم رجلاً و لم يؤخِّر رجلاً حتّى

قوله (العدل أحلى من الشهد وألين من الزبد و أطيب ريحاً من المسك) رغب فى العدل التابع للاعتدال فى القوى الانسانية لتشبيهه أولا بالشهد و هو العسل فى الحلاوة و ميل الطبع و ثانياً بالزبد فى اللينة والزبد مثال قفل ما يستخرج بالمخض من لبن البقر والغنم و ثالثاً بالمسك فى الريح المرغوب فيه و هذه المعانى وان كانت فى المشبه عقلية خفية عند الجاهلين لكنها كحسية جلية عند العارفين.

قوله (فى ظل عرش الله يوم لاظل الاظله) ضمير الاظله يحتمل أن يعود الى الله وأن يعود الى العرش فعلى الاول يحتمل أن يكون لله سبحانه يوم القيامة ظلال غير ظل العرش ولكن ظل العرش أعظمها و أشرفها يخص الله سبحانه من يشاء من عباده ومن جملتهم صاحب هذه الخصال الثلاث وعلى الاخير لا ظل هناك الا ظل العرش وهو ينافى ظاهراً ما روى عن أبى عبدالله (ع) قال : « قال رسول الله (ص) أرض القيمة نار ما خلا ظل المؤمنين فان صدقته تظله » و من طريق العامة « المرء فى صدقته حتى يقضى الله بين الخلايق » فانه يدل على أن فى القيامة ظلا غير ظل العرش ، ومن ثم قيل ان فى القيامة ظلالا بحسب الاعمال تقى أصحابها عن حر الشمس والنار و أنفاس الخلايق ولكن ظل العرش أحسنها وأعظمها ، ويمكن الجواب بأنه ليس هناك الا ظل العرش يستظل بها من يشاء من عباده المؤمنين ولكن لما كان ظل العرش لا ينال الا بالاعمال وكانت الاعمال تختلف فحصل لكل عامل ظل يخصه من ظل العرش بحسب عمله و اضافة الظل الى الاعمال باعتبار أن الاعمال سبب لاستقرار العامل فيه ثم الكون فى ظل العرش كما ذكرناه آنفاً يحتمل حمله على الحقيقة بأن يظلهم الله تعالى من حر الشمس و وهج الموقف و أنفاس الخلائق ، ويحتمل أن يكون كناية عن حفظهم من المكاره وجعلهم فى كنف حمايته ورعايته ، ويحتمل أن يكون الظل كناية عن الراحة والتنعم ومنه قولهم عيش ظليل (ورجل لم يقدم رجلا ولم يؤخر رجلا حتى يعلم ان ذلك لله رضى) يعنى انه يراقب نفسه فى جميع الحركات الظاهرة والباطنة ويجعلها موافقة للقوانين الشرعية

يعلم أنّ ذلك لله رضى و رجلٌ لم يعب أخاه المسلم بعيب حتّى ينفي ذلك العيب عن نفسه ، فإنّه لا ينفي منها عيباً إلاّ بدا له عيب ، و كفى بالمرء شغلا بنفسه عن النّاس.

١٧ ـ عنه ، عن عبدالرّحمن بن حمّاد الكوفي ، عن عبدالله بن إبراهيم الغفاري ، عن جعفر بن إبراهيم الجعفري ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من واسى الفقير من ماله و أنصف النّاس من نفسه فذلك المؤمن حقّاً.

١٨ ـ محمّدُ بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن محمّد بن سنان ، عن خالد بن نافع بيّاع السابري ، عن يوسف البزّاز قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : ما تدارأ اثنان في أمر قطّ ، فأعطى أحدهما النَصف صاحبه فلم يقبل منه إلاّ أُديل منه .

١٩ـ محمّدُ بن يحيى ، عن أحمدبن محمّد ، عن ابن محبوب، عن أبي أيّوب، عن محمّدبن قيس ، عن أبي جعفر عليه السلام قال. إنّ لله جنّة لايدخلها إلاّ ثلاثة أحدهم من حكم في نفسه بالحقّ .

٢٠ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير ، عن حمّاد، عن الحلبيّ عن أبي عبدالله عليه السلام قال : العدل أحلي من الماء يصيبه الظمآن،ما أوسع العدل إذا عُدل فيه و إن قلّ .

(فانه لا ينفى منها عيباً الا بداله عيب) فيكون دائماً مشغولا بعيب نفسه و تطهير ها عنه فيكون فارغاً عن عيب الناس كما اشار اليه بقوله (و كفى بالمرء شغلا بنفسه عن الناس) لان النفس ما دامت الدنيا محتاجة الى المعالجة والمداواة آناً فآناً .

قوله : (فذلك المؤمن حقاً) اريد أنه المؤمن الكامل الذى تكاملت أخلاقه الفاضلة و تمت أوصافه الكاملة فمن وجد فيه الامران علم أنه فى غاية الكمال من الايمان .

قوله : (ماتدارأ اثنان ـ الخ) تدارأوا تدافعوا فى الخصومة والخدعة، واديل منه اى جعلت الغلبة والنصرة له عليه يقال أدالنا الله على عدونا أى نصرنا عليه وجعل الغلبة لنا و فى الفائق أدال الله زيداً من عمرو نزع الله الدولة من عمرو و آتاها زيداً .

تمّ الجزء الثامن ويليه الجزء التاسع أوّله باب الاستغناء عن الناس .

استدراك

قدتكررفى مامضى ذكرالقلبمراداً بهالنفس الناطقةاقتباساًمنالقرآنالكريم«ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه» أى من نفسين حتى يكون بأحدهما ابناً لواحد و بالاخر ابناً لاخر، أوباحدهما زوجة وبالاخر اماكمافىالظهار و تكررأيضاً فى كلامالشارحالاشارة الى تجردالنفس وهوأهم مبادى علمالاخلاق مثلقوله « القلبمنعالمالقدس» فىالصفحة ٣٦١ والقلب فىاصطلاح علماء الاخلاق هوالقوةالعاقلة والنفس الناطقة والمراد بكونه منعالم القدس تجرده، فرأينامنأوجب ماعلينا بيانهذاالمقصدالمهمولايخفىأن كثيراً ممانرىفىخواص النفوس وآثارها تدل على وجود جوهرى مستقل عنالبدن وأن الاعضاء آلاتيحتاجاليهافى العمل ويفقد العمل بفقد الالات وكذلك الحواس الظاهرة آلاتلاينعدمصاحبآلالاتبفقدانها والعاقلة لاتحتاج فى ادراكها الى آلة حتى ينعدم التعقل بانعدامها ولوكانت العاقلةأيضاً بآلة وفقدت المشاعر كلها و تحللت أعضائها جميعاً لميبقمنالنفسشىوانمايبقىالنفسببقاء العاقلة مع فقدسائرالمشاعر. وقال بعض حكمائنا ان الحافظة للصور المثالية التى سموها الخيال أيضاًغيرآلية لاتفنى بفناء الدماغ، و احتجوا على عدم احتياج العاقلة الى الدماغ و عدم حلول الصور المعقولةفيه بوجوه: الاول ان الصورة العقلية غيرمنقسمة ولو كانت منقسمة لانتهى الى أجزاء غير منقسمة و غيرالمنقسم لايحل فىجسم منقسم. الثانى أنالقوة الحالةفى الالة لاتشعر بنفسهاكالباصرة لاتبصرالعين والعقل يشعر بذاته. الثالث أنالعقليدركالمعقولات ولايثقل عليه حملهاوان كثرت ولايكل ويتعقل جميعها متساوية فىالوضوح والقوى الحاسة الجسمانية كالبصر يكل ولايبصرالضعيف بعدادراك النور القوى الا بعداستراحة ما ولا يشم الانف الرائحة الضعيفة اثر القوية لشدة تأثره بالقويةوكلاله. ولايكل العالم الا عندالتفكر لتحصيل المعلومات فىالمرة الاولى لانالفكرمنالمتخيلةالثابتة فى الدماغ وأما بعد تعقل المعقولفلايكلباستمرارالتعقل كالبصر. الرابع أن العقللايضمحل بالشيخوخةوضعفالاعضاء وانما يضعف الفكروالقدرة على تحصيل مالم يحصله و العمل بماعلم لضعف الالة و أما نفس التعقلفهو ثابت باقويدرك حكماً بعدحكم من غيرأن يعجز . ومن زعم أنالشيخ يضعفعقله بتقدم السن اشتبه عليهالفكر بالتعقل اومايتوقف منالعلومعلىمعونةالحواس بمالايتوقفعليها والطبيب اذاشاخ وضعف يستشارولايعالج باليد لضعفيده، ولايميزالمرضلضعف عينه واذنهولا يزيد علمه لضعف فكره وحافظته، وهذه كلها غير التعقل و معنى قوله «لكيلا يعلم بعد علم شيئاً» يؤول على هذا. الخامس أنعدم كون الادراك منصفات الجسم بديهي والتشكيكفيه

يساوق التشكيك فى سائر الامور البديهية و كيف يمكن أن يدرك جسم الصور الحالة فيه و لو كان حلول صورة مافى الدماغ ادراكاً للدماغ فلم لا يدرك الجدار النقش الحاصل فيه ، فان قيل هذا المزاج خاص للدماغ ولتركيبه من عناصر خاصة ليست موجودة فى الجدار ، قلنا فلم لايدرك الدماغ الملاسة والخشونة والشكل والحفر وسائر ماحل فى أجزائه من الاعراض و الصفات وما الفرق بين الصورة المعقولة والعلوم الحاصلة فى الدماغ و بين سائر صفات نفسه كالشكل والملاسة وكلاهما حالة جسمانية عارضة لجسم الدماغ والادراك عندكم عبارة عن حلول الصورة فى جسم له هذا المزاج والتركيب ولامناص عن ذلك الا بأن يلتزم بأن الادراك ليس حلول حالة جسمانية فى جسم بل شىء آخر من غير سنخ حلول عوارض الاجسام. وقال الشيخ لو كان العقل فى دماغ لكان العقل اما دائم التعقل للدماغ واما أن لا يتعقله أصلا، و نعم ماقال وهذا الوجه الخامس هو الحجة القاطعة. وقدمر فى الصفحة ٣٥٦ و ٣١١ وغيرهما مايؤكد المقصود

و قد علمنا من تتبع ما يسمى فى علم الاخلاق رذائل و مهلكات أنها جميعاً تنسب الى الغرائز الطبيعية المعلولة للقوة الواهمة كالشهوة والغضب والبغض و الحسد فالسعادة كل السعادة فى اخضاع الوهم وقهره حتى لا يسترسل فى الشهوات و يتبع العقل ولا يمنعه من كسب الفضائل وقد ظهر من ذلك أن الوهم وما يتفرع عليه ليس من العالم الروحانى والتجرد فى شىء ولاحظ له من القدس أصلا، والعجب أن الغزالى مع تبحره فى هذا العلم نقض قول الحكماء فى تجرد العاقلة بان الوهم أيضاً لاينقسم مدركاته فان معنى الحسد والغضب والشهوة وأمثالها لا اجزاء مقدارية لها فلا ينقسم كمعنى الانسان والحيوان فليست جسمانية وهذا عجيب من مثله لان معنى الحسد والغضب وأمثالهما كلى لايدركه الحيوان البتة و هو مجرد من جهة كونه معقولا حاصلا للقوة العاقلة وانما الحاصل للحيوان مصاديق هذه المعانى فاذا رأت الشاة ذئباً عرضت فى بدنها حالة تبعثها على الفرار وضربان القلب و نسمى نحن معاشر البشر تلك الحالة خوفاً ولا تتعقل الشاة معنى الحالة ولا يعرف لها مفهوماً ولا لفظاً كاحساس الرضيع بوجع رأسه من غير أن يكون له تصور مفهوم الالم وجميع ماذكره فى التهافت فى نقض تجرد النفس الناطقة من هذا القبيل ناش عن قلة الاعتبار.

والخيال فى اصطلاح الحكماء هو القوة الحافظة للصور المدركة بالحس المشترك واختلف الحكماء فى تجرد الخيال المصطلح عندهم فالشيخ الرئيس وأتباعه أنكروا تجرده وجعلوه من عوارض الدماغ بمعنى انه آلة لامدرك وشيخ الاشراق ومن تبعه ومنهم صدر المتألهين ـ قده ـ اعتقد وا تجرده ولذلك أمكنهم الالتزام بان روح الحيوانات التى لها قوة الخيال مجردة تبقى بعد موتها وهو

متوقف على اثبات أن الحيوان يدرك وحدة ذاته طول عمره مع تبدل أجزاء بدنه وأنه يبقى مع جميع ماأدركه سابقاً واختزن فى خياله وبالجملة يتوقف على احاطتنا بخصوصيات ادراكه الخيالى وأما الانسان فيذكر غالباً ماأحسه بعد أربع سنين من ولادته والتزموا بتجرد الخيال اذ لايتعقل حلول صور كثيرة متراكبة بعضها على بعض و بعضها عظيمة و بعضها صغيرة متضادة بعضها مع بعض فى سنين متطاولة على جسم صغير من غير أن يشوش الصور ويبطل بعضها بعضا . والحيوان حاله غير معلومة لنا فلعله لايذكر مامر عليه سنة أو أقل لكن الحدس القوى يؤكد وجود صفات التجرد فى خياله و ليس هنا موضع التفصيل فى ذلك و اما اعتراض الغزالى على الحكماء فى استدلالهم على تجرد النفس ببقاء وحدتها طول العمر مع تبدل البدن بان الحيوان أيضاً كذلك يتبدل أجزائه مع أنه واحد من أول نموه الى أن يموت ولايقولون بتجرده

فالجواب أنهم لم يعلموا و حدته بالمعنى الذى نراه فى الانسان من حفظ شخصيته ومدركاته وعلومه ولاتكفى الوحدة العرفية وعلى فرض ثبوت وحدته حقيقة يقولون بتجرده .

فان قيل حكمت فيماسبق (فى الصفحة ٣٤٩) بان الحافظة كسائر الحواس الباطنة جسمانية وهى اعتياد الاعصاب أو الدماغ، قلنا غرضنا هناك الذاكرة فان الحافظة قد تطلق على قوة تحل فيها الصور وقد تطلق على قوة تسترجع المخزون وتحضرها عند الحس المشترك والجسمانى هو الثانى دون الاولى. راجع الصفحات (٢٧ و ٤١ و ١٧٦ و ٢٩٢ و ٣٠٧ و ٣١١ و ٣٢٠ و ٣٤٨ و ٣٥٠ و ٣٥٦).(ش)

كتاب الايمان والكفر

٢	باب	طينة المؤمن والكافر
١٣	»	آخر فيه زيادة وقوع التكليف الاول.
٢٩	»	أنّ رسول الله أول من أجاب و أقرّ لله بالربوبيّة.
٣٣	»	كيف أجابوا وهم ذرّ .
٣٥	»	فطرة الخلق على التوحيد.
٤٠	»	كون المؤمن في طلب الكافر.
٤١	»	إذا أراد الله عزّ وجلّ أن يخلق المؤمن.
٤٢	»	في أنّ الصبغة هي الاسلام.
٤٣	»	في أنّ السكينة هي الايمان.
٤٦	»	الاخلاص.
٥٣	»	الشرايع.
٥٧	»	دعائم الاسلام.
٧١	»	أنّ الاسلام يحقن به الدّم و أنّ الثواب على الايمان.
٧٤	»	أنّ الايمان يشرك الاسلام والاسلام لايشرك الايمان.
٨١	»	أنّ الاسلام قبل الايمان.
٨٣	»	(بدون العنوان).
٩٨	»	في أنّ الايمان مبثوث لجوارح البدن كلّها.

١١٨ » السبق إلى الايمان.
١٢٧ » درجات الايمان.
١٣٢ » آخر منه.
١٣٤ » نسبة الاسلام.
١٤٠ » خصال المؤمن.
١٤٧ » (بدون العنوان).
١٥٥ » صفة الايمان.
١٥٩ » فضل الايمان على الاسلام ، واليقين على الايمان.
١٦٣ » حقيقة الايمان واليقين .
١٦٩ » التفكّر.
١٧٢ » المكارم.
١٧٩ » فضل اليقين .
١٨٨ » الرّضا بالقضاء .
١٩٧ » التفويض إلى الله والتوكّل عليه.
٢٠٥ » الخوف والرّجاء .
٢١٧ » حسن الظنّ بالله عزّ وجلّ .
٢٢١ » الاعتراف بالتقصير.
٢٢٤ » الطاعة والتقوى .
٢٣٣ » الورع .
٢٤٠ » العفّة .
٢٤٢ » اجتناب المحارم .
٢٤٥ » أداء الفرائض .
٢٤٧ » استواء العمل والمداومة عليه.
٢٤٩ » العبادة .

٢٥٢	»	النيّة .
٢٥٥	»	(بدون العنوان) ،
٢٥٧	»	الاقتصاد في العبادة .
٢٥٩	»	من بلغه ثواب من الله على عمل.
٢٦٢	»	الصبر .
٢٧٦	»	الشكر .
٢٨٧	»	حسن الخلق.
٢٩٤	»	حسن البشر .
٢٩٦	»	الصدق و أداء الامانة .
٢٩٩	»	الحياء .
٣٠١	»	العفو .
٣٠٤	»	كظم الغيظ .
٣٠٨	»	الحلم .
٣١٣	»	الصمت و حفظ اللّسان .
٣٢١	»	المداراة .
٣٢٤	»	الرّفق .
٣٣٠	»	التواضع .
٣٣٩	»	الحبّ في الله والبغض في الله .
٣٤٧	»	ذمّ الدّنيا والزّهد فيها .
٣٨٠	»	(بدون العنوان).
٣٨٢	»	القناعة .
٣٨٧	»	الكفاف .
٣٩٠		تعجيل فعل الخير .
٣٩٣	»	الانصاف والعدل.

جدول الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤	١٣	هذه	هذا
٣١	٢٧	النتص	النقص
٤٩	٩	موحبات	موجبات
١٠٥	٢٦	الراويتين	الروايتين
١١٣	١٢	الظاعر	الظاهر
١١٧	٢١	و اظهراوا	و اظهروا
١٣٤	١٦	لم يررق	لم يرزق
١٤٤	٩	لهم الحجح	لهم الحجج
١٧٩	٦	فصل	فضل
٢٦٤	٧	المنف	العنف
٢٦٤	١٧	الحضلة	الخصلة
٢٨٧	٢٤	اقضل	افضل
٣٠٤	٢٧	جزعه	جرعة
٣١٦	١٥	الاالسنة	الألسنة
٣١٨	٢١	ومن كئرخطاؤ	و من كثر خطاؤه
٣٧٠	٢١	المستقيظ	المستيقظ

Library of
Dei Sub Numine Viget
Princeton University.

Princeton University Library
32101 098940495